

الذبيات

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة

أبي جعفر محمد بن الحسين الطوسي

المرقاة سنة ٤٦٠ هـ

المجلد الرابع

تحقيق

مؤسسة آل البيت عليه السلام للدراسات والبحوث



٤٣٩

التَّبَيَّاتُ

فِي

تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

شَيْخُ الطَّائِفَةِ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٠ هـ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

تَحْقِيقُ

مُؤَسَّسَةِ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَحْيَاءِ الذِّكْرِ

الطوسي ، محمد بن الحسن ، ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ ق .
التبيان في تفسير القرآن / أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ؛ تحقيق : مؤسسة
آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث . قم .

ج ٣٠

الفهرسة طبق نظام فيبا.

المصادر بالهامش.

١ - تفاسير شيعية . ألف : الطوسي ، محمد بن الحسن ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ ق .
ب : مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث (قم) . ج : عنوان .

٢٩٧ / ١٧٢٦

BP ٩٤ / ط ٩

١٨٧٣٨٩٢

الرقم في المكتبة الوطنية الإيرانية

شابك (ردمك) ٧ - ٣٢٨ - ٣١٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨ / دورة ٣٠ جزءاً احتمالاً

ISBN 978 - 964 - 319 - 328 - 7 / 30 VOLS.

شابك (ردمك) ٩ - ٦٠٥ - ٣١٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨ / ج ٤

ISBN 978 - 964 - 319 - 605 - 9 / VOL.4

الكتاب : التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

المؤلف : الشيخ محمد بن الحسن الطوسي

تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم

الطبعة : الأولى - رجب المرجب - ١٤٤١ هـ

الفلم والألواح الحساسة (الزنيك) : تيزهوش - قم

المطبعة : الوفاء

الكمية : ٣٠٠٠ نسخة

السعر : ٣٠٠ / ٠٠٠ ريال



بسم الله الرحمن الرحيم

له الحمد تبارك وتعالى أن وفقنا لإصدار ثلاثة مجلّدات من السفر الجليل
"التبيان في تفسير القرآن" لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي رحمته الله ، والمؤمل أن
يُنَجِّزَ في عشرين مجلّداً .

واذ نضع بين يدي القارئ اللبيب المجلّد الرابع من هذا الأثر النفيس
لا تفوتنا الإشارة إلى مشاركة المحقّق الفاضل الأخ عقيل الربيعي في لجنة تقويم
النصّ وفضيلة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد الباقر في لجنة
المراجعة النهائية ؛ فلهما وعلية أجرهما .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّا أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَضَىٰ بِهِمَا إِبْرَاهِيمُ بَيْنَهُ
وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) آية واحدة .

تقديره : واذكروا إذ يرفع إبراهيم القواعد .

والرَّفْع والإِعْلَاء والإِصْعَاد نظائر ، ونقيض الرَّفْع : الوَضْع ، ونقيض العُلُو : السُّفْل ، ونقيض الإِصْعَاد : الإِنْزَال ، تقول : رَفَعَ يَرْفَعُ رَفْعاً ، وارتفع الشيء بنفسه ، وبَرَزَ رافع : ساطع .

والمرفوع : من سير الفرس والبرذون دون الحُضْر وفوق الموضوع^(١) ، ويقال : إنه لحسن الموضوع ، ويقال : اَرْفَع من دابَّتكَ^(٢) .

وقد رَفَعَ الرجل يَرْفَعُ رَفَاعَةً ، فهو رَفِيع^(٣) ، والمرأة رَفِيعَةٌ . والجِمار يُرْفَعُ في عَدْوِهِ تَرْفِيعاً : إذا كان عدو بعضه أَرْفَع من بعض . وكذلك لو أخذت شيئاً فرفعته الأول فالأول ، قلت : رَفَعْتُهُ ترفيعاً . فالرفع : نقيض الخفض في كل شيء .

والرَّفْعَةُ : نقيض الذَلَّة ، وَرَفَعْتُهُ إِلَى السُّلْطَانِ رَفْعاً ، أي قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ ،

(١) قال ابن سيده في المحكم ٢ : ٢٩٥ «وضع» : والوضع أهون سير الدواب والإبل . وقيل : هو ضرب من سير الإبل دون الشد . وقيل : هو فوق الخب . وَضَعْتُ وَضْعاً وَمَوْضِعاً .

(٢) انظر : مادة «رفع» في : العين ٢ : ١٢٥ ، والصحاح ٣ : ١٢٢١ ، وتهذيب اللغة ٢ : ٣٥٨ - ٣٦٠ ، ولسان العرب ٨ : ١٢٩ - ١٣١ .

(٣) أي إذا شُرِف . انظر : تهذيب اللغة ولسان العرب في الهامش السابق .

وفي التنزيل : ﴿وَفُتْرِشَ مَرْفُوعَةً﴾^(١) أي مَرْفُوعَةً .

والمِرْفَعُ : كل شيء رفعت به شيئاً فجعلته عليه .

وأصل الباب : الرفع : نقيض الخفض ، تقول : رَفَعَ رَفْعاً ، وازْتَفَعَ اِزْتِفَاعاً ، وَرَفَعَ تَرْفِيعاً ، وَتَرَفَّعُوا تَرَفُّعاً ، وَتَرَفَّعَ تَرْفُوعاً ، وَرَفَعَهُ مَرَفَعَةً .

وَالْقَوَاعِدُ واحدها : قاعدة ، قاله الزجاج^(٢) .

أصله في اللغة : الثبوت والاستقرار ، فمن ذلك القاعدة من الجبل ، وهي أصله ، وقواعد البناء : أساسه الذي بُني عليه ، واحدها قاعدة .

وامرأة قَاعِدَةٌ : إذا أتت عليها سنون لا تُزَوِّج^(٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَزَوِّجُونَ نِكَاحًا﴾^(٤) وإذا لم تحمل المرأة ولا النخلة^(٥) يقال : قد قَعَدَتْ ، وهي قَاعِدَةٌ ، وجمعها قواعد أيضاً .

وتأويلها : أنها قد ثبتت على ترك الحمل .

وإذا قَعَدَتِ المرأة عن الحيض فهي قَاعِدٌ أيضاً - بغير هاء - لأنه لا فعل لها في قَعُودِها عن الحيض .

وقد قَعَدَتِ المرأة : إذا أتت بأولادٍ لثام فهي قاعدة .

والإقْعَادُ : أن يَقْعُدَ الرجلُ عن الشيء ألبتة ، يقال : أَقْعَدَ فهو مُقْعَدٌ ، أي أَقْعَدَتْهُ الزَّمانَةُ .

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٣٤ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٠٨ .

(٣) في «هـ» : لا تنزويج .

(٤) سورة النور ٢٤ : ٦٠ .

(٥) ذكر في بعض مصادر اللغة أنَّ القاعد من النخيل : الذي تناله اليد . وذكر أيضاً قَعَدَتِ النخلة : حملت سنة ولم تحمل أخرى .

وللجارية ثدي مُقَعَّد : إذا كان متمكناً لا ينكسر^(١) .

وشهر ذي القَعْدَة : كانت العرب تُقَعِّدُ فيه عن القتال .

والقُعُود : ما يُقْتَعِدُهُ الراعي ويحمل عليه متاعه ، وجمعه قُعْدَان .

وَقَعِيدَ الْإِنْسَانِ : جَلِيسُهُ ، ومنه قوله : ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(٢) يعني الملكين .

وَالْقَعِيدُ : كُلُّ مَا أَتَى مِنْ خَلْفٍ^(٣) من طائر أو ظبي .

ويقال للثيم : قعد ، وللجبان : قاعد ؛ لأنه قعد عن الحرب . وَقَعَدَ

الللثيم عن الكرم ، قال الحطيئة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِـبُغْيَيْهَا وافْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي^(٤) [٤٤١]

وَالْقُعْدُ فِي النِّسْبِ : أَقْرَبُ الْقَرَابَةِ إِلَى الْأَبِ أَوْ الْجَدِّ .

وَالْمَقَاعِدُ : مَوَاضِعُ الْقُعُودِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا ، ومنه قوله : ﴿مَقْعِدُ

لِلْقِتَالِ﴾^(٥) .

وَقَعِيدَةُ الرَّجُلِ : امْرَأَتُهُ الْقَاعِدَةُ فِي بَيْتِهِ .

(١) فِي الْحَجَرِيَّةِ : لَا يَنْكَسِرُ .

(٢) سُورَةُ ق ٥٠ : ١٧ .

(٣) «مِنْ خَلْفٍ» لَمْ تَرِدْ فِي الْحَجَرِيَّةِ .

(٤) الدِّيَوَانُ : ١٠٨ ، الْبَيْتُ ١٤ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِغِيضًا وَيَهْجُو الزُّبُرْقَانَ ، مَطْلَعُهَا :

وَاللَّهُ مَا مَعَشَرَ لَا مَوَا امْرَءًا جُنُبًا فِي آلِ لَأْيِ بْنِ شُمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ

أَرَادَ : لَا تَسَعْ فِي طَلَبِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَحَسْبُكَ أَنْ تَأْكُلَ وَتَشْرَبَ ، وَقَالَ حَسَّانُ

لِعَمْرٍ : مَا هِجَاهُ وَلَكِنْ ذَرَقَ عَلَيْهِ .

وَالطَّاعِمُ : الْحَسَنُ الْحَالُ فِي الْمَطْعَمِ . وَالكَاسِي : صَيَغَةُ فَاعِلٍ ، وَالْمُرَادُ اسْمُ

الْمَفْعُولِ ، أَيْ الْمَكْسُوفِ ، مِثْلُ «عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ» أَيْ مَرْضِيَّةٍ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : اسْتِعْمَالُ الْفِعْلِ «افْعُدْ» فِي اللَّثِيمِ الْبَعِيدِ عَنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .

انْظُرِ الْمَوَاضِعَ اللَّغَوِيَّةَ الْآتِيَةَ .

(٥) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٣ : ١٢١ .

وأصل الباب: القعود نقيض القيام^(١). والقواعد والأساس والأركان
نظائر.

وقيل: إنّما قيل في واحدة القواعد من النساء: قاعد؛ لشيئين:

أحدهما: أنّ ذلك كالطالق والحائض وما أشبه ذلك من الصفات التي
تختصّ بالموثّق دون المذكّر، فلم يحتج إلى علامة التأنيث، فإن أردت
الجلوس قلت: قاعدة، لا غير؛ لأنّها تشارك في ذلك الرجال.

والوجه الآخر: أنّ ذلك على معنى النسبة^(٢)، أي ذات قعود، كما
يقال: نابِل ودارع، أي ذو نبل وذو درع، لا تريد به تثبيت الفعل^(٣).

وموضع الجملة من قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ نصب بقول محذوف،
فكأنّه قال: يقولان: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، واتّصل بما قبله؛ لأنّه من تمام الحال؛
لأنّ «يقولان» في موضع الحال.

قال ابن عباس: معناه: يقولان: رَبَّنَا^(٤). وفي حرف عبدالله: يقولان

(١) انظر: العين ١: ١٤٣، تهذيب اللغة ١: ٢٠١، المحيط في اللغة ١: ١٤٧،
المحكم ١: ١٦٩، لسان العرب ٣: ٣٥٧، «قعد» في الجميع.

(٢) في «هـ» والحجرية: وجه التشبيه. وما أثبتناه من «خ» وهو المناسب لمقتضى
الكلام والمصادر الآتية.

(٣) انظر تفصيل هذه المسألة في: كتاب سيبويه ٣: ٣٨٣ - ٣٨٤، المخصّص ٧:
٤٦٧ «السفر السادس عشر» شرح الكافية ٣: ٣٢٩ - ٣٣١.

ولسبويه وجه ثالث غير ما ذكر، حيث قال: فإنّما الحائض وأشباهه في كلامهم
على أنّه صفة شيء، والشيء مذكّر، فكأنّهم قالوا: هذا شيء حائض، ثمّ وصفوا به
الموئث، كما وصفوا المذكّر بالموئث، فقالوا: رجلٌ نُكَّحَ.

(٤) تنوير المقياس: ١٨، تفسير الطبري ٢: ٥٥٧، إعراب القرآن للنحاس ١: ٢٦٢،
وفيه: وقال غيره - غير الأخفش -: هما جميعاً قالا.

رَبَّنَا^(١)، ومثله ﴿وَالْمَلَكُ يُدْخِلُونَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) أي يقولون، ومثله ﴿وَالْمَلَكُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) أي يقولون.

وقال بعضهم - هو شاذٌ - : تقديره : يقول : رَبَّنَا ، يردّه إلى إسماعيل وحده^(٤).

ولا يُعمل على ذلك ؛ لشذوذه .

وقال أكثر المفسرين - كالسُّدِّي وعُبَيْد^(٥) بن عمير الليثي واختاره الجُبَّائِي وغيرهم - : إن إبراهيم وإسماعيل معاً رفعوا القواعد^(٦) .
وقال ابن عباس : كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحَجَر^(٧) .

(١) أي في مصحف عبدالله بن مسعود ، انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٦٢ ، والمحاسب ١ : ١٠٨ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٧٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٣٩ .
(٢) سورة الرعد ١٣ : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٩٣ .

(٤) قال به الأخفش ، انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٣٦ ، إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٦٢ ، تفسير الطبري ٢ : ٥٥٧ .

(٥) في «هـ» والحجيرة : عبد .

وهو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، أبو عاصم المكي ، قاصّ أهلها ، قيل : له رواية ، مات قبل ابن عمر عام ٧٤هـ ، وولد في زمن النبي ﷺ ، وكان ممّن يُفخر به ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث .

له ترجمة في : طبقات ابن سعد ٥ : ٤٦٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٨/٤١ ، والبداءة والنهاية ٩ : ٦ ، وغاية النهاية ١ : ٢٠٦٤/٤٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ١٤٨/٦٥ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي : ٢٨/٢٢ .

(٦) انظر قول السُّدِّي والليثي وغيرهما في : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٠ ، وتفسير الطبري ٢ : ٥٥٧ - ٥٥٩ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٧) انظر : تنوير المقباس : ١٨ ، والوسيط للنيسابوري ١ : ٢١١ ، وتفسير ابن أبي

وقال بعض الشذاذ: إن إبراهيم وحده رفعها، وكان إسماعيل صغيراً في وقت رفعها^{(١)(٢)}.

وهو ضعيف؛ لأنه خلاف ظاهر اللفظ، وخلاف أقوال المفسرين. وقال أكثر أهل العلم: إنهما رفعاً البيت للعبادة لا للسكنى^(٣)، بدلالة قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾.

وهل كانت للبيت قواعد قبل إبراهيم؟ فيه خلاف. فقال ابن عباس وعطاء: قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفا أثره، فجدده إبراهيم^(٤). وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام^(٥). وقال مجاهد وعمر بن دينار^(٦): بل أنشأه إبراهيم بأمر الله عز وجل

﴿حاتم ١: ٢٣١ - ٢٣٣/١٢٣١ - ١٢٣٧.

وكلمة «الحجر» أثبتناها من «خ».

(١) «في وقت رفعها» أثبتناه من «خ».

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢: ٥٦٠، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٨٠، وفيه أيضاً نسب الرواية إلى الشذوذ.

(٣) تفسير الطبري ١: ٥٦٤، أحكام القرآن للجصاص ١: ٨١، تأويل الآيات: ٢٩٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢: ٥٥١، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٢٣٢/٢٣١، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٨٠، وتفسير الثعلبي ٤: ١٠٨ - ١١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٣٧ و٤٣٨.

(٥) انظر: تفسير القمي ١: ٦٠ - ٦٢، تفسير العياشي ١: ١٥٦ - ١٥٧/١٠٢ - ١٠٤، الكافي ٤: ٦/١٩٥، وانظر المصادر الآتية في الهامش بعد الآتي في أن آدم عليه السلام أول من حج.

(٦) هو الإمام الكبير الحافظ، أبو محمد الجمحي، مولاهم المكي الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه، ولد سنة خمس أو ست وأربعين، سمع من جمع، مثل: ابن عباس وجابر بن عبد الله وابن عمر وغيرهم، وحديث عنه جمع، منهم: ابن أبي مليكة وقتادة والزهري وأيوب السخيتاني وغيرهم كثير، كان شديد لله

إِيَّاهُ^(١) .

وكان الحسن يقول : أَوَّلَ مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢) .

وقد روي في أخبارنا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ آدَمُ^(٣) ؛ وذلك يدلُّ على أَنَّهُ قد كان قبل إبراهيم .

وإنَّما قال : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لَأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الدُّعَاءَ اقْتَضَى حَيْثُ ذَكَرَ ذَلِكَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بِنَا^(٤) وبِمَا يُصْلِحُنَا .
ومعنى قوله : ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أَي أَثْبَنَّا عَلَى عَمَلِهِ ، وَهُوَ مُشَبَّهٌ بِتَقَبُّلِ الْهَدَايَةِ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ^(٥) .

وروي عن مُحَمَّد بن علي الباقر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ تَحْتَ الْعَرْشِ أَرْبَعَ أَسَاطِينَ ، وَسَمَّاهُ الضَّرَاحَ ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، وَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : طُوفُوا بِهِ ، ثُمَّ بَعَثَ مَلَائِكَةً ، فَقَالَ : ابْنُوا فِي الْأَرْضِ بَيْتًا بِمِثَالِهِ

فَلَا تَنْتَبِثَ فِي الْحَدِيثِ حَتَّى وَصَفَهُ ابْنُ عِيْنَةَ بِأَنَّهُ ثَقَّةٌ ثَقَّةٌ ، نَعَمْ كَانَ الْبَعْضُ لَا يَرْضَاهُ وَيُرْمِيهِ بِالْتَشْيِيعِ ، تَوَفَّى ١٢٦هـ .

له ترجمة في : سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٠٠ ت ١٤٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٨٥ ت ٩٨ ، وتاريخ الذهبي (١٢١ - ١٤٠هـ) : ١٨٦ ، وغاية النهاية ١ : ٦٠٠ ت ٢٤٥١ .
(١) روي قول مجاهد وابن دينار في تفسير الطبري ٢ : ٥٥٢ - ٥٥٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٠ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٣٨ .
(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٠ ، وتأويل الآيات : ٢٩٧ - ٢٩٨ ، وبهذا القول قال الماوردي في تفسيره ١ : ١٩٠ .

(٣) ورد كثيراً في روايات أهل البيت عليه السلام أَنَّ آدَمَ حَجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، انظر : الكافي ٤ : ١/١٩٠ و٦ (باب في حج آدم عليه السلام) ، الفقيه ٢ : ٢٠٠/ذيل الحديث ٢١٣٥ ، و٢٢٧٤/٢٢٩ .

و ٢٢٧٥/٢٣٠ و ٢٢٧٦ ، و ٢٢٨٦/٢٣٥ ، علل الشرائع ٢ : ٢/٤٣٧ ، وغيرها .

(٤) في نسخة «خ» جاءت العبارة هكذا : السميع العليم لدعائنا العليم بنا . . .

(٥) انظر : مشتقات مادة «قبل» في : العين ٥ : ١٦٨ ، المحيط في اللغة ٥ : ٤٣١ ، تهذيب اللغة ٩ : ١٦٣ ، لسان العرب ١١ : ٥٤٠ .

وقدره ، وأمر مَنْ في الأرض أن يَطُوفُوا بالبيت»^(١) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : «إسماعيل أول من شُقَّ لسانُهُ بالعربية»^(٢) .

وكان أبوه يقول - وهما بينان البيت - : يا إسماعيل هابي ابن ، أي أعطني حَجَرًا ، فيقول له إسماعيل بالعربية : يا أبي هاك حَجَرًا ، وإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحِجارة .

وروى أبو قلابة عن عبدالله بن عمر قال : لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدمَ من الجنة قال : إِنِّي مُنْزِلٌ معك - أو مهبط معك - بيتاً تطوف حوله كما يُطَاف حول عرشي ، وتصلّي عنده كما يُصَلّي عند عرشي ، وَلَمَّا كان زمن الطوفان رُفِعَ ،

(١) من حديث طويل في الكافي ٤ : ١٨٧ - ١/١٨٨ ٢ ، ونحوه عن الرضا عليه السلام في علل الشرائع ٢ : ٧/٤٠٦ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١/٩٨ .

(٢) روي عن الإمام الباقر عليه السلام عدة روايات بهذا المعنى ، منها : ما رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ : ٥٠ : أخبرنا إسماعيل بن عبدالله بن أبي أويس المدني ، قال : حَدَّثَنِي أَبِي ، عن أبي الجارود الربيع بن قزيع ، عن عقبة بن بشير أَنَّهُ سَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ : مَنْ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بالعربية ؟ قال : «إسماعيل بن إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة» قال : قلت : فما كان كلام الناس قبل ذلك يا أبا جعفر ؟ قال : «العبرانية» قال : قلت : فما كان كلام الله الذي أنزل على رسله وعباده في ذلك الزمان ؟ قال : «العبرانية» .

ورواه أيضاً ابن الجوزي في المنتظم ١ : ٣٥٠ . وفيه أيضاً عن أبي جعفر : وفي رواية عن أبي قال : «اللَّهُمَّ الله إسماعيل العربية فنطق بها» .

وروى ابن كثير في البداية والنهاية ١ : ١٩٢ ، قال الأموي : حَدَّثَنِي علي بن المغيرة ، حَدَّثَنَا أَبُو عبيدة ، حَدَّثَنَا مسمع بن مالك ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قال : «أَوَّلُ مَنْ فَتِقَ لسانه بالعربية البينة إسماعيل ، وهو ابن أربع عشرة سنة» .

فقال له يونس : صدقت يا أبا سيار ، هكذا أبو جري حَدَّثَنِي . وروي نحوه عن النبي صلى الله عليه وآله في مستدرک الحاكم ٢ : ٤٣٩ .

فكانت الأنبياء يحجّونه ولا يعلمون مكانه حتّى بوّاه الله لإبراهيم فأعلمه مكانه، فبناه من خمسة أجبل من حراء وتُشير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر^(١).

قال الطبري: وهو جبل بدمشق^(٢).

قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف .
روي في الشواذ عن عوف^(٣) الأعرابي^(٤) أنّه قرأ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على

(١) انظر: تفسير الطبري ٢: ٥٥٠، وتفسير السمرقندي ٢: ٤٥٦، ورواه عبدالرزاق في المصنّف ٥: ٩٠٩٢/٩٢ و٩٠٩٣ عن عطاء مَرَّةً، وعن معمر عن أيّوب مَرَّةً أخرى، باختلاف يسير.

وانظر أيضاً: مجمع الزوائد ٣: ٢٨٨، والترغيب والترهيب ٢: ١٧٠٢/١٦٨. وجبل الخمر: جبل بيت المقدس، سُمّي بذلك لكثرة كرومه. معجم البلدان ٢: ١٠٢. وفي نسخة «خ»: جبل الحمر.

(٢) في تفسير الطبري ٢: ٥٥٠، هامش (٥): في حاشية الأصل: جبل بالشام. ولم نثر عليه في متن تفسيره وتاريخه.

(٣) في الحجرية زيادة: بن.

(٤) عوف الأعرابي ابن أبي جميلة الفارسي بن بندويه، وقيل غير ذلك، كان أحد علماء البصرة، وكان يقال له: عوف الصدوق، وثقة غير واحد، واحتجّ به أصحاب الصحاح رغم نسبته للتشيع، مات عام ١٤٦ أو ١٤٧ هـ.

وابن أبي جميلة شهر بالأعرابي، وعداده في صغار التابعين؛ روى عن جمع منهم: أبو العالية، والطاردي، وابن أوفى، وابن سيرين، وخلّاس وغيرهم، حدّث عنه شعبة، وابن المبارك، وغندور، وروح، والنضر بن شميل وطائفة. تاريخ الإسلام (١٤١ - ١٦٠ هـ): ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ٦: ٣٨٣ ت ١٦١، وهما للذهبي، تهذيب التهذيب ٨: ١٤٨ ت ٣٠٢.

الجمع^(١).

وإنما سألنا الله تعالى أن يجعلهما مُسْلِمَيْنِ، بمعنى أن يفعل لهما من الألفاظ ما يتمسكان معه بالإسلام في مستقبل عُمرهما؛ لأنَّ الإسلام كان حاصلًا في وقت دعائهما، ويجري ذلك مجرى أحدنا إذا أدب ولده وعرضه لذلك حتَّى صار أديبًا، جاز أن يقال: جعل ولده أديبًا، وعكس ذلك إذا عرض له للبلاء والفساد، جاز أن يقال: جعله ظالمًا محتالًا فاسدًا. ويجوز أن يكونا قالا ذلك تعبدًا، كما قال تعالى: ﴿رَبِّ أَخْكُم بِالْحَقِّ﴾^(٢).

والإسلام: هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع والإقرار بجميع ما أوجب عليه، وهو والإيمان واحد عندنا وعند أكثر المُرَجِّة والمعتزلة. وفي الناس مَنْ قال: بينهما فرق^(٣). وليس ذلك بصحيح؛ لقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٥).

وإنما خَصَّ بالدعوة بعض الذرية في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾؛ لأنَّ «مِنْ» للتبعية من حيث إنَّ الله تعالى كان أعلمه^(٦) أنَّ في ذُرِّيَّتِهما مَنْ

(١) انظر رواية عوف الأعرابي في تفسير الشعلي ٤ : ١١٥، وتفسير الماوردي ١ : ١٩٠ - ١٩١، والمحرَّر الوجيز ١ : ٣٥٩، ومختصر في شواذ القرآن : ١٧، وإعراب القراءات الشواذ ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦، والكشاف ١ : ٣١١، وتفسير القرطبي ٢ : ٣٩٦.

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ١١٢.

(٣) مَنْ قال بالفرق بين الإسلام والإيمان: الزَّجاج في معاني القرآن ١ : ٢٨٠، وأحمد بن حنبل وغيرهما، انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١ : ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) سورة آل عمران ٣ : ١٩.

(٥) سورة آل عمران ٣ : ٨٥.

(٦) في «هـ» : أعلمهما.

لا ينال العهد ؛ لكونه ظالماً .

وقال السُّدِّي : إِنَّمَا عَنَّا بِذَلِكَ الْعَرَبُ ^(١) .

والأَوَّلُ هو الصحيح ، وهو قول أكثر المفسرين ^(٢) .

وقوله : ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ فالمناسك هاهنا : المتعبّـدات . قال الزَّجَّاج : كُلُّ مُتَعَبَّدٍ مَنَسَكٌ ^(٣) .

وقال الجُبَّائي : المناسك : هي ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله من الهَدْيِ والذَّبيح وغير ذلك من أعمال الحجِّ والعمرة ^(٤) .

وقال قتادة : أَرَاهُمَا اللهُ مَنَاسِكُهُمَا الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرَّةِ وَالْإِفَاضَةُ مِنْ عَرَفَاتٍ وَالْإِفَاضَةُ مِنْ جَمْعٍ ^(٥) وَرَمِي الْجِمَارُ حَتَّى أَكْمَلَ اللهُ الدِّينَ ^(٦) .

فهذا القول أقوى ؛ لِأَنَّهُ الْمَعْرُوفُ فِي مَعْنَى الْمَنَاسِكِ .

وقال عطاء : مَنَاسِكُنَا : مَذَاحِنَا ^(٧) .

وَالنَّسْكَ - فِي اللُّغَةِ - : الْعِبَادَةُ ، وَرَجُلٌ نَاسِكٌ : عَابِدٌ ، وَقَدْ نَسَكَ

(١) انظر قول السُّدِّي فِي : تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٥٦٥ - ٥٦٦ ، وَتَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١ : ١٢٤٦/٢٣٤ .

(٢) انظر : تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٥٦٥ و ٤٣١ - ٤٣٣ ، تَفْسِيرِ السَّمَرْقَنْدِيِّ ١ : ١٥٨ ، تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِيِّ ٤ : ١١٥ ، الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ ١ : ٤٤٤ ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ ٣ : ٣١٧ ، الْوَسِيطُ لِلنِّسَابِيِّ ١ : ٢١١ .

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ ١ : ٢٠٩ .

(٤) انظر هَذَا الْمَعْنَى فِي : التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ ٤ : ٦٨ ، مَجْمَعُ الْبَيَانِ ١ : ٤١٧ .

(٥) يُقَالُ لِلْمَزْدَلْفَةِ : جَمْعٌ ؛ إِمَّا لِأَنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ بِهَا ، وَإِمَّا لِأَنَّ آدَمَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ بِحَوَّاءَ . الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ : ١٠٨ «جَمْعٌ» .

(٦) تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٥٦٧ ، الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ ١ : ٤٤٤ . وَفِي «خ» : أَكْمَلَ اللهُ لَهُ الدِّينَ .

(٧) تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٥٦٩ ، الْهُدَايَةُ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ ١ : ٤٤٦ .

نَسَكًا، والنَّسْكُ: الذَّبِيحَةُ، يقال: مَنْ فَعَلَ كَذَا فعليه نُسْكٌ، أي دم يُهْرِيقُهُ^(١)، ومنه قوله: ﴿أَوْ نُسْكٍ﴾^(٢) أي دم، واسم تلك الذبيحة: النَّسِيكَةُ.

والموضع الذي يُذبح فيه المناسك: (الْمَنَسِكُ).

والمَنَسْكُ: هو النُّسْكُ نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾^(٣)(٤) ويقال: نَسَكَ ثوبه، أي غسله^(٥).

وقال ابن دريد: النُّسْكُ أصله ذبائح كانت تُذبح في الجاهلية. والنَّسِيكَةُ: شاة كانوا يذبحونها في الحرم^(٦) في [أَوَّل] الإسلام، ثم نسخ ذلك بالأضاحي، قال الشاعر:

وذا النُّصْبِ المنصوب لا تَنسُكُنَّهُ ولا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ والله فاعْبُدَا^(٧)(٨) [٤٤٢]

(١) هَرَأَى الماءَ يَهْرِيقُهُ - بفتح الهاء - هَرَأَقَهُ، أي صَبَهُ، وأصله أَرَأَى يُرِيقُ إِرَاقَةً، وأصل أَرَأَى أَرِيقٌ، وأصل يُرِيقُ يُزِيقُ، وأصل يُزِيقُ يُؤَزِيقُ، وإنما قالوا: أنا أَهْرِيقُهُ، وهم لا يقولون: أنا أَأَرِيقُهُ لاستتقالهم الهمزتين، وقد زال ذلك بعد الإبدال.
انظر: الصحاح ٤: ١٥٦٩ «هرق»، والمصباح المنير: ٢٤٨ «ريق».

(٢) سورة البقرة ٢: ١٩٦.

(٣) سورة الحج ٢٢: ٣٤.

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «خ».

(٥) انظر: المحيط في اللغة ٦: ١٨٨، والصحاح ٤: ١٦١٢ «نسك»، وقال الجوهري: سمعته من بعض أهل العلم.

(٦) في «خ» والمصدر: المحرّم.

(٧) البيت للأعشى، انظر: ديوانه: ٤٦، وفيه: الأوثان، بدل: الشيطان. والبيت من قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ مطلعها:

ألم تفتنمض عيناك ليلة أرمدا
وعادك ما عادَ السليم المسهدا
أراد الشاعر: لا تذبح القرابين للأصنام، واعبد الله وحده ولا تعبد الأوثان والشيطان.

الشاهد: استعمال الفعل «تَنسُكُنُهُ» بمعنى ذبح الشياه والقرابين عند النَّصْبِ والأوثان.
(٨) جمهرة اللغة ٢: ٨٥٦ «نسك»، وما بين المعقوفين أضفناه من المصدر.

وأصل الباب : العبادة^(١) .

وقيل : إِنَّ النَّسْكَ : الغَسْلُ ، قال الشاعر :

فَلَا يُثْبِتُ الْمَرْعَى سِبَاخُ عُرَاعِرٍ وَلَوْ تُسِكَتْ بِالماءِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ^(٢) [٤٤٣]

أي غَسِلْتُ ، ذكره الحسين بن علي المغربي ، قال : وليس بمعروف^(٣) .

وقوله : ﴿وَأَرِنَا﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون من رؤية البصر .

والآخر : أن يكون من رؤية القلب ، بمعنى أعلمنا . قال حُطَّائط بن

يَعْفَرُ^(٤) :

(١) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ : النون والسين والكاف أصل صحيح يدل على عبادة وتقرب إلى الله .

(٢) البيت لنهشل بن حرّي ، كما في تاج العروس ١٣ : ٦٥٨ «نسك» وبلا نسبة في الصحاح ٤ : ١٦١٢ ، ولسان العرب ١٠ : ٤٩٩ .

أراد الشاعر : أن الأرض السبخة المالحة لا تُثْبِتُ الزرع والعشب ولو غُسِلَتْ بالماء ستة أشهر ، أي مدة طويلة .

الشاهد : استعمل الشاعر «تُسِكَتْ بالماء» بمعنى غُسِلَتْ بالماء .

(٣) المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١ : ١٨٧ ، وقال أيضاً : وما تُوقِنُ بهذا التفسير ، ولا يثبت عندنا هذا الشاهد .

وأول معنى ذكره الجوهري ٤ : ١٦١٢ لـ «نَسَكَ» هو الغسل ، وجاء أيضاً هذا المعنى في لسان العرب ١٠ : ٤٩٩ ، ونقله أيضاً الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨١ ، وغيرهم ، واستشهد الجميع بهذا البيت المتقدم .

(٤) «يعفر» أثبتناه من «خ» ، وفي نسخة «هـ» والحجرية : جعفر . وجاء في لسان العرب ١١ : ٤٧٤ «لعلل» : قال ابن بري : ذكر أبو عبيدة أن هذا البيت لحطائط بن يعفر ، وذكر الحوفي أنه للدريد ، وهذا البيت في قصيدة لحاتم معروفة ومشهورة .

أَرِنِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً لَأَنْسِي^(١) أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مَخْلُداً^(٢) [٤٤٤] أي عرّفيني .

ومعنى قوله : ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ أي ارجع علينا بالرحمة والمغفرة .
وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة أو فعل القبيح عليهم ، ومن ادعى ذلك فقط أ بطل .

وقال قوم : معناه : تب على ظلمة ذرّتنا^(٣) .
وقيل : بل قالوا ذلك انقطاعاً إليه تعالى تعبداً ليقْتدَى بهما فيه^(٤) . وهو الذي نعتمه .

والتَّوَاب : القابل للتوبة هاهنا ، وإذا وصف به العبد فمعناه أنّه فاعل

(١) في «هـ» والحجريّة : لعلّها . وما أثبتناه من «خ» ، وهو المطابق لما في مصادر اللغة ، حيث استشهد به على أنّ «أَنْ» تأتي بمعنى «لعلّ» ، واللام الداخلة عليها مفتوحة ، وهي لام التوكيد .

(٢) البيت - على ما تقدّم من الاختلاف - لحُطّائط بن يعفر ، أخو الأسود بن يعفر الشاعر المقدم الجاهلي ، والأبيات قالها حطائط لأمه حيث عاتبته على جوده وكرمه . ومن بديع ما قال فيها :

ذريني أكنّ للمال ربّاً ولا يكنّ لي المال ربّاً تحمدي غيْهُ غدا

انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١٥٣ ، خزائن الأدب للبغدادى : ١ : ٤٠٦ ، عيون الأخبار لابن قتيبة : ٣ : ٢٠٢ .

أراد الشاعر أن يقول لأمه : إنّ الجود لا يقتل صاحبه من الفقر والهزال ، ولا أنّ البخل وجمع المال يخلد صاحبه .

الشاهد : استعمل الشاعر «أريني» بمعنى «أعلميني» وهو من الأفعال القلبية لا البصرية .

(٣) نسبة الطبري في تفسيره ٢ : ٥٧٢ إلى الجواز ، وقال أيضاً : ... كما يقال : أكرمني فلان في ولدي وأهلي ، وبرني فلان ، إذا برّ ولده . ونُسب إلى القيل في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٤٨ . وانظر تفصيل المسألة أكثر في التفسير الكبير ٤ : ٧٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٥٧٢ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٤٨ .

التوبة دفعة بعد أخرى، فيفيد المبالغة.

وعلى مذهبنا إذا قلنا: قَبِلَ الله توبته، أي تاب عليه، معناه: أنه يستحق الثواب، وإذا قلنا: تاب العبد من كبيرة مع الإقامة على كبيرة أخرى، معناه - عند مَنْ أجاز ذلك -: أنه رفع العقاب بها على تلك الكبيرة التي تاب منها. وعندنا أنه يستحق بها الثواب أيضاً.

وفي الآية دلالة على أنه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي أنه يكون لا محالة؛ لأنهما كانا عالمين بأنهما لا يفارقان الإسلام ولا يأتیان الكبيرة.

والاختيار في: ﴿أَرِنَا﴾ كَشَرِ الرَّاءِ، وهي قراءة الجمهور^(١)؛ لأنها كسرة الهمزة حُوِلَتْ إلى الرَّاءِ؛ لأنَّ أصله كان «أَرَيْنَا» فنقلت الكسرة إلى الرَّاءِ وسقطت الهمزة، فلا ينبغي أن تُسَكَّنَ لثلاثا تجحف بالكلمة، وتبطل الدلالة على الهمزة.

وقد سَكَّنَهُ ابن كثير^(٢). وفي بعض الروايات عن أبي عمرو على وجه التشبيه بما يسكَّن في مثل كَبِدٍ وَفَخَذٍ^(٣)، وقال الشاعر:

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة ٢: ٢٢٣، وحجة القراءات لأبي زرعة: ١١٤، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ١٧٠.

(٢) تفسير الثعلبي ٤: ١١٥، الحجة للقراء السبعة ٢: ٢٢٣، حجة القراءات لأبي زرعة: ١١٤.

(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة ٢: ٢٢٤، وفيه روايتان عن أبي عمرو، إحداهما: إسكان الرَّاءِ، وفي كتاب التيسير في القراءات السبع: ٧٦، وحجة القراءات لأبي زرعة: ١١٤، والكتاب الموضح ١: ٣٠١، ٣٠٢ نُسِبَ إلى أبي عمرو الاختلاس في الكسرة، ومعنى الاختلاس هو الإتيان بثلاثي الحركة. ولذلك نقل العكبري عن سيويه في إملاء ما مَنْ به الرحمن ١: ٣٧، ٦٣: أنَّ الراوي لم يضبط عن أبي عمرو، لأنَّ أبا عمرو اختلس الحركة فظنَّ السامع أنه سَكَّنَ.

[٤٤٥] لَوْ عُصِرَ^(١) مِنْهُ الْمِسْكُ وَالْبَانُ انْعَصَرَ^(٢)

وقال آخر:

[٤٤٦] قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَتْ لَنَا دَقِيقًا وَاشْتَرَتْ وَعَجَلٌ خَادِمًا لَبِينًا^(٣)

(١) جعل التخفيف في الفعل «عَصِرَ» من باب التخفيف في «كَبِدَ وَفَجَذَ وَكَتِفَ وَعَضُدَ» لم يقبله رضي الدين الاسترابادي في شرح الشافية ١ : ٤٤ ، حيث قال : فليس التخفيف في مثله - عَصِرَ - لكراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل كما كان في «كَتِفَ وَعَضُدَ» كيف والكسرة أخف من الضمة ، والفتحة أخف من الكسرة ، بل إنما سَكُنَ كراهة توالي الثقيلين في الثلاثي المبني على الخفة ، فسكن الثاني لامتناع تسكين الأول ؛ ولأنَّ النقل من الثاني حصل .

وقال نحوه سيبويه في كتابه ٤ : ١١٤ .

(٢) هذا الشطر من أرجوزة لأبي النجم العجلي ، واسمه الفضل بن قدامة العجلي ، وكان ينزل بسواد الكوفة في موضع يقال له : الفرك ، أقطعه إياه هشام بن عبد الملك ، والأرجوزة قالها في وصف جارية ، انظر : ديوانه : ٨٥ ، وفيه : منها ، بدل : منه . وقبله :

خَوْدٌ يُغَطِّي الْفَرْعَ مِنْهَا الْمُؤْتَرَزُ لَوْ عُصِرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمِسْكُ انْعَصَرَ
«الْخَوْدُ» بفتح الخاء : الجارية الناعمة ، والجمع خُود - بالضم - و«الْفَرْعُ» : شعر الرأس بتمامه ، و«المؤترز» : محل الإزار . و«البان» بتقدير المضاف ، أي دهن البان ، و«المسك» معروف ، والواو بمعنى «أو» .

والمعنى : لو عُصِرَ منها دهن البان أو المسك - لشدة نعومتها وكثرة طيبها - لانعصر وسال وجري .

والشاهد : خَفَّفَ الفعل «عَصِرَ» بحذف الكسرة فصار «عُصِرَ» كذلك مَنْ قَالَ بتسكين الراء في الآية «أُزْنَا» .

وانظر : الصحاح ٢ : ٧٤٩ «عصر» ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ : ١١٠/٦٠٣ ، شرح شواهد شرح الشافية ٤ : ١٧ .

(٣) ما ذكره المصنّف ملقًى من بيتين - باختلاف يسير - للذافر الكندي ذكرها أبو زيد الأنصاري في نوادره : ١٧٠ ، منها :

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَتْ لَنَا سَوِيقًا وَهَاتِ بَرِّ الْبَخْسِ أَوْ دَقِيقًا
وَاعْجَلْ بِشَحْمٍ نَتَّخِذْ خُرْدِيَقًا وَاشْتَرِ فَعَجَلٌ خَادِمًا لَبِينًا

قوله تعالى :

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩) آية واحدة بلا خلاف .

الضمير في قوله : ﴿فِيهِمْ﴾ راجع إلى الأمة المسلمة التي سأل الله إبراهيم أن يجعلهم ^(١) من ذُرِّيَّتِهِ . والمعنى بقوله : ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو النبي ﷺ ؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : «أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ﷺ» ^(٢) ، يعني قوله : ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ﴾

﴿السويق﴾ : ما يجعل من الحنطة والشعير ، معروف ، و«البر» : الحنطة ، و«البخس» : الذي يزرع بماء السماء ، و«الخرديق» - فارسي معرب - : المرق ، و«اللبيق» : الحاذق .

والشاهد : حُذفت الكسرة من الفعل «اشتر» مرتين تخفيفاً . وحكى أبو زيد عن أبي حاتم : وهذا منكر في العربية .

ولكن قال ابن عصفور في ضرائر الشعر : ٩٦ : فإن كانت الضمة والكسرة اللتان في آخر الكلمة علامتي بناء ، اتفق النحويون على جواز حذفهما في الشعر تخفيفاً . ثم استشهد بالبيت الأول لعذافر .

وانظر أيضاً : لسان العرب ٦ : ٢٥ «بخس» ، وشرح شواهد شرح الشافعية ٤ : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(١) «أن يجعلهم» أثبتناها من «خ» .

(٢) رواه الصدوق في الخصال ٢٣٦/١٧٧ بزيادة : ورأت أمي أنه خرج منها شيء أضاءت منه قصور الشام ، وروى الجزء الأول منه في الفقيه ٤ : ٤/٢٦٨ ، وكذلك الشيخ المفيد في المسائل العكبرية : ٣١ . ورواه ابن المغازلي في المناقب : ٢٩١/٢٢٤ .

وروي أيضاً في مسند أحمد ٤ : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ومستدرک الحاكم النيسابوري ٢ : ٢٢٦

أَحْمَدُ^(١) وهو قول الحسن وقتادة والسُّدِّي وغيرهم من أهل العلم^(٢).
ويدل على ذلك أيضاً - وأن المراد به نبيّاً عليّاً دون الأنبياء الذين بعثهم الله من بني إسرائيل - أنه دعا بذلك لذُرِّيَّتِهِ الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الآية في^(٣) قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ ولم يبعث الله مَنْ هذه صورته إلا محمداً ﷺ.

والمراد بالكتاب: القرآن، على قول ابن زيد وأكثر المفسرين^(٤).
ومعنى ﴿الحكمة﴾ - هاهنا -: السُّنَّة.

وقيل: المعرفة بالدين والفقه في التأويل.
وقيل: العلم بالأحكام التي لا يدرك علمها إلا من قِيلَ الرسل ﷺ.
فالأوّل قول قتادة، والثاني قول مالك بن أنس^(٥)، والثالث قول ابن

٤١٨، ٦٠٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصحيح ابن حبان
٣١٣: ١٤ «باب بيان الخصال التي فضل ﷺ بها، والمعجم الكبير ١٨: ٢٥٢،
ومسند الشاميين ٢: ٣٤١، ٣: ١٣٣، وشعب الإيمان ٢: ١٣٨٥/١٣٤، والطبقات
الكبرى ١: ١٤٩، وفي الجميع ضمن حديث أطول وبزيادة بعد ما ذكره المصنف:
ورؤيا أُمِّي ...»

(١) سورة الصف ٦١: ٦.

(٢) رُوي قول الحسن وقتادة والسُّدِّي وغيرهم في تفسير الطبري ٢: ٥٧٤ - ٥٧٥،
وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٢٥٤/٢٣٦ - ١٢٥٩، وتفسير الطبراني ١: ٢٤٧،
والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٤٩، وتفسير الماوردي ١: ١٩١، والتفسير البسيط
٣: ٣٢٣.

(٣) في الحجرية: وفي. وما أثبتناه من «خ» و«ه»، وهو المناسب لسياق الاستدلال.
(٤) انظر: تفسير الطبري ٢: ٥٧٥، وتفسير الطبراني ١: ٢٤٧، والهداية إلى بلوغ
النهاية ١: ٤٤٩، وتفسير الماوردي ١: ١٩٢، والتفسير البسيط ٣: ٣٢٤.

(٥) في «ه»: قول أنس. وفي الحجرية: أنس بن مالك. وما أثبتناه من «خ» وهو
المطابق لما في المصادر، وهو مالك بن أنس بن مالك الحميري الأصبحي، إمام
الشيعة

زيد^(١).

وقال قوم: هو كلام مثني، كأنه وصف التنزيل بأنه كتاب، وبأنه حكمة، وبأنه آيات^(٢).

وقال بعضهم: الحكمة: شيء يجعله الله في القلب ينوره به، كما ينور البصر فيذكر المُبَصِّر^(٣). وكلُّ حسن.

ومعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال ابن عباس: هو طاعة الله والإخلاص له^(٤).

وقال ابن جريج: يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه^(٥).

المالكية، حليف بني تميم، وأمه عالية بنت شريك الأزدية، مولده سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ، فأخذ العلم عن: نافع وسعيد المقبري وابن المنكدر وغيرهم، وروى عن: محمد بن عقبة وعمر بن حسين، وكثير بن زيد وغيرهم كثير، وحديث عنه: عمه أبو سهيل ويحيى بن سعيد والزهري وغيرهم، حملت به أمه ثلاث سنين - كما روي - وتوفي صبيحة الرابع عشر من ربيع الأول سنة تسع وسعين ومائة في حكم هارون، ودُفن بالقيع وعمره خمس وثمانون سنة. له ترجمة في: المنتظم ٩: ٩٦٤/٤٢، وسير أعلام النبلاء ٨: ١٠/٤٨، ونهاية السؤل ٨: ٦٦٩٥/٢٦٧٤.

(١) انظر الأقوال كلها في: تفسير الطبري ٢: ٥٧٦، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٢٦٢/٢٣٧ - ١٢٦٤، و٢: ٢٨٢٩/٥٣٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٤٩ - ٤٥٠، وتفسير الماوردي ١: ١٩٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢: ٢٨٢٢/٥٣١ و٢٨٢٣، و٢٨٣١/٥٣٣ - ٢٨٣٥، والتفسير البسيط ٣: ٣٢٤.

(٣) نسب الطبري هذا القول لابن زيد في تفسيره ٢: ٥٧٧، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢: ٢٨٣٨/٥٣٤.

(٤) تفسير الطبري ٢: ٥٧٧، تفسير ابن أبي حاتم ١: ١٢٦٤/٢٣٧، وفي تفسير ابن عباس: ١٨: يطهرهم بالتوحيد والزكاة من الذنوب.

(٥) حكاه عنه أيضاً الطبري في تفسيره ٢: ٥٧٧ - ٥٧٨، والواحي في التفسير البسيط ٣: ٣٢٦، وفي تفسير الماوردي ١: ١٩٢ لم ينسبه لابن جريج.

وقال الجُبائي: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ معناه: يستدعيهم إلى فعل ما يُزكون به من الإيمان والصلاح^(١).

ويحتمل أن يراد به أنه يشهد لهم بالزكاة إذا^(٢) آمنوا وصلّحوا^(٣).

و﴿الْعَزِيزُ﴾: القادر الذي لا يُعجزه شيء.

وقيل: القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله.

وقيل: القدير، وهو مبالغة الوصف بالقدرة^(٤).

ونقيض العِزِّ: الدُّلُّ. ويقال: (عَزَّ عِزًّا، وَأَعَزَّ إِعْزَازًا)^(٥)، واعتَزَّ به

اعْتِزَّازًا، وتَعَزَّزَ تَعَزُّزًا، وعَازَهُ مُعَازَةً، تقول: عَزَّ يَعِزُّ عِزَّةً وَعِزًّا: إذا صار

عَزِيزًا. وعَزَّ يَعِزُّ عِزًّا: إذا قهر، ومنه قولهم: مَنْ عَزَّ بَزًّا^(٦). أي مَنْ غَلَبَ

سَلَبَ.

وكل شيء صَلَبَ فقد اعتَزَّ، وسُمِّي العِزَّاز من الأرض وهو الطين

الصُّلْب الذي لا يبلغ أن يكون حجارة.

وعَزَّ الشيء: إذا قَلَّ لا يكاد يوجد.

وفلان اعتَزَّ بفلان: إذا تشرَّف به.

(١) حكاه أيضاً عن الجُبائي الطبرسي في مجمع البيان ١: ٤٢٠.

(٢) في «ه»: بأنهم، ولم ترد في الحجرية.

(٣) في «ه» والحجرية: أصلحوا.

(٤) انظر معاني العزيز في: تفسير الطبري ٢: ٥٧٨، تفسير الطبراني ١: ٢٤٧، تفسير

الثعلبي ٤: ١٢٦، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٥٠، التفسير البسيط ٣: ٣٢٦.

(٥) في الحجرية: عزَّه يعزُّ عِزَّةً وعِزَّازًا. وما أثبتناه من النسخ.

(٦) ذُكِرَ المَثَلُ في جميع المصادر اللغوية الآتية، وورد في مجمع الأمثال للنيسابوري

٢: ٤٠٤٤/٣٠٧، وجمهرة الأمثال ٢: ٢٨٨ ت ١٦٩٨، وموسوعة أمثال العرب ٥:

٤٥٦، ومصادره وافية.

﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾^(١) أي غلبني في محاوراة الكلام .

والعَزَاءُ : السَّنةُ الشَّدِيدَةُ . والمطر يُعَزَّزُ الأرضَ تَغْزِيئاً : إذا لَبَّدَهَا^(٢) .

وأصل الباب : القُوَّةُ^(٣) .

وقوله : ﴿الْحَكِيمُ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : المدبِّر الذي يُحْكِم الصُّنْعَ ويُحَسِّن التدبير .

والثاني : بمعنى عَلِيم .

والأَوَّلُ بمعنى : حَكِيم في فعله ، بمعنى : مُحْكِم ، فعدل إلى حَكِيم للمبالغة . وإنَّما ذكر الحكيم هاهنا ؛ لأنَّه يتَّصل بالدعاء ، كأنَّه قال : فزعنا إليك في دعائنا ؛ لأنَّك القادر على إجابتنا ، العالم بما في ضمائرنا ، وبما هو أصح لنا ممَّا لا يبلغه علمنا .

قوله تعالى :

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٣٠) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ﴾ فالرَّغْبَةُ : المحبَّة لما فيه للنفس منفعة . ورَغِبَ

فيه ، ضدَّ : رَغِبَ عنه ، والرغبة والمحبَّة والإرادة نظائر ، وبينها فرق .

فنقيض الرغبة : الرهبة . ونقيض المحبَّة : البُغْضَةُ . ونقيض الإرادة :

(١) سورة ص ٣٨ : ٢٣ .

(٢) انظر : العين ١ : ٧٦ ، تهذيب اللُّغة ١ : ٨٢ - ٨٥ ، الصحاح ٣ : ٨٨٥ ، لسان العرب ٥ : ٣٧٤ - ٣٧٧ «عزَّ» .

(٣) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللُّغة ٤ : ٣٨ : «عَزَّ» أصل صحيح واحد يدلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ وما ضاهاهما من غلبةٍ وقهَرٍ .

الكراهية . تقول : رَغِبَ رَغْبَةً^(١) ، وَأَرغَبَهُ إِزْغَابًا ، وَرَغْبَهُ تَرْغِيْبًا . وتقول : رَغِبْتُ رَغْبَةً وَرَغْبًا وَرَغْبِي وَرَغْبًا : إِذَا مِلْتُ لِمَحَبَّتِكَ . ورغبت عنه : إِذَا صَدَدْتُ عَنْهُ ، وَأَنَا رَاغِبٌ^(٢) فِيهِمَا جَمِيعًا . والشئ مَرْغُوبٌ فِيهِ ، وَمَرْغُوبٌ عَنْهُ ، وَلِي عَنْ فُلَانٍ مَرْغَبٌ .

وهو رجل رَغِيبٌ : نَهْمٌ شَدِيدُ الْأَكْلِ^(٣) .

وفرس رَغِيبُ الشَّحْوَةِ : كَثِيرُ الْأَخْذِ بِقَوَائِمِهِ مِنَ الْأَرْضِ . وموضع رَغِيبٌ : وَاسِعٌ .

وَالرَّغِيْبَةُ : الْعَطَاءُ الْكَثِيرُ الَّذِي يُرْغَبُ فِي مِثْلِهِ .

وقال صاحب العين : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ الرُّغْبَاءُ وَمِنْ لَدُنْكَ^(٤) النِّعْمَاءُ .

وَرَغِبْتُ عَنْ الشَّيْءِ : إِذَا تَرَكْتَهُ^(٥) .

ومعنى ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ :

لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه الْجَحْدُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : مَا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا يَزْهَدُ فِيهَا إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَأَيُّ النَّاسِ يَزْهَدُ فِيهَا إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ؟ وَالْأَوَّلَى^(٦) عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ وَمَعْنَاهَا الْجَحْدُ . وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى الَّذِي ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِلَّا الَّذِي سَفِهَ نَفْسَهُ .

وفي نصب ﴿نَفْسَهُ﴾ خلاف :

(١) في «هـ» : رَغْبًا .

(٢) في «هـ» والحجرية زيادة : بِهِ .

(٣) في «و» و«هـ» : بِهِمْ بِتَشْدِيدِ الْأَصْلِ .

(٤) في المصدر : مِنْكَ ، بَدَلُ : مِنْ لَدُنْكَ . وَ«لَهُمْ» لَمْ تَرُدْ فِيهِ .

(٥) العين ٤ : ٤١٣ .

(٦) أَيِ «مَنْ» الْأَوَّلَى .

قال الأخفش : معناه : سَفَّهَ نفسه ، وقال يونس ^(١) : أراها لغة ^(٢) .
 قال الزجاج : أراد أن «سَفَّهَ» ^(٣) لغة في المبالغة ، كما أن «فَعَّلَ» ^(٤)
 كذلك ، فعلى هذا يجوز سَفَّهْتُ زيدا بمعنى سَفَّهْتُ ^(٥) .
 وقال أبو عبيدة : معناه أهلك نفسه ، وأَوْبَقَ نفسه ^(٦) .

(١) هو يونس بن حبيب الضبيّ الولاء البصري ، أبو عبد الرحمن ، بارع في النحو ، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء ، سمع من العرب ، وروى عن سيبويه فأكثر ، وله قياس في النحو ، ومذاهب يتفرّد بها ، سمع منه الكسائي والفراء ، قارب يونس تسعين سنة ولم يتزوج ولم يتسرّ ، مولده سنة تسعين ، ومات سنة ثنتين وثمانين ومائة . له ترجمة في : إنباه الرواة ٤ : ٧٣٦/٧٤ ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ٤٢٢/٣٢٣ ، وبغية الوعاة ٢ : ٢٢٠٦/٣٦٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١ : ١٤٨ ، ونسب الأخفش فيه هذا القول إلى أهل التأويل ، فقال : فرعم أهل التأويل أنه في معنى : «سَفَّهَ نفسه» . ثم قال - بعد نقل قول يونس الآتي - : ويجوز في هذا القول : سَفَّهْتُ زيدا .

إلا أنه قال في صفحة : ١٤٩ : وأحسن من ذلك أن تقول : إن «سَفَّهَ نفسه» جرت مجرى «سَفَّهَ» إذ كان الفعل غير متعدّ ، وإنما عدّاه إلى «نفسه» و«رأيه» - في قولك : غَيَّبَ رأيه - وأشباه ذا ممّا هو في المعنى نحو «سَفَّهَ» إذا لم يتعدّ . وأمّا «غَيَّبَ» و«خَسِرَ» فقد يتعدّى إلى غيره ، تقول : غَيَّبَ خمسين وخَسِرَ خمسين .

وذكر قول يونس أيضاً - مضافاً لمعاني القرآن للأخفش - في : معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٠٩ ، وتهذيب اللغة ٦ : ١٣٢ ، ولسان العرب ١٣ : ٤٩٨ «سفه» .
 (٣) في «خ» : فَعَّلَ .

(٤) في المصدر : فَعَّلَ . وما أثبتناه أنسب بقرينة قول الزجاج بعد هذا : فذهب - أي يونس - في هذا مذهب التأويل . وهو مطابق لِمَا في معاني القرآن للأخفش والتهذيب في اللغة ولسان العرب .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٠٩ - ٢١٠ . وانظر أيضاً في شرح قول يونس : معاني القرآن للأخفش ١ : ١٤٨ ، والتهذيب في اللغة ٦ : ١٣٢ ، ولسان العرب ١٣ : ٤٩٨ «سفه» .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢١٠ ، تهذيب اللغة ٦ : ١٣٢ ، لسان العرب ١٣ : ٤٩٨ «سفه» .

وقال ابن زيد: إِلَّا مَنْ أخطأَ حَظَّهُ^(١).

وقال ثعلب^(٢) والمبرد: سَفِهَ - بكسر الفاء - يتعدى، وسَفِهَ - بضم الفاء - لا يتعدى^(٣).

فهذا كله وجه واحد.

والثاني: أن يكون على التفسير، كقوله: ﴿فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾^(٤)، وهو قول الفراء، قال: العرب توقع «سفه» على «نفسه» وهي معرفة، وكذلك ﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾^{(٥)(٦)}.

وأنكر الزجاج هذا الوجه، وقال: معنى التمييز لا يحتمل التعريف؛ لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس، فإذا عرّفته صار مقصوداً بعينه^(٧).

والوجه الثالث: أن يكون على التمييز والمضاف على الانفصال^(٨)، كما تقول: مررت برجلٍ مثله، أي مثل له^(٩).

(١) تفسير الطبري ٢: ٥٧٩، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٥١.

(٢) في الحجرية: ابن تغلب.

(٣) حكاه عنهما الماوردي في تفسيره ١: ١٩٣، والأندلسي في المحرر الوجيز ١: ٣٦٢.

(٤) سورة النساء ٤: ٤.

(٥) سورة القصص ٢٨: ٥٨.

(٦) معاني القرآن ١: ٧٩. وأضاف معللاً: وهي من المعرفة كالنكرة؛ لأنه مفسر، والمفسر في أكثر الكلام نكرة، كقولك: ضقت به ذرعاً.

(٧) معاني القرآن ١: ٢١٠.

(٨) أي يكون التمييز المعرفة - كـ «نفسه» في الآية - على تقدير الانفصال، فلا يرد أن هذا معرفة ولا يكون تمييزاً.

(٩) وذكر هذا الوجه وغيره من الوجوه الأخرى المجاشعي النحوي في النكت في القرآن: ١٦٥.

والوجه الرابع : على حذف الجارّ، كما قال : ﴿أَنْ تَسْتَزِعُوا
أَوْلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾^(١) أي : لأولادكم ، ومثله : ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ
النِّكَاحِ﴾^(٢) ، أي : على عقدة النكاح ، قال الشاعر :

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيًّا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ^(٣)
والمعنى : نغالي باللحم .

وقال الزجاج : وهذا مذهب صحيح . واختار هو أن سَفَهَ بمعنى :
جَهَلَ^(٤) . وهو موافق لمعنى ما قال ابن السراج في ﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾^(٥)
لأنَّ البَطْرَ : مُسْتَقِيلَ النِّعْمَةِ غَيْرُ رَاضٍ بِهَا .

وقال أبو مسلم : معناه : جَهَلَ نفسه وما فيها من الآيات الدالة على أن
لها صانعاً ليس كمثله شيء ، فيعلم به توحيد الله وصفاته^(٦) .

ومعنى قوله : ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ اخترناه للرسالة ،
والصَّفْوُ : التَّمْيِيزُ^(٧) من سائر الكدر ، و﴿أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ على وزن : افْتَعَلْنَاهُ ، من

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٣٣ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٣٥ .

(٣) استشهد بهذا البيت في أمالي المرتضى ١ : ٥٥١ ، والصحاح ٦ : ٢٤٤٨ ،
وتهذيب اللغة ٦ : ١٢٢ ، ولسان العرب ١٣ : ٤٩٨ «سفه» ، ولم يُنسب لأحد ،
ونسبه ابن قتيبة الدينوري في كتاب المعاني الكبير ١ : ٣٨٦ إلى رجل من قيس .
ويريد الشاعر أن يقول : نشترى اللحم للأضياف في وقت غلاته ، فإذا نضج
أطعمناه مَنْ استحقّه وَمَنْ لم يستحقّه .

والشاهد فيه : أن «اللحم» منصوب بنزع الخافض ، فأصله «نغالي باللحم» .

(٤) معاني القرآن ١ : ٢١٠ - ٢١١ ، وفيه : مذهب صالح .

(٥) سورة القصص ٢٨ : ٥٨ . ولم ترد الآية في «ه» .

(٦) عنه في تفسير القرطبي ٢ : ٤٠٥ ، والبحر المحيط ١ : ٦٢٩ . وأبو مسلم هذا هو
محمد بن بحر الإصفهاني .

(٧) في «ه» : التمييز . وفي «خ» : الصفا .

الصَّفْوَة، وإنما قُلِبَت التاء طاءً لأنها أشبه بالصاد بالاستعلاء والإطباق^(١)، وهي من مخرج التاء فأتى بحرف وسط بين الحرفين .

والاضْطِفَاء والاختِيَار والاجْتِيَاء نظائر، والصَّفَاء والنَّقَاء والخَالِص^(٢) نظائر. والصَّفْوُ^(٣): نقيض الكَدْر، (وصَفْوَةٌ كُلُّ شَيْءٍ: خَالِصُهُ مِنْ صَفْوَةِ الدُّنْيَا وَصَفْوَةِ الْمَاءِ)^(٤) وَصَفْوَةُ الْإِخَاء، تقول: صَفَا صَفَاءً، وَأَصْفَاهُ إِصْفَاءً^(٥)، وَاضْطَفَأَ اضْطِفَاءً، وَتَصَفَّى تَصَفَّى، وَتَصَافَوْا تَصَافِيًا، وَصَفَاهُ تَصَفِيَةً، وَصَافَاهُ مُصَافَاءً وَاسْتَصَفَّاهُ اسْتِصْفَاءً .

والصَّفَاء: مُصَافَاةُ الْمَوْدَةِ وَالْإِخَاء. وَالصَّفَاء: مَصْدَرُ الشَّيْءِ الصَّافِي .
وَإِذَا أَخَذْتَ صَفْوَ مَاءٍ مِنْ غَدِيرٍ، قُلْتَ: اسْتَصَفَيْتُ صَفْوَةً .

وَصَفِيَّ الْإِنْسَانِ: الَّذِي يُصَافِيهِ الْمَوْدَةُ. وَنَاقَةَ صَفِيٍّ: كَثِيرَةُ اللَّبَنِ .
وَتَحْلَةَ صَفِيَّةٍ: كَثِيرَةُ الْحَمْلِ . وَالْجَمْعُ: الصَّفَايَا .

وَالصَّفَا: الْحَجَرُ الصُّخْرُ الْأَمْلَسُ الصُّلْبُ، فَإِذَا نَعَتُوا^(٦) الصَّخْرَةَ قَالُوا:
صَفَاةٌ صَفْوَاءٌ، وَإِذَا ذَكَرُوا قَالُوا: صَفَا صَفْوَانٌ، وَالصَّفْوَانُ وَاحِدَتُهُ صَفْوَانَةٌ،
وهي^(٧) الْحِجَارَةُ الْمُلْسُ لَا تُنَبِّتُ شَيْئاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

(١) حروف الاستعلاء: هي ما يرتفع بها اللسان، ويجمعها: قط خص ضغط، والإطباق: هو أن ترتفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له .

انظر: لسان العرب ١٠: ٢١٠ «طبق»، شرح الشافية ٣: ١٤ .

(٢) في «ح»: الخلوص .

(٣) فيما عدا «ح» من النسخ: الصفا .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «ح» .

(٥) «وأصفاه إصفاً» لم يرد في «هـ» .

(٦) في الحجرية: أثَّوا . وما أثبتناه من بقية النسخ .

(٧) «وهي» أثبتناها من «خ»، وفي بقية النسخ من الخطية والحجرية: ومن .

تُرَابٌ ﴿١﴾ .

وأصل الباب ، الصفا : الخُلُوصُ (٢) .

قوله : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ :

إنَّما خَصَّ الْآخِرَةَ بالذكر وإن كان في الدنيا كذلك ؛ لأنَّ المعنى : مِنْ الَّذِينَ يَسْتَوْجِبُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَرَامَةَ وَحَسَنَ الثَّوَابِ ، فَلَمَّا كَانَ خُلُوصَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيَا وَصَفَهُ بِمَا يُنْبِئُ عَنْ ذَلِكَ .

ففي قوله : ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ دلالة عَلَى أَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ مِلَّةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ لِأَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ دَاخِلَةٌ فِي مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ (مع زيادات في مِلَّةِ مُحَمَّدٍ) (٣) ، فَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ الَّتِي هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ سَفِهُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ قَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ (٤) .

قوله تعالى :

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾

آية (٥) بلا خلاف .

قوله : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ متعلق بقوله : ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ وموضعه

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٦٤ .

(٢) انظر : كتاب العين ٧ : ١٦٢ ، تهذيب اللغة ١٢ : ٢٤٨ ، المحيط في اللغة ٨ : ١٩٧ «صفو» .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

(٤) حكاها عنهما الطبري في تفسيره ٢ : ٥٧٨ و ٥٧٩ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٥١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ٢٣٨ / ١٢٧٠ ، وذكره الطبراني في التفسير الكبير ١ : ٢٤٨ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٥) في «خ» زيادة : واحدة .

نصب .

وتقديره : ولقد اصطفيناه حين قال له ربّه : أسلم .

وقال الحسن : إنّما قال ذلك حين أفلت الشمس ، فقال : ﴿يَقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴿^(١)﴾^(٢) وإنّه أسلم حينئذ .

وهذا يدلّ على أنّه كان ذلك قبل النبوة ، وأنّه قال له ذلك إلهاماً استدعاه به إلى الإسلام ، فأسلم حينئذٍ لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات والعبير الدالة على توحيده ، ولا يصحّ أن يُوحى الله تعالى إليه قبل إسلامه بأنّه نبيّ الله ؛ لأنّ النبوة حال إعظام وإجلال ، ولا يكون ذلك قبل الإسلام .

وإنّما قال : ﴿أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ على لفظ المتكلم مع قوله : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ على لفظ الغائب للتصرّف في الكلام ، كما قال الشاعر :

[٣٧] بَانَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَمَلْتِكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا ^(٣)

(١) سورة الأنعام : ٦ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) رواه عنه أيضاً الهوّاري في تفسيره ١ : ١٥٠ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٥٩٧ .

وذكر هذا القول في عدّة تفاسير ولم يُنسب لأحد ، بل تُسبب في بعضها لابن عباس .
انظر : تفسير الطبري ٢ : ٥٨٢ ، تفسير الطبراني ١ : ٢٤٩ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٥٥ ، التفسير البسيط ٣ : ٣٣٦ - ٣٣٧ ، المحرّر الوجيز ١ : ٣٦٣ .

وفي تفسير الثعلبي ٤ : ١٣٥ عن ابن عباس : إنّما قال له ذلك حين خرج من السّرّب . وفي طبعة دار إحياء التراث ، تحقيق محمّد بن عاشور ١ : ٢٧٩ : حين ألقي في النار .

(٣) تقدّم الاستشهاد بهذا البيت في تفسير : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، والشاهد فيهما واحد ، وهو الالتفات من الغيبة إلى التكلّم .

و«تشكّي» فعل مضارع أصله «تشكّي» حذفت إحدى التاءين ، و«الجهش» : أن
للـ

والإسلام واجب على كل مكلف وإن اختلفت شرائع الأنبياء فيما يتعبدون به من الحلال والحرام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

وإن الإسلام إنما هو الإخلاص لله بالعمل بطاعته واجتناب معصيته، وذلك واجب على كل متعبد، وكله إسلام.

قوله تعالى:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) آية بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة وابن عامر ﴿وَأَوْصَى﴾ بهمزة مفتوحة بين الواوين وتخفيف الصاد، والباقون ﴿وَوَصَّى﴾ مشددة الصاد^(٢).

ومن قرأ ﴿وَصَّى﴾ ذهب إلى قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾^(٣)، ومصدر «وصى»: تَوْصِيَةٌ، مثل: قَطَعَ تَقْطِعةً، ولم يجيئوا به على «تَفْعِيل» كراهية اجتماع الياءات مع الكسرة^(٤).

ومن قرأ ﴿أَوْصَى﴾ فلقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا﴾^(٥).

١. يفرغ الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء.

انظر مضافاً إلى ما ذكر هناك من المصادر: العين ٣: ٣٨٣، تهذيب اللغة ٦:

٣١، تاج العروس ٩: ٦٧ «جهش».

(١) سورة آل عمران ٣: ١٩.

(٢) انظر تفصيل الأقوال والاستدلال لها في: الحجة للقراء السبعة ٢: ٢٢٧، وكتاب

السبعة في القراءات: ١٧١، وحجة القراءات: ١١٥.

(٣) سورة يس ٣٦: ٥٠.

(٤) أي الياء الزائدة والياء التي هي لام المصدر وكسرة العين.

(٥) سورة النساء ٤: ١١.

وكلاهما جيدان .

وَالْوَصِيَّةُ مأخوذة من قولهم : أَوْصَى النَّبْتُ : إذا اتَّصل ببعضه ببعض ،
فلَمَّا أَوْصَلَ الْمُوصِي جُلَّ أمره إلى الْمُوصَى إليه ، قيل : وَصِيَّةٌ .

وَوَصَّى وَأَوْصَى وأَمَرَ وَعَهْدَ نظرًا في اللغة ، وضَدَّ أَوْصَى : أَهْمَلَ .
وَالْوَصَاةُ كَالْوَصِيَّةِ ، وَالْوَصَايَةُ : مصدر الوَصْيِ^(١) .

والفعل أَوْصَيْتَ إِيْصَاءً ، وَوَصَّيْتُ تَوْصِيَةً في المبالغة والكثرة .
وتقول : قد قَبِلَ الوَصَايَةَ .

وَإِذَا انطاع المرعى للسائمة فَأَصَابَتْهُ رَغْدًا^(٢) قيل : وَصَّى لَهَا الرعي^(٣)
يَصِي وَصِيًّا وَوَصِيًّا .

وأصل الباب : الوَصِيَّةُ ، وهي الدعاء إلى الطاعة .

والهاء في قوله : ﴿ وَوَصَّى بِهَا ﴾ يحتمل أن تعود إلى أحد شيئين :
أحدهما : إلى المَلَّةِ ، وقد تقدَّم ذكرها في قوله : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ
مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

والثاني : أن يعود إلى الكلمة في قوله : ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .
والأول أقوى ؛ لأنه مذكور في اللفظ ، وهو قول الزَّجَّاج وأكثر
المفسِّرين^(٤) .

(١) ما أثبتناه من «خ» ، وفي بقية النسخ من الخطيَّة والحجريَّة : التَّوَصَّى . وما أثبتناه
مطابق لما في كتاب العين ٧ : ١٧٧ ، والمحيط في اللغة ٨ : ٢١٧ «وصي» .

(٢) في النسخ الخطيَّة والحجريَّة : رَوَاعِدَ . وما أثبتناه من كتاب العين ٧ : ١٧٧ ،
وتهذيب اللغة ١٢ : ٢٦٨ ، ولسان العرب ١٥ : ٣٩٥ «وصي» ، وهو الصحيح
المناسب لسياق الكلام . وفي المحيط في اللغة ٨ : ٢١٧ كما في نُسخنا .

(٣) كذا في النسخ الخطيَّة والحجريَّة ، وفي المصادر المتقدمة : المرتع .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ : ٢١١ ، تفسير الماوردي ١ : ١٩٣ ، تفسير السمرقندي ١ :
١٦٠ ، التفسير البسيط ٣ : ٣٤١ ، تفسير الطبراني ١ : ٢٥٠ .

والثاني حكاة البلخي وبعض أهل اللغة^(١).

وارتفع ﴿يَعْقُوبُ﴾ لأنه معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ والمعنى: ووصى بها يعقوب، وبه قال ابن عباس وقتادة^(٢).

وقال بعضهم: إنه على الاستثناف كأنه قال: ووصى يعقوب أن ﴿يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾^(٣).

والأول أظهر^(٤)؛ لأن عليه أكثر المفسرين.

والألف واللام في ﴿الدِّينَ﴾ للعهد دون الاستغراق؛ لأنه إنما أراد بذلك دين الإسلام دون غيره من الأديان.

وإنما أسقطت «أن» في ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أن^(٥) ﴿يَبْنِيَّ﴾ وأثبتت في ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾^(٦)؛ لأن ﴿وَصَّى﴾ في الآية بمعنى: القول، فجعل بمنزلة.

ولك ألا تقدّر تقدير القول، فيجوز حينئذٍ إلحاق «أن» كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ ومثله: ﴿وَعَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ

(١) قال الطبري أيضاً بهذا القول في تفسيره ٢: ٥٨٢ حيث قال: ووصى بهذه الكلمة، أعني بهذه الكلمة قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهي الإسلام الذي أمر به نبيه ﷺ، وهي إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له.
وقال أيضاً بهذا القول القيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٥٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ١: ٣٦٣.

(٢) حكاة عنهما الطبري في تفسيره ٢: ٥٨٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٢٧٦/٢٣٩.

(٣) حكاة عنه الطبري في تفسيره ٢: ٥٨٣، والسمين الحلبي في الدرّ المصون ٢: ١٢٥، وقال به الأخفش في معاني القرآن ١: ١٤٩، وجوز القول الأول أيضاً.

(٤) في «خ» زيادة: وأولى.

(٥) «أن» لم ترد في «ه».

(٦) سورة نوح ٧١: ١.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ^(١) وقوله: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ^(٢)﴾ .

وكل هذا الباب يجوز فيه الوجهان ، بأن تقدّره^(٣) تقدير القول ليكمل به تقدير الفعل الذي ليس بقول .

وأما قوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ^(٤)﴾ فلا يجوز إسقاطها في مثله من الكلام ؛ لأنه ليس فيه معنى الحكاية والقول ، كما في الدعوى والإرسال^(٥) .

وأما قوله: ﴿وَالْمَلَكُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ^(٦)﴾ فلا يجوز في مثله إثبات «أن» لأنه يضرر معه القول ، ولا يجوز معه التصريح بالقول ولا مع إضمار «أن» لأنه حكاية ، كما تقول : قلت له : زيد في الدار ، ولا يجوز : قلت له : أن زيد^(٧) في الدار ، وأنشد الكسائي :

[٤٤٨] إِنِّي سَأُبْدِي لَكَ فِيمَا أَبْدِي لِي شَجَانٍ شَجَنٍ بِسَجْدِ
[٤٤٩] وَشَجَنٍ لِي بِبِلَادِ الْهِنْدِ^(٨)

(١) سورة يونس ١٠ : ١٠ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٣) في «خ» : تارة تقدّر ، بدل : بأن تقدّره .

(٤) سورة القلم ٦٨ : ١٤ .

(٥) إشارة إلى آية ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ وآية ﴿وَأَخْرِجْ دَعْوَاهُمْ﴾ المتقدمتين .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٩٣ .

(٧) ما أثبتناه من «خ» ، وفي بقية النسخ : زيدا .

(٨) رواه عن الكسائي أيضاً الفراء في معاني القرآن ١ : ٨٠ ، ولم ينسب لأحد في الصحاح ٥ : ٢١٤٢ ، ولسان العرب ١٣ : ٢٣٢ «شجن» .

وفي بعض المصادر : السند ، بدل : الهند .

والشَجَن : الحاجة أينما كانت ، وجمعها : أشجان .

لأن الإبداء قول، ومنه قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾^(١)؛ لأن العدة قول.

فإن قيل: كيف قال: ﴿لَا تَمُوتُنَّ﴾ على وجه النهي لهم^(٢) عن الموت، والموت ليس في مقدورهم، فيصح أن يُنْهَوْا عنه؟

قلنا: اللفظ وإن كان على لفظ النهي، فما نُهَوْا عن الموت، وإنما نُهَوْا في الحقيقة عن ترك الإسلام؛ (لئلا يصادفهم الموت عليه).

وتقديره: لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام^(٣) بفعل الكفر.

ومثله من كلام العرب: لا رأيتك هاهنا، فالنهي في اللفظ للمتكلم، وإنما هو في الحقيقة للمُخاطَب، فكأنه قال: لا تتعرض لأن أراك بكونك هاهنا.

(ومثله: لا يُصادفُكَ الإمام على ما يكره).

وتقديره: لا تتعرض لأن يصادفك على ما يكره^(٤).

ومثله: لا يكونَنَّ زيد إلا عندك.

تقديره: لا تتعرض لأن يكون زيد ليس عندك بالتفريط في ذلك والإهمال له.

﴿والشاهد فيه: لم يدخل الشاعر «أن» المفسرة على الجملة المفسرة، أي لم يقل: إن لي شجنان...؛ لأن «سأبدي» يتضمّن معنى «سأقول» ومعه - كما تقدّم في المتن - لا تأتي «أن» المفسرة.

(١) سورة المائدة ٥ : ٩ .

(٢) «لهم» لم ترد في «هـ» .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «خ» .

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

والأصل في هذا: أن التعرض^(١) لوقوع الشيء بمنزلة إيقاع الشيء .
وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ جملة في موضع الحال .
وتقديره: لا تَمُوتَنَّ إِلَّا مسلمين .

قوله تعالى :

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِلَهِهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) آية واحدة بلا خلاف .
﴿أَمْ﴾ هاهنا منقطعة وليست بمتصلة، كقوله تعالى: ﴿الْم * تَنْزِيلُ
الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (٢) ومثله
قول الشاعر:

[٤٠٢] كَذَّبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ خَيَالًا^(٣)
ولا تجيء منقطعة إلا^(٤) وقد تقدمها كلام؛ لأنها بمعنى: بل وألف
الاستفهام، كأنه قيل: بل أكنتم^(٥) شهداء، ومعناها هنا: الجحد، أي ما كنتم
شهداء، واللفظ لفظ الاستفهام والمعنى على خلافه؛ لأن إخراج مخرج
الاستفهام أبلغ في الكلام، وأشدّ مظاهره في الججاج، أن^(٦) يخرج الكلام

(١) ما أثبتناه من «خ»، وفي بقية النسخ من الخطيئة والحجرية: التعريض .

(٢) سورة السجدة ٣٢: ١-٣ .

(٣) البيت للأخطل، انظر: ديوانه: ٤١، وهو البيت الأول من قصيدة يهجو بها جريراً
ويفتخر على قيس، وقد تقدم الاستشهاد به في تفسير الآية: ١٠٨ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ
تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ . والشاهد فيهما واحد .

(٤) في «و» والحجرية: الألف، بدل: إلا .

(٥) في الحجرية: كنتم .

(٦) في «خ»: إذ، بدل: أن .

مَخرج التقرير بالحقّ ، فتلزم الحُجّة والإنكار له فتظهر الفضيحة ، فلذلك أخرج الجَحْد في الأخبار مَخرج الاستفهام .

والمُخاطَب بـ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أهل الكتاب في قول الربيع^(١) .
والمعنى : أنكم لم تحضروا ذلك ، فلا تدّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل بنحلکم^(٢) إيّاهم خلاف الإسلام من اليهوديّة والنصرانيّة ، فإني ما بعثتهم إلّا بالحنيفيّة .

والشهداء : جمع شهيد ، و﴿إِذْ﴾ هاهنا بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى ، والعامل فيها معنى الشهادة . وقيل : بل العامل فيها ﴿حَضَرَ﴾^(٣) ، وكلاهما حسن .
والحاضر والشاهد من النظائر ، ونقيض الحاضر : الغائب ، ويقال : حَضَرَ حُضُورًا ، وأَحْضَرَهُ إِحْضَارًا ، وَاسْتَحْضَرَهُ اسْتِحْضَارًا ، وَاحْتَضَرَهُ اخْتِضَارًا ، وَحَاضَرَهُ مُحَاضَرَةً .

والْحَضَر : خلاف البدو ، وَحَضَرْتُ الْقَوْمَ أَحْضَرْتُهُمْ حُضُورًا : إذا شهدتم . والحاضر : خلاف الغائب ، وَأَحْضَرْتُ الْفَرَسَ إِحْضَارًا : إذا عَدَا عَدْوًا شديدًا ، وَاسْتَحْضَرْتُهُ اسْتِحْضَارًا .

والْحَضِيرَة^(٤) : الجماعة من الناس ما بين الخمسة إلى العشرة .
وَحَاضَرْتُ الرَّجُلَ مُحَاضَرَةً وَحِضَارًا : إذا عدوت معه .
وَحَاضَرْتُهُ : إذا جانيته عند السلطان أو في خصومة ، وَمَحْضَرُ الْقَوْمِ :

(١) عنه في تفسير الطبري ٢ : ٥٨٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٢٧٨/٢٣٩ .

(٢) في الحجرية : بأن تنسبهم (خ ل) .

(٣) حكى هذا الوجه أيضاً الرازي في تفسيره ٤ : ٨٣ ، ونسبه إلى القفال ، والعكبري في إملاء ما من به الرحمن ١ : ٦٤ - ٦٥ ، وقال : ويجوز أن تكون الثانية ظرفاً لـ ﴿حَضَرَ﴾ ، فلا يكون على هذا بدلاً .

(٤) في النسخ الخطيّة والحجرية : والحضرة . وما أثبتناه من المصادر اللغوية الآتية .

مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْمِيَاهِ بَعْدَ النَّجْعَةِ ، وَفَرَسٍ مِخْصِيرٍ^(١) ، وَلَا يُقَالُ : مِخْصَارٌ^(٢) ،
وَأَلْقَتِ الشَّاةُ حَضِيرَتَهَا ، يَعْنِي الْمَشِيمَةَ وَغَيْرَهَا .
وَالْإِبِلَ الْحِصَارَ : الْبَيْضَ ، لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا مِثْلَ الْهَجَانِ سِوَاءٍ .
وَحَضْرَةُ الرَّجُلِ : فِئَاؤُهُ .

وَأَصْلُ الْبَابِ الْحُضُورُ : خِلَافَ الْعَيْبَةِ^(٣) .
وَقَوْلُهُ : ﴿إِلَّهًا وَحِيدًا﴾ يَحْتَمِلُ انْتِصَابَهُ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ :
أَحَدُهُمَا : أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ قَوْلِهِ : ﴿إِلَهًا﴾ .
وَالْآخَرُ : أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ إِلَهٍ^(٤) ، وَتَكُونُ الْفَائِدَةُ فِيهِ التَّوْحِيدَ .
وَلِأَنَّمَا قَدَّمَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى إِسْحَاقَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَهُمْ ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ
زَيْدٍ^(٥) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَنَخْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى
الْحَالِ .

وَقِيلَ : لَا مَوْضِعَ لَهَا ؛ لِأَنَّهَا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ^(٦) .
و﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ فِي مَوْضِعٍ خَفِضَ ، وَالْعَامِلُ فِيهَا
مَا عَمِلَ فِي ﴿ءَابَائِكَ﴾ ؛ لِأَنَّهُ مَبِينٌ لَهُ ، كَمَا تَقُولُ : مَرَرْتُ بِالْقَوْمِ أَخِيكَ

(١) فِي النُّسخِ الْخَطِيَّةِ وَالْحَجَرِيَّةِ : مُحْضَرٌ . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ مِنَ الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَّةِ التَّالِيَةِ .
(٢) مَنَعَهُ الْجَوْهَرِيُّ أَيْضًا ، وَذَكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ وَابْنُ عَبَادٍ وَابْنُ مَنْظُورٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ :
وَفَرَسٍ مُحْضِيرٍ بِمَعْنَى مُحْضَارٍ غَيْرِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ إِلَّا بِالْيَاءِ ، وَهُوَ مِنْ نَوَادِرِ كَلَامِ الْعَرَبِ .
(٣) انْظُرْ تَفْصِيلَ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي : الْعَيْنِ ٣ : ١٠١ - ١٠٢ ، الصَّحَاحُ ٢ : ٦٣٢ ، الْمَحِيطُ
فِي اللُّغَةِ ٢ : ٤٢٩ ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٤ : ١٩٨ ، الْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ ٣ : ١٢١ - ١٢٣ .
(٤) فِي «هـ» : مِنْهُ ، بَدَلٌ : مِنْ إِلَهٍ .
(٥) عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٥٨٧ .
(٦) وَاحْتَمَلَ الطَّبْرِيُّ كَلَامَ الْوَجْهِينِ فِي تَفْسِيرِهِ ٢ : ٥٨٧ .

وغلاقمك وصاحبك^(١) .

وإنما قال سبحانه : ﴿ءَابَاكَ﴾ وإسماعيل عمّ يعقوب ، لما قاله الفراء وأبو عبيدة : من أنّ العرب تُسمّي العمّ أباً^(٢) ، فالآية دالة على أنّ العمومة يُسمّون آباءً .

وقد روي عن النبي ﷺ أنّه قال : «رَدُّوا عَلَيَّ أَبِي»^(٣) يعني العباس^(٤) عمّه ، فسُمّي العمّ أباً كما سُمّي الجدّ أباً ؛ من حيث يجب له التعظيم نحو ما يجب للأب .

وقد قرئ في الشواذ : ﴿وَالَهُ أُبَيْكَ﴾^(٥) ، فعلى هذا ينجز إسماعيل

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٦٥ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ٢١٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ١٢٤ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٨٢ ، مجاز القرآن ١ : ٥٧ ، وقال به النحاس أيضاً في إعراب القرآن ١ : ٢٦٥ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنّف ٢٠ : ٣٨٠٥٧/٤٦٥ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣ : ٣١٥ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٢ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٤ : ١٤٨ .

وقال السيّد المرتضى - في مقام التفرقة بين الإماميّة والعباسيّة - في الذخيرة : ٤٧١ : وما يحكى عن العباسيّة في النصّ على صاحبهم - أي العباس عمّ النبي - لأخبار آحاد لا يثبت بمثلها ، ولو يثبت ما كانت بينها وبين النصّ نسبة ، مثل قوله ﷺ : «رَدُّوا عَلَيَّ أَبِي» ...

(٤) هو عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، عمّ رسول الله ﷺ ، كنيته أبو الفضل ، وأمه ثثيلة بنت جناب ، وأضرّ العباس في آخر عمره ، وتوفّي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل غير ذلك .
له ترجمة في : الاستيعاب ٢ : ١٣٧٨/٨١٠ ، وأسد الغابة ٣ : ٢٧٩٧/٦٠ ، والإصابة ٤ : ٤٤٩٨/٣٠ .

(٥) ذكر هذه القراءة ابن جني في المحتسب ١ : ١١٢ ، وابن خالويه في مختصر في

واسحاق على العطف ، وهو غير المعنى الأول ؛ لأنه مترجم عن الآباء .
وفي الثاني عطف غير ترجمة ، كما تقول : رأيت غلامَ زيدٍ وعمرو ،
أي غلامهما ، فكأنه قال : إلههم ، ولم يذكر بالأبوة إلا إبراهيم وحده .
والقراءة الأولى هي المشهورة وعليها القراء .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٤) آية بلا خلاف .

قوله : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ فالأمة
المراد بها هنا : الجماعة .

والأمة على ستة أقسام :

الأمة : الجماعة .

والأمة : الحين ؛ لقوله : ﴿ وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ^(١) أي بعد حين .

والأمة : القدوة والإمام ؛ لقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ ^(٢) .

والأمة : القامة ، وجمعها : أمم ، قال الأعشى :

جلاسواذ القرآن : ١٧ ، والفراء في معاني القرآن ١ : ٨٢ .

ويظهر من كلام الفراء أن هذه القراءة اجتهادية وليست مروية ؛ حيث قال : وكان
الذي قال : أبيك ، ظن أن العم لا يجوز في الآباء ، فقال : وإله أبيك إبراهيم ، ثم
عدّد بعد الأب العم .

(١) سورة يوسف ١٢ : ٤٥ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ١٢٠ .

[٣٢٢] وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ حِسَانُ الْوُجُوهِ طَوَالَ الْأُمَمِ^(١)

والأمة : الاستقامة في الدين والدنيا ، قال النابغة :

..... وهل يَأْتَمُرُ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ^(٢) [٤٥٠]

والأمة : أهل الملة الواحدة ، كقولهم : أمة موسى ، وأمة عيسى ، وأمة محمد ﷺ وعليهما أجمعين .

وأصل الباب : القصد ، من أُمَّهُ يَوْمُهُ : إذا قصده^(٣) .

ومعنى خلت : مضت ، كما تقول : لثلاث خلون من الشهر ، أي مضيئ ، وأصله : الانفراد ، فمنه خلا الرجل بنفسه : إذا انفرد ، وخلا المكان من أهله أي انفرد منهم ، وَحَدَّ الْخَلْوُ : حصول الشيء وَحْدَهُ .

والفرق بين الخلو والفراغ : إِنَّ الْخَلْوَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَ الشَّيْءِ غَيْرُهُ ، وقد يفرغ منه وهو معه ، فإذا قلت : خلا منه فليس معه .

والكَسْبُ : العمل الذي يُجْلَبُ به نفع ويُدْفَعُ به ضرر عن النفس .

(١) ديوان الأعشى : ١٩٩ ، وفيه : عظام القباب ، بدل : حسان الوجوه . وقد تقدّم الاستشهاد بهذا البيت في تفسير الآية : ٧٨ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٨١ ، من قصيدة يمدح بها النعمان ويعتذر إليه ، ويهجو مرة بن ربيع ، ومطلعها :

عفا ذو حُسْنٍ مِنْ فُوتَنِي فَالْفَوَارِغُ فَجَنَّبَا أَرْيَكَ فَالتَّلَاحُ الدَوَافِعُ
وصدر البيت المستشهد به :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً

والشاهد فيه : استعمل الشاعر : ذُو أُمَّةٍ ، أي ذو دين واستقامة ، يعني : حلفت لك فلم أترك ريبة وشكاً في نفسك ، وحلفت وأنا ذو دين واستقامة وطاعة لك .

(٣) انظر تفصيل اشتقاق الكلمة في : العين ٨ : ٤٢٦ - ٤٣١ ، تهذيب اللغة ١٥ : ٦٣٠ - ٦٤١ ، الصحاح ٥ : ١٨٦٣ - ١٨٦٧ ، لسان العرب ١٢ : ٢٢ - ٣٧ .

وَكَسَبَ لَهُمْ: إذا اجتلب ذلك لهم بعلاج وميراس، ولذلك لا يجوز في صفة الله عز اسمه .

وقوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ :

معناه: أنه لا يقال لكم: اعملوا كذا وكذا وعلى جهة المطالبة بما يلزمهم من أجل عملهم، كما لا يقال لهم: لِمَ عملتم أنتم كذا وكذا؟ وإنما يطالب كل إنسان بعمله دون عمل غيره، كما قال: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١).

وفي الآية دلالة على بطلان قول المُجْبِرَةِ: إِنَّ الْأَبْنَاءَ يَأْخُذُونَ بِذُنُوبِ الْآبَاءِ، ويؤخذ الطفل بذنب أبيه^(٢)؛ لأنَّ الله تعالى نفى ذلك، ومثله قوله: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾^(٣).

والإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم، بقول الله تعالى لليهود والنصارى: يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلهم، ولا تُنسبوا إليهم الكُفر واليهودية والنصرانية،

(١) سورة الأنعام ٦: ١٦٤، وسورة الإسراء ١٧: ١٥، وسورة فاطر ٣٥: ١٨، وسورة الزمر ٣٩: ٧.

(٢) انظر رسائل السيّد المرتضى ضمن موسوعته ١٤: ١٩١، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٨٤، وبحر الكلام للنسفي: ٢٠٤، والتعرّف لمذهب أهل التصوّف: ٦٣، والتهديب في التفسير ١: ٦٠٤، والبحر المحيط ١: ٦٤٤، وتفسير الرازي ٤: ٨٧، المسألة الرابعة.

(٣) سورة غافر ٤٠: ١٧.

ولا تُضيفوها إليهم ، فإنّها أمة قد خَلَتْ ، ولا تُسألون أنتم عمّا كانوا يعملون .
وقوله : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يحتمل أن يكون في موضع نصبٍ بأنّه
حال ، كأنّه قال : قد يلزمها ما تستحقّه بعملها .

ويجوز أن لا يكون لها موضع ؛ لأنّها مستأنفة ، ولا يكون جزءاً من
الخبر الأوّل ، لكن تكون متّصلةً به في المعنى وإن لم تكن جزءاً منه ؛ لأنّهما
خبران في المعنى عن شيءٍ واحد ، كأنّه قيل : الجماعة قد خَلَتْ ، والجماعة
لها ما كسبت .

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن لَّوَلُوا فَاِنَّمَا
 هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
 عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
 نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾



قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥) آية بلا خلاف .

الضمير في قوله : ﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾ يرجع إلى اليهود والنصارى ؛ لأن كل فريق منهم دعا إلى ما هو عليه .

ومعنى ﴿تَهْتَدُوا﴾ أي تصيبوا طريق الحق ، كأنهم قالوا : تهتدوا إلى الحق .

وروي عن عبدالله بن عباس أنه قال : قال عبدالله بن سوريا الأعور لرسول الله ﷺ : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا - يا محمد - تهتد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ الآية (١) .

وفي قوله : ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حجة على وجوب اتباع ملة إبراهيم إذ كانت سليمة من التناقض ، وكان في اليهودية والنصرانية تناقض ، وذلك لا يكون من عند الله ، فصارت ملة إبراهيم أحق بالاتباع من غيرها . والتناقض في اليهودية مثل منعهم من جواز النسخ مما (٢) في التوراة مما يدل على جواز ذلك .

وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الأمي مع إظهارهم التمسك بها .

(١) رواها الطبري في تفسيره ٢ : ٥٨٩ ، وابن هشام في السيرة النبوية ٢ : ١٩٨ .

(٢) كذا في النسخ الخطية ، وفي الحجرية : بما ، والمناسب : مع ما .

وامتناعهم من الإذعان لما دلت عليه المعجزة من نبوة عيسى ونبوة محمد ﷺ مع إقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة، إلى غير ذلك من أنواع التناقض .

(والتناقض في النصرانية مثل قولهم)^(١): أب وابنٌ وروح القدس^(٢) إله واحد، مع زعمهم أنَّ الأب ليس هو الابن، وأنَّ الأب إله والابن إله وروح القدس إله .

فإذا قيل لهم: قولوا: ثلاثة آلهة، امتنعوا من ذلك، إلى ما يصفون به الباري تعالى ممَّا يوجب الحاجة والحدث، ويقولون مع ذلك: إنَّه قديم لم يزل، إلى غير ذلك من متناقضاتهم التي لا تُحصى كثرة، وهي موجودة في الكتب عليهم، نبَّهنا على جملها .

وأما الحِزْبِيَّةُ فهي الاستقامة، وإنَّما قيل للذي يُقْبَلُ بإحدى قدميه على الأخرى: أُخْتَفَ؛ تفاؤلاً بالسلامة، كما قيل للهلكة: مَفَاذَةٌ، تفاؤلاً بالفوز والنَّجاة، وهو قول الرياشي^(٣) وابن

(١) بدل ما بين القوسين في «و» والحجريَّة: وأما النصارى .

(٢) في «و» والحجريَّة: قَدَّوس .

(٣) هو العباس بن الفرج الرياشي، مولى محمد بن سليمان بن علي، يُكنَّى أبا الفضل، وقال: تحفَّظْتُ كتب أبي زيد ودرستُها، إلَّا أنَّي لم أجالسه مجالستي للأصمعي، وأما كتب الأصمعي فإنَّي حفظتها لكثرة ما كانت تتردَّد على سمعي لطول مجالستي له، قال: وكنت أقرأ على أبي زيد، ولعلَّ حفظي كان قريباً من حفظه، وقال الخشنِّي: كان المازني في الإعراب، وأبو حاتم في الشعر والرواية، وكان الرياشي في الجميع، وقتله صاحب الرُّنَج سنة سبع وخمسين ومائتين، في سؤال أيام دخوله البصرة .

له ترجمة في: طبقات النحويِّين واللغويِّين للزبيدي: ٣٢/٩٧، والبلغة في تراجم أئمَّة النحو واللغة: ١٦٦/١٦٤، وبغية الوعاة ٢: ١٣٤٥/٢٧ .

قتيبة^(١) وأهل اللغة^(٢).

وقال الزجاج: أصله الميل، والمعنى: أن إبراهيم حَنِيفٌ^(٣) إلى دين الإسلام^(٤).

وقال ابن دريد: الحنيف: العادل إلى دين ربّه عن اليهوديّة والنصرانيّة. وقال أبو حاتم: قلت للأصمعي: من أين عُرِفَ في الجاهليّة الحنيف؟ فقال: لأنّه مَنْ عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حَنِيفٌ عندهم؛ ولأنّ كلّ مَنْ حَجَّ البيت كانوا يُسمّونه حنيفاً، وكانوا إذا أرادوا الحجّ قالوا: هَلَمْ نَتَحَنَّفْ^(٥).

وقال صاحب العين: الحَنَفُ: ميلٌ في صدر القدم، يقال: رجل أَحَنَفٌ، وسُمِّيَ الْأَحَنَفُ لَحَنَفٍ كان به، وقالت حاضنته وهي ترقّصه:

وَاللّٰهُ لَوْ لَا حَنَفٌ بِرِجْلِهِ مَا كَانَ فِي صِبْيَانِكُمْ كَمِثْلِهِ^(٦) [٤٥١]

(١) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، الكاتب، صاحب التصانيف، كانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين، ونزل بغداد، حدّث عن إسحاق بن راهويه وزياد بن يحيى والسجستاني، وغيرهم، وحدّث عنه: ابن القاضي أحمد وابن درستويه وغيرهما، له تصانيف كثيرة منها: غريب القرآن، وغريب الحديث، والمعارف، وعيون الأخبار وغيرها، توفّي في شهر رجب، سنة ستّ وسبعين ومائتين. له ترجمة في: تاريخ مدينة السلام ١١: ٥٢٦٢/٤١١، ووفيات الأعيان ٣: ٣٢٨/٤٢، وسير أعلام النبلاء ١٣: ١٣٨/٢٩٦.

(٢) انظر مادة «حنف» في: تهذيب اللغة ٥: ١١٠، عن أبي زيد، ولسان العرب ٩: ٥٧، عن ابن عرفة وعن أبي زيد أيضاً، وروى قول ابن قتيبة في اللباب ٥: ١١٧. (٣) في «ه»: مائل.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١: ٢١٣، وفي «ه» زيادة: فهو حنيف.

(٥) الجمهرة ١: ٥٥٦.

(٦) استشهدت أكثر المصادر اللغويّة بهذا البيت ونسبته لحاضنة الأحنف بن قيس.

وَالْحَنِيفُ : المسلم الذي يَسْتَقْبِلُ قِبْلَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
و﴿كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾^(١).

وقال بعضهم : الْحَنِيفُ : كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَلْتَوِ فِي شَيْءٍ ، وَالْجَمْعُ : الْحَنَفَاءُ .

وقال بعضهم : قِيلَ : حَنِيفٌ ؛ لِأَنَّهُ تَحَنَّفَ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا ، أَي مَالَ إِلَى الْحَقِّ ، وَفِي الْحَدِيثِ : «أَحَبُّ الْأَدْيَانِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»^(٢) ، وَهِيَ مِلَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لَا حَرَجَ فِيهَا وَلَا ضِيقَ^(٣) .

وَأَصْلُ الْبَابِ : الْحَنْفُ ، وَهُوَ الْمِيلُ .

وَنَصَبُ ﴿مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يَحْتَمِلُ أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ :

أَحَدُهَا : أَنْ ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ قَدْ تَضَمَّنَ مَعْنَى : اتَّبَعُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ ، فَعُطِفَ بِهِ عَلَى الْمَعْنَى .

وَالثَّانِي : عَلَى الْحَذْفِ^(٤) ، كَأَنَّهُ قَالَ : بَلْ تَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ، فَالْأَوَّلُ عُطِفَ وَالثَّانِي حُذِفَ .

﴿وَالشَّاهِدُ فِيهِ اسْتِعْمَالُ الْحَنْفِ بِمَعْنَى الْمِيلِ ، وَفِيهَا : فِتْيَانُكُمْ ، بَدَلُ : صَبِيَانُكُمْ .
انظر : كتاب العين ، وتهذيب اللغة ولسان العرب ، وقد تقدّم الأخيران .

(١) سورة آل عمران ٣ : ٦٧ .

(٢) انظر : مسند أحمد ١ : ٢٣٦ ، صحيح البخاري ١ : ١٦ ، مصنف عبد الرزاق ١١ : ٢٠٥٧٤/٢٩٢ .

(٣) العين ٣ : ٢٤٨ . وانظر أيضاً مضافاً لما ذكرنا : المحيط في اللغة ٣ : ١٢٣ ، معجم مقاييس اللغة ٢ : ١١٠ «حنف» .

(٤) فِي النسخ الخطيَّة والحجرية : عَلَى الْحَالِ . وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِسِيَاقِ الْكَلَامِ ، وَالْمُطَابِقُ لِمَا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ ١ : ٤٢٩ ، وَالتفسير الكبير ٤ : ٩٠ ، وَيُنَاسِبُ مَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٥٩٠ ، وَتَفْسِيرِ الْمَاورِدِي ١ : ١٩٤ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ ١ : ٨٢ .

وَكذلك فِي الْموردِ التَّالِي ، إِلَّا أَنَّهُ سَقَطَ مِنَ الْحَجَرِيَّةِ . وَغَيْرُ وَاضِحٍ فِي «و» .

والثالث : على معنى : بل أهل ملّة إبراهيم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(١)، فهذا عطف على اللفظ .

والرابع : على الإغراء^{(٢)(٣)} .

قوله تعالى :

﴿قُولُوا ءَآمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ

(١) سورة يوسف ١٢ : ٨٢ .

(٢) جاء في «هـ» : تمّ الجزء الأول من التبيان ، وهو من أوّل الفاتحة إلى قوله من سورة البقرة ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ويتلوه الجزء الثاني أوّله قوله : ﴿قُولُوا ءَآمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ وكتبه ذو المسائى محمد بن الشيخ طاهر السماوي على نسخة محرّفة مصحّفة ، كتبت في السابع والعشرين من شوال من سنة ١٠٨٧ ، وصحّحه بعض التصحيح أو أعاده إلى الصّحة وفرغ منه في تاسع عشر ذي القعدة لسنة ألف وثلاثمائة وسبع وخمسين في داره بالنجف حامداً مصلياً ملتصقاً .

(٣) جاء في طبعة جماعة المدرّسين ٣ : ٣٠ زيادة : كأنه قيل : بل اتّبعوا ملّة إبراهيم ، وقد كان يجوز أن يرتفع على معنى بل الهدى ملّة إبراهيم ، أو بل ملّتنا ملّة إبراهيم ، أو بل ديننا ملّة إبراهيم ، وقد قرئ به شاذاً .

وحينئذ نصب على الحال من إبراهيم ، في قول الزّجاج وغيره من أهل العلم . وقال المفسّرون في الحنفية أربعة أقوال :

الأوّل : قال الحسن : الحنفية حجّ البيت ، وبه قال ابن عباس ومجاهد وعطية . الثاني : روي عن مجاهد في رواية أخرى أنّها الاتّباع للحقّ .

الثالث : أنّها اتّباع إبراهيم ممّا أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعشرة من الحجّ والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام .

الرابع : أنّها الإخلاص لله وحده بالربوبية والعبادة ، وكلّ هذه الأقوال يرجع إلى ما قلناه من الاستقامة وكلّ ميل إلى ما أتى به إبراهيم عليه السلام من الشريعة .

النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ آية واحدة بلا خلاف .

قوله تعالى : ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ :

يحتمل أن يكون جواباً على ما روي عن ابن عباس : أن نفرأ من اليهود أتوا رسول الله ﷺ فسألوه عَمَنْ يُؤْمِنُ به من الرسل ، فقال : «أُوْمِنُ بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط» إلى آخرها ، فلما ذكر عيسى جحدوا ثبوتَه ، وقالوا : لا نُؤْمِن بعيسى ولا نُؤْمِن بمن آمن به ، فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ (١١) (٢) .

ويحتمل على ما قال الحسن وقتادة : أمر الله المؤمنين أن يقولوا : ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية ، وجعل ذلك مِخَنَةً فيما بينهم وبين اليهود والنصارى (٣) .

والأسباط : جمع سِبْط ، قال ثعلب : يقال : سَبَطَ عليه العطاء والضرب : إذا تابع عليه حتى يَصِلَ بعضه ببعض (٤) ، وأنشد

(١) سورة المائدة ٥ : ٥٩ .

(٢) رواها ابن هشام في سيرته ٢ : ٢١٦ ، والطبري في تفسيره ٢ : ٥٩٦ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٦٨ ، ورواها أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره ٤ : ٦٥٥٩/١١٦٤ عن محمد بن أبي محمد .

(٣) رواه عن قتادة الطبري في تفسيره ٢ : ٥٩٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٠٤/٢٤٣ و ١٣٠٥ . ورواه عن الحسن الهواري في تفسيره ١ : ١٥١ .

(٤) وحكاها أيضاً عن ثعلب الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٣١ ، وذكر هذا المعنى الزمخشري في الفائق ٢ : ١٤٧ ، وأبو حيّان الاندلسي في البحر المحيط ١ : ٦٣٥ ، ولم ينسبها لأحد .

التَّوْزِي (١) في قطع بقر:

كَأَنَّهُ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ (٢)

[٤٥٢]

شَبَّهَ بالجماعة من الناس يتتابعون في أمر.

والسبط: جماعة، ومن تَمَّ قيل لولد يعقوب: أسباط. وشَعَرَ سَبَطًا:

سَلَسَّ مُنْسَبَطًا (٣)، ومنه سُمِّيَ السَّابِاط؛ لانبساطه بين الدارين حتى

يجمعهما، والسُّبَاطَةُ: الكُنَاسَةُ بعضها إلى بعض.

وقال ابن دريد: السَّبَطُ: واحد الأسباط، وهو أولاد إسرائيل، وقالوا:

الحسن والحسين سَبِطَا رسول الله ﷺ، أي وَلَدَاهُ (٤). والسُّبَاطَةُ: ما سقط

(١) في الحجرية: الثوري.

والتَّوْزِي هو عبدالله بن محمد بن هارون، مولى قرش، قال المبرد: قرأ التَّوْزِي كتاب سيبويه على أبي عمر الجرمي. قال: ما رأيت أعلم بالشعر منه، وكان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة، وقد قرأ على الأصمعي وغيره. من تصانيفه كتاب الأمثال، والأضداد، والخيال وأسنانها وعيوبها واضمارها، وفعلت وأفعلت.

منسوب إلى موضع من بلاد فارس اسمه تَوْز «تَوْج»، توفي سنة ثلاثين ومائتين. انظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين: ٨٥، إنباه الرواة ٢: ١٢٦.

(٢) ديوان العجاج ١: ٣٨٩، وتمايم البيت:

كَأَنَّهُ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ
بين حوامي هَيْدَب سَقَاطِ
وردد ابن دريد الرَّجَزَ في الجمهرة ١: ٣٣٦ «سبط» بين العجاج أو روبة، ونسبه في الاشتقاق ١: ١٣٢ إلى روبة، وغلطه في الموردين حيث قال: غَلِطَ رُوبَةُ فَسَمِي الرجل سَبِطًا، ونحوه في الجمهرة، إلا أن المصنف قال: في قطع بقر.

وضم ابن منظور في لسان العرب ٧: ٣١٩ «سقط» السين في سَقَاط، وقال: حوامي هيدب: نواحي شجر ملتف الهدب. وسَقَاط: جمع الساقط، وهو المتدلّي.

وفي الديوان والجمهرة: سَقَاط بفتح السين.

والشاهد فيه: استعمال «سبط» في الجماعة.

(٣) منبسط، لم ترد في «خ» و«و».

(٤) في المصدر: وَلَدٌ وَلَدَهُ.

من الشعر إذا سَرَّخَتْه ، وَأَخَذَتْ فَلاناً سَباط^(١) : إذا أخذته الحُمَى^(٢) .

والسَّبْطُ من اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب .

ويقال : هو سَبْطُ الكَفَيْنِ : إذا كان طويل^(٣) الأصابع .

والسَّبْطَانَةُ : قناة جوفاء مضروبة بالعَقَب^(٤) يُرْمَى فيها^(٥) سهام صغار تُنفخ نفخاً لا يكاد تُخطئ .

وأصل الباب : السَّبْطُ وهو التتابع^(٦) .

وقال الزَّجَّاج : السَّبْطُ : الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد ،

والسَّبْطُ : الشجر ، فالسَّبْطُ : الذين من شجرة واحدة^(٧) .

وقال قتادة : الأسباط : يوسف وإخوته ، (وَلَدَ يَعْقُوبُ)^(٨) اثني عشر

رجلاً ، فَوَلَدَ كُلِّ واحدٍ منهم أُمَّة من الناس ، فُسِّمُوا الأسباط ، وبه قال السُّدِّي والربيع وابن إسحاق^(٩) .

وأسماء الاثني عشر ذكروهم : يُوسُف وبَنِيامين ورُوبيل ويهوذا

وشَمْعُون ولاوي ودان^(١٠) وقهاب ويشجر وتفتالي وجاذ وأسر .

(١) في المصدر زيادة : بكسر الطاء بلا ألف ولا لام ، مثل : خَدامٍ وقَطامٍ ورقائش .

(٢) الجمهرة ١ : ٣٣٦ «سبط» .

(٣) في «خ» زيادة : الباع و .

(٤) في الحجرية : بالقصب .

(٥) في «خ» و«ؤ» : بها .

(٦) انظر : العين ٧ : ٢١٩ ، وتهذيب اللغة ١٢ : ٣٤١ ، ولسان العرب ٧ : ٣٠٨ ، وتاج

العروس ١٠ : ٢٧٢ «سبط» .

(٧) معاني القرآن ١ : ٢١٧ .

(٨) بدل ما بين القوسين في «ؤ» و«ي» : بنو يعقوب وَلَدَ .

(٩) رواه عنهم الطبري في تفسيره ٢ : ٥٩٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ :

١٣٠٠/٢٤٣ و ١٣٠١ .

(١٠) في «خ» و«ؤ» : ذان .

ولا خلاف بين المفسرين أنهم وُلد يعقوب .

وقال كثير من المفسرين : إنهم كانوا أنبياء^(١) .

والذي يقتضيه مذهبنا أنهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم ؛ لأنه وقع منهم من المعصية ما فعلوه مع يوسف عليه السلام ما لا خفاء به ، والنبى عندنا لا يجوز عليه فعل القبائح لا صغيرها ولا كبيرها^(٢) ، فلا يصح مع ذلك القول بنبوتهم ، وليس في ظاهر القرآن أنهم كانوا أنبياء .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ لا يدل على أنهم كانوا أنبياء ؛ لأن الإنزال يجوز أن يكون على بعضهم ممن كان نبياً ولم يقع منه ما ذكرناه من الأفعال القبيحة . ويحتمل أن يكون المراد أنهم أمروا باتباعه ، كما يقال : أنزل الله تعالى إلى أمة النبى عليه السلام القرآن ، كما قال : ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَّا الْيَنَاءُ﴾^(٣) وإن كان المنزل على النبى عليه السلام ، لكن لما كانوا مأمورين بما فيه أضيف بأنه أنزل إليهم .

ومعنى قوله : ﴿لَا تَفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ إنا لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ، كما فعلت اليهود والنصارى ، فكفرت اليهود بعمسى ومحمد صلوات الله عليه ، وكفرت النصارى بسليمان ونبينا محمد صلى الله عليهما .

(١) معاني القرآن للزجاج ٣ : ٩٢ ، تفسير الماوردي ٣ : ٨ ، تفسير الثعلبي ٤ : ١٥٣ ، ونسبه إلى القليل ، تفسير القرطبي ١١ : ٢٥٩ ، ونسبه إلى جماعة المفسرين . وقال الأموي في تنزيه الأنبياء : ١٣٨ : وقد قال بعض من يؤبه له من المفسرين والمؤرخين القائلين بغير دليل بأنهم كانوا أنبياء .

(٢) انظر تفصيل المسألة في : أوائل المقالات - ضمن موسوعة المفيد - ٤ : ٦٢ ، وتنزيه الأنبياء للسيد المرتضى ، وتنزيه الأنبياء للأموي .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٣٦ ، سورة المائدة ٥ : ٥٩ ، سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٦ .

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي خاضعون بالطاعة . وقيل :
 مدعون له بالعبودية . وقيل : مستسلمون لأمره ونهيه عقداً وفعلاً . وقيل :
 داخلون في حكم الإسلام الذي هو دينه ، كما قال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
 الْإِسْلَامُ﴾^(١)^(٢) .

والفرق بين التفريق والفرق : أن التفريق : جعل الشيء مفارقاً لغيره .
 والفرق : نقيض الجمع . والجمع : جعل الشيء مع غيره ، والفرق : جعل
 الشيء لا مع غيره . والفرق بالحجة : هو البيان الذي يشهد أن الحكم لأحد
 الشيئين دون الآخر .

وفائدة الآية : الأمر بالإيمان بالله ، والإقرار بالنبیین ، وما أنزل إليهم من
 الكتب وتعبدوا به من الأحكام ، والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله
 عليه من النبوة .

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ
 فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٣٧) آية بلا خلاف .
 أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون
 به فقد اهتدوا إلى طريق الجنة .

وبناء على قوله تعالى : ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ﴾ يحتمل ثلاثة أشياء :
 أولها : أن تكون زائدة ، والتقدير : فإن آمنوا مثل (الذي آمنتم ، أي

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٥٩٦ ، و ٥ : ٥٥٥ ، والوسيط ١ : ٢٢٠ ، والتفسير
 البسيط ٥ : ٤٠٧ ، والبحر المحيط ١ : ٦٥١ ، والتفسير الكبير ٨ : ١٣٣ .

مثل^(١) إيمانكم ، كما قال : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ ﴾^(٢) والمعنى : كفى الله ، قال الشاعر :

كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا^(٣) [٤٥٣]

والثاني : أن يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زائدة ، كأنه قال : فإن آمنوا على مثل إيمانكم ، كما تقول : كَتَبْتُ على مثل ما كَتَبْتُ وبمثل ما كَتَبْتُ ، كأنك تجعل المثال آلة يتوصل به إلى العمل ، وهذا أجود من الأول .
والثالث : أن تلغى «مثل»^(٤) ، كما ألغيت الكاف في قوله :

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولًا^(٥) [٤٥٤]

(١) ما بين القوسين لم يرد في «خ» و«هـ» .

(٢) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ ، سورة الإسراء ١٧ : ٩٦ ، سورة العنكبوت ٢٩ : ٥٢ .

(٣) البيت لسحيم ، انظر : ديوانه : ١٦ ، وصدر البيت :

عُمَيْرَةٌ وَدُحٌّ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا

والشاهد فيه : الفعل «كفى» رفع الفاعل بلا حرف الباء ، أي لم يقل الشاعر : كفى بالشيب ، فبدل على أن الباء زائدة حين الاستعمال .

(٤) كلمة «مثل» لم ترد في «خ» و«هـ» و«و» .

(٥) البيت منسوب لرؤبة بن العجاج ، وبعض نسبه لَحْمِيد الأرقط ، انظر : ديوان رؤبة : ١٨١ أبيات مفردات ، وهي منسوبة إلى رؤبة .

وقال البغدادي في خزانة الأدب ١٠ : ١٨٩ : قال العيني : البيت من شعر لرؤبة ابن العجاج ، وقبله :

وَمِثْلُهُمْ مَا مَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ وَلَعَيْثَ طَيْرٍ بِهِمْ أَبَابِيلُ

تَرْمِيهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصِفٍ مَأْكُولٍ

وقال أيضاً : ولم يذكر ما مرجع الضمير ، ومن الذي جرى عليهم هذا الأمر .

والبيت من شواهد كتاب سيبويه ١ : ٤٠٨ ، ولسان العرب ٩ : ٢٤٧ «عصف» وغيرهما .

واختلف في الشاهد منه ، ففي لسان العرب جعل الكاف زائدة ، كما قال المصنف رحمه الله .

وهذا أضعف الوجوه؛ لأنه إذا أمكن حمل كلام الله سبحانه على فائدة فلا يجوز حمله على الزيادة، وزيادة الاسم أضعف من زيادة الحرف، كزيادة «ما» و«لا» وما أشبه ذلك.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لا تقولوا: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ فإنه ليس لله مثل، ولكن قولوا: فإن آمنوا بالذي آمنتم به^(١). وهذه رواية شاذة مخالفة لما أجمع عليه القراء، ومتى صحّت فالوجه فيها أن يكون أراد أن يفسر المعنى، فكأنه قال: لا تتأولوه على الجعل لله عز وجل مثلاً، فإنه شرك، لكن تأولوه على ما يصح تأويله من غير تمثيل للمعبود تعالى.

وقال ابن عباس: إن الإيمان هو العروة الوثقى، وإنه لا يقبل الله عملاً إلا به ولا تحرم الجنة إلا على من تركه^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ معناه: إن أعرضوا عن الإيمان وجحدوه ولم يعترفوا به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ معناه: أنهم في مفارقة، في قول قتادة والربيع.

وقال ابن زيد: الشقاق هو المنازعة والمُحاربة.

وقال الحسن: معناه التعادي^(٣).

﴿وجعل سيبويه الشاهد منه أنَّ ناساً من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها - أي الكاف - بمنزلة مثل.

ويقصد من ذلك أنَّ تقدير الكلام: مثل مثل عصفٍ مأكول.

(١) رواه عنه ابن أبي داود في كتاب المصاحف: ٨٦ - ٨٧، والطبري في تفسيره ٢: ٦٠٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٣٠٦/٢٤٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦٠٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٣٠٧/٢٤٤.

(٣) روى هذه الأقوال عنهم: الطبري في تفسيره ٢: ٦٠٢، وابن أبي حاتم في تفسيره

وأصل الشِّقَاقِ يحتمل أن يكون مأخوذاً من الشَّقِّ ؛ لأنه صار في شِقِّ غير شِقِّ صاحبه للعداوة والمباينة .

ويحتمل أن يكون مأخوذاً من المَشَقَّة ؛ لأنه يحرص على ما يَشَقُّ على صاحبه ويؤذيه .

وفي الآية دلالة بيّنة^(١) على نبوة نبيِّنا ﷺ ؛ لأن الله تعالى وعده أن يكفيه مَنْ يُعَادِيهِ من اليهود والنصارى الذين شاقَّوه بقوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فكان الأمر على ما وعد به .

والكِفَاية والوَاقَاية والسَّلَامَة نظائر ، تقول : كَفَى يَكْفِي كِفَايَةً ؛ إذا قام بالأمر ، واكْتَفَى اكْتِفَاءً ، واستَكْفَى اسْتِكْفَاءً ، وَتَكْفَى تَكْفِيًا ، وَكَفَاكَ هذا الأمر ، أي حَسْبُكَ ، ورأيت رجلاً كافيتك من رجلٍ ، أي كفاك^(٢) به رجلاً .
وأصل الباب : الكفاية ، وهو بلوغ الغاية ، ويقال : يَكْفِي وَيَجْزِي وَيُغْنِي بمعنى واحد .

قوله تعالى :

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

آية بلا خلاف .



قوله تعالى : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ :

معناه : فطرة الله ، في قول الحسن وقتادة وأبي العالية ومجاهد وعطية

١٥ : ١٣١١/٢٤٤ . وروى قول الحسن ابن أبي زمنين في تفسيره ١ : ١٨٢ .

والمحاربة ، أثبتناها من «هـ» و«و» وفي بقية النسخ : والمجادلة .

(١) بيّنة ، أثبتناها من «خ» و«هـ» ، ولم ترد في بقية النسخ .

(٢) في «و» : كفى .

وابن زيد والسُّدِّي^(١).

وقال الفراء والبلخي: إنَّه شريعة الله في (الختان الذي هو التطهير)^{(٢)(٣)}.

وقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مأخوذ من الصبغ؛ لأنَّ بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود جعلوه في ماءٍ لهم^(٤) يجعلون ذلك تطهيراً له ويسمونه المعمودية، فقيل: صِبْغَةَ الله، أي تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة، وهو قول الفراء^(٥).

وقال قتادة: اليهود تصبغ أبناءها يهوداً، والنصارى تصبغ أبناءها نصارى^(٦).

فهذا غير المعنى الأوَّل، وإنَّما معناه: أَنَّهُمْ يُلْقِنُونَ أبناءهم اليهودية والنصرانية، فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه، فقيل^(٧): صبغة الله التي أمر بها ورضيها - يعني الشريعة^(٨) - لا صبغتكم.

وقال الجُبَّائي: سُمِّي الدين صِبْغَةً؛ لأنَّه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر

(١) انظر أقوالهم في: تفسير الطبري ٢: ٦٠٤ - ٦٠٦، تفسير ابن أبي حاتم ١: ١٣١٣/٢٤٥، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٧١، تفسير الماوردي ١: ١٩٥، تفسير الوسيط ١: ٢٢٢.

(٢) في «و» بدل ما بين القوسين: ختان النبي وتطهيره.

(٣) معاني القرآن للفراء ١: ٨٢، ونقل قول البلخي الجشمي في التهذيب في التفسير ١: ٦١١، والطبرسي في مجمع البيان ١: ٤٣٦.

(٤) في الحجرية: «طهور» بدل «لهم».

(٥) معاني القرآن للفراء ١: ٨٢.

(٦) رُوي عنه في: تفسير الطبري ٢: ٦٠٣، وتفسير الماوردي ١: ١٩٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٧١.

(٧) في «خ» و«ه»: فقال.

(٨) يعني الشريعة، لم ترد في «خ» و«ه».

الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة^(١)، وقال أمية :

فِي صِبْغَةِ اللَّهِ كَانَ إِذْ نَسِيَ الْكَ عَهْدَ وَخَلَّى الصَّوَابَ إِذْ عَزَمًا^(٢) [٤٥٥]
قال صاحب العين : الصَّبْغُ : ما يُلَوِّن به الثياب . والصَّبْغُ : مصدر
صَبَّغْتُ . والصَّبَاغَةُ : حِرْفَةُ الصَّبَاغِ ، والصَّبْغُ والصَّبَاغُ : ما يُصْطَبَغُ به في
الأطعمة . والأَصْبَغُ من الطير : ما ائْبِضَّ ذَنْبُهُ أو بعضه^(٣) .

وأصل الباب : الصَّبْغُ ، وهو المزج للتلوين .
وَنَضَبُ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ في الآية يحتمل أمرين :
أحدهما : أن يكون مردوداً على ﴿بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدلاً منه وتفسيراً
له .

والثاني : (أن يكون بمحذوف ، أي)^(٤) اتَّبَعُوا صِبْغَةَ اللَّهِ .
والأجود الأول . وكان يجوز الرفع بتقدير : هي صِبْغَةُ اللَّهِ .
ومعنى قوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ الجحد ، أي لا أحد
أحسن من الله صبغةً ، واللفظ لفظ الاستفهام . وبه قال الحسن وغيره^(٥) .

(١) رواه عنه الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٣٥ ، وذكر الرازي القول بلا نسبة في تفسيره ٤ : ٩٦ .

(٢) ديوان أمية : ٨٩ ، جمع الدكتور سميع جميل الجبيلي ، ورواه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٣٦ .

وفي «خ» و«و» : «وَكَلَّ» بدل : «وَخَلَّى» . وفي الديوان والمجمع : «عَرَفَا» بدل «عَزَمًا» .

(٣) كتاب العين ٤ : ٣٧٤ .

(٤) ما بين القوسين أثبتناه من «خ» و«هـ» .

(٥) ذكر هذا التفسير في عدة تفاسير ولم يُنسب للحسن ، منها : التهذيب في التفسير

وقوله : ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ :

معناه : أَنْ مَنْ لَهُ نحن عابدون يجب أن نتبع صِغته ، لا ما صَبَغْنَا عليه الآباء والأجداد .

وقيل ^(١) : معناه : ونحن له عابدون في اتِّباعنا مِلَّةَ إبراهيم صِبْغة الله ؛ للاعتراف بالوجه الذي اتَّبَعُوهُ .

قوله تعالى :

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩) آية ^(٢) .

أمر الله سبحانه نبيّه في هذه الآية أن يقول لهؤلاء الكفار : ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ .

ومعناه : أتخاصموننا ^(٣) وتجادلوننا فيه ؟ وهو تعالى الذي خلقنا وأنعم علينا ، وخلقكم وأنعم عليكم .

وكانت محاجّتهم للنبي ﷺ أنّهم زعموا أنّهم أولى بالحقّ ؛ لأنّهم راسخون في العلم وفي الدين ؛ لتقدّم النبوة فيهم والكتاب ، فهم أولى بأن

للجشمي البيهقي ١ : ٦١١ ، وتفسير البضاوي ١ : ١٤٣ ، وتفسير النسفي ١ : ٨٥ .
ونسبه الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٣٦ للحسن وغيره . وفي تفسير الحسن البصري ٢ : ٨٦ فُسِّرَت الآية بالاستفهام أيضاً ، حيث جاء في تفسيرها : وَمَنْ أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ دِيناً .

(١) القائل هو الطبري في تفسيره ٢ : ٦٠٦ ، وفي البحر المحيط ١ : ٦٥٧ نسبه إلى القيل أيضاً .

(٢) في «خ» و«هـ» زيادة : بلا خلاف .

(٣) في «و» و«ي» والحجريّة : تخاصموننا ، بدل : أتخاصموننا .

يكون الرسول منهم .

وقال قوم : بل قالوا : نحن أحقّ بالإيمان ؛ لأنّا لسنا من العرب الذين عبدوا الأوثان .

فبين الله تعالى وجه الحجّة عليهم أنّه ربّنا وربّهم ، فهو أعلم بتدبيرنا وتدبيرهم ، ومصلحتنا ومصلحتهم ، وأنّه لا حجّة علينا في إجرام غيرنا ومعاصيهم ^(١) .

وقال الحسن : كانت محاجّتهم أن قالوا : نحن أولى بالله منكم ^(٢) . وقالوا : ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ﴾ ^(٣) وقالوا : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ ^(٤) ، وقالوا : ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا﴾ ^(٥) و غرضهم بذلك الاحتجاج بأنّ الدين ينبغي أن يلتصق من جبهتهم ، وأنّ النبوة أولى أن تكون فيهم .

وليس الأمر على ما ظنّوا ^(٦) ؛ لأنّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ^(٧) ، ومن ^(٨) الذي يقوم بأعبائها ويتحمّلها على وجه يكون أصلح

(١) انظر : التهذيب في التفسير ١ : ٦١٢ ، ومجمع البيان ١ : ٤٣٧ ، وتفسير الرازي ٤ : ٩٧ ، والبحر المحيط ١ : ٦٥٧ .

(٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره ٢ : ٤٢٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٣٧ ، والرازي في تفسيره ٤ : ٩٧ . وذكر هذا القول في عدّة تفاسير ولم يُنسب للحسن ، منها : تفسير السمعاني ١ : ١٤٧ ، ومعالم التنزيل ١ : ١٦٤ ، والمحزّر الوجيز ١ : ٣٧١ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ١٨ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١١١ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ١٣٥ .

(٦) في «هـ» و«و» : قالوا .

(٧) سورة الأنعام ٦ : ١٢٤ .

(٨) في «هـ» و«و» : وإنّ .

للخلق وأولى بتدبيرهم .

وقوله : ﴿وَلَنَّا أَعْمَلُنَا﴾ :

معناه : الإنكار لاحتجاجهم بأعمالهم ؛ لأنهم مشركون ونحن له ^(١) مخلصون .

وقيل : معناه : الإنكار للاحتجاج بعبادة العرب للأوثان ، فقال : لا حجة في ذلك ؛ إذ لكلٍّ أحدٍ عمله لا يؤاخذ بجرم غيره ^(٢) .

والأعمال والأفعال والأحداث نظائر ، والإخلاص والإفراد والاختصاص نظائر ، وضدّ الخالص : المَشُوب .

وقوله : ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ فيه احتجاج بأنّ المخلص لله أولى بالحقّ من المشرك به .

وقيل : معناه : الردّ عليهم لما احتجّوا به من عبادة العرب للأوثان : بأنّه لا عَتَبَ ^(٣) علينا في ذلك إذا كنّا له مخلصين ، كما لا عَتَبَ ^(٤) عليكم بفعل مَنْ عَبَدَ العجل من الأسلاف إذا اعتقدتم الإنكار عليهم ^(٥) بأنّهم على الإشراك بالله بالتشبيه ^(٦) له والكفر بآياته .

وقال ابن عباس : معنى ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ : أتجادلوننا ^(٧) .

وقال مجاهد : معناه أخاصموننا ، وبه قال ابن زيد ^(٨) .

(١) له ، أثبتناها من الحجرية ، ويساعد عليها السياق .

(٢) انظر : التهذيب في التفسير للجشمي ١ : ٦١٣ ، مجمع البيان ١ : ٤٣٧ .

(٣ و ٤) في «خ» والحجرية : عيب .

(٥) في «و» و«ي» زيادة : لعبادة العجل ، وقيل : بل معناه الإنكار عليهم .

(٦) في «خ» : والتشبيه ، وفي «هـ» : أو التشبيه .

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٠٨ ، وفي تفسير ابن عباس : ١٩ ، وتفسير ابن

أبي حاتم ١ : ١٣١٦/٢٤٥ عن ابن عباس : أخاصموننا .

(٨) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٢ : ٦٠٧ .

ومعنى ﴿فِي اللَّهِ﴾ : في دين الله .

والألف صورتها الاستفهام ، ومعناها الإنكار .

ويجوز في ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ ثلاثة أوجه من العربية : الإظهار والإدغام

والحذف ، فالإدغام بتشديد النون ، والحذف بتخفيف النون الواحدة^(١) .

قوله تعالى :

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلِمُ أَنَّ اللَّهَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٠) آية بلا
خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر^(٢) : ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ بالتاء ، ووافقهم ابن

عامر ورويس ، [و]الباقون بالياء^(٣) .

(١) أي «أتحاجون» كما في تفسير القرطبي ٢ : ٤٢٣ عن النحاس ، وفي إعراب القرآن
للنحاس ١ : ٢٦٧ : ويجوز أتحاجونا ، بحذف النون الثانية كما قرأ نافع : ﴿قَمِيمٌ
تُبَيِّرُونَ﴾ .

وما في تفسير القرطبي أنسب ؛ لقريئة المقابلة بقراءة نافع ، ولكن في معاني
القرآن للزجاج ١ : ٢١٦ : وإن شئت حذف إحدى النونين ، فقلت : أتحاجونا .

(٢) هو شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحنطاط - يبيع الحنطة - الأسدي ، راوي
عاصم ، اختلف في اسمه على عشرة أقوال ، عرض القرآن على عاصم وعطاء وأسلم
المنقري ، وعرض عليه جمع من القراء ، وُلد سنة خمس وتسعين ، وعمر دهرًا ،
وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة .

له ترجمة في : طبقات القراء للذهبي ١ : ١٣٥ ، ومعرفة القراء : ١٢/٨٠ ، وغاية
النهاية في طبقات القراء ١ : ١٣٢١/٣٢٥ .

(٣) كتاب السبعة في القراءات : ١٧١ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٢٨ ، الحجة في
القراءات السبع لابن خالويه : ٨٩ ، المنتهى للجرجاني : ٢٩٥ .

فمن قرأ بالتاء جعله متصلاً بما قبله من الاستفهام ، كأنه قال :
أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ أَمْ تَقُولُونَ : إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ ^(١) كَانُوا عَلَىٰ دِينِكُمْ .

والتقدير : بَأَيِّ الْحُجَّتَيْنِ تَتَعَلَّقُونَ فِي أَمْرِنَا ؟ أِبَالْتَوْحِيدِ فَنَحْنُ
مَوْحِدُونَ ، أَمْ بِاتِّبَاعِ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ فَنَحْنُ لِذَلِكَ مُتَّبِعُونَ ؟

وَمَنْ قرأ بالياء فالوجه فيه : أَنَّهُ عدل إلى حِجَاجٍ آخَرَ عَنِ الْحِجَاجِ
الْأَوَّلِ ، كأنه قال : بَلْ يَقُولُونَ : إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ، وَيَكُونُ قَدْ أَعْرَضَ عَنْ خُطَابِهِمْ اسْتِجْهَالًا لَهُمْ بِمَا كَانَ
مِنْهُمْ ، كَمَا يُقِيلُ الْعَالَمَ عَلَىٰ مَنْ بِحَضْرَتِهِ بَعْدَ ارْتِكَابِ مَخَاطِبِهِ جَهَالَةً شَنِيعَةً ،
فَيَقُولُ : قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ أَمْ يَقُولُونَ بِإِبْطَالِ النَّظَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْمَعْرِفَةِ .
وَقَدْ أَنْكَرَ الطَّبْرِي الْقِرَاءَةَ بِالْيَاءِ ، وَقَالَ : هِيَ شَاذَةٌ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ
بِهَا ^(٢) .

وليس الأمر على ما ظنَّ ، بَلْ وَجَّهَهَا مَا بَيَّنَّاهُ .
وَمَعْنَى الْآيَةِ الْاِحْتِجَاجُ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ
كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ ^(٣) فَقِيلَ لَهُمْ : كَيْفَ ذَلِكَ ، وَالْأَمْرُ بِخِلَافِهِ مِنْ
وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : مَا أَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ مَعَ ظُهُورِ الْمُعْجَزِ الدَّالِّ ^(٤) عَلَى صِدْقِهِ .
وَالْآخَرُ : مَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ ؛ لِأَنَّ
عِنْدَهُمُ اسْمَ الْيَهُودِيَّةِ يَقَعُ عَلَى مَنْ تَمَسَّكَ بِشَرِيعَةِ التَّوْرَةِ ، وَالنَّصْرَانِيَّةِ اسْمَ

(١) فِي «و» : الْأَسْبَاطُ .

(٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٦٠٩ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢ : ١١١ .

(٤) فِي «و» : الْمُعْجَزَاتُ الدَّالَّةُ .

لمن تمسك بشريعة الإنجيل ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾^(١).

وقيل أيضاً : إن معناه التوبيخ لأهل الكتاب بادعائهم عليهم خلاف الإسلام بغير حجة ولا برهان^(٢).

وقوله : ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ صورته صورة الاستفهام ، والمراد به التوبيخ ، ومثله قوله : ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾^(٣).

والأعلم والأعرف والأدري بمعنى واحد . والأظلم والأجور والأعنى نظائر .

فإن قيل : لِمَ قال : ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ وقد كانوا يعلمونه وكنتموه ، وإنما ظاهر هذا الخطاب لِمَنْ لا يعلم ؟

قلنا : مَنْ قال : إنهم كانوا على ظنٍّ وتوهمٍ فوجه الكلام على قوله واضح .

وَمَنْ قال : إنهم كانوا يعلمون ذلك وإنما كانوا يجحدونه ، يقول : معناه : أن منزلتكم منزلة المُعْتَرِضِ على ما يُعْلَمُ^(٤) أن الله أخبر به ، فما ينفعه ذلك مع إقراره بأن الله أعلم منه وأنه لا يخفى عليه شيء ؛ لأن ما دلَّ على أنه أعلم هو الدالَّ على أنه لا يخفى عليه شيء ، وهو أنه عالم لنفسه يعلم جميع المعلومات .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ قيل في ﴿مِنْ﴾ في قوله :

(١) سورة آل عمران ٣ : ٦٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦١٣ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٣ ، تفسير الوسيط

١ : ٢٢٣ ، تفسير القرطبي ٢ : ٤٢٤ .

(٣) سورة النازعات ٧٩ : ٢٧ .

(٤) في «خ» و«هـ» : مَنْ يَعْلَمُ .

﴿مَنْ أَلَّهِ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها بمعنى ابتداء الغاية ؛ لأن الله تعالى ابتداء الشهادة في التوراة والإنجيل بصحة النبوة لمحمد ﷺ ، ويكون ابتداء الشهادة بأن الأنبياء كانوا على الحنيفية ، فهذه شهادة من الله عندهم .

والثاني : كتبها من عباد الله .

والثالث : ما حكاه البلخي : أنه بمنزلة مَنْ أظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان الغني القوي ، أي فلا أحد أظلم منه ^(١) .

والمعنى : أنه يلزمكم أن لا أحد أظلم من الله - تعالى عن ذلك - ؛ إذ يَكْتُم ما فيه الغرور للعباد ليقعهم في الضلال ، وهو الغني بنفسه الذي لا يجوز أن يلحقه المنافع والمضار ، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه .

وهذا الذي ذكره يلزم اليهود والجهال ، كما حكى الله تعالى عنهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ ^(٢) .

والشهادة التي كتبوها قيل فيها قولان :

أحدهما : قال مجاهد والربيع وابن أبي نجيح : إنهم كتبوا الشهادة بأنهم كانوا على الإسلام ^(٣) .

والثاني : قال الحسن وقتادة وابن زيد واختاره الجبائي : إنهم كتبوا

(١) انظر : تفسير الحسن البصري ٢ : ٨٧ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦١٠ ، وتفسير الوسيط ١ : ٢٢٣ ، وتفسير الراغب الأصفهاني ٣٢٦ ، وذكر فيه القول الثالث بلا نسبة إلى البلخي ، وكذلك ذكره القيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٢ ، ولم ينسبه أيضاً .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٦٤ .

(٣) رواه عنهم الطبري في تفسيره ٢ : ٦١٠ - ٦١١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣١٩/٢٤٦ ، والواحدي في تفسيره الوسيط ١ : ٢٢٣ .

الشهادة بالبشارة التي عندهم بالنبى ﷺ^(١).

فإن قيل : إذا كان الذي كتموه أمر محمد ﷺ فكيف يتصل بما قبله ؟
قيل : قال الحسن : كتموا محمدًا ﷺ ودينه ، وفي دينه أن إبراهيم كان مسلماً ولم يكن من المشركين^(٢).

والاحتجاج عليهم بـ : ﴿ **أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ** ﴾ على وجه الإلزام لهم بالجهالة ، كأنه قيل : إذا زعتم أن هؤلاء كانوا يهوداً أو نصارى ، وقد أخبر الله بخلاف ذلك عنهم فقد لزمكم أن تكونوا أعلم من الله تعالى ، وهذا غاية الخزي لمن بلغه .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ فالْعَفْلَةُ وَالسَّهْوُ وَالسَّنَةُ نظائر .

ومعنى الآية يحتمل أمرين :

أحدهما : أنه ليس الله بساوٍ عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله تعالى .

الثاني : أن يكون^(٣) على عمومه .

والمعنى : أنه لا يخفى عليه شيء من المعلومات لا صغيرها

(١) رواه عنهم الطبري في تفسيره ٢ : ٦١٢ - ٦١٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٢٠/٢٤٦ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٣ .

وفي تفسير الحسن البصري ٢ : ٨٧ وتفسير الطبري ٢ : ٦١١ عن الحسن : قال الحسن : والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياء بُرَاء من اليهودية والنصرانية ، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام فيم استحلوها ؟

(٢) انظر كلام الحسن في الهامش السابق نقلاً عن تفسيره وتفسير الطبري ، وأيضاً روى له ابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٢٠/٢٤٦ كلاماً آخر بنفس المعنى .

(٣) في «خ» زيادة : الأمر .

ولا كبيرها، فكونوا على حذرٍ من الجزاء على السيئات بما تستحقونه من العقاب^(١).

وَكَمَّ وَأَخْفَى وَأَسْرَّ معناها واحد، والبيَّنة والحجة واحد.

قوله تعالى :

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤١) آية بلا خلاف.

قيل في تكرار قوله : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ قولان :

أحدهما : أنه عنى بالأول إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء ، والثاني عنى به أسلافهم من آبائهم الذين هم على ملتهم .

وثانيهما : أن الجواب إذا اختلفت أوقاته فكان الثاني في غير موطن الأول ، وكان بعد^(٢) مدّة من وقوع الأول بحسب ما اقتضاه الحال لم يكن ذلك معيياً عند أهل اللغة ولا عند العقلاء^(٣).

والاعتراض عليهم بقوله : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أنه إذا لم يُستنكر^(٤) أن يكون فرضهم غير فرض الأمة التي قد خلت قبلكم ، فلا تحتجوا بأنّه لا يجوز أن يُخالقوا عليه .

ولو سلّم لكم أنّهم كانوا على ما تذكرونه ما جاز لكم أن تتركوا

(١) في «خ» و«هـ» : العذاب .

(٢) في «خ» : أو كان بعد ، وفي «هـ» : إذ كان بعد .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦١٤ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٣ ، وذكرت الأقوال تفصيلاً في : مجمع البيان ١ : ٤٤١ ، والبحر المحيط ١ : ٦٦٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٢ : ٥٣٥ .

(٤) في الحجرية : لم تشكّوا .

ما بلغكم^(١) الله عنه على لسان رسوله محمد ﷺ ؛ إذ الله تعالى أن ينسخ من الشريعة ما شاء (ويقرّ منها ما شاء)^(٢) على ما يعلم في ذلك من وجوه الحكمة وعموم المصلحة .

وقيل : إنّ ذلك ورد مورد الوعظ لهم ، بأنّه إذا كان لا يؤخذ الإنسان إلّا بعمله ، فينبغي أن تحذروا على أنفسكم ، وتبادروا بما يلزمكم ، ولا تتكلموا على فضائل الآباء والأجداد ؛ فإنّ ذلك لا ينفعكم إذا خالفتم أمر الله تعالى فيما أوجب عليكم^(٣) .

والمعنى بقوله : ﴿ تِلْكَ أُمّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ - على قول قتادة والربيع - إبراهيم عليه السلام ومن ذكر معه .

وعلى قول الجبائي وغيره : من سلف من آبائهم الذين كانوا على ملّتهم اليهوديّة أو النصرانيّة^(٤) .

وقد بيّنا فيما مضى أنّ الأمة الجماعة التي تؤمّ جهة واحدة كأمة النبي محمد ﷺ التي تؤمّ العمل على ما دعا إليه ، وكذلك أمم سائر الأنبياء صلّى الله عليهم .

والخلاء : الفراغ ، يقال : فرغ من عمله ، وفرغ من مكانه ، وإنما قيل لما مضى : خلا ؛ لأنّه خلا منه مكانه .

والكسب : الفعل الذي يجزّ فاعله به نفعاً أو يدفع به ضرراً ، وإنما

(١) في «و» و«ي» والحجيرة : نقلكم .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

(٣) من قال به الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٤ ، والنعلبي في تفسيره ٤ : ١٤٩ .

(٤) روى قول قتادة والربيع الطبري في تفسيره ٢ : ٦١٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره

١ : ١٢٨٧/٢٤١ ، وذكر قول الجبائي أبو حفص الحنبلي في تفسيره اللباب ٢ :

٥٣٥ . وراجع المصادر الأخرى المتقدمة .

قيل : كَسَبَ السَّيِّئَةَ^(١) ؛ لأنه اجتلب بها النفع عاجلاً .

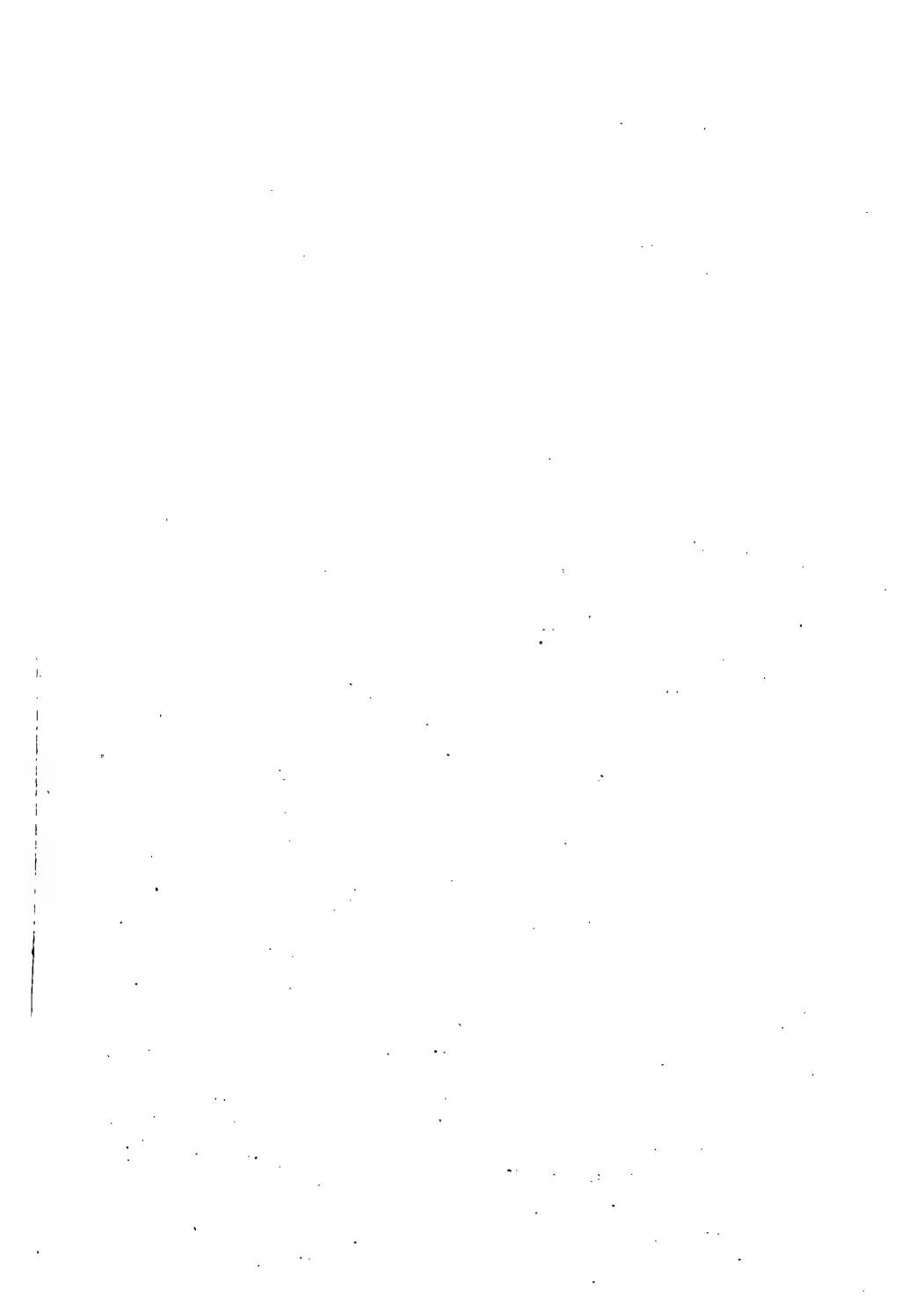
وقوله : ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ﴾ معناه : ولا تطالبون .

والسؤال : الطلب ، وهو أيضاً الإخبار الذي اقتضاه ما تقدم من

الكلام ، أي لا يقال لكم : لِمَ عَصَى آبَاؤُكُمْ ؟ ، وإنما يقال لكم : لِمَ عصيتم ؟
ولِمَ ظلمتم ؟

(١) في «خ» : الحسنه .

﴿١٤٢﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا
 عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا
 جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ
 مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
 هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِزْمَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
 لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٤﴾ قَدْ زُرِيَ تَقَلُّبُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
 فَلْنُوَلِّنَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ
 عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
 آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
 بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾



قوله تعالى :

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
 آية واحدة بلا خلاف .

أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنه سيقول لك فيما بعدُ السفهاء - وهو جمع سفيه ، وهو الجاهل والغبيّ نظائر :-

﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ معناه : أي شيء ولّاهم ، ومعنى ولّاهم : صرّفهم عنه ، ومثله : قلبه عنه وقتله^(١) ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ فالقِبْلَةُ : الجهة التي^(٢) تُستقبل في الصلاة . وقبلة المسلمين : الكعبة .

والسَّفِينَةُ : الخفيف إلى ما لا يجوز له أن يخفّ إليه ، وهي صفة ذمّ في الدين ، وضدّ السَّفَةِ : الحكمة .

واشتقاق «ولّاهم» من الولي ، وهو حصول الثاني بعد الأول من غير فصلٍ ، فالثاني يلي الأول ، والثالث يلي الثاني ، والرابع يلي الثالث ، ثم هكذا أبداً .

و«ولّى عنه» خلاف : «ولّى إليه» ، مثل قولك : عدّل عنه ، وعدّل إليه ، وانصرفت عنه وانصرف إليه ، فإذا كان الذي يليه متوجّهاً إليه فهو متولّ^(٣)

(١) في «خ» : قلبهم وقتلهم عن قبلتهم .

(٢) في «خ» و«هـ» زيادة : كانت .

(٣) نظر المصنّف هنا إلى المعنى ظاهراً ، أي ولّى بمعنى تولّى ، وإلا فالاشتقاق اللغوي من : ولّى إليه يقتضي أن يكون : مولّ إليه ، وكذلك في المورد الآتي مولّ عنه .

إليه ، وإذا كان مُتَوَجِّهًا إلى خلاف جهته فهو مُتَوَلٍّ عنه .

وَالْقِبْلَةُ - مثل الْجِلْسَةِ - للحال التي يقابل الشيء غيره عليها ، كما أن الْجِلْسَةَ لَلَّتِي يجلس عليها ، وكان يقال - فيما حكى - : هو لي قِبْلَةٌ وأنا له قِبْلَةٌ ، ثم صار عَلَمًا على الجهة التي تُستقبل في الصلاة^(١) .

واختلفوا في الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبله^(٢) بيت المقدس إلى الكعبة على ثلاثة أقوال :

١ - فقال ابن عباس والبراء بن عازب^(٣) : هُم اليهود^(٤) .

٢ - قال الحسن : هُم مشركو العرب ، وإنَّ رسول الله ﷺ لما حَوَّلَ من بيت المقدس إلى الكعبة ، قالوا : يا مُحَمَّد ، رغبت عن قبله آبائك ثم رجعت إليها أيضاً ، والله لترجعن إلى دينهم^(٥) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦١٧ ، ومفردات الراغب : ٦٥٤ « قبل » ، والتفسير البسيط ٣٦٨ : ٣ .

(٢) كلمة « قبله » ، لم ترد في « خ » و « هـ » .

(٣) البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا عمارة ، وقيل : يكنى أبا الطفيل ، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر مع جماعة ورَّده ، وافتتح الري - على قول - سنة أربع وعشرين صلحاً أو عنوةً ، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجميل وصفين والنهروان ، مات في الكوفة أيام مصعب بن الزبير . انظر ترجمته في : الاستيعاب ١ : ١٧٣/١٥٥ ، وأسد الغابة ١ : ٣٨٩/٢٠٥ ، والإصابة ١ : ٦١٥/١٤٧ .

(٤) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٢ : ٦١٦ - ٦١٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٢٣/٢٤٧ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٦ ، وعن ابن عباس الواحدي في التفسير الوسيط ١ : ٢٢٤ ، والتفسير البسيط ٣ : ٣٦٧ . وفي تفسير ابن عباس : ٢٠ : الجهال من اليهود ومشركي العرب .

(٥) رواه عنه ابن أبي زئنين في تفسيره ١ : ١٨٣ ، والواحدي في التفسير البسيط ٣ : ٣٦٧ ، ولكن في تفسير الحسن البصري ٢ : ٨٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٢٣/٢٤٧ عنه : هُم اليهود .

٣ - قال السُّدِّيُّ^(١) : إنَّهم المنافقون ، قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام^(٢) .

واختلفوا في سبب عيبتهم الصَّرْفَ عن القبلة على أقوال :

١ - فقال قوم : إنَّهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ^(٣) .

٢ - قال ابن عَبَّاسٍ : إنَّ قوماً من اليهود قالوا : يا مُحَمَّدُ ، ما وَلَّاكَ عن قبلتك التي كنت عليها ؟ ارجع إليها نَتَّبِعُكَ ونؤمن . وأرادوا بذلك فتنته^(٤) .

٣ - وقيل : قال ذلك مشركو العرب ليوهموهُ أنَّ الحقَّ فيما هم عليه^(٥) .

وإنَّما صرفهم الله عن القبلة الأولى لما علم الله تعالى من تغيُّر المصلحة في ذلك .

٤ - وقيل : إنَّما فعل ذلك لما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾^(٦) لأنَّهم كانوا بمكة ، أمروا أن يتوجَّهوا إلى بيت المقدس ؛ لتميَّزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجَّهون إلى الكعبة ، فلما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة كانت اليهود المجاورون للمدينة يتوجَّهون إلى بيت المقدس ، فنقلوا إلى الكعبة لتميَّزوا من هؤلاء كما أريد في الأوَّل أن يتميَّزوا من

(١) في «و» : الشعبي .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦١٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٢٧/٢٤٧ ، والواحد في التفسير البسيط ٣ : ٣٦٧ .

(٣) ذكره أيضاً الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٦ .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٢٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٢٧/٢٤٧ ، والماوردي في تفسيره ١ : ١٩٨ .

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٦ ، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١ : ١٨٣ .

(٦) سورة البقرة ١ : ١٤٣ .

أولئك ، واختار ذلك البلخي والجُبائي والرماني^(١).

وقوله تعالى : ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أمرٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت المقدس إلى الكعبة : المشرق والمغرب ملكٌ لله يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته . والمشرق والمطلعُ نظائر ، وكذلك المغرب والمغيبُ نظائر .

وفي الآية دلالة على جواز النسخ ؛ لأنه تعالى نقلهم عن عبادة كانوا عليها إلى إيقاعها على وجه آخر ، وهذا هو النسخ .

وقوله : ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فيه دلالة على أن مَنْ له المشرق والمغرب فله التدبير فيهما ، وفي ذلك إسقاطٌ قول مَنْ زعم أن الأرض المقدسة أولى بالتوجه إليها ؛ لأنها موطن الأنبياء وقد شرفها الله وعظمها ، فلا وجه للتولية عنها .

فردَّ الله تعالى عليهم بأن المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمانٍ على ما يعلمه من مصالح العباد .

وقال ابن عباس ، والبراء بن عازب : إنه كانت الصلاة إلى بيت المقدس إلى بعد مقدّم النبي ﷺ بسبعة عشر شهراً^(٢) .

وقال أنس بن مالك : إنما كان ذلك لتسعة أشهر أو عشرة أشهر^(٣) .

(١) ذكره الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٦ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٤٢ -

٤٤٣ ، والرازي في تفسيره ٤ : ١٠٧ ، ولم ينسب لأحدٍ في جميع هذه المصادر .

(٢) صحيح البخاري ١ : ٦٣/١٧٦ «باب التوجه نحو القبلة» ، صحيح مسلم ١ :

١٢/٣٧٤ ، «باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة» ، تفسير الطبري ٢ : ٦١٩ -

٦٢٠ ، تفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٢٨/٢٤٨ ، وفيه عن ابن عباس : بضعة

عشر شهراً ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٥ ، تفسير الماوردي ١ : ١٩٧ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٢١ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ :

وقال معاذ بن جبل ^(١) : كان لثلاثة عشر شهراً ^(٢) .

وقال قتادة : صَلَّتُ الْأَنْصَارَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ حَوْلِينَ قَبْلَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً ثُمَّ وَجَّهَهُ اللَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ^(٣) .

ولا خلاف أن التوجه إلى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضاً واجباً ، ثم اختلفوا .

فقال الربيع : كان ذلك على وجه التخيير ، خير الله نبيه بين أن يتوجه إلى بيت المقدس وبين غيرها .

وقال ابن عباس وأكثر المفسرين : كان ذلك فرضاً معيناً ^(٤) .

وهو الأقوى ؛ لقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ فبين أنه

ط ٤٧٥ ، وفيه : تسعة أشهر وعشرة أيام ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٥ ، والماوردي في تفسيره ١ : ١٩٧ .

(١) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وشهد بدرأً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وأخى الرسول بينه وبين ابن مسعود ، وعمره لما أسلم ثماني عشرة سنة ، روى عنه : عمر ، وابنه عبدالله ، وأبو قتادة وأبو مسلم الخولاني وغيرهم ، وتوفي في طاعون عَمَّوَس سنة ثمانى عشرة ، وعمره ثمانى وثلاثون سنة .
له ترجمة في : الاستيعاب ٣ : ٢٤١٦/١٤٠٢ ، وأسد الغابة ٤ : ٤٩٥٣/٤١٨ ، والإصابة ٦ : ٨٠٣٢/١٠٦ .

(٢) عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٢١ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٦ ، والماوردي في تفسيره ١ : ١٩٧ .

(٣) عنه في تفسير الطبري ٢ : ٦٢٢ ، وفيه : بثلاث حجج ، بدل : حولين ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٤ .

(٤) ذكر القولين الطبري في تفسيره ٢ : ٦٢٣ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٨٥ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٦ .

جعلها قبله ، وظاهر ذلك أنه مُعَيَّن ؛ لأنه لا دليل على التخيير ، على أنه لو ثبت أنه كان مخيراً لما خرج من أن يكون فرضاً ، كما أن الغرض أن يصلّي الصلاة في الوقت ثم هو مخير بين أوله ووسطه وآخره .

وقوله : والله ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ :

معناه : يهديهم إلى الدين المستقيم الذي يؤدّيهم إلى الجنة ، فلذلك سمّاه صراطاً كما يؤدّي الطريق إلى المقصد .

قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ رَافِقِينَ﴾
 آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿لَرُءُوفٌ﴾ على وزن لَرُءُوفٌ ، والباقون ﴿لَرُؤُفٌ﴾ على وزن فَعْلٌ^(١) .

أخبر الله تعالى أنه جعل أمة نبيه محمد ﷺ وسطاً ، أي سمّاها بذلك وحكم لها به ، والوسط : العدل .

وقيل : الخيار ، ومعناها واحد .

وقيل : إنه مأخوذ من المكان الذي تعتدل المسافة منه إلى أطرافه .

وقيل : بل أخذ الوسط من التوسط بين المقصر والمُعالي^(٢) ، فالحق

(١) كتاب السبعة في القراءات : ١٧١ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٢٩ .

(٢) في «و» : القصير والعالي .

معه^(١).

وقال مؤرّج : أي وسط بين الناس وبين أنبيائهم^(٢) ، وقال زهير :
 هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ^(٣) [٤٥٦]
 وروي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «أُمَّةٌ وَسَطًا» [قال : عدلاً]^(٤) .
 وهو قول مجاهد وقتادة والربيع وابن عباس وأكثر المفسرين^(٥) .
 وقال صاحب العين : الوَسَطُ من الناس وغيرهم ومن كل شيء^(٦) :

(١) انظر مادة «وسط» في العين ٧ : ٢٧٩ ، وتهذيب اللغة ١٣ : ٢٦ ، والصحاح ٣ : ١١٦٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢١٩ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٢٩ عن ابن زيد ، وقال : هُمْ وسط بين النبي ﷺ وبين الأمم . ونقله الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٤٥ عن مؤرّج .

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى : ٢٤ ، باختلاف ؛ حيث جاء فيه :
 لِحَيِّ جِلَالٍ يَغْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
 من قصيدة يمدح بها الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريّين ، ويذكر سعيهما
 بالصلح بين عبس وذبيان ، وتحملهما الحمالة ، ومطلعها :

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَنَلِّمُ ؟
 إِلَّا أَنَّهُ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ اللَّغْوِيَّةِ وَالتَّفَاسِيرِ كَمَا فِي الْمَتْنِ .

انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٢٦ ، تفسير الثعلبي ٤ : ١٧٦ ، وكذلك في البيان
 والتبيين للجاحظ ٣ : ٢٢٥ ، ولم ينسبه لأحد .

ولكن في الصحاح ٤ : ١٦٧٣ ، ولسان العرب ١١ : ١٦٥ «حلل» كما في الديوان .
 والمعظم : الأمر العظيم .

والشاهد فيه : استعمال الشاعر كلمة «وَسَطٌ» في وصف الممدوحين بمعنى
 العدول ، ويمكن : الأخيار ، ويمكن حملها على المعاني الأخرى المتقدمة .

(٤) رواه القاضي النعمان في دعائم الإسلام ١ : ٣٥ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٩ ،
 والترمذي في السنن ٥ : ٢٩٦١/٢٠٧ ، والحاكم النيسابوري في المستدرک ٢ : ٢٦٨ ،
 وما بين المعقوفين أضفناه من المصادر .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٠ ، تفسير الطبري ٢ : ٦٢٧ - ٦٢٩ ، أحكام القرآن
 للجصاص ١ : ٨٨ ، تفسير السمرقندي ١ : ١٦٤ ، التفسير البسيط ٣ : ٣٧١ و ٣٧٢ .

(٦) «ومن كل شيء» لم ترد في «خ» و«هـ» .

أعدله وأفضله^(١).

وقيل: الواسِطُ والوَسطُ بمعنى واحد، كما قيل: اليبَاسُ واليَبَسُ بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾^(٢)^(٣).

والوَسطُ - بتسكين السين -: الموضع، والوَسطُ - بالتحريك -: لما بين طرفي كل شيء.

ويُسَمَّى واسِطَ الرِجْلِ لَأَنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْقَادِمَةِ وَالْآخِرَةِ، وكذلك واسِطَةُ الْقِلَادَةِ.

وأصل الباب الوَسطُ: العدل، وقولهم: فلان من أوسطهم نسباً، أي تَكَلَّلَهُ الشرف من نواحيه^(٤).

واللام الأولى في قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لام كي، كأنه قال: كي تكونوا، وأصلها لام الإضافة.

واللام في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ لام تأكيد، وهي تلزم «إِنْ» المخففة من الثقيلة؛ لئلا تلتبس بـ«إِنْ» التي بمعنى ما، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَلْكُفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(٥)، وهي لام الابتداء أُخِّرَتْ إِلَى الْخَبَرِ فِي بَاب «إِنْ» خَاصَّةً.

وأما اللام الثالثة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ فلام

(١) العين ٧: ٢٧٩.

(٢) سورة طه ٢٠: ٧٧.

(٣) انظر مادة «وسط» و«يبس» في: العين ٧: ٢٧٩ و٣١٤، وتهذيب اللغة ١٣: ٢٦ - ٢٨ و١٠٣، ولسان العرب ٦: ٢٦١، و٧: ٤٢٦.

(٤) انظر مضافاً لما ذكرناه من المصادر: المحيط في اللغة ٨: ٣٥٢، والصحاح ٣: ١١٦٧.

(٥) سورة الملك ٦٧: ٢٠.

الْبَحْدُ، وأصلها لام الإضافة، والفعل نُصِبَ بإضمار «أَنْ» ولا تظهر بعدها «أَنْ»؛ لأنَّ التأويل: ما كان الله مُضَيِّعاً إِيْمَانَكُمْ، فَلَمَّا حُمِلَ معناه على التأويل حُمِلَ لفظه أيضاً على التأويل من غير تصريح بإظهار «أَنْ».

فإن قيل: بأي شيء يشهدون على الناس؟

قلنا: فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ليشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة، كما قال: ﴿وَجِئْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(١) وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢).

قال ابن زيد: الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء وأمة محمد ﷺ والجوارح، كما قال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

الثاني: يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين بأنهم بلغوا، وجاز ذلك لإعلام النبي ﷺ إياهم بذلك.

الثالث: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي حجة عليهم فيما تشهدون، كما أن النبي ﷺ شهيد، بمعنى حجة في كل ما أخبر به^(٥).

(١) سورة الزمر ٣٩ : ٦٩ .

(٢) سورة غافر ٤٠ : ٥١ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٢٤ .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٣٧، باختلاف في اللفظ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦ : ١٠٧٧٥/٢٠١٦، و١٠ : ١٨٤٣٩/٣٢٦٧ عن زيد بن أسلم .

(٥) ذكرت الأقوال بتمامها أو أكثرها في: تفسير الطبري ٢ : ٦٢٩ - ٦٣٧، تفسير الماوردي ١ : ١٩٩، تفسير السمرقندي ١ : ١٦٤، التفسير الوسيط ١ : ٢٢٥، تفسير الهواري ١ : ١٥٣ .

والنبيّ وحده كذلك ، فأما الأمة فجماعتها حُجّة دون كلّ واحدٍ منها .
واستدلّ البلخي و^(١)الجُبائي والرّماني وابن الأخشاد^(٢) وكثير من
الفقهاء وغيرهم بهذه الآية على أنّ الإجماع حُجّة من حيث إنّ الله وصفهم
بأنّهم عُدول ، فإذا عدّلهم الله تعالى لم يجر أن تكون شهادتهم مردودة^(٣) .
وقد بيّنا في أصول الفقه أنّه لا دلالة فيها على أنّ الإجماع حُجّة^(٤) .
وجملته : أنّ الله تعالى وصفهم بأنّهم عُدول ، وبأنّهم شهداء ، وذلك
يقتضي أن يكون كلّ واحدٍ عدلاً وشاهداً ؛ لأنّ شهداء جمع شهيد ، وقد
علمنا أنّ كلّ واحدٍ من هذه الأمة ليس بهذه الصفة ، فلم يجر أن يكون
المراد^(٥) ما قالوه .

على أنّ الأمة إن أريد بها جميع الأمة ، فقد بيّنا أنّ فيها كثيراً ممّن
يُحكّمُ بفسقه ، بل بكُفّره ، فلا يجوز حملها على الجميع .
وإنّ خصّوها بالمؤمنين العدول^(٦) ، جاز لنا أن نخصّها بجماعةٍ ، كلّ
واحدٍ منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم ، وهم الأئمة المعصومون من

(١) «البلخي و» ، لم ترد في «خ» و«ي» .

(٢) هو أحمد بن علي بن بَيْغُجور ، أبو بكر البغدادي ، ابن الأخشاد [الأخشاذ] ويقال
له : ابن الإخشيد ، المتكلم على مذهب المعتزلة ، صنف في ذلك مصنفاتٍ ، روى
فيها أحاديث عن أبي مسلم الكجّي وجعفر الفريابي وغيرهما ، وروى عنه جماعة .
مات ببغداد سنة ٣٢٦هـ عن ٥٦ سنة .

انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٤ : ٢٠٩٩/٣٠٩ ، لسان الميزان ١ : ٧٣١/٣٤٨ .
(٣) انظر بحث الإجماع والاستدلال عليه بهذه الآية في : أحكام القرآن للجصاص ١ :
٨٨ ، والفتاوى والمتفقه للخطيب البغدادي ١ : ١٦٠ ، وفي تفسير الرازي ٤ : ١١٠ :
احتجّ جمهور الأصحاب وجمهور المعتزلة بهذه الآية على أنّ إجماع الأمة حُجّة .

(٤) عدّة الأصول ٢ : ٦١٣ .

(٥) «أن يكون المراد» ، لم ترد في «خ» و«هـ» .

(٦) «العدول» ، لم ترد في «خ» و«هـ» .

آل الرسول ﷺ .

على أننا لو سلمنا ما قالوه - من كونهم عدولاً - ينبغي أن نجنبهم ما يقدح في عدالتهم ، وهي الكبائر ، فأما الصغائر التي تقع مكفرة فلا تقدح في العدالة ، فلا ينبغي أن نمنع منها .

ومتى جؤزنا عليهم الصغائر لم يمكننا أن نحتج بإجماعهم ؛ لأنه لا شيء أجمعوا عليه إلا ويجوز أن يكون صغيراً فلا يقدح في عدالتهم ، ولا يجب الاقتداء بهم فيه ؛ لكونه قبيحاً ، وفي ذلك بطلان الاحتجاج بإجماعهم . وكيف يُجَنَّبُونَ ^(١) الصغائر وحال شهادتهم ليس بأعظم من شهادة النبي ﷺ ، ومع هذا يُجَوِّزُونَ عليه الصغائر ، فهلاً جاز مثل ذلك عليهم ؟ ولا يُقدح في عدالتهم كما لم يقدح في عدالة النبي ﷺ .

وقوله : ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ :

قيل في معناه قولان :

أحدهما : عليكم شهوداً بما يكون من أعمالكم ، وقيل : يكون حجة عليكم .

والثاني : يكون لكم شهوداً بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به ، وجعلوا «على» بمعنى اللام ، كما قال : ﴿وَمَا ذُبَحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ ^(٢) أي للنصب ^(٣) .

والتشبيه في قوله : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وقع بما دلَّ عليه الكلام في الآية التي

(١) في «خ» و«ها» و«و» : يجتنبون .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٢٩ - ٦٣٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٣٦/٢٥٠ - ١٣٣٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٨ - ٨٩ ، وتفسير السمرقندي ١ : ١٦٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٧٩ ، والتفسير البسيط ٣ : ٣٧٦ .

قبلها ، وهي قوله : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

فتقديره : أنعمنا عليكم بالعدالة كما أنعمنا عليكم بالهداية .

والعامل في الكاف : «جعلنا» ، كأنه قيل : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فقد أنعمنا عليكم بذلك وجعلناكم أمةً وَسَطًا فأنعمنا كذلك الإنعام ، إِلَّا أَنْ «جعلنا» يدلّ على «أنعمنا» في هذا الكلام ، فلم نحتج إلى حذفه معه .

قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ (أي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها) ^(١) ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ^(٢) ، وحذف لدلالة الكلام عليه .
وقوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ :

قيل في معناه ثلاثة أقوال :

الأول : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي لِنَعْلَمَ حزننا من النبي والمؤمنين ، كما يقول الملك : فَعَلْنَا وفتحنا ، بمعنى فَعَلْ أولياؤنا ، ومن ذلك قيل : فتح عمرُ السواد وجبى الخراج وإن لم يتول ذلك بنفسه .

الثاني : إلّا ليحصل المعلوم موجوداً ، (ف قيل على هذا : إلّا لنعلم ؛ لأنه قبل وجود المعلوم لا يصح وصفه بأنه عالم بوجوده) ^(٣) .

والثالث : إلّا لنعاملكم معاملة الْمُخْتَبَرِ الْمُتَّحِنِ الذي كأنه لا يعلم ؛ إذ العدل يوجب ذلك ، من حيث لو عاملهم بما يعلم أنه يكون منهم كان ظلماً لهم ، ونظير ذلك قول القائل لمن أنكر أن تكون النار تُحرق الحطب : فلتُحْضَرِ النار والحطب ؛ لنعلم أُنحرقه أم لا ، على جهة الإنصاف في

(١) في «خ» و«و» بدل ما بين القوسين : «وصرفناك عنها» .

(٢) في «هـ» و«ي» زيادة : أو ما جعلنا القبلة التي كنت عليها وصرفناك عنها إلّا لنعلم .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «خ» و«هـ» .

الخطاب ، لا على جهة الشك في الإحراق ، وهذا الوجه اختاره ابن الأخشاد والرماني^(١).

وكان علي بن الحسين المرتضى الموسوي - نصر الله وجهه - يقول في مثل ذلك وجهاً مليحاً ، وهو أن قال : قوله : ﴿لِنَعْلَمَ﴾ يقتضي حقيقة أن يَعلَم هو وغيره ، ولا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الاتباع ، فأما قبل حصوله فإثماً يكون هو تعالى العالم وحده ، فصَحَّ حينئذٍ ظاهر الآية ، وهذا وجه رابع^(٢).

وفيه قول خامس : وهو أن يعلموا أننا نعلم ؛ لأنه كان منهم مَنْ يعتقد أن الله لا يعلم الشيء حتى يكون ، على أن قوله : ﴿لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ لا يدل على حدوث العلم ؛ لأنه كان قبل ذلك عالماً بأن الاتباع سيوجد أو لا يوجد ، فإن وُجدَ كان عالماً بوجوده وإن لم يتجدد له صفة ، وإثماً يتجدد المعلوم ؛ لأن العلم بأن الشيء سيوجد علم بوجوده إذا وُجد ، وإثماً يتغير عليه الاسم ، ويجري ذلك مجرى تغير الاسم على زمان بعينه بأن يوصف بأنه غد قبل حصوله ، فإذا حصل قيل : إنه اليوم ، فإذا تقضى^(٣) وصف بأنه أمس ، فتغير عليه الاسم ، والمعلوم لم يتغير^(٤).

وقوله تعالى : ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِيَّتِهِ﴾ :

قيل في معناه قولان :

(١) ذكرت هذه الأقوال وغيرها في : تفسير الطبري ٢ : ٦٤١ - ٦٤٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٤٢/٢٥١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٠٠ ، وتفسير الشعلي ٤ : ١٧٩ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٨٢ .

(٢) نقله عنه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٤٨ .

(٣) في «خ» و«هـ» : مضى ، وفي «و» : انقضى .

(٤) انظر مصادر الأقوال الثلاثة الأولى .

أحدهما : أَنَّ قوماً ارتدّوا عن الإسلام لما حُولت القبلة ، جهلاً منهم بما فيها من وجوه الحكمة .

والآخر : أَنَّ المراد به كُلُّ مُقيم على كفره ؛ لأنَّ جهة الاستقامة إقبالٌ وخلافها إدبارٌ ، ولذلك وَصَفَ الكافرَ بأنَّه ﴿أَذْبَرُ وَأَسْتَكْبِرُ﴾^(١) (وقال : ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٢)) أي عن الحق^(٣) .

والعَقَبُ : مُؤَخَّرُ القدم ، قال ثعلب : ﴿وَتُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾^(٤) أي تُعَقَّبُ بالشرِّ بعد الخير^(٥) . وكذلك رجع على عَقِبَيْهِ .

وسُمِّيت العُقُوبَةُ عُقُوبَةً ؛ لأنها تتلو الذنب .
والعُقْبَةُ : كَرَّةٌ بعد كَرَّةٍ في الركوب والمشى . والمعْقَبَاتُ : ملائكة الليل تُعاقِبُ ملائكة النهار .

وعَقِبَ الإنسانُ : نَسَلَهُ .

والعِقَابُ معروف .

والعَقَبُ : أَصْلَبُ من العَصَبِ وأَمَنُ ، تُعَقَّبُ به الرماح .

والتَّعْقِيبُ : الرَّجُوعُ إلى أمرٍ تريده ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾^(٦) ، ومنه يقال : عَقَبَ الليلُ النهارَ يَعْقُبُهُ ، وأَعَقَبَ الرأيَ خيراً ،

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٢٣ .

(٢) سورة الليل ٩٢ : ١٥ و ١٦ .

(٣) في «خ» و«هـ» بدل ما بين القوسين : وتَوَلَّى في قوله : ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٤٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٤١/٢٥٠ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٥٩ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٧٩ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٠٠ ، والتفسير البسيط ٣ : ٣٨٠ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٧١ .

(٦) حكاه عنه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٤٥ .

(٧) سورة النحل ٢٧ : ١٠ ، وسورة القصص ٢٨ : ٣١ .

وَأَعْقَبَ عِزُّهُ ذُلًّا أَي أُبْدِلَ بِهِ .

وَالْعَقَبَةُ : طريق في الجبل وَعَزَّ .

وَالْعُقَابُ : الرّاية تشبيهاً بِالْعُقَاب الطائر .

وَالْيَعْقُوبُ : ذَكَرَ الْقَبْجِ ، تُشَبَّه بِهِ الْخَيْلُ فِي السَّيْرِ .

وقوله : ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ ^(١) أَي لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ .

وَالْمُعَقِّبُ : الَّذِي يَتَّبِعُ الْإِنْسَانَ فِي طَلَبِ حَقٍّ .

وَأَصْلُ الْبَابِ : التَّلَوُّ ^(٢) .

وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ يَحْتَمِلُ رَجُوعَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ

أَشْيَاء :

القبلة ، عَلَى قَوْلِ أَبِي الْعَالِيَةِ ^(٣) . وَالتَّحْوِيلَةُ ، عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ ، وَهُوَ الْأَقْوَى ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ ثَقُلَ عَلَيْهِمُ التَّحْوِيلُ ، لَا نَفْسَ الْقِبْلَةِ . وَالصَّلَاةُ ، عَلَى قَوْلِ أَبِي زَيْدٍ ^(٤) .

وقوله : ﴿لَكَبِيرَةً﴾ قَالَ الْحَسَنُ : مَعْنَاهُ : ثَقِيلَةٌ ، يَعْنِي التَّحْوِيلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَكُنْ قِبْلَةً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْكَعْبَةِ ^(٥) .

(١) سورة الرعد ١٣ : ٤١ .

(٢) انظر اشتقاقات الكلمة في : العين ١ : ١٧٨ ، وتهذيب اللغة ١ : ٢٧٤ ، والمحيط في اللغة ١ : ١٩٧ ، ولسان العرب ١ : ٦١١ ، وغيرها .

(٣) في الحجرية : ابن عامر .

(٤) انظر : الأقوال الثلاثة في : تفسير الطبري ٢ : ٦٤٧ - ٦٤٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٤٤ ، ١٣٤٣/٢٥١ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٨١ ، وتفسير الماوردي ١ : ١٤٤ .

(٥) قال به الواحدي النيسابوري في الوسيط ١ : ٢٢٦ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ١٨١ ، ولم ينسبها للحسن .

وفي تفسير الحسن البصري ٢ : ٩٠ : قال الحجاج للحسن : أخبرني برأيك في

وقيل : معناه : عظمة على مَنْ لم يعرف ما فيها من وجوه الحكمة .
فأما الذين هداهم الله لذلك فلا يعظم عليهم .

فعلى قول الحسن يكون قوله : **إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ آيَةَ (١) ؛** لأنَّ المعرفة بما فيها من المصلحة تسهّل المشقّة ، فتصير بمنزلة ما لا يعتدّ بها ، ولذلك حسن الاستثناء بما يخرجهم منها .

وقوله : **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾** في معناه أقوال :

أولها : قال ابن عباس وقناة والربيع : **لَمَّا حَوَّلَتِ الْقِبْلَةَ قَالَ نَاسٌ :**
كَيْفَ بِأَعْمَالِنَا الَّتِي كُنَّا نَعْمَلُ فِي قِبْلَتِنَا الْأُولَى .

وقيل : قالوا : كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك ، فأُنزل الله تعالى **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (٢) .**

الثاني : معناه ، قال الحسن : **إِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي التَّحْوِيلَةِ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَا لَهُمْ عِنْدَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَثُوبَةِ وَأَنَّهُ لَا يُضِيعُ مَا عَمَلُوهُ مِنَ الْكُلْفَةِ فِيهِ ؛** لأنَّ التذكير به يبعث على ملازمة الحقّ والرضا به (٣) .

الثالث : قال البلخي : **إِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ إِعْطَاءَهُ عَلَيْهِمْ بِالتَّوَلِيَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ذَكَرَ**

﴿أَبَى تَرَابٌ ، قَالَ الْحَسَنُ : سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : **﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾** فعلى مَنْ هدى الله .

(١) كذا العبارة في نسخنا ، ولا يخفى ما فيها من الإبهام في عدم ذكر خبر الفعل «يكون» والمناسب - بقرينة ما يأتي - أن يكون الخبر : استثناء الذين هداهم الله فلا ينقل عليهم تحويل الكعبة .

(٢) رواها عنهم الطبري في تفسيره ٢ : ٦٥١ - ٦٥٢ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٨٦ ، والواحدي في أسباب النزول : ٧٣/٤٦ .

(٣) انظر : تفسير الحسن البصري ٢ : ٩٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٤٩/٢٥٢ ، عنه باختلاف .

سبب ذلك الذي استحقّوه به ، وهو إيمانهم بما عملوه ^(١) أولاً ، فقال : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ الذي استحققتكم به تبليغ محبتكم في التوجّه إلى الكعبة ^(٢) .

والإضاعة : مصدر أضعَ يُضِيعُ ، وضاع الشيءُ يَضِيعُ ضَيَاعاً ^(٣) ، وضِيعُهُ تَضِيعاً .

قال صاحب العين : ضِيعَةُ الرَّجُلِ : حِرْفَتُهُ ، يقال : ما ضِيعَتَكَ ؟ أي ما حِرْفَتَكَ ؟ هذا في الضياع ، وضاع عيالٌ فلانٍ ضِيعَةً وضِيعاً ، وتركهم بِضِيعَةٍ ومُضِيعَةٍ ^(٤) .

والضِيعَةُ والضِيعُ معروف .

وأصل الباب : الضِيعُ : الهَلَاكُ ^(٥) .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ :

إن قيل : ما الذي اقتضى ذكر هذه الصفة .

قلنا : الرؤوف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عملٌ عاملٍ منهم ، فدلّ بالرفقة والرحمة على التوفير عليهم فيما استحقّوه دون التضييع لشيءٍ منه .

وإنما قُدِّمت الرفقة على الرحمة ؛ لأنّ الرفقة أشدّ مبالغةً من الرحمة ،

(١) في «خ» و«هـ» و«ي» : حملوه .

(٢) حكاه عنه الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٢٧ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٤٩ .

(٣) في الحجرية : ضياعة .

(٤) العين ٢ : ١٩٤ - ١٩٥ ، وفيه : وتركهم بِمُضِيعَةٍ وبِمُضِيعَةٍ . وكذلك في تهذيب اللغة ٣ : ٧١ ، وما في المحيط في اللغة ٢ : ١٠٥ كما في المتن .

(٥) انظر مضافاً لما ذُكر : لسان العرب ٨ : ٢٣٠ «ضيع» .

ليجري على طريقة التقديم بما هو أعرف مجرى أسماء الأعلام ثم اتباعه بما هو أدون منه ؛ ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغ منه لو انفرد كل واحد عن الآخر، كما هو في الرحمن الرحيم .

وَرَوْوَفٌ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَعَلَى وَزْنِ فَعُلٍ لُغَةُ غَيْرِهِمْ ^(١) ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ ^(٢) :

نُطِيعُ نَيْيْنَا لِنُطِيعَ رُبًّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَوْوُفًا ^(٣) [٤٥٧]
وقال جرير :

يَرَى لِمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ حَقًّا كَفَعَلَ الْوَالِدِ الرَّؤْفَ الرَّحِيمَ ^(٤) . [٤٥٨]

(١) انظر : معاني القرآن للكسائي : ٨١ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٥٩ و ٢٧٠ ، الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٢٩ .

(٢) كعب بن مالك الأنصاري ، يكنى أبا عبدالله ، أمه ليلى بنت زيد ، أخى النبي ﷺ بينه وبين طلحة بن عبيدالله ، وكان أحد شعراء رسول الله ﷺ ، شهد العقبة ، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ إلا في بدر وتبوك ، توفي سنة خمسين . انظر ترجمته في : الاستيعاب ٣ : ٢٢٣ / ٢٢٠٥ ، وأسد الغابة ٤ : ٤٤٧٨ / ١٨٧ ، والإصابة ٥ : ٧٤٢٧ / ٣٠٨ .

(٣) البيت لكعب بن مالك الأنصاري ، واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٢٧٠ ، وأبو علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٣٠ ، باختلاف يسير فيه ، والجوهري في الصحاح ٤ : ١٣٦٢ ، وابن منظور في لسان العرب ٩ : ١١٢ «رأف» ، وفي جميع المصادر : ونطيع ، بدل : لنطيع .

والشاهد فيه : استعمل الشاعر كلمة «رؤوف» على وزن فَعُول .
(٤) ديوانه : ٤١٢ ، واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٢٧١ ، والجوهري في الصحاح ٤ : ١٣٦٢ ، وابن منظور في لسان العرب ٩ : ١١٢ «رأف» وفي الديوان ومجاز القرآن : ترى ، بدل : يرى .

والبيت من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك ، مطلعها :
أَلَمْتُ وَمَا رَفَعْتُ بَأْسَ تَلُومِي وَقُلْتُ مَقَالَةَ الْخَطِيلِ الظُّلُومِ
والشاهد فيه : استعمل الشاعر كلمة «رؤف» على وزن «فَعُل» .

وَالرَّأْفَةُ: الرَّحْمَةُ، تقول: رَأَفَ يَرَأُفُ رَأْفَةً.

واستدلَّ مَنْ قال: إِنَّ أفعال الجوارح من^(١) الإيمان بهذه الآية، فقالوا: سمَّى الله الصلاة إيماناً، على تأويل ابن عباس والبراء وقتادة والسُّدي والربيع وداؤد بن أبي عاصم^(٢) وابن زيد وسعيد بن المسيَّب^(٣) وعمر بن عبيد وواصل وجميع المعتزلة.

وَمَنْ خالفهم من الْمُزَجَّة لا يُسَلِّم هذا التأويل، ويقول: الإيمان على ظاهره، وهو التصديق، ولا يُترك ذلك لقول^(٤) مَنْ ليس قوله حُجَّة؛ لأنَّهم ليسوا جميع المفسِّرين، بل بعضهم، ولا يكون ذلك حُجَّة^(٥).

واستدلَّ الجُبَّائي بهذه الآية على أنَّ الشاهد هو الحاضر دون مَنْ مات، بأن قال: لو كان الرسول شاهداً على مَنْ مضى قبله ومَنْ يأتي بعده ومَنْ هو حاضر معه، لم يكن لقوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ معنى، ويؤكد ذلك قوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾^{(٦)(٧)}.

وقال غيره: قد يجوز أن يشهد العالم بما علم وإن لم يحضره، وهو

(١) في «خ» و«هـ» و«و»: هي، بدل: من.

(٢) داؤد بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، روى عن: ابن عمر وعثمان بن أبي العاص وغيرهما، وروى عنه: ابن جريج وقتادة وغيرهما، وقال ابن سعد: ثقة قليل الحديث.

له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٥: ٤٨٨، وتهذيب التهذيب ٣: ٣٦١/١٦٤.

(٣) في الحجرية: المنذر، بدل: المسيَّب.

(٤) في الحجرية: ولا ينزل ذلك بقول.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦٥٠ - ٦٥٣، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٨٧، مقالات الإسلاميين: ٢٦٦، تفسير السمرقندي ١: ١٦٥، أحكام القرآن لابن العربي ١: ٤١، وتفسير الرازي ٥: ١٢١.

(٦) سورة المائدة ٥: ١١٧.

(٧) حكاه عنه الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١: ٦٢٧.

الأقوى^(١).

وهذه الآية فيها دلالة على جواز النسخ في الشريعة ، بل على وقوعه ؛ لأنه قال : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ فأخبر أن الجاعل لتلك القبلة كان هو تعالى ، وأنه هو الذي نقله عنها ، وذلك هو النسخ .

فإن قيل : كيف أضاف الإيمان إلى الأحياء وهم كانوا قالوا : كيف بمن مضى من إخواننا ؟

قلنا : يجوز ذلك على التغليب ؛ لأن من عادتهم أن يُغلبوا المخاطب على الغائب كما يُغلبون المذكر على المؤنث ؛ (تنبيهاً على الأكمل)^(٢) ، فيقولون : فعلنا بكما وبلغناكما ، وإن كان أحدهما حاضراً والآخر غائباً .

فإن قيل : كيف جاز على أصحاب النبي ﷺ الشك فيمن مضى من إخوانهم ، فلم يدروا أنهم كانوا على حق في صلاتهم إلى بيت المقدس ؟ قيل : الوجه في الخبر المروي في ذلك - كيف إخواننا لو أدركو الفضل بالتوجه إلى الكعبة معنا^(٣) - أنهم^(٤) أحبوا لهم ما أحبوا لأنفسهم .

أو يكون قال ذلك منافق ، فخطب الله المؤمنين بما فيه الرد على

(١) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٤٤ .

(٢) في «خ» و«ه» و«ي» : ولأَنَّهُ عَلَى الْأَخْمَلِ ، وفي «و» : ولذا نَبِهَ عَلَى الْأَكْمَلِ ، وما أثبتناه من الحجرية .

(٣) هذا المعنى مأخوذ من لسان بعض الروايات المتضمنة لاستفسار صحابة النبي ﷺ عن صلاة إخوانهم الذين ماتوا قبل تحويل القبلة ، نحو : كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك ... ، أو : ليت شِعْرُنَا عَنْ إِخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَصَلُّونَ قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٥١ و٦٥٢ ، ومسند أحمد ١ : ٣٤٧ ، وصحيح ابن

حبَّان ٤ : ١٧١٧/٦٢١ .

(٤) ما أثبتناه من «و» ، وفي بقية النسخ : لأنهم .

المخالفين المنافقين^(١) .

قوله تعالى :

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح^(٢) ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء ، والباقون بالياء^(٣) .

وقال قوم : إن هذه الآية نزلت قبل التي تقدمتها ، وهي قوله : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾^(٤) .

إن قيل : لِمَ قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ وَجْهه في السماء ؟
قلنا : عنه جوابان :

(١) كلمة «المنافقين» لم ترد في «خ» و«هـ» .

(٢) روح مردّد بين اثنين : ابن عبدالمؤمن ، وابن قرّة البصري ، وبعض حَكَم بالاثحاد والوحدة ، وعلى أيّ ، روح بن عبدالمؤمن الهذلي البصري النحوي ، مقرئ جليل متقن مجود ، حدّث عن أبي عوانة وحمّاد بن زيد وجعفر بن سليمان الضبيعي .
قرأ عليه : أحمد الحلواني وابن حمدان ومحمّد بن وهيب الثقفي وغيرهم ، وثقه جمع ، منهم ابن حبان ، توفي عام ٢٣٣هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات القراء ١ : ٢٥٣ ت ١٤٦ ، ومعرفة القراء الكبار ١ : ١٢٦ ت ٣١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٨٥ ت ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، والموسوعة الميسرة ١ : ٩١٠ ت ١٢٥٨ ، وغيرها .

(٣) انظر : الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٦٧ ، والتذكرة في القراءات ٢ : ٤٣/٣٢٥ .

(٤) ممّن قال بتقدمها : الماوردي في تفسيره ١ : ٢٠٢ ، ونسب القرطبي هذا القول في تفسيره ٢ : ٤٤١ إلى العلماء .

أحدهما : أنه كان وُعد بالتحويل عن بيت المقدس ، وكان يفعل ذلك انتظاراً وتوقعاً لما وُعد به .

والثاني : أنه كان يحبّه محبةً طيّاع ، ولم يكن يدعو به حتى أذن له ^(١) فيه ؛ لأنّ الأنبياء لا يدعون إلّا بما أذن لهم فيه ، لئلا تكون المصلحة في خلاف ما سألوه ، فيكون في ردّهم تنفّر عن قبول قولهم . وهذا الجواب يروى عن ابن عباس وقتادة ^(٢) .

وقيل في سبب محبّته للتوجّه إلى الكعبة ثلاثة أقوال :

أولها : قال مجاهد وابن زيد : أراد مخالفة اليهود والتميّز منهم ^(٣) .

والثاني : قال ابن عباس : إنّه أحبّ ذلك ؛ لأنّها كانت قبلة إبراهيم ^(٤) .

الثالث : حكاه الزجاج أنّه أحبّ ذلك استدعاءً للعرب إلى الإيمان ^(٥) .

وقوله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ ﴾ فالرؤية هي إدراك الشيء من الوجه الذي يتبيّن

بالبصر .

وقوله : ﴿ تَقْلَبَ وَجْهَكَ ﴾ ، التَّقْلُبُ والتَّحَوُّلُ ^(٦) والتَّصَرُّفُ نظائر ، وهو

التَّحَرُّكُ في الجِهَاتِ .

وقوله : ﴿ تَرَضُّلَهَا ﴾ أي تُحِبُّهَا . والرِّضَا - ضِدُّ السَّخَطِ - وهو إرادة

(١) في الحجرية : أدركه ، بدل : أذن له . وهو مصحّف عما أثبتناه من النُّسخ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٥٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٥٥/٢٥٣ ، وأحكام

القرآن للجصاص ١ : ٩٠ ، وتفسير السمرقندي ١ : ١٦٥ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٨٦ .

(٣) عنهما في تفسير الطبري ٢ : ٦٥٧ - ٦٥٨ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٦١ ، وتفسير

الثعلبي ٤ : ١٨٦ .

(٤) عنه في تفسير الطبري ٢ : ٦٥٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٥٥/٢٥٣ ، وتفسير

الطبراني ١ : ٢٦١ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٨٦ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٢ .

(٦) في «خ» و«هـ» : والتحرّك .

الثواب ، والسَّخَطُ : إرادة الانتقام ^(١) .

وقوله : ﴿ شَطَرَ الْمَسْجِدِ ﴾ أي نحوه وتلقاه ، بلا خلاف بين أهل اللغة ^(٢) ، وعليه المفسرون كابن عباس ومجاهد وأبي العالية وقتادة والربيع وابن زيد وغيرهم ^(٣) ، قال الشاعر :

وَقَدْ أَظْلَكُكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ تَغْشَاكُمْ قَطْعًا ^(٤) [٤٥٩]

أي من نحو ثغركم ، وأنشد أبو عبيدة ^(٥) الهذلي :

(١) في «خ» و«هـ» : العقاب .

(٢) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٦٠ ، ومعاني القرآن للرجاز ١ : ٢٢٢ ، وتهذيب اللغة ١١ : ٣٠٨ ، والصحاح ٢ : ٦٩٧ .

(٣) رواها عنهم الطبري في تفسيره ٢ : ٦٦٠ - ٦٦١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٦١/٢٥٤ ، والطبراني في تفسيره ١ : ٢٦٢ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٩١ .

(٤) البيت للقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي ، ديوانه : ٤٣ ، وهو شاعر جاهلي من أهل الحيرة ، وهذا البيت من قصيدة بعث بها إلى قومه إياد يحذرهم كسرى ، ثم وصلت القصيدة إلى كسرى فقتله بعد أن قطع لسانه ، ومطلعها :

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُحْتَلَّهَا الْجَرَعَا هَاجَتْ لِي الْهَمُّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَعَا
وبيت الشاهد استشهد به الشافعي في أحكام القرآن : ٦٩ ، وابن فارس في مقاييس اللغة ٣ : ١٨٨ «شطر» ، وروى القصيدة المرزوقي في أماليه : ٢٤٦ ، وصدر الدين في الحماسة البصرية ١ : ٩٠ .

وذكر الإصفهاني في كتاب الأغاني ٢٢ : ٣٥٥ ترجمة الشاعر وثمانية عشر بيتاً من قصيدته ، ولم يذكر بيت المتن .

ومعناه : أظلكم : واقع بكم ، وشطر : نحو ، والثغر : الجانب المخوف ، وقُطِعَ : قطعة بعد قطعة ، أي : شيء بعد شيء .

والشاهد فيه : استعمل الشاعر «شطر» بمعنى «نحو» .

(٥) في «و» والحجريّة : ابن عبيدة .

(٦) كذا ، والظاهر : للهذلي كما في مجاز القرآن .

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطَرُهَا نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٌ^(١) [٤٦٠]

وقال ابن أحرر:

تَعْدُو بِنَا شَطَرَ جَمْعٍ وَهِيَ عَاقِدَةٌ قَدْ كَارَبَ الْعَقْدُمِينَ إِيْفَادِهَا^(٢) الْحَقَبَا^(٣) [٤٦١]

وقال الجُبَّائي: أراد بالشطر النصف، كأنه قال: فولَّ وجهك نصف المسجد؛ لأنَّ شطر الشيء: نصفه، فأمره أن يولِّي وجهه نحو نصف

(١) الشاعر هو قيس بن خويلد الهذلي، وهو قيس بن عِيزَارة، استشهد بهذا البيت أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٦٠ و ٣٧٥، ٢: ٢٦٢، وشرحه السكري في شرح أشعار الهذليين ٢: ٦٠٧، وفيه:

إِنَّ النُّعُوسَ بِهَا دَاءٌ يَخَامِرُهَا فَنَحَوُهَا بَصَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْزُورٌ
واستشهد به أيضاً الزَّجَّاج في معاني القرآن ١: ٢٢٢، والجوهري في الصحاح ٢: ٦٣٠ «حسر»، وفيه: الحسير، بدل: العسير.

والعسير: الناقة التي لم تُركب - كما في مجاز القرآن، وذكر لها معانٍ كثيرة في اللسان ٤: ٥٦٦ «عسر» - وهي ناقته وقد أصابها مرض فجعل نظره محسوراً نحوها.

والشاهد فيه: استعمل الشاعر شطرها بمعنى نحوها.

(٢) اختلفت النُّسخ والمصادر في هذه الكلمة بين: إبعادها وإيقادها وإيفادها، وما أثبتناه من المصادر - غير مجاز القرآن - لأنَّه المناسب لسياق الكلام.

(٣) البيت لعمر بن أحمَر الباهلي، استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٦٠، وابن هشام في السيرة النبوية ٢: ١٩٩، والسهيلي في شرح السيرة النبوية ٤: ٤٢٣، وشرحه البغدادي في خزانة الأدب ٦: ٢٥٥، الشاهد الستون بعد الأربعمائة، وقال في شرحه:

وتعدو، أي الناقة، من العدو، وهو ما يقارب الهرولة، وهو دون الجري. وبنا أي بي وبغلامي، والشطر هنا: الجهة. وجمع: اسم المزدلفة. وسميت به إمَّا لأنَّ الناس يجتمعون بها، وإمَّا لأنَّ آدم اجتمع هناك بحوَّاء. والعاقدة: الناقة التي قد أقرت باللقاح؛ لأنَّها تعقد بذنِّها فيعلم أنَّها حملت. والإيفاد: الإسراع، مصدر أوفدَ - بالفاء - أي أسرع. والحقَب - بفتح المهملة والقاف -: حبل يُشدُّ به الرحل إلى بطن البعير ممَّا يلي ثِيْلَه، أي ذكره، كي لا يجتذبه التصدير.

المسجد حتى يكون مقابل الكعبة^(١).

وهذا فاسد؛ لأنه خلاف أقوال المفسرين، ولأن اللفظ إذا كان مشتركاً بين النصف وبين النحو ينبغي ألاَّ يُحمل على أحدهما إلاَّ بدليل، وعلى ما قلناه إجماع المفسرين.

قال الزجاج: يقال: هؤلاء القوم مشاطرونا، أي دُورهم تتصل بدُورنا، كما يقال: هؤلاء يناحوننا، أي نحن نحوهم وهم نحونا^(٢).

وقال صاحب العين: شَطَرُ كُلِّ شَيْءٍ: نِصْفُهُ، وشَطَرُهُ: قَصْدُهُ ونحوه (ومنه المثل: اخْلُبْ حَلَبًا لَكَ شَطَرُهُ^(٣)، أي نصفه)^(٤) وشَطَرْتُ الشَّيْءَ: جعلته نصفين، وقد شَطَرْتُ الشاةَ شِطَاراً: وهو أن يكون أحد طَبَئِهَا^(٥) أكبر من الآخر وإن حُلِبَا جميعاً. ومَنْزِل شَطِير أي بعيد^(٦)، (وشَطَرَ فلان على أهله: أي تَرَكَهم مُرَاعِماً أو مخالفاً. ورجل شاطر)^(٧)، وقد شَطَرَ شُطُورَهُ^(٨)،

(١) رواه عنه الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١: ٦٣١، والطبرسي في مجمع البيان ١: ٤٥٢، والرازي في تفسيره ٤: ١٢٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١: ٢٢٢.

(٣) ذكره العسكري في جمهرة الأمثال ١: ٥٦/٧٤، والميداني في مجمع الأمثال ١: ١٠٢٩/٣٤٧، ويضرب مثلاً للرجل يعين صاحبه على أمرٍ له فيه نصيب. والشاهد فيه: أنَّ الشطر هنا بمعنى النصف.

(٤) ما بين القوسين لم يرد في المصدر.

(٥) الطَّبْئِيُّ للحافر وللسباع كالضرع لغيرها. وفي المثل: جاوز الحزام الطبيين، وقد يكون أيضاً لذوات الخُفِّ. والطَّبْئِيُّ بالكسر مثله، والجمع: أطباء. الصحاح ٦: ٢٤١١ «طبي».

(٦) في المصدر زيادة: بلا فعل، ولو استعمل لقليل: شَطَرَ شِطَاراً، وكان قياساً.

(٧) ما بين القوسين لم يرد في «و».

(٨) شطورة، لم يرد في المصدر، وجاء بدله: شِيطَاراً.

وَشَطُوراً وَشَطَارَةً ، وهو أَعْبَى أَهْلِهِ خُبْتاً^(١) .

وأصل الباب الشَّطْر : النِّصْف^(٢) .

وقال السُّدِّي : المعنى بقوله : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا أَلْكِتَبَ﴾ هُم اليهود^(٣) .

وقال غيره : هُم أَجْبَار اليهود وعلماء النصارى^(٤) ، غير أَنَّهُم جماعة قليلة يجوز على مثلهم إظهار خلاف ما يبطنون ؛ لأنَّ الجمع الكثير لا يتأتَّى مثل ذلك منه^(٥) لما يرجع إلى العادة ، وَأَنَّهُا لم تجرِ بذلك مع اختلاف الدواعي ، وَإِنَّمَا يجوز العِنَاد على النَّقَر القليل ، وقد مضى فيما تقدَّم نظير ذلك .

وإنَّه على ما نذهب إليه في الموافاة لا يمكن أن يكونوا عارفين بذلك إلاَّ أن يكون نظرهم لا لوجه وجوب المعرفة ، فإذا حصلت المعرفة عند ذلك فلا يستحقُّون عليه الثواب ؛ لأنَّ الذي نمنع^(٦) منه أن يكونوا مستحقِّين للثواب الدائم ويكفرون فيستحقُّون العقاب الدائم ، والإحباط باطل فيؤدِّي ذلك إلى اجتماع الاستحقاقين الدائمين ، وذلك خلاف الإجماع .

وهذه الآية ناسخة لفرض التوجَّه إلى بيت المقدس قبل ذلك ، وروي

(١) العين ٦ : ٢٣٣ «شطر» .

(٢) انظر أيضاً مادة «شطر» في : المحيط في اللغة ٧ : ٢٩٠ ، تهذيب اللغة ١١ : ٣٠٧ ، معجم مقاييس اللغة ٣ : ١٨٦ ، لسان العرب ٤ : ٤٠٦ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٦٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٦٥/٢٥٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٦٥ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٩٨ .

(٥) اختلفت النسخ الخطيَّة هنا بين : فيه ، وفيها ، وما أثبتناه من الطبعة الحجرية هو المناسب للسياق .

(٦) في الحجرية : النبي يمنع ، بدل : الذي نمنع .

عن ابن عباس أنه قال : أول ما نُسخ من القرآن - فيما ذكر لنا - شأن القيلة .
وقال قتادة : نسخت هذه الآية ما قبلها .

وقال جعفر بن مبشر^(١) : هذا مما نُسخ من السُّنة بالقرآن^(٢) . وهذا هو
الأقوى ؛ لأنه ليس في القرآن مما يدل على تعبدّه بالتوجّه إلى بيت
المقدس .

ومن قال : إنها نسخت قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَسَمَّ وَجْهُ
اللَّهِ﴾^(٣) (٤) .

قلنا له : هذه ليست منسوخة ، بل هي مختصة بالنوافل في حال
السفر .

فأما مَنْ قال : يجب على الناس أن يتوجّهوا إلى الميزاب الذي على
الكعبة ويقصدوه^(٥) ، فقله باطل ؛ لأنه خلاف ظاهر القرآن ، قال ابن

(١) جعفر بن مبشر الثقفي ، من رؤوس المعتزلة ، مولده ووفاته ببغداد ، له تصانيف
في الكلام ، وهو أخو حبّيش بن مبشر ، روى عن : عبدالعزيز بن أبان ، وعنه :
عبيدالله بن محمد الترمذي ، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين .

له ترجمة في : تاريخ مدينة السلام ٨ : ٣٥٦١/٤٢ ، وطبقات المفسرين للدودي
١ : ١٢٨/١٢٠ ، ومعجم المفسر لنويهض ١ : ١٢٥ .

(٢) انظر الأقوال في : كتاب الناسخ والمنسوخ لقتادة : ٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ :
١٣٥٥/٢٥٣ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٥ ،
وأحكام القرآن للشافعي : ٧٠ ، وروى قول جعفر بن مبشر الجشمي البيهقي في
التهذيب في التفسير ١ : ٦٣٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٥٣ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١١٥ .

(٤) انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ١٦ ، وسنن الترمذي ٥ : ٢٠٦ / ذيل الحديث
٢٩٥٨ .

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٦١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ :
١٣٥٧/٢٥٣ .

عباس : البيت كله قبله ^(١) . وهو قول جميع الناس ^(٢) .

وروى بعض أصحاب الحديث : أن البيت هو القبلة وأن قبلته بابه ^(٣) . وهذا يجوز . فأما أن يجب على جميع الخلق التوجه إليه ، فهو خلاف الإجماع .

وقوله : ﴿ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ :

روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن ذلك في الفرض ، وقوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَجْهَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) في النافلة ^(٥) .

وروي عن ابن عباس وأبي جعفر محمد بن علي : أنه لما حوّلت الكعبة أتى رجل من بني عبد الأشهل من الأنصار ، وهم قيام يصلّون الظهر قد صلّوا ركعتين نحو بيت المقدس ، فقال : إن الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام ، فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام في بقية صلاتهم ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾ موضع ﴿ كُنْتُمْ ﴾ جزم بالشرط ، وتقديره : وحيث ما تكونوا ، والفاء جواب ، ولولا « ما » لم يجز الجزء بـ « حيث » ؛ لخروجها عن نظائرها بأنه لا يستفهم بها ؛ ولأن الإضافة لها كالصلة لغيرها ، وليست بصلة كصلة أخواتها .

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٦٣ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ١٨٩ .

(٢) في « و » : المفسرين .

(٣) انظر : مسند أحمد ٥ : ٢٠٩ ، وسنن النسائي ٥ : ٢٢٠ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦٦٤ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١١٥ .

(٥) انظر : تفسير القمي ١ : ٥٨ - ٥٩ ، وتفسير العياشي ١ : ٨٤/١٥١ - ٨٦ ، و١٢٠/١٦٢ .

(٦) رواه المصنف في تهذيب الأحكام ٢ : ١٣٨/٤٣ عن أحدهما عليهما السلام ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢ : ٢١٩٠/٣ عن البراء بن عازب .

والهاء في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ﴾ على قول الجُبَّائي يعود إلى التحويل .

وقال الحسن : هي عائدة إلى التوجّه إلى الكعبة ؛ لأنها قبلة إبراهيم والأنبياء قبله ^(١) .

والحقّ : وضع الشيء في موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح .

والغفلة : هي السهو عن بعض الأشياء خاصّة ، وإذا كان السهو عامّاً فهو فوق الغفلة ، وهو السهو العامّ ؛ لأنّ النائم لا يقال : إنّه غفل عن الشيء ، إلّا مجازاً .

وقال عطاء في قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قال : الحرم كلّ مسجد ^(٢) .

وهذا مثل قول أصحابنا : إنّ الحرم قبلة مَنْ كان نائياً عن الحرم من أهل الآفاق ^(٣) .

واختلف الناس في صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس ، فقال قوم : كان يصلّي بمكّة إلى الكعبة ، فلمّا صار بالمدينة أمر بالتوجّه إلى بيت

(١) حكاه عنهما الجسمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٣١ ، وقال بالقول الأوّل الماوردي في تفسيره ١ : ٢٠٣ ، والسمعاني في تفسيره ١ : ١٥١ ، ولم ينسبها لأحد .

وقال بالقول الثاني القيسي في تفسيره الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٤٩٨ ، ولم ينسبه أيضاً لأحد .

(٢) عنه في المصنّف لعبد الرزاق ١٠ : ١٩٣٥٦/٣٥٦ ، وتفسير الطبري ١١ : ٣٩٨ ، وتفسير الثعلبي ١٣ : ٢٦٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣ : ٨٩ .

(٣) انظر : المراسم العلوية : ٦٠ ، الخلاف للمصنّف ١ : ٢٩٥ / مسألة ٤١ ، المعتمد ٢ : ٦٥ .

المقدس سبعة عشر شهراً، ثم أعيد إلى الكعبة^(١).

وقال قوم: كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس، إلا أنه كان يجعل^(٢) الكعبة بينه وبينها، ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه^(٣).

وقال قوم: بل كان يصلي بمكة وبالمدينة سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس، ولم يكن عليه أن يجعل الكعبة بينه وبينها، ثم أمره الله بالتوجه إلى الكعبة^(٤).

ومن صلي إلى غير القبلة^(٥) لشبهة دخلت عليه ثم تنبه، فإن كان الوقت باقياً أعاد الصلاة، وإن خرج الوقت، فإن كان صلي يميناً وشمالاً فلا إعادة عليه، وإن صلي إلى استنبارها أعاد. وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف^(٦).

(١) ذكر هذا القول في: التهذيب في التفسير ١: ٦٢٩، ومعالن التنزيل ١: ١٧١، وتفسير الرازي ٤: ١٢٤، ومجمع البيان ١: ٤٥٣.

والظاهر أن المصنف اقتبس عبارته «ثم أعيد إلى الكعبة» من رواية عن معاوية ابن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى صرف رسول الله ﷺ إلى الكعبة؟ قال: «بعد رجوعه من بدر، وكان يصلي في المدينة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم أعيد إلى الكعبة».

انظر: وسائل الشيعة ٤: ٣/٢٩٨ «باب أن القبلة هي الكعبة مع القرب».

(٢) في «خ» و«ه»: كانت، بدل: كان يجعل.

(٣) رواه أيضاً القيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٤٩٠، و٤٩١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢: ٢١٩٣/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦١٨، وتفسير ابن أبي زمنين ١: ١٨٤، أحكام القرآن للجصاص ١: ٨٤.

(٥) في «خ»: الكعبة.

(٦) الخلاف ١: ٣٠٣/ مسألة ٥١.

قوله تعالى :

﴿وَلَسِنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَسِنِ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥) آية بلا خلاف .

اختلف النحويون في أن جواب «لئن» لِمَ كان جواب «لو» ؟ فقال الأخفش وَمَنْ تبعه : أجيب بجواب «لو» ؛ لأن الماضي وليها كما يلي «لو» ، فأجيب بجواب «لو» ، ودخلت كل واحدة منهما على صاحبها ، قال الله تعالى : ﴿وَلَسِنِ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾^(١) فجرى مجرى : ولو أرسلنا ، وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٢) على جواب «لئن»^(٣) .

وقال سيبويه وجميع أصحابه : إن معنى ﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ لِيُظَلَّلْنَ ، ومعنى «لئن» غير معنى «لو» في قول الجماعة^(٤) .

وإن قالوا : إن الجواب متفق ؛ لأنهم لا يدفعون أن معنى «لئن» ما يستقبل ، ومعنى «لو» ما مضى ، وحقيقة معنى «لو» : أنها يمتنع بها الشيء

(١) سورة الروم ٣٠ : ٥١ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٠٣ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ١ : ١٥١ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٨٤ ، وفي الأول : لأن معنى قوله : ولئن أتيت : ولو أتيت . وقال أيضاً : لأن «لو» لم تقع ، وكذلك «لئن» ، كذا يفسره المفسرون .

(٤) كتاب سيبويه ١ : ١٠٨ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٧٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٤ .

لامتناع غيره ، (كقولك : لو أتيتني لأكرمك ، أي لم تأتني فلم أكرمك ، فامتنع الإكرام لامتناع الإتيان .

ومعنى «إن» و«لئن» إنما يقع بهما الشيء لوقوع غيره ، تقول^(١) : إن تأتني أكرمك ، فالإكرام يقع بوقوع الإتيان .

وقال بعضهم : إن كل واحدة منهما على موضعها ، وإنما لحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم ، فجاء الجواب بجواب القسم ، فأغني عن جواب الجزاء ؛ لدلالته عليه ؛ لأن معنى ﴿لَظَلُّوا﴾ : لَيَظْلُنَّ ، وهذا هو معنى قول سيبويه^(٢) .

ويجوز أن تقول : إن أتيتني لم أجفك ، ولا يجوز أن تقول : إن أتيتني^(٣) ما جفوتك ؛ لأن «ما» منفصلة ، و«لم» كجزء من الفعل ، ألا ترى أنه يجوز أن تقول : زيدا لم أضرب ، ولا يجوز : زيدا ما ضربت . وإنما يجاب الجزاء بالفعل والفاء ، فإذا تقدّم لام القسم جاز ، فقلت : لئن أتيتني ما جفوتك .

فإن قيل : كيف قال : ﴿وَلَسِنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ وقد آمن منهم خلق ؟

قلنا : عن ذلك جوابان :

أحدهما : قال الحسن : إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن ، وهو اختيار الجبائي^(٤) .

(١) ما بين القوسين لم يرد في «و» .

(٢) انظر : كتاب سيبويه ١ : ١٠٨ ، وشرح الرضي على الكافية ٤ : ٤٦٢ .

(٣) في «خ» و«هـ» : لئن .

(٤) انظر : التفسير البسيط ٣ : ٣٩٤ ، وتفسير الراغب : ٢٣٦ .

والثاني : أَنَّ ذلك مخصوص لمن كان معانداً من أهل الكتاب دون جميعهم الذين وصفهم الله ، فقال : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١) ، اختاره البلخي والزجاج^(٢) .

وهذه الآية دالة على فساد قول مَنْ قال : لا يكون الوعيد بشرط ، وعلى فساد قول مَنْ قال بالموافاة ، وإن من علم الله أَنَّهُ يؤمن^(٣) لا يستحق العقاب أصلاً ؛ لأنَّ الله تعالى علّق الوعيد بشرط ، فوجب أن يكون متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب .

وفيها دليل على فساد قول مَنْ قال : إنَّ الوعيد لا يقع لمن علم أَنَّهُ لا يعصي ؛ لأنَّ الله تعالى علّم من حال الرسول أَنَّهُ لا يتّبع أهواءهم ومع هذا توعدّه إن اتّبع أهواءهم .

وفي الآية دلالة على بطلان قول مَنْ قال : إنَّ في المقدور^(٤) لطفاً لو فعله الله بالكافر لآمن لا محالة ، من قَبْل أَنَّهُ قيل في قوله : ﴿وَلَسِنِ أَتَيْنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ قولان : أحدهما : أَنَّ المعاند لا تنفعه الدلالة ؛ لأنَّه عارف . والآخر : أَنَّهُ لا لطف لهم فيلتسمه ليؤمنوا^(٥) .

(١) سورة البقرة ٢ : ١٤٦ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٥ ، وانظر : التفسير الوسيط ٣ : ٣٩٤ ، والتهديب في التفسير للجشمي ١ : ٦٣٣ ، ومجمع البيان ١ : ٤٥٤ ، وتفسير الرازي ٤ : ١٤٠ .

(٣) كذا في النسخ ، ولعلَّ المناسب : أَنَّ المؤمن .

(٤) ما أثبتناه من «ي» وفي بقية النسخ : المعذور .

(٥) قال بالأول النحاس في إعراب القرآن ١ : ٢٧٠ ، والزجاج في معاني القرآن ١ : ٢٢٤ ، وذكر القولين أيضاً الجشمي البيهقي في التهديب في التفسير ١ : ٦٣٥ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٥٦ .

وعلى القولين فيه دلالة على فساد قول أصحاب اللطف ؛ لأن مخرجه مخرج التنصّل من التكليف^(١) عنهم فما^(٢) يؤمنون عنده طوعاً .
فلو قال قائل : وما في أنّ الآية لا تنفعهم في الإيمان وثمّ لطف ينفعهم فيه ؟ لكان لا يسقط سؤاله إلّا بأن يقال : لا لطف لهم كما لا آية تنفعهم .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ :

قيل : في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : ﴿لَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في المداراة لهم حرصاً على أن يؤمنوا ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لنفسك مع إعلامنا إياك أنهم لا يؤمنون ، هذا قول أبي علي الجبائي^(٣) .

الثاني : الدلالة على أنّ الوعيد يجب باتّباع أهوائهم فيما دعوا إليه من قبلتهم ، وأنّه لا ينفع مع ذلك عمل سلف ؛ لأنه ارتداد . والخطاب للنبي ﷺ والمراد به كلّ مَنْ كان بتلك الصفة ، كما قال : ﴿لَيْنِ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٤) ، وهذا قول الحسن والزجاج^(٥) .

الثالث : أنّ معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيّتهم بها ، كما تقول : لئن قبل منك أنّه لخاسر ، تريد به التبكيّت على فساد رأيه والتبعيد

(١) في «خ» والحجرية : التخليف . وفي «ي» : التخلف . وما أثبتناه من «هـ» و«و» .

(٢) ما أثبتناه من «ي» ، وفي بقية النسخ : ما .

(٣) حكاه عن الجبائي الجسمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٣٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٥٦ . وانظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٦٩ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٠١ ، والتفسير البسيط ٣ : ٣٩٦ .

(٤) سورة الزمر ٣٩ : ٦٥ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٤ ، وانظر : التفسير البسيط ٣ : ٣٩٥ .

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ﴾ قيل: في معناه أربعة أقوال:
أولها: أنه لما قال: ﴿وَلَسِنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ
مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ﴾ على وجه المقابلة، كما تقول:
ما هم بتاركي إنكار الحق وما أنت بتارك الاعتراف به، فيكون الذي جرّ
الكلام الثاني التقابل للكلام الأول، وذلك حسن من كلام البلغاء^(٢).

الثاني: أن يكون المراد أنه ليس يمكنك^(٣) استصلاحهم باتباع
قبلتهم؛ لاختلاف وجهتهم؛ لأن النصارى يتوجهون إلى المشرق، واليهود
إلى بيت المقدس، فبين الله تعالى أن إرضاء الفريقين محال^(٤).

الثالث: أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود، إذ كانوا
طمعوا في ذلك وظنوا أنه يرجع إلى الصلاة إلى بيت المقدس وماجوا في
ذكره^(٥).

الرابع: أنه لما كان النسخ مجوزاً قبل نزول هذه الآية، فأنزل الله
تعالى الآية ليرتفع ذلك التجويز^(٦).

(١) ذكره أيضاً الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١: ٦٣٤، والطبرسي في
مجمع البيان ١: ٤٥٦.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط ٣: ٣٩٥، والجشمي البيهقي في التهذيب في
التفسير ١: ٦٣٤.

(٣) ما أثبتناه من «ي» والحجربة، وبدلها في بقية النسخ: عليك.

(٤) هو قول الطبري في تفسيره ٢: ٦٦٧، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١:
٥٠٠، والتعلي في تفسيره ٤: ١٩١.

(٥) انظر: التفسير البسيط ٣: ٣٩٤، والتفسير الوسيط ١: ٢٣٠، والتهذيب في
التفسير ١: ٦٣٤.

(٦) انظر: التفسير البسيط ٣: ٣٩٤، والتهذيب في التفسير ١: ٦٣٤، والكشاف ١: ٣٤٤.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ﴾ في معناه قولان: أحدهما: قال الحسن والسُّدي وابن زيد والجُبائي: إنّه لا يصير النصارى كلّهم يهوداً، ولا اليهود كلّهم يصيرون نصارى أبداً، كما لا يتبع جميعهم الإسلام^(١). وهذا من الإخبار بالغيب.

والثاني: قال غيرهم: معناه إسقاط الاعتلال بأنّه مخالفة لأهل الكتاب الذين ورثوا ذلك عن أنبياء الله بأمره إياهم به، فكما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح في بعض الأزمان^(٢).

وقد بيّنا حدّ الظلم فيما تقدّم^(٣)، واعترضنا قول مَنْ قال: هو الضرر القبيح^(٤) الذي يستحقّ به الذمّ، من حيث إنّ ذلك ينتقض بفعل الساهي والنائم والطفل والمجنون إذا كان بصفة الظلم^(٥)، فإنّه يكون قبيحاً وإن لم يستحقّوا به ذمّاً، ومَنْ خالف في ذلك كان الكلام عليه في موضع آخر، على أنّ المخالف في ذلك ناقض، فإنّه قال: إنّ الكذب يقع من الصبي ويكون قبيحاً، وهذا إذا جاز هلاً جاز أن يقع منه الظلم؟

فإن قال: لأنّ العقل للإنسان البالغ يُزجر الصبي عن ذلك بالتأديب. قلنا مثل ذلك في الظلم سواء.

(١) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦٦٨، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٠٠، وتفسير القرطبي ٢: ٤٤٦.

(٢) ذكره الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١: ٦٣٤، والطبرسي في مجمع البيان ١: ٤٥٥.

(٣) تقدّم في: ٢: ٨٢ في تفسير الآية الخامسة والثلاثين ﴿وَقُلْنَا يَسَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

(٤) في «خ» و«هـ»: بالقبيح.

(٥) في «خ» و«هـ»: الظالم.

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُومُؤَلِّيَهَا
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا
اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ
يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾



قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، وأن جماعة منهم يكتُمون الحق مع علمهم بأنه حق .

وقيل في الحق الذي كتموه قولان :

أحدهما : قال مجاهد : كتموا محمداً ﷺ ونبوته ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (١) .

الثاني : قال الربيع : إنهم كتموا أمر القبله (٢) .

وقوله : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : يعلمون صحّة ما كتموه .

والثاني : يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب والذم .

والهاء في قوله : ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ عائدة - في قول ابن عباس وقتادة

والربيع (٣) - على أن أمر القبله حق .

وقال الزجاج : هي عائدة على أنهم يعرفون النبي ﷺ وصحّة أمره

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٧٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٧٢/٢٥٦ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٠٥ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٧٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٣٧١/٢٥٦ ، والواحدي في التفسير البسيط ٣ : ٣٩٧ .

(٣) عنهم في تفسير الطبري ٢ : ٦٧٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٦٧/٢٥٥ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٠١ ، والتفسير البسيط ٣ : ٣٩٧ .

وثبت نبوته^(١).

وإنما قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ وفي أول^(٢) الآية قال: ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ على العموم؛ لأن أهل الكتاب منهم من أسلم وأقر بما يعرف فلم يدخل في جملة^(٣) الكافرين، كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما ممن دخل في الإسلام.

والعلم والمعرفة واحد، وحده: ما اقتضى سكون النفس.

وإن فصلت قلت: هو الاعتقاد للشيء على ما هو به مع سكون النفس. وفصل الرماني بين العلم والمعرفة بأن قال: المعرفة هي التي يتبين بها الشيء من غيره على جهة التفصيل، والعلم قد يتميز به الشيء على طريق الجملة دون التفصيل، كعلمك بأن زيدا في جملة العشرة وإن لم تعرفه بعينه وإن فصلت بين الجملة التي هو فيها والجملة التي ليس هو فيها^(٤).

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح؛ لأن المعرفة أيضاً قد يتميز بها الشيء على طريق الجملة، فلا فرق بينهما.

فإن قيل: لم قال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وهم لا يعرفون أبناءهم أنهم أبناءهم في الحقيقة، (ويعرفون أن محمداً ﷺ هو النبي المبشر به في الحقيقة؟)^(٥).

(١) معاني القرآن للزجاج ١: ٢٢٥، ونسبه إلى القليل.

(٢) في «خ» و«ه» زيادة: ثُمَّ.

(٣) في «خ» و«ه»: إثم.

(٤) ذكر هذا المعنى أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: ٦٢ بالتفصيل ولم ينسبه لأحد.

(٥) ما بين القوسين لم يرد في «خ» و«ه».

قلنا : التشبيه وقع بين المعرفة بالابن في الحكم وهي معرفة تميّزه بها من غيره ، وبين المعرفة بالنبيّ المبشّر به في الحقيقة ، فوقع التشبيه بين معرفتين إحداهما أظهر من الأخرى .

قوله تعالى :

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١٤٧) آية بلا خلاف .

﴿الْحَقُّ﴾ مرتفع بأنّه خبر ابتداء محذوف ، وتقديره : ذاك الحقّ من ربّك ، أو هو الحقّ من ربّك ، ومثله : مررتُ برجلٍ كريمٍ زيدٌ ، أي هو زيدٌ . ولو نُصب كان جائزاً في العربية ، على تقدير : اعلم الحقّ من ربّك .
وقوله : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ :

معناه من الشاكّين ، ذهب إليه ابن زيد والربيع وغيرهما من المفسّرين ^(١) .

والامْتِرَاء : الاستخراج .

وقيل : الاستِدْرَار ^(٢) ، فكأنّه قال : فلا تكوننّ من الشاكّين فيما يلزمك ^(٣) استخراج الحقّ فيه ، قال الأعشى :

(١) انظر : تفسير ابن عباس : ٢١ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦٧٣ ، ومعاني القرآن للرجّاج ٢٥ : ٢٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٧٣/٢٥٦ ، وتفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٨٧ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٩٤ .

(٢) انظر : مادّة «مرى» في : الجمهرة ٢ : ٨٠٦ ، وتهذيب اللغة ١٥ : ٢٨٣ ، والصحاح ٦ : ٢٤٩١ .

(٣) في «خ» و«ي» زيادة : من .

تَدُرُّ عَلَى أَسْوَاقِ الْمُتَمَرِّينِ نَ وَكَفًّا إِذَا مَا السَّرَابُ أَرْجَحَنُ^(١) [٤٦٢]

يعني الشاكين في درورها لطول سيرها .

وقيل : المستخرجين ما عندها .

قال صاحب العين : المَرِّيُّ : مَسْحُكٌ ضَرَعَ الناقاة تمرى بها بيدك لكي

تَشْكُرَنَّ للحلب .

والريح تَمْرِي السَّحَابَ مَرِّيًّا ، (والمرية من ذلك)^(٢) .

والمِرْيَةُ : الشَّكُّ ، ومنه الامْتِرَاءُ والتَّمَارِي والمُمَارَاة والمِرَاءُ^(٣) .

وأصل الباب : الاستدرار^(٤) .

ويقال : بالشكر تمتري النعم^(٥) ، أي تستدر .

وقال الحسن والربيع والجُبَّائي : معنى الآية ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ

الْمُتَمَرِّينَ﴾ في الحق الذي تقدّم إخبار الله به من أمر القبله ، وعناد مَنْ كتم

(١) ديوان الأعشى : ٢١٠ من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب الكندي بعنوان طول الحياة عناء ، وفيه : ركضاً ، بدلاً من : وكفّاً ، ومطلعها :

لعمرك ما طولُ هذا الزمن على المرء ، إلا عناء مُعَنَّ

وأسوق : جمع ساق ، والمتمرين : المستخرجين ما عند الفرس من الجري

بسوط أو غيره ، ارجحن السراب : ارتفع .

والشاهد فيه : المتمرين جاء هنا بمعنى : المستخرجين .

(٢) في المصدر بدل ما بين القوسين : والمَرِّيُّ معروف . ولم يرد في «هـ» .

(٣) العين ٨ : ٢٩٤ «مري» .

(٤) انظر مضافاً لما سبق من المصادر : المحيط في اللغة ١٠ : ٢٨١ ، ومعجم مقاييس

اللغة ١ : ٤٥٠ ، حيث قال : ومَرِّي الجَنُوب : استدرارها الغيث .

(٥) عيون الحكم والمواعظ : ١٨٦ ت ٣٨٠٢ ، جواهر المطالب للباعوني ٢ : ١٥٠ ،

قال الدميري في حياة الحيوان ١ : ٤٧٦ في حديثه عن الدراج : وهو طائر مبارك كثير

النتاج مبشر بالربيع ، وهو القائل : بالشكر تدوم النعم ، وصوته مقطع على هذه

الكلمات . وراجع تحف العقول : ٣١٨ .

النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة .

وقال بعضهم : ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُثْمِرِينَ﴾ في شيء يلزمك العلم به^(١) ، وهو الأولي ؛ لأنه أعم .

والخطاب وإن كان متوجهاً إلى النبي ﷺ فالمراد به الأمة ، كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ^(٢)﴾ وقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ^(٣)﴾ .

وقال قوم : إن الخطاب له ؛ لأنه إنما لا يجوز عليه ذلك لملازمته أمر الله تعالى ، ولو لم يكن هناك أمر لم يصح أن يلزم^(٤) .

والنون الثقيلة يؤكد بها الأمر والنهي ولا يؤكد بها الخبر ، لما كان الخبر^(٥) يدل على كون المخبر به ، وليس كذلك الأمر والنهي والاستخبار ، لأنه لا يدل على كون المدلول عليه ، فألزم الخبر التأكيد بالقسم وما يتبعه من جوابه ، واختصت هذه الأشياء بنون التأكيد ليدل على اختلاف المعنى في المؤكد ، ولما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيد وهو القسم .

(١) انظر : تفسير الهواري ١ : ١٥٧ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦٧٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٣٧٣/٢٥٦ : ٣ ، ٣٩٨ ، والوسيط ١ : ٢٣١ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٩٤ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٠٥ ، وتفسير السمعاني ١ : ١٥٣ ، وتفسير الراغب الإصفهاني : ٣٣٨ .

(٢) سورة الطلاق ٦٥ : ١ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ١ .

(٤) انظر : موسوعة الشريف المرتضى ١٥ : ١٠٦ ، وإملاء ما من به الرحمن ٢ : ٢٦٣ .

(٥) الخبر ، لم يرد في «خ» و«هـ» .

قوله تعالى :

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) آية بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ﴿مَوْلَاهَا﴾^(١) ، وروي ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي عليه السلام^(٢) ، فجعلوا الفعل واقعاً عليه والمعنى واحد ، كذا قال الفراء^(٣) .

وفي قوله : ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أقوال :

أحدها : قال مجاهد والربيع وابن زيد وابن عباس والسدي : إن لكل أهل ملة من اليهود والنصارى [وجهة]^(٤) .

الثاني : قال الحسن : إن لكل نبي وجهة واحدة وهي الإسلام وإن اختلفت الأحكام ، كما قال : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٥) أي في شرائع الأنبياء^(٦) .

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٣٠ ، والسبعة في القراءات : ١٧٢ ، وحجة

القراءات لأبي زرة : ١١٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٦٦ ، وفي الجميع

عن ابن عامر فقط . والطبرسي في مجمع البيان ٢ : ٥٨٤ ذكر قراءة أبي بكر عن عاصم .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٧٨ ، تفسير الثعلبي ٤ : ١٩٤ ، عن ابن عباس ، وذكر

قراءة الإمام الباقر عليه السلام الطبرسي أيضاً في مجمع البيان ١ : ٤٥٨ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ : ٨٥ .

(٤) عنهم جميعاً : تفسير الطبري ٢ : ٦٧٥ - ٦٧٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ :

١٣٧٤/٢٥٦ - ١٣٧٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩١ ، وتفسير الماوردي ١ :

٢٥٥ ، وما بين المعقوفين أضفناه من المصادر لمقتضى السياق .

(٥) سورة المائدة ٥ : ٤٨ .

(٦) عنه الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٩١ ، والجشمي البيهقي في التهذيب في

التفسير ١ : ٦٣٩ ، وقال بهذا القول الهواري في تفسيره ١ : ١٥٧ ولم ينسبه للحسن .

الثالث : قال قتادة : هو صلاتهم إلى بيت المقدس وصلاتهم إلى الكعبة^(١).

الرابع : أن لكل قوم من المسلمين وجهة ، من كان منهم وراء الكعبة أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وهو الذي اختاره الجُبائي^(٢) .
والوجهة ، قيل فيه قولان :

أحدهما : أنه قبله ، ذهب إليه مجاهد وابن زيد^(٣) .

الثاني : قال الحسن : هو ما شرّعه الله لهم من الإسلام^(٤) .

وفي وجهة ثلاث لغات : وجهة ، وجهة ، ووجه ، وإنما أتم لأنه اسم لم يجرى على الفعل . ومن قال : جهة ، قال المبرد : جاء به على قولهم : وجّهني ووجهته^(٥) .

ومعنى ﴿مُؤَلَّيْهَا﴾ مستقبلها ، في قول مجاهد وغيره^(٦) ، كأنه قال : مولّ إليها ؛ لأنّ ولّى إليه نقيض ولّى عنه ، كقولك : انصرف إليه وانصرف عنه .

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٧٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ :

١٣٧٧/٢٥٧ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٩١ .

(٢) ذكره الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٩١ ، ونسبه إلى القيل ، وحكاه عنه الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٣٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩١ .

(٤) رواه عنه أيضاً الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٩١ .

(٥) قال العكبري في إملاء ما من به الرحمن ١ : ٦٨ : وجهة جاء على الأصل ، والقياس جهة مثل عدة وزنة ، والوجهة مصدر في معنى المتوجه إليه ، كالخلق بمعنى المخلوق ، وهي مصدر محذوف الزوائد ؛ لأنّ الفعل توجه أو اتجه ، والمصدر التوجه أو الاتجاه ، ولم يستعمل منه وجه كوعد .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٧٧ ، تفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٧٦/٢٥٧ ، تفسير

الثعلبي ٤ : ١٩٤ ، الوسيط ١ : ٢٣١ .

وقوله: ﴿هُوَ﴾ عائذ - على قول أكثر المفسرين^(١) - إلى كل . وقال قوم: يعود على اسم الله ، حكاهما الزجاج^(٢) .

و﴿الْخَيْرَاتِ﴾ هي الطاعات لله ، على قول ابن زيد وغيره^(٣) .

وقوله: ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعني يوم القيامة من حيث ما متّم من^(٤) بلاد الله ، وهو قول السّدي والربيع^(٥) .

وقد روي ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ مضاف غير متّون^(٦) ، وذلك لا يجوز؛ لأنه يكون الكلام ناقصاً لا معنى له ولا فائدة فيه .

وقوله تعالى: ﴿اسْتَبِقُوا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: بادروا إلى ما أمرتم به بمبادرة من يطلب سبق إليه .

الثاني: قال الربيع: سارعوا إلى الخيرات^(٧) . وهو الأولى؛ لأنه أعم .

والاستبّاق والابتدّار والإسراع نظائر ، قال صاحب العين: السّبْقُ: القُدْمةُ في الجَرْي وفي كلّ أمرٍ ، تقول: له في هذا الأمر سُبْقَةٌ وسابِقَةٌ وسَبَقٌ ، أي سَبَقَ الناس إليه .

(١) راجع: تفسير الطبري ٢: ٦٧٨ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٠٣ ، معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٢٥ .

(٢) انظر: معاني القرآن للزجّاج ١: ٢٢٥ ، تفسير الهوّاري ١: ١٥٧ ، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٠٣ ، التفسير البسيط ٣: ٣٩٩ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦٧٨ ، وتفسير الماوردي ١: ٢٠٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٣٧٩/٢٥٧ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٠٦ .

(٤) في «ح» و«هـ»: في .

(٥) عنهما الطبري في تفسيره ٢: ٦٨٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٣٨٢/٢٥٨ .

(٦) انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ١٧ ، وتفسير الطبري ٢: ٦٧٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٣٧٨/٢٥٧ .

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢: ٦٧٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٣٧٩/٢٥٧ .

وَالسَّبْقُ : الْخَطَرُ الَّذِي يُوضَعُ بَيْنَ أَهْلِ السَّبَاقِ ، وَجَمْعُهُ أَسْبَاقُ ،
وَالسَّبَاقَانِ فِي رَجُلٍ الطَّائِرِ الْجَارِحِ : قَيْدَاهُ مِنْ خَيْطٍ أَوْ سَيْرٍ^(١) .
وَأَصْلُ الْبَابِ : السَّبْقُ : التَّقَدُّمُ فِي الْأَمْرِ^(٢) .

قوله تعالى :

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ
لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) آية بلا خلاف .
قيل في تكرار قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
قولان :

أحدهما : أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فَرْضاً نَسَخَ مَا قَبْلَهُ ، كَانَ مِنْ مَوَاضِعِ التَّكْثِيرِ
لِيُنْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى الْحَالِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْحَالِ الْأُولَى عَلَى يَقِينٍ .
والثاني : أَنَّهُ مَقْدَمٌ لَمَّا يَأْتِي بَعْدَهُ وَيَتَّصِلُ بِهِ ، فَأَشْبَهَ الْأَسْمَ الَّذِي تُكَرَّرُ
لِتُخْبِرَ عَنْهُ بِأَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ ، كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَرِيمٌ ، زَيْدٌ عَالِمٌ ، زَيْدٌ حَلِيمٌ ، وَمَا
أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا تَذْكُرُهُ لَتَعْلَقَ الْفَائِدَةُ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا مَعْلُومَةٌ عِنْدَ
السَّمَاعِ^(٣) .

ومعنى قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ﴾ الدلالة على وجوب المحافظة من حيث

(١) العين ٥ : ٨٥ «سبق» .

(٢) انظر أيضاً : تهذيب اللغة ٨ : ٤١٦ ، والمحيط في اللغة ٥ : ٢٩٧ ، والصحاح ٤ : ١٤٩٤ .

(٣) انظر : المصابيح في تفسير القرآن ١ : ١٩٦ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٠٦ ،
وتفسير الماوردي ١ : ٢٠٧ ، وتفسير السمعاني ١ : ١٥٣ .
وذكر الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٤١ القولين وغيرهما ،
وكذلك الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٦٠ .

كان حقاً لله فيه طاعة .

ومعنى قوله : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هاهنا التهديد ، كما يقول الملك لعبيده : ليس يخفى عليّ ما أنتم فيه ، ومثله قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ﴾^(١) .

والوجه : الجارحة المخصوصة . وقد حدّه الرمانى بأنّه صفحة فيها محاسن تعرف بها الجملة . وحيث مبنية على الضم ؛ لأنها كالغاية تمامها الإضافة إلى المفرد دون الجملة لها بمنزلة الصلة ، فجرت لذلك مجرى قوله : ﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٢) .

قوله تعالى :

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ. لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١٥٠) آية بلا خلاف .

قليل في تكرار قوله : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : لاختلاف المعنى وإن اتفق اللفظ ؛ لأنّ المراد بالأول من حيث خرجت منصرفاً عن التوجه إلى بيت المقدس ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ، وأريد بالثاني أينما كنت من البلاد فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلاً كنت لظهر الكعبة أو وجهها أو يمينها أو شمالها .
الثاني : لاختلاف المواطن التي تحتاج إلى هذا المعنى فيها .

(١) سورة الفجر ٨٩ : ١٤ .

(٢) سورة الروم ٣٠ : ٤ .

الثالث : لأنه مواضع التأكيد بالنسخ الذي نقلوا فيه من جهة إلى جهةٍ للتقرير والتثبيت^(١).

فإن قيل : هل في قوله تعالى : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ حُذِفَ منه : في الصلاة ، أم هو مدلول عليه من غير حذفٍ ؟
 قيل : هو محذوف ؛ لأنه اجتزأ بدلالة الحال عن دلالة الكلام ، ولو لم يكن هناك حال دالة لم يكن بُدُّ من ذكر هذا المحذوف إذا أُريد به الإفهام لهذا المعنى .

فأما قوله تعالى : ﴿عَلَيْمٌ﴾ و﴿حَكِيمٌ﴾ فإنه يدلّ على المعلوم من غير محذوفٍ .

ومعنى قوله : ﴿لئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ هاهنا قيل فيه قولان :

أحدهما : لا تعدلوا عما أمركم الله في التوجّه إلى الكعبة فيكون لهم عليكم حجة ، بأن يقولوا : لو كنتم تعلمون أنّه من عند الله ما عدلتم عنه .
 الثاني : لئلا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدّمت به البشارة في الكتب السالفة من أنّ المؤمنين سيوجّهون^(٢) إلى الكعبة^(٣) .

وموضع اللام من ﴿لئلاَّ﴾ نصب ، والعامل فيه أحد شيئين :

(١) انظر الأقوال في : التهذيب في التفسير ١ : ٦٤٤ ، ومعالم التنزيل ١ : ٤٦٢ ، والبحر المحيط ٢ : ٣٩ .

(٢) في «و» : سيتوجّهون .

(٣) انظر : تفسير الطبراني ١ : ٢٦٥ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ١٩٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٦ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٤٤ ، ومعالم التنزيل ١ : ١٧٦ ، ومجمع البيان ١ : ٤٦٢ .

الأول : قولوا .

والآخر : ما دخل الكلام من معنى عرّفتمكم ذلك لئلا . وهو قول الزجاج^(١) .

وقوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قيل فيه أربعة أقوال :

أحدها : أنه استثناء منقطع ، و﴿إِلَّا﴾ بمنزلة لكن ، كقوله : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلَمِ﴾^(٢) ، وكقولك : ما له عليّ حقّ إلا التعدي والظلم ، كأنك قلت : لكن يتعدّى ويظلم ، وتضع ذلك موضع الحقّ اللازم ، فكذلك لكن الذين ظلموا منهم ، فإنّهم يتعلّقون بالشبهة ويضعونها موضع الحجّة ، فلذلك حسن الاستثناء المنقطع^(٣) ، قال النابغة :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاجِ الْكَتَائِبِ^(٤) [٤٦٣]
جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة وإن كان ليس بعيب ، كأنه يقول : إن كان فيهم عيب فهذا ، وليس هذا بعيب ، فإذا ليس فيهم عيب ، فكذا : إن كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجاجه ، ولا حجة له ، فليس إذا عليهم حجة .

(١) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٦ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٥٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ١٥٢ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦٩٠ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٢ .

(٤) ديوان النابغة الذبياني : ١١ ، من قصيدة يمدح عمرو بن الحارث الأصغر حين هرب إلى الشام ونزل به ، مطلعها :

كَلَيْنِي لِهَمٍّ يَا أَمِيمةً ناصِبٍ وَلَيْلِ أَقاسِيهِ بطيء الكواكب
والفلول : الثلوم والتكسر . والقراع : المجادلة والمضاربة . والكتائب : الجيوش .
والشاهد فيه : أنّ الشاعر استثنى الشجاعة والبطولة من العيوب ، حيث قال :
ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... والمراد أنّه لا عيب فيهم .

الثاني : أن تكون الحجة بمعنى المحاجة والمجادلة ، كأنه قال : لئلا يكون للناس عليكم حجاج إلا الذين ظلموا منهم فإنهم يحاجونكم بالباطل^(١).

الثالث : ما قاله أبو عبيدة : إن «إلا» هاهنا بمعنى الواو ، كأنه قال : لئلا يكون للناس عليكم حجة والذين^(٢) ظلموا منهم^(٣) .
وأنكر ذلك الفراء والمبرد ، قال الفراء : لا تجيء إلا بمعنى الواو إلا إذا تقدّم استثناء ، كما قال الشاعر :

مَا بِالمَدِينَةِ دَارٌ غَيْرُ وَاحِدَةٍ دَارُ الخَلِيفَةِ إِلَّا دَارُ مَرْوَانَ^(٤)^(٥) [٤٦٤]
وَأُنشد الأَخْفَشُ :

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَعْدَةِ السَّيِّدِ دَانٍ لَمْ يَذْرُسْ لَهَا رَسْمٌ [٤٦٥]
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيَّاحُ خَوَالِدَ سُحْمٍ^(٦)^(٧)

(١) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٨٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٦ .

(٢) في «ي» : ولا الذين .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٦٠ .

(٤) معاني القرآن ١ : ٨٩ ، وانظر : المقتضب ٤ : ٤٢٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٢ ، وفيه : وأنكر ذلك الفراء وأكثر أهل اللغة .

(٥) نسبه سيبويه في الكتاب ٢ : ٣٤٠ عن بعض الناس للفرزدق . وفي المقتضب ٤ : ٤٢٥ : مروانا .

والشاهد فيه : استعمل الشاعر «إلا» بمعنى الواو . أي ليس في المدينة إلا دار الخليفة ودار مروان .

(٦) معاني القرآن ١ : ١٥٢ .

(٧) البيتان للمختلّ السعدي ، وهو ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة ، ويكنى أبا يزيد ، وهو شاعر مخضرم فحل .

يعني أرى لها داراً ورماداً، وكأنه قال في البيت الأول : ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان .

وخالفه أبو العباس فلم يجوز أن تكون إلا بمعنى الواو أصلاً^(١) .

الرابع : قال قطرب : يجوز على معنى : لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا^(٢) . وموضع «الذين» عنده خفض على هذا الوجه يجعله بدلاً من الكاف ، كأنه قيل في التقدير : لئلا يكون للناس على أحد حجة إلا الظالم .

قال الرماني : وهذا وجه بعيد لا ينبغي أن يتأول عليه ، ولا على الوجه الذي قاله أبو عبيدة^(٣) .

والاختيار القول الأول .

والبيت من قصيدة مطلعها :

ذَكَرَ الرَّبَابَ وَذَكَرَهَا سُقْمٌ وَصَبَاً وَلَيْسَ لِمَنْ صَبَاً جَلْمٌ

والأغدة : جمع غدير ، والسيدان : أرض لبني سعد ، والرسم : الأثر بلا شخص ، ودروسه : ذهابه . هامداً : خامداً ، والخوالد : البواقي ، وهي الحجارة التي تنصب عليها القدور ، سحم من السحمة وهو لون يضرب إلى السواد . والشاهد فيه : إلا رماداً ، أي ورماداً .

انظر : المفصليات : ١١٣ ب ٤ ٥ ، وأمالى المرتضى ٢ : ٣١ ، ٨٨ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٦ : ٩٣ ضمن الشاهد ٤٣٤ .

(١) انظر : المقتضب ٤ : ٤٢٤ - ٤٢٥ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٤٣ ، وقال ابن هشام في مغني اللبيب ١ : ١٠١ - بعد أن ذكر معاني «إلا» وقال : تأتي عاطفة ، وذكر الشواهد - : وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

(٢) رواه عنه الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٩٢ ، والجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٤٣ .

(٣) عنه الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٤٣ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٦٢ ، والرازي في تفسيره ٤ : ١٥٨ .

وأثبتت الياء في قوله : ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ هاهنا ، وحُذفت فيما عداه ؛
لأنه الأصل ، وعليه إجماع هاهنا . وأمّا الحذف فللاجتزاء بالكسرة عن ^(١) الياء .
وقوله : ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ معناه : واخشوا عقابي ، بدلالة الكلام عليه في
الحال ، وإنّما ذكرهم فقال : ﴿لَا تَخْشَوْهُمْ﴾ لأنه لما ذكرهم بالظلم ،
والاستطالة بالخصومة والمنازعة طيّب نفوس ^(٢) المؤمنين ، أي فلا تلتفتوا
إلى ما يكون منهم ، فإنّ عاقبة السوء عليهم .

وقال قتادة والربيع : المعني بالناس هاهنا أهل الكتاب .

وقال غيرهما : هو على العموم ^(٣) . وهو الأقوى .

وقال ابن عباس والربيع وقاتدة : المعني بقوله : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
مشركو العرب .

وقال قوم : هو على العموم ^(٤) ، وهو الأولى .

وقوله : ﴿لَثَلَا﴾ يترك الهمزة نافع ، والباقون يهملون ^(٥) . ويلتین كل
همزة مفتوحة قبلها كسرة .

والحجّة هي الدلالة وهي البرهان .

(١) ما أثبتناه من «خ» ، وفي بقية النسخ : من .

(٢) ما أثبتناه من «خ» و«و» ، وفي بقية النسخ : بنفوس .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٨٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٨٧/٢٥٨ ، والهداية
إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٠٦ ، والتفسير البسيط ٣ : ٤٠٨ . والقائل بالعموم هو المفضل
ابن سلمة كما في التفسير البسيط .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس : ٢١ ، وتفسير الهوّاري ١ : ١٥٧ ، وتفسير الطبري ٢ :
٦٨٤ - ٦٨٧ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٦٥ ، وتفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٨٧ ،
والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٠٧ ، وتفسير السمعاني ١ : ١٥٤ .

(٥) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٢ ، الحجّة للقراء السبعة ٢ : ٢٤٤ ، وفيه : تخفيف
الهمزة في ﴿لَثَلَا﴾ أن تخلص ياءً ، ولا يجوز أن تجعل بينَ يينَ .

قوله تعالى :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١) آية
بلا خلاف .

التشبيه بقوله : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة ؛ لأن الله تعالى
لطف بعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة .

الثاني : الذكر الذي أمر الله به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغي أن يكون
عليه من المنزلة في العظم والإخلاص لله كعظم النعمة ، وهو على نحو
قوله : ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ ^(١) والعرب تقول : الجزاء بالجزاء ،
فتسمي الأول باسم الثاني للمقابلة ، والتشبيه لكل واحد منهما بالآخر .

و«ما» في قوله : ﴿ كَمَا ﴾ مصدرية ، كأنه قال : كإرسالنا فيكم ، ويحتمل
أن تكون كافة ، قال الشاعر :

أَعْلَاقُهُ أُمَّ الْوَلِيدِ بَعْدَمَا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ ^(٢) [٤٦٦]

(١) سورة القصص ٢٨ : ٧٧ .

(٢) البيت للمرار الأسدي الفقعسي يخاطب نفسه .

والأفنان : جمع فنف ، وهو الخصلة من الشعر ، شبه بالفصن . والثغام : شجر
ينبت في الجبل ثم يبيض فيكون كالثلج . المخلص : الشعر الشمت ، يقال : أخلص
النبث إذا خالط خضرته اليبس .

والشاهد فيه : أن «ما» في قوله : بعدما ، كافة ، حيث كُتف الظرف «بعد» عن
الإضافة إلى ما بعده ، حيث جاء ما بعد الظرف مرفوعاً .

وقال ابن هشام في مغني اللبيب ١ : ٤١٠ - بعد استشهاده بالبيت - : وقيل :

لأنه يجوز^(١) : كما زيد محسن إليك فأحسن إلى أبنائه^(٢) .
والعامل في قوله : ﴿ كَمَا ﴾ يجوز أن يكون أحد أمرين :
أحدهما : الفعل الذي قبله : وهو قوله : ﴿ وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾
﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ .
والقول الثاني : الفعل الذي بعده وهو ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ ﴿ كَمَا
أَرْسَلْنَا ﴾ .

والأول أحد قولَي الفراء والزجاج ، واختاره الجُبائي^(٣) .
والثاني قول مجاهد والحسن وابن أبي نجيج وأحد قولَي الفراء
والزجاج ، واختيار الزجاج^(٤) .
وقال الفراء : لـ ﴿ اذْكُرُونِي ﴾ جوابان :
أحدهما : ﴿ كَمَا ﴾ .
والآخر : ﴿ اذْكُرْكُمْ ﴾^(٥) .

﴿ ما ﴾ مصدرية ، وهو الظاهر ؛ لأن فيه إبقاء « بعد » على أصلها من الإضافة ، ولأنها لو
لم تكن مضافة لنوّنت .

انظر : الجمهرة ١ : ٥٩٨ « خلس » ، وتهذيب اللغة ١٥ : ٤٦٦ « فن » ، والصحاح
٤ : ١٥٣١ « علق » ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادى ٥ : ٢٦٩ ت ٥١٤ ،
وجمهرة الأمثال ٢ : ٣٠٨ ، ولسان العرب ١٢ : ٧٨ ، وتاج العروس ١٦ : ٨٦ « ثغم » .

- (١) في الطبعة النجفية ٢ : ٢٩ : لأنه لا يجوز .
- (٢) اختلفت النسخ في هذه الكلمة بين ما أثبتناه وبين : أنسابه ، وأسبابه .
- (٣) معاني القرآن للفراء ١ : ٩٢ ، معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٧ ، وانظر أيضاً : تفسير
الطبري ٢ : ٦٩٢ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٠٩ .
- (٤) انظر : تفسير مجاهد : ٢١٧ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦٩٤ ، وتفسير الثعلبي ٤ :
٢١١ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٠٩ ، والتفسير البسيط ٣ : ٤١٦ ، ومعاني
القرآن للفراء ١ : ٩٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٢٧ .
- (٥) معاني القرآن للفراء ١ : ٩٢ .

لأنه لما كان يجب عليهم الذكر ليدكرهم الله برحمته، ولما سلف من نعمته، أشبه من هذا الوجه الجواب؛ لأنه يجب الثاني فيه بوجوب الأول. وقوله: ﴿يُزَكِّيْكُمْ﴾ معناه: يعرضكم لما تكونون به أذكاء من الأمر بطاعة الله واتباع مرضاته.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد: ينسبكم إلى أنكم أذكاء شهادته لكم بذلك، ليعرفكم الناس به.

وإنما قال: ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والكتاب هو الحكمة؛ لاختلاف الفائدة في الصفتين وإن كانتا لموصوفٍ واحد، كقولك: هو العالم بالأمور القادر عليها.

ويحتمل أن يكون أراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة: الوحي من السنة.

والكاف في قوله: ﴿فِيكُمْ﴾ خطاب للعرب، على قول جميع أهل التأويل^(١).

وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾:

معناه: يُعلِّمكم ما لا سبيل لكم إلى علمه إلا من جهة السمع، فذكرهم الله بالنعمة فيه. ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعاً للنعمة فيه، ولا سيما إذا وقع موقع اللطف.

ومعنى الإرسال هو التوجه^(٢) بالرسالة والتحميل لها لتؤدي إلى مَنْ قُصِدَ^(٣)، فالدلالة والرسالة جملة مضمّنة لمن تصل إليه مَنْ قُصِدَ

(١) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦٩٤، وتفسير الطبراني ١: ٢٦٧، وتفسير الماوردي ١:

٢٠٨، والتفسير البسيط ٣: ٨١٤، وتفسير الثعلبي ٤: ٢١١.

(٢) في «هـ»: التوجيه.

(٣) في «هـ» و«خ»: قَصَدَه.

بالمخاطبة .

والتلاوة : ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام مَسْقٍ في المرتبة .
والتزكية : النسبة إلى الازدياد من الأفعال الحسنة التي ليست بمشوبة .
ويقال أيضاً على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء إليه واللفظ فيه .
والحكمة : هي العلم الذي يمكن به الأفعال المستقيمة .

قوله تعالى :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢) آية بلا

خلاف .

الذكر المأمور به في الآية والموعود به قيل فيه أربعة أقوال :
أحدها : قال سعيد بن جبير : ﴿اذْكُرُونِي﴾ بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾
برحمتي ^(١) .

الثاني : ﴿اذْكُرُونِي﴾ بالشكر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثواب .
الثالث : ﴿اذْكُرُونِي﴾ بالدعاء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإجابة .
الرابع : ﴿اذْكُرُونِي﴾ بالثناء بالنعمة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثناء بالطاعة ^(٢) .
والذكر : حضور المعنى للنفس ^(٣) ، فقد يكون بالقلب وقد يكون

(١) عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٦٩٥ ، والطبراني في تفسيره ١ : ٢٦٨ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٢١٢ ، والقيسي في الهداية ١ : ٥١٢ . وفيها جميعاً : بمغفرتي ، بدل : برحمتي .

وفي تفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٣٩٨/٢٦٠ و ١٣٩٩ كلتا الروايتين .
(٢) انظر هذه الأقوال مضافاً إلى المصادر السابقة في : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٢ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٠٨ .

(٣) في «خ» و«ي» : في النفس .

بالقول ، وكلاهما يحضر به المعنى للنفس .

وفي أكثر الاستعمال يقال : الذكر بعد النسيان ، وليس ذلك بموجب ألا يكون إلا بعد نسيان ؛ لأن كل مَنْ حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال ذاكرٌ له .

وأصله التنبيه^(١) على الشيء ، فمن ذكرنا شيئاً فقد نبهنا عليه ، وإذا ذكرناه نحن فقد تنبهنا عليه .

والذكر : نقيض الأنثى .

﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾^(٢) أي شرف لك ، من النباهة والجلالة .

والفرق بين الذكر والخاطر :

أن الخاطر مرور المعنى بالقلب ، والذكر قد يكون ثابتاً في القلب وقد يكون بالقول^(٣) .

وقوله : ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ :

معناه : اشكروا لي نعمتي ، فحذف ؛ لأن حقيقة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضربٍ من التعظيم .

وقوله : ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ فيه حذف ، وتقديره : ولا تكفروا نعمتي ؛

لأن الكفر هو ستر النعمة وجحدها لا ستر المنعم .

وقولهم : حمدت زيدا وذممت عمراً ، فلا حذف فيه وإن كنت إنما تَحَمَدُ من أجل الفعل الحسن ، وتذمُّ من أجل الفعل القبيح ، كما أنه ليس في قولك : زيد متحرك^(٤) حذف وإن كان إنما تحرك من أجل الحركة .

(١) في «ي» : التنبيه .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤ .

(٣) انظر : الفروق اللغوية : ٦٠ .

(٤) في «خ» و«هـ» : يتحرك .

وليس كلّ كلام دالٌّ على معنى غير مذكور يكون فيه حذف ؛ لأنّ قولك : زيد ضارب دالٌّ على مضروب ، وليس بمحذوف ، وكذلك زيد قاتل دالٌّ على مقتول ، وليس بمحذوف ، فالحمد للشيء دلالة على أنّه محسن ، والذم له دلالة على أنّه مسيء ، كقولك : نِعَمَ الرجلُ زيدٌ ، وبئس الرجلُ عمروٌ . وكذلك قولك : زيد المحسن ، وعمرو المسيء ، ليس فيه محذوف .

ويقال : شكرتُك وشكرتُ لك ، وإنّما قيل : شكرتك ؛ لأنّه أوقع اسم المنعم موقع النعمة فعلى الفعل بغير واسطة ، والأجود : شكرت لك النعمة ؛ لأنّه الأصل في الكلام والأكثر في الاستعمال ، قال الشاعر :

هُمْ جَمَعُوا بُؤْسِي وَنُعْمِي عَلَيْكُمْ فَهَلَّا شَكَرْتَ الْقَوْمَ إِذْ لَمْ تُقَاتِلِ ^(١) [٤٦٧]
ومثل ذلك : نصحتك ونصحت لك .

وإنّما حُذفت الياء في الفواصل ؛ لأنّها في نيّة الوقف ، فلذلك قال : ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بغير ياء ، وهي في ذلك كالقوافي التي يوقف عليها بغير ياء ، كقول الأعشى :

وَمَنْ شَانِي كَاسِفٍ بَالُهُ إِذَا مَا ذُكِرْتُ لَهُ أَنْكَرَنُ ^(٢) [٤٦٨]

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ١ : ٩٢ ، والطبري في تفسيره ٢ : ٦٩٦ ، ولم ينسبها ، ونسبه أبو حيّان في البحر المحيط ٢ : ٥٠ إلى عمرو بن لجاء . وفيه : تقابل ، بدل : تقاتل . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٩ : ٢٣٥ : يقال : بُؤْسِي لزيد ، وبُؤْساً - بالتثنية - لزيد ، وبُؤْسِي نظيره نُعْمِي ، وبُؤْساً نظيره نعمة .
والشاهد فيه : أنّ الشاعر عدّى الفعل - شكرت - إلى المفعول به بلا واسطة فقال : شكرتُ القومَ .

(٢) انظر : ديوان الأعشى ميمون : ق ٢ ب ٣١ ، وفيه : انتسبتُ عنده ، بدل : ذُكرت له . والشنان : البغض ، والشانئ : المبغض . والكاسف الوجه : العابس المتغير .
والشاهد فيه : أنكرن ، أي أنكرني ، فحذف الياء .

يعني أنكرني ، فحذف الياء .

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣) آية واحدة بلا خلاف .

الصبر : هو حبس النفس عما تدعو إليه من الأمور .

والصابر : هو الحابس نفسه عما تدعو إليه مما لا يجوز له . وهو صفة

مدح .

ووجه الاستعانة بالصبر أن في توطين النفس على الأمور تسهلاً لها ،

واستشعار الصبر إنما هو توطين النفس .

ووجه الاستعانة بالصلاة ما فيها من الذكر لله واستشعار الخشوع^(١)

له ، وتلاوة القرآن وما فيه من الوعظ والتخويف والوعد والوعيد والجنة

والنار ، وما فيه من البيان الذي يوجب الهدى ويكشف العمى ، وكل ذلك

داعٍ إلى طاعة الله وزاجرٍ عن معاصيه .

فمن هاهنا كان فيه المعونة على ما فيه المشقة من الطاعة .

وأما الاستعانة فهي الازدياد في القوة ، مثل من يريد أن يحمل مائة

رطل فلا يتهيأ له ذلك ، فإذا استعان بزيادة قوةٍ تأتى له ذلك ، وكذلك إن

عاونه عليه غيره وعلى ذلك السبب والآلة ؛ لأنه بمنزلة الزيادة في القوة .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي معهم بالمعونة والنصرة ،

كما تقول : إذا كان السلطان معك فلا تبالٍ من لقيت .

وقد تكون «مع» في الكلام على معنى الاجتماع في المكان ، وذلك

(١) في «خ» : الخضوع .

لا يجوز عليه تعالى .

وفي الآية دلالة على أنَّ الصلاة فيها لطف ؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بالاستعانة بها ، ويوضحه قوله : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١) ولولا هذا النصَّ لجوزنا أن يكون في غير ذلك .

والذي يستعان عليه بالصبر والصلاة ، قيل فيه قولان :

أحدهما : طاعة الله ، كأنه قال : استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره فيها .

والثاني : على الجهاد في سبيل الله لأعدائه^(٢) .

وموضع ﴿الَّذِينَ﴾ رفع لا يجوز غير ذلك عند جميع النحويين ، إلا المازني ؛ فإنه أجاز : يا أيُّها الرجل أقبل^(٣) .

والعامل فيه ما يعمل في صفة المنادئ عند جميع النحويين ، إلا الأخفش ؛ فإنه يجعله صلةً لأيّ ، ويرفعه بأنّه خبر ابتداء محذوف^(٤) ، كأنه قيل : يا مَنْ هُم الذين آمنوا ، إلا أنّه لا يظهر المحذوف مع أيّ ، وإنّما حمّله

(١) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٦٩٧ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٠ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥١٤ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٠٩ ، والتذهيب في التفسير ١ : ٦٥٣ ، ومجمع البيان ١ : ٤٦٨ .

(٣) حكاه عنه الزّجاج في معاني القرآن ١ : ٢٢٨ ، والنحّاس في إعراب القرآن ١ : ١٩٧ ، وابن منظور في لسان العرب ١٤ : ٥٩ «أيا» .

وقال الزّجاج في ردّه لمذهب المازني : وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب ، ولم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله ، ولا تابعه عليه أحد بعده ، فهذا مطروح مردود ؛ لمخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار .

(٤) حكاه عنه الزّجاج في معاني القرآن ١ : ٢٢٨ ، والنحّاس في إعراب القرآن ١ : ١٩٧ .

على ذلك لزوم البيان له ، فقال : الصلة تلزم والصفة لا تلزم .
قال الرماني : والوجه عندي أن تكون صفة بمنزلة الصلة في
اللزوم^(١) .

وإنما لزمتم «أي» «ها» هنا في النداء^(٢) ؛ لأن الغرض بحرف التنبيه
وقع في موضع التنبيه فلزم ، فلا يجوز أن تقول : نَعَمْ الذين في الدار ؛ لأن
«نَعَمْ» إنما تعمل في الجنس الذي له نكرة^(٣) ، إذا أضمر فسّر بها .

(١) حكاه عنه الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٦٥٣ ، والطبرسي في مجمع
البيان ١ : ٤٦٧ .

(٢) في النداء ، لم ترد في «ح» و«هـ» .

(٣) له نكرة ، أثبتناها من «ح» و«ي» ، ولم ترد في النسخ الأخرى .

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾
وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾



قوله تعالى :

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ، بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤) آية بلا خلاف .

فإن قيل : هل الشهداء أحياء على الحقيقة أم أنهم سيحيون وليسوا أحياء ؟

قلنا : الصحيح أنهم أحياء إلى أن تقوم الساعة ، ثم يُحييهم الله في الجنة ، بلا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولاً شاذاً من بعض المتأخرين .
والأول قول الحسن ومجاهد وقتادة والجُبائي وابن الأخشاد والرماني وجميع المفسرين^(١) .

والقول الثاني حكاه البلخي ، وقال : إن المشركين كانوا يقولون : إن أصحاب محمد ﷺ يقتلون نفوسهم في الحروب لا لمعنى ، فأنزل الله تعالى الآية وأعلمهم أنه ليس الأمر على ما قالوه ، وأنهم سيحيون يوم القيامة ويثابون^(٢) . ولم يذكر ذلك غيره .

وقيل : ليسوا أمواتاً بالضلالة بل هم أحياء بالطاعة والهدى ، كما قال :
﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾^(٣) ، فجعل الضلالة موتاً والهداية حياة^(٤) .

(١) انظر : تفسير مجاهد : ٢١٧ ، وتفسير الطبري ٢ : ٦٩٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ٢٦٢/١٤٠٩ - ١٤١٢ ، وتفسير المائريدي ١ : ١٠٦ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٠ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥١٥ ، والتهديب في التفسير ١ : ٦٥٦ ، ومجمع البيان ١ : ٤٦٩ .

(٢) حكاه عنه أيضاً الجشمي البيهقي في التهديب في التفسير ١ : ٦٥٦ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٧٠ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ١٢٢ .

(٤) تفسير الماوردي ١ : ٢٠٩ ، ونسبه الجشمي في التهديب في التفسير ١ : ٦٥٦ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٧٠ ، والرازي في تفسيره ٤ : ١٦٤ إلى الأصم .

وقيل : معناه ليس هُم أمواتاً بانقطاع الذكر ، بل هُم أحياء ببقاء الذكر عند الله ، وثبوت الأجر عنده^(١) .

واستدل أبو علي الجُبائي على أَنَّهُم أحياء في الحقيقة بقوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (فقال : لو كان المعنى سَيُحْيَوْنَ في الآخرة ، لم يقل للمؤمنين المقرِّين بالبعث والنشور : ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ لأنَّهُم يعلمون ذلك ، ويشعرون به)^(٢) .

فإن قيل : وَلَمْ تُخَصَّ الشهداء بأنَّهُم أحياء والمؤمنون كلُّهم في البرزخ أحياء ؟

قيل : يجوز أن يكونوا ذُكروا اختصاصاً تشريفاً لهم .

وقد يكون على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم ثمَّ البيان لما يختصُّون به من أَنَّهُم يُرزقون ، كما قال تعالى : ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ﴾^(٣) .

وإنَّما قيل للجهاد : سبيل الله ؛ لأنَّه طريق إلى ثواب الله تعالى .

والقتل : هو نقض بنية الحياة .

والموت - عند مَنْ قال : إنَّه معنى - عرض ينافي^(٤) الحياة منفاة

التعاقب .

ومَنْ قال : ليس بمعنى ، قال : هو عبارة عن فساد بنية الحياة .

فإنَّما الحياة فهي معنى بلا خلاف^(٥) .

(١) انظر : تفسير الماوردي ١ : ٢٠٩ ، وتفسير القشيري ١ : ٧٨ .

(٢) في «خ» و«هـ» بدل ما بين القوسين : أي لا تعلمون ذلك وتشعرون به .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٦٩ .

(٤) ما أثبتناه من الحجرية ، واختلفت نسخنا في هذه الكلمة بين : يضاف ، ومضاد .

(٥) انظر : الفروق اللغوية : ٨٣ .

وقوله: ﴿أَمُوتُ﴾ رفع بأنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: لا تقولوا: هم أموات، ولا يجوز فيه النصب على قولك: قلت خيراً؛ لأنّ الخير في موضع المصدر كأنه قال: قلت قولاً حسناً.

فأما قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةً﴾^(١) فيجوز فيه الرفع والنصب في العربية، الرفع على: منّا طاعةً، والنصب على: نطيع طاعةً.

والفرق بين «بل» و«لكن»: أنّ «لكن» نفى لأحد الشيئين وإثبات للآخر، كقولك: ما قام زيد لكن عمرو، وليس كذلك «بل»؛ لأنها للإضراب عن الأوّل والإثبات للثاني، ولذلك وقعت في الإيجاب، كقولك: قام زيد بل عمرو.

فأما إذا قصد المتكلّم^(٢) فإنّما هو ليدلّ على أنّ الثاني أحقّ بالإخبار عنه من الأوّل، كقولك: قام زيد بل عمرو، كأنه لم يعتدّ بقيام الأوّل.

والشعور: هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواس، ولذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر ولا أنّه يشعر، وإنّما يُوصف بأنه عالم ويعلم.

وقد قيل: إنّ الشعور إدراك ما دقّ للطف الحسّ، مأخوذ من الشعر لدقّته، ومنه شاعر؛ لأنّه يفتن من إقامة الوزن وحسن النظم بالطبع لما لا يفتن له غيره^(٣).

فإن قيل: هل تكون عقولهم صحيحةً إذا كانوا أحياء، وكيف يجوز أن يصل إليهم ثوابهم مع نقصان عقولهم؟

(١) سورة النساء ٤ : ٨١ .

(٢) في «خ» و«و» : فصل التكلّم ، وفي «ي» : التكلّم .

(٣) انظر : الفروق اللغوية : ٦٤ .

قيل : الثواب لم يصل إليهم على كُنْهِهِ ، وإنما يصل إليهم طرفٌ منه .
ومثْلُهُمْ في ذلك مثْلُ النَّائم على حال جميلة في روضة طيبة ، يصل
إليهم طينْبُ ريحها ولذيد^(١) نسيمها على نحو ما جاء في الحديث من أنه :
«يُفسح له مدَّ بصره ويقال له : ثم نومة العروس»^(٢) .

وأما الذين قُتِلوا في سبيل الله ، فعلى ما ذكرناه من الاختصاص
بالفضيلة .

فإن قيل : كيف يجوز أن يكونوا أحياءً ونحن نرى جثثهم على
خلاف ما كانت عليه في الدنيا ؟

قيل : إنَّ النعيم والعذاب إنّما يصل إلى الروح ، وهي الحيّة ، وهي
الإنسان ، دون الجثة ، والجثة كالجبّة واللباس لصيانة الأرواح .
ومنَّ زعم أنَّ الإنسان هذه الجملة المعروفة ، وجعل الجثة جزءاً منها
فإنّه يقول بلطف أجزاء من الإنسان تُوصِلُ إليه النعيم وإن لم يكن الإنسان
بكمالهِ على نحو ما ذكرنا أنَّ النعيم لا يصل إليه نفسه .

قوله تعالى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْأَشْمَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) آية واحدة بلا خلاف .

الخطاب بهذه الآية متوجّه إلى أصحاب النبي ﷺ على قول عطاء
والربيع وأبي علي والرماني^(٣) .

(١) في «خ» و«هـ» : ويرد .

(٢) انظر : الكافي ٣ : ٩/٢٣٨ ، وشرح الأخبار ٣ : ١٤١٠/٤٨٧ ، ومسند أحمد ٤ : ٢٨٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٠٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٤١٤/٢٦٣ ، ١٤١٥ .

و١٤١٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٤ .

ولو قيل : إنه خطاب لجميع الخلق ، لكان أيضاً صحيحاً ؛ لأن ذلك جارٍ^(١) في جميعهم .

والابتلاء - في الأصل - : الطلب لظهور ما عند القادر على الأمر من خيرٍ أو شرٍّ .

والابتلاء والاختبار والامتحان بمعنى واحد .

والابتلاء بهذه الأمور المذكورة في الآية بأمور مختلفة :

فالخوف : هو انزعاج النفس لما يُتَوَقَّع من الضرر ، وكان ذلك لقصد المشركين لهم بالعداوة .

والجوع : كان لفقرهم وتشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش .

ونقص من الأموال : للاتقطاع بالجهاد عن العِمارة .

والأنفس : بالقتل في الحروب مع رسول الله ﷺ .

والجُوعُ : ضدُّ الشَّبَعِ ، يقال : جَاعَ يَجُوعُ جَوْعاً ، وَأَجَاعَهُ إِجَاعَةً ، وَجَوْعُهُ تَجْوِيعاً ، وَتَجَوَّعَ تَجَوُّعاً .

قال صاحب العين : الجُوعُ : اسم جامع للمَخْمَصَةِ ، والمَجَاعَةِ عامٌ فيه جُوعٌ^(٢) .

والنَّقْصُ : نقيض الزيادة .

قال صاحب العين : النَّقْصُ : هو الخُسْرَانُ في الحِطِّ ، تقول : نَقَصَ نَقْصاً ، وَانْقَصَ انْتِقَاصاً ، وَتَنَاقَصَ تَنَاقُصاً ، وَنَقَّصَهُ تَنْقِصاً ، وَاسْتَنْقَصَ اسْتِنْقَاصاً ، وَتَنَقَّصَهُ تَنْقُصاً .

والنُّقْصَانُ : يكون مصدرأً وإسماً ، كقولك : نُقْصَانُهُ كَذَا ، أَي قَدَرُ

(١) في «خ» و«هـ» : لأنه جائز ، بدل : لأن ذلك جارٍ .

(٢) العين ٢ : ١٨٥ «جوع» .

الذَّاهِبُ^(١) .

وَنَقَصَ الشَّيْءُ، وَنَقَصْتُهُ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ نَقْصٌ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ،
وَلَا يُقَالُ: نُقْصَانٌ .

وَالنَّقِصَةُ: الْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ، وَالنَّقِصَةُ: انْتِقَاصُ حَقِّ ذِي الرَّجِيمِ،
وَتَنَقَّصُهُ تَنَقُّصًا: إِذَا تَنَاوَلَ عِرْضَهُ^(٢) .

وأصل الباب: النَّقْصُ: الْحَطُّ مِنَ التَّمَامِ^(٣) .

وَالْمَالُ مَعْرُوفٌ، وَأَمْوَالُ الْعَرَبِ: أَنْعَامُهُمْ، وَرَجُلٌ مَالٌ، أَيْ ذُو مَالٍ .
وَنَالَ^(٤) أَيْ ذُو نَوَالٍ، وَتَقُولُ: تَمَوَّلَ الرَّجُلُ، وَمَوَّلَ غَيْرَهُ .

وأصل الباب: المال المعروف .

والثمرة: أفضل ما تحمله الشجرة .

ووجه المصلحة في ذلك هو ما في ذلك من الأمور المزعجة إلى
الاستدلال والنظر في الأدلة الدالة على النبوة، ولْيُعْلَمَ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا
يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ شِدَّةٍ فِي الدُّنْيَا مَا يُوجِبُ نَقْصَانَ مَنْزِلَتِهِ، فَفِي ذَلِكَ
ضُرُوبُ الْعِبَرِ .

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ فَعَلَ الْإِبْتِلَاءَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَالْمُشْرِكُونَ

(١) في «خ» و«هـ» زيادة: منه .

(٢) العين ٥ : ٦٥ «نقص» وفيه بعض ما ذكره المصنّف .

(٣) انظر مضافاً للعين: تهذيب اللغة ٨ : ٣٧٣، والمحيط في اللغة ٥ : ٢٦٩،
والمحكم والمحيط الأعظم ٦ : ٢٠٨، ولسان العرب ٧ : ١٠٠ «نقص» .

(٤) في «خ» و«هـ»: نوال .

وجاء في لسان العرب ١١ : ٦٨٣ «نوال»: وَرَجُلٌ نَالَ - بوزن نال - : جواد ،
وهي في الأصل: نائل ، قال ابن سيده : يجوز أن يكون فَعَلًا وأن يكون فاعلاً ذهب
عينه .

أوقعوها بالمؤمنين ، ففي ذلك إيجاب فعلٍ من فاعلين ؟

قلنا : لا يجب ذلك ؛ لأنّ الذي يفعله الله تعالى غير الذي يفعله المشركون ؛ لأنّ علينا أن نرضى بما فعله الله ، ونسخط ممّا فعله المشركون ، وليس يقدرون على شيءٍ ممّا ذكر في الآية ، ولكنّهم يقدرون على التعريض له بما هو محرّم عليهم وقبيح منهم .

وفُتحت الواو في ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لأمرين :

أحدهما : للعلّة التي فُتحت الراء في لنصّرُكُمْ^(١) ، وهو أنّه بُني على الفتحة ؛ لأنها أخفّ إذا استحقّق البناء على الحركة ، كما استحقّق «يا» - في النداء - حكم البناء^(٢) على الحركة .

الثاني : أنّه فتح لالتقاء الساكنين إذ كان قبل^(٣) معتلاً لا يدخله الرفع .

وإنّما قال : ﴿بَشَىءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ ولم يقل : بأشياء ، لأمرين :

أحدهما : لئلاّ يُوهّم بأشياء من كلّ واحد ، فيدلّ على ضروب الخوف ، ويكون الجمع كجمع الأجناس للاختلاف ، فقدّر شيء من كذا ، وشيء من كذا ، وأغنى المذكور عن المحذوف .

والثاني : أنّه وضع الواحد في موضع الجمع للإبهام الذي فيه كـ

«من»^(٤) .

(١) في جميع النسخ والحجريّة : لنضربنكم ، وهو سهو ، والصحيح ما أثبتناه لمناسبة ما قبله من قرينة : فتحت الراء . ولعلّه ناظر للآية (١١) من سورة الحشر : ﴿وَإِنْ قُولُكُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ .

(٢) في جميع النسخ الخطيّة والحجريّة : «استحقّق (يا) حكم - في النداء - البناء» . وما في المتن كما في الطبعة النجفيّة ٢ : ٣٨ ، ومجمع البيان ١ : ٤٧٢ .

(٣) في «خ» و«ها» : فعلاً .

(٤) انظر القولين في : التهذيب في التفسير ١ : ٦٥٩ ، ومجمع البيان ١ : ٤٧٣ .

والابتلاء بما ذُكر لا بدّ أن يكون فيه لطف في الدين وعوض في مقابلته، ولا يَحْسُن فعل ذلك لمجرّد العوض على ما يذهب إليه قوم .

فإن قيل : الابتلاء بأمر القبلّة وغيره من عبادات الشرع هل يجري مجرى الألم عند المصيبة ؟

قلنا : لا ، بلا خلاف هاهنا ، فإنّه لا بدّ أن يكون فيه لطف في الدين وإن كان فيه خلاف في الألم ؛ لأنّ هذه طاعات يستحقّ بها الثواب ، وبالإخلال بها - إذا كانت واجبات - يستحقّ بها العقاب ، فلا يجري مجرى الألم المحض .

والصبر واجب كوجوب العدل الذي لا يجوز عليه الانقلاب في الشرع ؛ إذ الصبر : حبس النفس عن القبيح من الأمر .

وقد بيّنا فيما مضى ابتلاء الله تعالى العالم بالعواقب ، وإنّ المراد بذلك أنّه يُعاملُ مُعاملةً المبتلي ؛ لأنّ العدل لا يصحّ إلّا على ذلك ، لأنّه لو أخذهم بما يعلم أنّه يكون منهم قبل أن يفعلوه لكان ظلماً وجوراً ، فيبّين الله بَعْدُ أنّه يُعاملهم بالحقّ دون الظلم .

والوقف على قوله : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ حَسَنٌ .

وقال بعضهم : لا يَحْسُن^(١) . وذلك غلط من حيث كانت صفة مدح ، وعامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف ، وإنّما وجب ذلك ؛ لأنّ صفة صابر صفة مدح كصفة تقي ، كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) .

(١) انظر : البحر المحيط ٢ : ٥٦ ، البرهان في علوم القرآن ١ : ٣٥٦ ، ونسب القول بجواز الوقف إلى الرماني ، والكشاف ٦ : ٤٦٩ في تفسير قوله تعالى : ﴿الْخَنَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٥٣ .

والجُوع : الحاجة إلى الغذاء . وتختلف مراتبه في القوّة والضعف ، وقد يقال : جُوع كاذب ؛ لأنه يتخيّل به الحاجة إلى الغذاء لبعض الأمور العارضة من غير حقيقة .

وقوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ :

فالتبشير - في الأصل - : هو الإخبار بما يسرّ أو يغمّ ممّا تتغيّر له البشرية ، غير أنّه كثر استعماله فيما يسرّ .

والصبر المحمود : هو حبس النفس عمّا قبح من الأمر .

قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) آية واحدة بلا خلاف .

في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار الله بالعبودية .

﴿وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فيه إقرار بالبعث والنشور ، وأنّ مآل الأمر يصير إليه ، وإنّما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة ؛ لما فيها من الدلالة على أنّ الله يجبرها^(١) إن كانت عدلاً ، ويُنصف من فاعلها إن كانت ظلماً ، وتقديره : ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ تسليماً لأمره ورضاً بتدبيره ﴿وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ثقة بأننا إلى العدل نصير .

والمصيبة : هي المشقّة الداخلة على النفس لما يلحقها من مضرة ، وهي من الإصابة ؛ لأنّها تصيبها بالبلية .

ومعنى الرجوع إلى الله : الرجوع إلى انفراده بالحكم ، كما كان أول

(١) اختلفت النسخ في هذه الكلمة بين : يجيز فيها ، ويجيزها ، وما أثبتناه من «ح» .

مرة؛ لأنه قد مَلَكَ قوماً في الدنيا شيئاً من الضرّ والنفع لم يكونوا يملكونه ، ثم يرجع الأمر إلى ما كان إذا زال تملك العباد .

وأصل الرجوع هو مصير الشيء إلى ما كان ، ولذلك يقال : رجعت الدار إلى فلان ، إذا اشتراها مرة ثانية ، والرجوع والعود والمصير نظائر . وفي الآية معنى الأمر ؛ لأنها مدح عامّ لكلّ مَنْ كان على تلك الصفة بتلك الخصلة .

وأجاز الكسائي والفراء^(١) في ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ الإمامة ، ولا يجوز ذلك في غير اسم الله ، في مثل قولك : إِنَّا لزيد ، لا يجوز إمالته ، وإنما جاز الإمامة مع اسم الله لكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة ، وإنما لم يجوز الإمامة في غير ذلك ؛ لأنّ الحروف كلّها وما جرى مجراها لا يجوز فيها الإمامة ، مثل : حتى ولكن وما^(٢) وما أشبه ذلك ؛ لأنّ الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الأسماء والأفعال .

قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْتَدُونَ﴾ (١٥٧) آية واحدة بلا خلاف .

﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى الصابرين الذين وصفهم الله في الآية الأولى .

وقيل في معنى الصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها الدعاء ، كما قال الأعشى :

(١) معاني القرآن للكسائي : ٨٢ ، معاني القرآن للفراء : ١ : ٩٤ .
(٢) ما أثبتناه من «خ» و «هـ» ، وفي بقيّة النسخ والحجّية : ممّا .

[٧٠] وَصَلَّى عَلَىٰ ذُنْهَا وَارْتَسَمَ^(١)

أي دعا لها .

الثاني : أنها مشتقة من الصَّلَوَيْنِ مكتنفا^(٢) ذَنبَ الفرس أو الناقة ، فسُميت الصلاة في الشرع بذلك ، لرفع الصلا في الركوع والسجود .

الثالث : قال الزجاج : إن أصلها اللزوم من قوله : ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾^(٣) أي تلزمها^(٤) . والصلاة من أعظم ما يلزم من العبادة .

وقال قوم : معنى الصلوات هاهنا : الثناء الجميل . وقيل : بركات الدعاء^(٥) . والثناء يستحق دائماً ، ففيه معنى اللزوم ، وكذلك الدعاء يدعى به مرة بعد مرة ، ففيه معنى اللزوم .

والمُصَلِّي من الخيل : الذي يلزم أثر السابق^(٦) .

ومعنى ﴿الْمُهْتَدُونَ﴾ يعني : إلى الحق الذي به يُنال الثواب والسلامة من العقاب .

والرحمة : الإنعام على المحتاج ، وكل أحد يحتاج إلى نعمة الله .
والاهتداء : الإصابة لطريق الحق ، وهو الإصابة للطريق المؤدي إلى

(١) تقدّم الاستشهاد بهذا البيت في ١ : ١٨٢ ، ولنفس المراد في تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ .

(٢) في «خ» و«هـ» : اللَّذَيْنِ اكتنفا .

(٣) سورة الغاشية ٨٨ : ٤ .

(٤) انظر الأقوال كلها في : معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٣٢ ، والتفسير البسيط ٢ : ٧٣ ، وتهذيب اللغة ١٢ : ٢٣٧ «صلو» .

(٥) انظر : تفسير الهواري ١ : ١٦٠ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٤ ، وتفسير الراغب الأصفهاني : ٣٥٤ .

(٦) انظر : العين ٧ : ١٥٣ ، وتهذيب اللغة ١٢ : ٢٣٨ «صلو» .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ حمزة والكسائي^(٢) : وَمَنْ يَطَّوَّعُ بِالْيَاءِ وتشديد الطاء والواو وسكون العين ، والباقون بالتاء على فعل ماضٍ^(٣) .

الصَّافِيَ في الأصل : الحَجَرُ الأملس ، مأخوذ من الصفو .

قال المبرد : الصفا كل حجر لا يخلط غيره من طين أو تراب يتصل به حتى يصير منه ، وإنما اشتقاقه من صَفَا يَصْفُو إذا خُلِصَ^(٤) .

وهو الصَّافِي الذي لا يكدره شيء يشوبه .

وقيل : واحد الصَّافَا : صَفَاة^(٥) .

وقيل : بل هو واحد يجمع أَصْفَاءَ وَصُفْيَ^(٦) ، وأصله من الواو ، ولأنك تقول في ثنيتين : صفوان ، ولأنه لا يجوز فيه الإمالة^(٧) .

(١) في الحجرية : النعمة .

(٢) في «هـ» زيادة : ويعقوب .

(٣) راجع القراءتين في : الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٤٥ ، حُجَّة القراءات : ١١٨ ، السبعة في القراءات : ١٧٢ .

(٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط ٣ : ٤٣٤ ، وانظر : التهذيب في التفسير ١ : ٦٦٤ بلا نسبة لأحد .

(٥) قال به الزجاج في معاني القرآن ١ : ٢٣٣ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٢٣٣ .

(٦) انظر : المحكم ٨ : ٣٨١ «صفو» .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٠٩ ، تفسير الثعلبي ٤ : ٢٣٣ .

والمَرْوَةُ - في الأصل - هي الحجارة الصُّلْبَةُ اللَّيْنَةُ ^(١).

وقيل : الصِّفَاة الصَّغِيرَةُ . والمَرْوُ لغة في المَرْوَةِ . وقيل : إنَّه جمع ،

مثل : تَمَرَةٌ وَتَمَرٌ ^(٢) ، قال أبو ذؤيب :

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ ^(٣) [٤٦٩]

والمَرْوُ : نبت ، والأصل الصَّلابة ، والنَّبْتُ سُمِّيَ بذلك لصلابة بزره .

والصفا والمروة : هُما الجبلان المعروفان بالحرم ، وهُما من الشعائر ،

كما قال الله تعالى .

والشعائر : المعالم للأعمال ، فشعائر الله : معالم الله التي جعلها مواطن

للعادة ، وهي أعلام متعبداته من مَوْقِفٍ أو مَسْعَى أو مَنْحَرٍ ، وهو مأخوذ

من شعرت به أي علمت ، وكلّ مَعْلَمٍ لعبادةٍ من دعاء أو صلاة أو أداء

فريضة فهو مَسْعَرٌ لتلك العبادة .

(١) قال الجوهري في الصحاح ٦ : ٢١٩٨ «لين» : اللينُ : ضَدُّ الخشونة .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٠٩ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٣٥ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٢٠ .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١ : ٣ ، من قصيدة قالها وقد هلك

له خمسة بنين في عام واحد ، أصابهم الطاعون . وفي رواية : كان له سبعة بنين

شربوا من لبن شربت منه حيَّةٌ ثُمَّ ماتت فيه ، فهلكوا في يوم واحد .

ومطلعها :

أَمِىنَ المَنُونِ وَرِيبِهَا تَتَوَجَّعُ والدهرليس بِمُعْتَبٍ من يَجْزَعُ
وتمام البيت :

بَصَفا المَشْرُوقِ كُلِّ يَوْمٍ تُفَرِّعُ

والمروة مضافاً إلى ما تقدّم لها من معنى ، فَسُرْتُ أيضاً بالحجر الأبيض البراق

تقترح منه النار . والمشرق : مسجد الخيف بمنى ، وإنما خصّه لكثرة مرور الناس

به ، فَهَمَّ يقرعون حجارتها بمرورهم ، كما ورد في شرح البيت من ديوانه .

والشاهد فيه : استعمال الشاعر المروة بمعنى الحجر الصلب .

انظر مضافاً لديوانه وشرح القصيدة : لسان العرب ١٥ : ٢٧٥ «مرا» .

وواحد الشعائر: شعيرة، فشعائر الله: أعلام متعبداته، قال الكميت
ابن زيد:

تَقْتَلُهُمْ جِيلاً فَجِيلاً تَرَاهُمْ شَعَائِرُ قُرْبَانٍ بِهَا تَنْقَرُبُ^(١) [٤٧٠]

والحجّ: قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام والطّواف والوقوف
بعرفة والسعي بين الصّفا والمروة، واشتقاقه من الحجّ الذي هو القصد على
وجه التكرار والتردّد، قال الشاعر:

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحْجُّونَ سِبَّ الزُّبْرِقَانِ الْمُزْعَفَرَا^(٢) [٤٧١]

يعني يكثرون التردّد إليه لسؤدده، وقال آخر:

(١) انظر: شرح الهاشميات: ٦٧، ومجاز القرآن ١: ١٤٦، وتفسير الثعلبي ٤:

٢٣٦، ونسبه ابن منظور في لسان العرب ٤: ٤١٤ «شعر» لأبي عبيدة.

وفي بعض النسخ والمصادر: بها يُتَقَرَّبُ، وفي بعضها: بهم يُتَقَرَّبُ.

والبيت من قصيدته المعروفة التي مطلعها:

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أَطَرَبْتُ ولا لَعِباً مِنِّي أذو الشيبِ يَلْعَبُ

وجيلاً فجيلاً: جيشاً فجيشاً وخلقاً بعد خلق.

والشعائر: البُدُنُ التي تهدى إلى البيت، تُشعر بسهم أو حديدة، وواحدة
الشعائر: شعيرة. وهو الشاهد بهذا البيت.

(٢) البيت للمختل السعدي، انظر: الصحاح ١: ١٤٥ «سبب» و٣٠٣ «حجج» و٤:

١٤٨٩ «زبرق»، وتهذيب اللغة ٣: ٣٨٨ «حج»، و١٢: ٣١٣ «سب»، ولسان العرب

٤٥٧: ٤ «سب»، و٢: ٢٢٦ «حجج»، و١٠: ١٣٨ «زبرق».

وذكر في الجهمرة ١: ٨٦، والاشتقاق: ٢٥٤، باختلاف الصدر:

فهم أهلاتٌ حول قيس بن عاصم يحجّون سبَّ الزبرقان المزعفرأ

والحلول: الأحياء المجتمعة، ويحجّون: يكثرون الاختلاف إليه، وسبّ:

العمامة، والزبرقان هو ابن بدر الفزاري، وسُمي الزبرقان لصفرة عمامته، وكان

اسمه حصيناً، والمزعفر: الملون بالزعفران.

والشاهد فيه: يحجّون بمعنى يزورون ويكثرون الاختلاف إليه.

يَحْجُجُ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفٌ^(١) [٤٧٢]

وأما العُمرة - في الأصل - فهي الزيارة ، وهي هاهنا : زيارة البيت بالعمل المشروع من طواف الزيارة والإحرام .

وأخذت العُمرة من العمارة ؛ لأنَّ الزائر للمكان يعمره بزيارته له .
وقوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ :

فالجناح : هو الميل عن الحقِّ ، وأصله من جَنَحَ إليه جُنُوحاً : إذا مال إليه .

قال صاحب العين : الاجتناح : الميل ، أجنحتُ هذا فاجتنحت ، أي أملتة فمال^(٢) .

وقوله : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٣) أي مالوا إليك لصلح فمل إليهم .

وجناحا الطائر : يده ، ويذا الإنسان : جناحاه ، وجناحا العسكر : جانباه ، وجناحا الوادي : مَجْرَيَانِ عن يمينه وشماله .
وَجَنَحَتِ الإبل في السير : إذا أسرع .

(١) البيت لعذار بن دَرَّة الطائي ، وتعام البيت :

فاسَتْ الطيب قذاها كالمغاريد

وحجَّ الشَّجَّة : إذا سبرها بالميل ليعالجها . والمأمومة : الشَّجَّة التي تبلغ أم الدماغ ، واللجف : حفر في جانب البشر ، وقد استعير هذا في الجرح هنا ، والغردة : ضرب من الكمأة ، وجمعها غراد ، وهي المغاريد .

وقد ذكر ابن منظور عدَّة تفاسير لهذا البيت ، فليراجع .

انظر : معاني القرآن للنحاس ١ : ١١٥ ، الصحاح ١ : ٣٠٤ و ٤ : ١٤٢٥ ، معجم مقاييس اللغة ١ : ٢٣ ، لسان العرب ٢ : ٢٢٨ ، و ٣ : ٣٢٥ ، و ٩ : ٣١٣ «حجج» و«غرد» و«لجف» .

(٢) العين ٣ : ٨٤ ، باختلافٍ ، وانظر : المحيط في اللغة ٢ : ١٤٠ «جنح» .

(٣) سورة الأنفال ٨ : ٦١ .

وإنما قيل للأضلاع : جَوَانِح ؛ لاعوجاجها .
 وَجَنَحَتِ السفينة : إذا مالت في أحد شِقَيِّها . وكلّ مائلٍ إلى شيءٍ فقد
 جَنَحَ إليه ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾^(١) أي لا ميل إلى مآثم .
 وكلّ ناحية : جناح .

ومرَّ جُنْحٌ من الليل ، أي قطعة نحو نصفه .
 وأصل الباب : الميل^(٢) .
 والطَّوْف : الدَّوْرُ حول البيت ، ومنه الطائف : الدائر بالليل .
 والطائفة : الجماعة كالحلقة الدائرة .
 و﴿يَطُوفُ﴾ أصله يَنْطُوفُ ، فأدغمت التاء في الطاء ؛ لأنها من
 مخرجها ، والطاء أقوى بالجهر منها .

والفرق بين الطاعة والتطوع : أنَّ الطاعة : مُوافَقَةُ الإرادة في الفريضة
 والنافلة .

والتَطَوُّع : التبرُّرُ^(٣) بالنافلة خاصّة .
 وأصلها : الطوع ، الذي هو الانقياد .
 وإنما قال : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ وهو طاعة ، من
 حيث إنّه جواب لمن توهم أنَّ فيه جُنَاحاً ، لصنمين كانا عليه ، أحدهما :
 إساف ، والآخر : نائلة ، في قول الشَّعْبِيِّ ، وكثير من أهل العلم^(٤) .

(١) سورة الممتحنة ٦٠ : ١٠ .

(٢) انظر مضافاً لما تقدّم : تهذيب اللغة ٤ : ١٥٤ ، والصحاح ١ : ٣٦٠ «جنح» .

(٣) فلان يَبْرُ خالقه ويتبرّره أي يطيعه . لسان العرب ٤ : ٥٤ «برر» .

(٤) انظر : أسباب نزول القرآن : ٨٠/٤٩ ، وتفسير الطبري ٢ : ٧١٣ و٧١٤ ، والوسيط

١ : ٢٤٢ ، وفيه : يساف ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٢١ ، وتفسير الثعلبي ٤ :

وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام : «وكان ذلك في عُمْرَةِ القضاء»^(١) ولم يكن فتح مَكَّةَ بعدُ ، وكانت الأصنام على حالها حول الكعبة . وقال قوم : سبب ذلك أنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يطوفون بينهما ، فكره المسلمون ذلك خوفاً أن يكون من أفعال الجاهليَّة ، فأنزل الله تعالى الآية^(٢) .

وقال قوم عكس ذلك : إنَّ أهل الجاهليَّة كانوا يكرهون السعي بينهما ، فظنَّ قوم أنَّ في الإسلام مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى الآية^(٣) . وجملته : أنَّ في الآية ردّاً على جميع مَنْ كرهه لاختلاف أسبابه . والطواف بينهما فرض عندنا في الحجِّ والعُمْرة ، وبه قال الحسن وعائشة وغيرهما ، وهو مذهب الشافعي^(٤) وأصحابه . وقال أنس بن مالك وعطاء^(٥) - ورُوي عن ابن عبَّاس - : إنَّه تطوَّع ،

(١) انظر : تفسير القمِّي ١ : ٦٤ ، وتفسير العياشي ١ : ١٣٨/١٧١ ، والكافي ٤ : ٨/٤٣٥ ، والتهذيب ٥ : ١٥/١٤٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧١٥ - ٧١٧ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٦٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧١٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٥ .

(٤) هو محمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، إمام الشافعيَّة ، أبو عبد الله المطلبي الشافعي المكي الغزي المولد ، والمطلَّب هو أخو هاشم والد عبدالمطلَّب . اتفق مولده بغزة ، ومات أبو إدريس شاباً ، فخافت عليه أمه الضيعة ، فتحوَّلت به إلى مَكَّةَ وهو ابن عامين ، فنشأ بها ، وارتحل إلى المدينة وأخذ عن مالك ومطرّف وهشام بن يوسف وطائفة ، وحَدَّث عنه : الحُمَيدي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وتوفيَّ آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ بمصر ، ودُفِن بالقرافة .

له ترجمة في : سير أعلام النبلاء ١٠ : ١/٥ ، ونهاية السؤل في رِوَاة السِّنة الأصول ٧ : ٥٨١٦/٢٣٣٠ ، والتذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة ٣ : ٥٨٤٧/١٤٦٩ .

(٥) عطاء ، لم ترد في «ه» .

وبه قال أبو حنيفة^(١) وأصحابه ، واختاره الجُبائي^(٢) .

وعندنا أنَّ مَنْ ترك الطواف بينهما متعمداً فلا حجَّ له حتى يعود فيسعى ، وبه قالت عائشة والشافعي .

وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري : إن عاد فَحَسَنٌ ، وإلا جبره بدم .

وقال عطاء ومجاهد : يُجْزئه ولا شيء عليه^(٣) .

وقوله : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال :

أولها : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي بالحج أو العمرة بعد الفريضة .

الثاني : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي بالطواف بهما^(٤) عند مَنْ قال : إنَّه نفل .

الثالث : ﴿مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بعد الفرائض ، وهذا هو الأولى ؛ لأنه أعم^(٥) .

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي ، إمام أصحاب الرأي ، مولى بني تيم ، من أبناء فارس ، ولد سنة ثمانين ، روى عن عطاء ، والشعبي ، وطاووس وغيرهم ، وحَدَّث عنه خلقٌ كثير ، مات سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة ببغداد .

له ترجمة في : تاريخ مدينة السلام ١٥ : ٧٢٤٩/٤٤٤ ، وسير أعلام النبلاء ٦ : ١٦٣/٣٩٠ ، والجواهر المضيئة ١ : ٥١ .

(٢) انظر : تفصيل المسألة في : الخلاف للمصنّف ٢ : ٣٢٨/مسألة ١٤٠ ، تذكرة الفقهاء ٨ : ١٣٦ ، بداية المجتهد ٣ : ١٠٠ ، تفسير الطبري ٢ : ٧٢١ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ٩٦ ، المجموع ٨ : ٧٧ ، المبسوط للسرخسي ٤ : ٥٨ ، الهداية للمرغيناني ١ : ١٨١ ، المغني لابن قدامة ٣ : ٤١٠ ، تفسير الثعلبي ٤ : ٢٤٨ .

(٣) راجع المصادر السابقة .

(٤) في «هـ» : بينهما .

(٥) راجع الأقوال الثلاثة في : تفسير الطبري ٢ : ١/٧٢٨ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٤ ،

وفي الناس مَنْ قال - وهو الجُبَّائي وغيره -: إِنَّ التَّقْدِيرَ: فلا جناح عليه أَلَّا يَطَّوَّفَ بهما، كما قال: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(١) ومعناه: أَلَّا تَضِلُّوا، وكما قال: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٢) ومعناه: أَلَّا تقولوا^(٣).

وقال آخرون: إِنَّ ذلك لا يجوز، وهو اختيار الرَّمَّاني^(٤)، وهو الصحيح؛ لأنَّ الحذف يحتاج إلى دليل، ومعنى القراءتين واحد لا يختلف. وَوَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ شَاكِرٌ مُجَازٍ؛ لأنَّ الشَّاكِرَ - في الأصل - هو الْمُظْهِرُ لِلإِنْعَامِ عليه، والله لا تلحقه المنافع والمضارَّ، تعالى عن ذلك.

ومعناه هاهنا: المجازي على الطاعة بالثواب، وخرج اللفظ مخرج التَّلَطُّفِ حَتَّى عَلَى الإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٥) والله لا يستقرض من عَوَزٍ لَكِنْ تَلَطَّفَ فِي الاسْتِدْعَاءِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلَ الْمُقْرِضِ بِأَنْ يَقْدَمَ فَيَأْخُذُ أَضْعَافَ مَا قَدَّمَ فِي وَقْتِ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَى ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ﴾ يعامله معاملة الشَّاكِرِ بِخُسْنِ الْمَجَازَةِ وَإِجَابِ الْمَكَافَأَةِ.

والفرق بين التَطَوُّعِ والفَرْضِ: أَنَّ الفَرْضَ يَسْتَحِقُّ بتركه الذَّمَّ والعقاب، والتَطَوُّعَ لا يَسْتَحِقُّ بتركه الذَّمَّ ولا العقاب.

وروي عن جعفر بن محمد عليه السلام: أَنَّ آدَمَ نَزَلَ عَلَى الصِّفَا وَحَوَّاءُ عَلَى

المصابيح في تفسير القرآن العظيم ١: ١٩٧، وتفسير الثعلبي ٤: ٢٥٥، وتفسير الماوردي ١: ٢١٣.

(١) سورة النساء ٤: ١٧٦.

(٢) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

(٣) عنه في التهذيب في التفسير ١: ٦٦٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٤٥.

المروة ، فسُمِّي المروة باسم المرأة^(١) .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (١٥٩) آية
بلا خلاف .

قيل : في المعنى بهذه الآية قولان :

أحدهما : قال ابن عباس ومجاهد والربيع والحسن وقتادة والسُّدي - واختاره الجُبائي وأكثر أهل العلم - : إنهم اليهود والنصارى ، مثل كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وابن صوريا وزيد بن التابوه^(٢) ، وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ ونبوته ، وهم يجدونه مكتوباً^(٣) في التوراة والإنجيل مُبيناً فيهما^(٤) .

والثاني ذكره البلخي : أنه مُتناول لكل مَنْ كتم ما أنزل الله^(٥) . وهو أعم ؛ لأنه يدخل فيه أولئك وغيرهم .

(١) انظر : الكافي ٤ : ١/١٩٠ «باب حج آدم عليه السلام» ، وعلل الشرائع ٢ : ١/٤٣١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢١١ .

(٢) ما أثبتناه من «ي» ، وفي «ح» : البابوه ، وفي «و» : التابوت ، وفي «هـ» : النابوة . (٣) في «هـ» زيادة : عندهم .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٢ ، تفسير الطبري ٢ : ٧٢٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٤٣٩/٢٦٨ و ١٤٤١ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٥ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٥٦ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ٥ : ٥٢٧ ، والتفسير البسيط ٣ : ٤٤٥ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٦٩ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٣١ ، وتفسير القشيري ١ : ٨٠ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٠٠ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٦٩ .

ويُروى عن ابن عباس أنَّ جماعة من الأنصار سألوا نفرًا من اليهود عمّا في التوراة، فكتموهم إياه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية^(١).

وإنما نزل فيهم هذا الوعيد؛ لأنَّ الله تعالى عَلِمَ منهم الكتمان، وعموم الآية يدلُّ على أنَّ كُلَّ مَنْ كَتَمَ شيئاً من علوم الدين، وفَعَلَ مِثْلَ فعلهم في عظم الجرم أو أعظم منه، فإنَّ الوعيد يلزمه، وأمّا ما كان دون ذلك، فلا يُعلم بالآية، بل بدليلٍ آخَر.

وقد روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «مَنْ سُئِلَ عن علمٍ يعلمه فكتمه أَلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار»^(٢).

وقال أبو هريرة: لولا آية في كتاب الله ما حَدَّثْتكم، وتلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ الآية^(٣)، فهذا تغليظ للحال في كتمان علوم الدين. وكتمان الشيء: إخفاؤه مع الداعي إلى إظهاره؛ لأنَّه لا يقال لمن أخفى ما لا يدعو إلى إظهاره داعٍ: كاتم.

والكتاب الذي عني هاهنا قيل: التوراة^(٤).

وقيل: كلُّ كتاب أنزله الله^(٥). وهو أليق بالعموم.

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢: ٧٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٤٣٩/٢٦٨.

(٢) روي في مصادر عديدة منها: مسند أحمد ٢: ٢٦٣، ٢٩٦، ٣٥٠، ٣٥٣، ٤٩٥، وسنن ابن ماجه ١: ٢٦١/٩٦ و٢٦٦/٩٨ «باب مَنْ سُئِلَ عن علم فكتمه»، وسنن أبي داود ٢: ٣٦٥٨/١٧٩ «باب كراهة منع العلم»، ومستدرک الحاکم ١: ١٠١.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢: ٢٧٤، وابن سعد في الطبقات ٤: ٣٣٠، والطبري في تفسيره ٢: ٧٣١.

(٤) قال به ابن عباس في تفسيره: ٢٢، والسمرقندي في تفسيره ١: ١٧١، والواحدي في التفسير البسيط ٣: ٤٤٥، والوسيط ١: ٢٤٤، والثعلبي في تفسيره ٤: ٢٥٦.

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ١٠٠، التهذيب في التفسير ١: ٦٧٠.

وقال الزَّجَّاج : هو القرآن^(١) .

واستدلَّ قوم^(٢) بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد ، من حيث إنَّ الله تعالى توعدَّ على كتمان ما أنزله .

وقد بيَّنَّا في أصول الفقه أنَّه لا يمكن الاعتماد عليه ؛ لأنَّ غاية ما في ذلك وجوب الإظهار ، وليس إذا وجب الإظهار وجب القبول ، كما أنَّ على الشاهد الواحد يجب إقامة الشهادة وإن لم يجب على الحاكم قبول شهادته ، حتَّى ينضمَّ إليه ما يوجب الحكم بشهادته .

وكذلك يجب على النبي ﷺ إظهار ما حمَّله ، ولا يجب على أحد قبوله حتَّى يقتصر به المُعْجِز الدالُّ على الصدق ، ولذلك نظائر ذكرناها^(٣) .

على أنَّ الله تعالى بيَّن أنَّ الوعيد إنَّما توجَّه على مَنْ كتم ما هو بيِّنة وهدى وهو الدليل ، فمن أين لهم أنَّ خبر الواحد بهذه المنزلة ، فإذا لا دلالة في الآية على ما قالوه .

والبيِّنات والهدى هي الأدلَّة ، وهما بمعنى واحد ، وإنَّما كثر لاختلاف لفظهما .

وقيل : إنَّه أراد بالبيِّنات الحجج الدالَّة على نبوته ﷺ ، وبالهدى إلى ما يؤدِّيه إلى الخلق من الشرائع^(٤) ، فعلى هذا لا تكرار .

(١) معاني القرآن ١ : ٢٣٥ ، وقال به آخرون مثل الماوردي في تفسيره ١ : ٢١٤ .

(٢) منهم الجصاص كما صرح به في أحكام القرآن ١ : ١٠١ ، وأبو حسين البصري في المعتمد ٢ : ٥٩٧ .

(٣) عدَّة الأصول ١ : ١١٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٢٩ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢١٤ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٦٩ .

واللعن - في الأصل - : الإبعاد على وجه الطرد ، قال الشَّمَخ^(١) :

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّنْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ^(٢) [٤٧٣]

أراد مقام الذنب اللعين . واللعن في الحكم : الإبعاد من رحمة الله بإيجاب العقوبة ، فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة . وقول القائل : لعنه الله ، دعاء ، كأنه قال : أبعده الله ، فإذا لعن الله عبداً فمعناه الإخبار بأنه أبعده من رحمته .

والمعنى بقوله : ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ قيل فيه أربعة أقوال :

أحدها : قال قتادة والربيع - واختاره الجُبَّائي والرماني وغيرهما - : إنهم الملائكة والمؤمنون^(٣) ، وهو الصحيح ؛ لقوله تعالى في وعيد الكفار :

(١) هو الشَّمَخ بن ضرار بن سنان بن أُمَيَّة الغطفاني ، وأُم الشَّمَخ أنمارية من بنات الثَّغَشْب ، ويقال : إنهن أنجب نساء العرب ، واسمها معاذة بنت بُجَيْر ، والشَّمَخ مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، والشَّمَخ لقب ، واسمه مَغْقَل ، وقيل : الهيثم ، وقال الحطيئة في وصيته : أبلغوا الشَّمَخ أنه أشعر غطفان ، وقال المزباني : إنه توفي في غزوة موقان في زمن عثمان .

له ترجمة في : كتاب الأغاني ٩ : ١٥٨ ، والإصابة ٣ : ٣٩١٣/٢١٠ .

(٢) ديوان الشَّمَخ الديباني : ٣٢١ ، والبيت من قصيدة يمدح بها عرابية بن أوس ، مطلعها :

كَيْلَا يَوْمِي طَوَّالَةً وَصَلُّ أَرْوَى ظَنُونُ أَنْ مَطَرُحِ الظَّنُونِ

المعنى : ذعرت : أفزعت وفترت ، القطا : نوع من الطيور ، والقطا والذنب هما السابقان إلى الماء ، مقام الذنب : أي الذنب . اللعين : المطرود المقصى . أي مقام الذنب اللعين كالرجل ، وقال الجوهري : الرجل اللعين : شيء ينصب وسط المزارع تستطرد به الوحوش .

الشاهد فيه : أنَّ الشاعر استعمل : اللعين بمعنى : المطرود .

انظر : مجاز القرآن ١ : ٤٦ ، والصحاح ٦ : ٢١٩٦ ، ولسان العرب ١٣ : ٣٨٨ «لعن» .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٣٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٤٤٥/٢٦٩ ، وتفسير

الثعلبي ٤ : ٢٥٧ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢١٥ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٧٠ .

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(١) فلعنة
اللاعنين كلعنة الكافرين .

الثاني : قال مجاهد وعكرمة : إنها دواب الأرض وهوامها ، تقول :
منعنا القطر بمعاصي بني آدم^(٢) .

الثالث حكاه الفراء : أنه كل شيء سوى الثقلين : الإنس والجن ، رواه
عن ابن عباس^(٣) .

الرابع قاله ابن مسعود : إنه إذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على
المستحق لها ، فإن لم يستحقها واحد منهم رجعت على اليهود الذين كتموا
ما أنزل الله^(٤) .

فإن قيل : كيف يجوز على قول من قال : المراد به البهائم اللاعنون ،
وهل يجوز على قياس ذلك : الذاهبون ؟

قلنا : لما أضيف إليها فعل ما يَعْقِلُ عُوْمِلَتْ معاملته ما يَعْقِلُ ، كما قال
تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَآيُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٥) .

فإن قيل : كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يَعْقِلُ من البهيمة

(١) سورة البقرة ٢ : ١٦١ .

(٢) حكاه عنهما الطبري في تفسيره ٢ : ٧٣٣ و ٧٣٤ ، والطبراني ١ : ٢٧٥ ، وابن
أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٤٤٦/٢٦٩ و ١٤٤٧ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٢٥٩ ،
والماوردي في تفسيره ١ : ٢١٥ .

(٣) معاني القرآن ١ : ٩٥ ، ورواه أيضاً عنه الماوردي في تفسيره ١ : ٢١٤ ، والثعلبي
في تفسيره ٤ : ٢٥٧ ، وغيرهما .

(٤) حكاه عنه البيهقي في شعب الإيمان ٤ : ٥١٩٢/٣٠٣ «باب في حفظ اللسان» ،
والفراء في معاني القرآن ١ : ٩٥ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٢٥٨ ، والقيسي في
الهداية إلى بلوغ النهاية ٥ : ٥٣٠ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢١٥ .

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٤ .

والجماد ؟

قيل : لأمرين :

أحدهما : لما فيه من الآية التي تدعو إلى لعن مَنْ عمل بمعصية الله .
والثاني : أن تكون البهائم تقول على جهة الإلهام لما فيه من الاعتبار .

قوله تعالى :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٠) آية بلا خلاف .

استثنى الله تعالى في هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعنة مَنْ
تاب وأصلح وبيَّن .

واختلفوا في معنى ﴿بَيَّنُّوا﴾ فقال أكثر المفسرين كقتادة وابن زيد
والبخري والجُبائي والرماني : إنهم بيَّنوا ما كتموه من البشارة بالنبى ﷺ .
وقال بعضهم : بيَّنوا التوبة وإصلاح السَّريرة بالإظهار لذلك ^(١) .

وإنما شرط مع التوبة الإصلاح والبيان ليرتفع الإيهام بأن التوبة ممَّا
سلف من الكتمان تكفي في إيجاب الثواب .

ومعنى قوله تعالى : ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم .

والأصل في ﴿أَتُوبُ﴾ أفعل التوبة ، إلا أنه لما وصل بحرف الإضافة
دَلَّ على أنَّ معناه أقبل التوبة .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٧٣٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٤٥٢/٢٧٠ ، وتفسير
الطبراني ١ : ٢٧٥ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٣١ ، وتفسير ابن أبي زمنين ١ :
١٩٢ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٦٠ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢١٥ ، وتفسير القشيري ١ :
٨٠ ، والتفسير الوسيط ١ : ٢٤٤ ، والتفسير البسيط ٣ : ٤٤٦ ، والتهذيب في التفسير
١ : ٦٧٢ .

وإنما كان لفظه مشتركاً بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة، إذ وُصِفَ بها القابل لها، وهو الله، وذلك من إنعام الله على عباده، لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب أن الوصف بها عيب، فلذلك جُعِلت في أعلا صفات المدح.

والتَّوْبَةُ: هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء، وذلك بالتحسّر^(١) على مواقعه، والعزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاودة. واعتبر قومُ المعاودة إلى مثله في القبح^(٢). وهو الأقوى؛ لإجماع الأمة على سقوط العقاب عندها، وما عداها فمختلف فيه.

فإن قيل: ما الفائدة في هذا الإخبار، وقد علمنا أن العبد متى تاب لا بد أن يتوب الله عليه؟

قلنا: أما على مذهبنا، فله فائدة واضحة، وهو أن إسقاط العقاب عندها ليس بواجب عقلاً، فإذا أخبر بذلك أفادنا ما لم نكن عالمين به. ومن خالف في ذلك قال: وجه ذلك أنه لما كانت توبة مقبولة وتوبة غير مقبولة صحّت الفائدة بالدلالة على أن هذه التوبة مقبولة.

ومعنى قبول التوبة: حصول الثواب عليها وإسقاط العقاب عندها. و﴿التَّوْبُ﴾ فيه مبالغة، إما لكثرة ما يقبل التوبة، وإما لأنه لا يردّ تائباً مثيباً أصلاً.

وقبول التوبة بمعنى إسقاط العقاب عندها غير واجب عندنا عقلاً، وإنما عُلِمَ ذلك سمعاً تفضلاً من الله تعالى على ما وعد به، بالإجماع على ذلك.

(١) في «ه» و«و»: بالتجري.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١٤ : ٣٤٨ - ٣٤٩، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٧٢.

وقد بيّنا في شرح الجُمْل في الأصول أنّه لا دلالة عقلية عليه^(١).
 وَوَضَعُهُ نفسه بِالرَّحِيم عقيب قوله: ﴿الْثَّوَابُ﴾ دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضّل منه ورحمة من جهته .
 وَمَنْ قال: إنّ الفعل الواجب نعمة، إذا كان منعماً بسببه كالثواب والعوض، فإنّه لما كان مُنْعِماً بالتكليف وبالآلام التي يستحقّ بها الأَعْوَاض جاز أن يقال في الثواب والعوض: إنّهُ تفضّل وإن كانا واجبين، فقلوه باطل؛ لأنّ ذلك إنّما قلناه في الثواب للضرورة، وليس هاهنا ضرورة تدعو إلى ذلك .

وإصلاح العمل: هو إخلاصه له من قبيح يشوبه .
 والتبيين: هو التعريض للعلم^(٢) الذي يمكن به صحّة التمييز .
 وموضع ﴿الَّذِينَ﴾ نصب، على أنّه استثناء من موجب، و«إلا» حقيقتها الاستثناء .

ومعنى ذلك: الاختصاص بالشيء دون غيره، كقولك: جاءني القوم إلا زيداً، فقد اختصت زيداً بأنّه لم يجرى، وإذا قلت: ما جاءني إلا زيد، فقد اختصت زيداً بأنّه جاء، وإذا قلت: ما جاءني زيد إلا راكباً، فقد اختصته بهذه الحال دون غيرها من المشي والعدو، وما أشبه ذلك .

قوله تعالى:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١) آية بلا خلاف .

(١) وهو المطبوع بعنوان: تمهيد الأصول : ٢٦٣ .

(٢) في «هـ» : للعمل .

إن قيل: كيف يلعن الكافر كافراً مثله، وهو الظاهر في قوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أولها: أنه يلعنه الناس أجمعون يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(١) وهو قول أبي العالية^(٢).

الثاني: قال السُّدِّي: إنه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين، فيدخل في ذلك لعن الكافر؛ لأنه ظالم^(٣).

الثالث: يراد به لعن المؤمنين خصوصاً ولم يعتد بغيرهم، كما يقال: المؤمنون هم الناس، وهو قول قتادة والربيع^(٤)، هذا إذا حمل على أن اللعن في دار الدنيا؛ لأن من المعلوم أن أهل ملّة لا يلعن أهل ملّته. وحكي عن الحسن أنه قرأ ﴿وَالْمَلَكُوتُ﴾ رفعا^(٥)، ويكون ذلك حملة على المعنى؛ لأن المعنى: يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعون، كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرو، بالرفع. وهذه قراءة شاذة لا يعول عليها؛ لأن المعتمد ما عليه الجمهور.

(١) سورة العنكبوت ٢٩: ٢٥.

(٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٢: ٧٤٢، والجصاص في أحكام القرآن ١: ١٠٢، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٣٢.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٢: ٧٤٢، والشعلبي في تفسيره ٤: ٢٦١، والواحدي في الوسيط ١: ٢٤٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢: ٧٤١، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٤٥٦/٢٧١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٣٢، وتفسير الثعلبي ٤: ٢٦١، والوسيط ١: ٢٤٤.

(٥) حكاه عنه ابن جني في المحتسب ١: ١١٦، وابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: ١٨، والزجاج في معاني القرآن ١: ٢٣٦.

ولا يجوز رفع ﴿أَجْمَعِينَ﴾ وحده هاهنا ؛ لأنَّ هذه اللفظة لا تكون إلا تابعة ، وليس في الكلام مُظْهَر ولا مُضْمَر تتبعه على ذلك ، وإنَّما الحمل على المعنى بمنزلة إعادة معنى العامل الأول ، كأنَّك قلت : ويلعنهم الملائكة والناس أجمعون .

والكفر : ما يستحقُّ به العقاب الدائم عندنا .
وعند مَنْ خالفنا في دوام عقاب فساق أهل الصلاة أنَّه : ما يستحقُّ به العقاب الدائم الكثير .
ويتعلَّق به أحكام مخصوصة .

وسواء كان الكفر في تشبيه الله تعالى بخلقه أو في تجويره في أفعاله أو الردَّ على النبي ﷺ أو ما كان أعظم منه في القبح .
واللعنة : الإبعاد من الرحمة - على ما بيَّناه - مع إيجاب العقوبة ، ويجري ذلك من الناس على وجه الدعاء ، ومن الله على وجه الحكم .
وإنَّما قال : ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارٌ﴾ وكلَّ كافر فهو ملعون في حال كفره وإن لم يكن ممَّن يوافي بالكفر ، للدلالة على خلودهم في النار إذا ماتوا على غير توبة .

وقد دلَّ على ذلك ما بيَّنه في الآية الثالثة .
وإنَّما أكَّد بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ليرتفع الاحتمال والإيهام^(١) قبل أن ينظر في تحقيق الاستدلال ، ولهذا لم يُجزَّ الأخفش : رأيت أحد الرجلين كليهما ، وأجاز : رأيتهما كليهما^(٢) ؛ لأنَّك إذا ذكرت الحكم مقروناً بالدليل عليه أزلت الإيهام للفساد ، وإذا ذكرته وحده فقد يُتَوَهَّم عليك الغلط في المقصد ،

(١) في «ح» و«هـ» : الإيهام . وكذلك في المورد الآتي .
(٢) حكاه عنه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٨٣ .

كقولك : أحد الرجلين ، لما ذكرت التثنية وذكرت أحداً كنت بمنزلة مَنْ ذكر الحكم والدليل عليه ، فأما ذكر التثنية في «رأيتهما» ، فبمنزلة ذكر الحكم وحده .

وواحد الناس إنسان في المعنى ، فأما في اللفظ فلا واحد له ، وهو كَنَفَر وَرَهْط مِمَّا يقال : إنه اسم للجمع .

قوله تعالى :

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾
 (١٦٢) آية بلا خلاف .

الهاء في قوله : ﴿فِيهَا﴾ عائدة على اللعنة في قول الزجاج ^(١) .

وقال أبو العالية : هي عائدة إلى النار ^(٢) .

ومعنى قوله : ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ على قول أبي العالية : رفع لإيهام الاعتذار ، كما قال : ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾ ^(٣) ^(٤) لئلا يتوهم أن التوبة والإبابة هناك تنفع .

والخلود في اللعنة يحتمل أمرين :

أحدهما : استحقاق اللعنة بمعنى أنها تحق عليهم أبداً .

والثاني : في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا تغنى .

وإنما قال : ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾ مع أنهم مخلدون ؛ لأن التخفيف قد يكون

(١) معاني القرآن ١ : ٢٣٦ .

(٢) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٢ : ٧٤٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ :

١٤٥٨/٢٧١ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٣٢ .

(٣) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٦ .

(٤) انظر المصادر في الهامش (٢) .

مع الخلود، بأن يقلّ مقادير ما يفعل، فأراد الله أن يبين أنه يقع الخلود، ويرتفع التخفيف.

و﴿خَالِدِينَ﴾ نصب على الحال من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، كقولك: عليهم المال صاغرين، والعامل فيه الاستقرار في ﴿عَلَيْهِمْ﴾. والخلود: اللزوم أبداً. والبقاء: الوجود وقتين فصاعداً، ولذلك لم يجز في صفات الله: خالد، وجاز: باقي، ولذلك يقال: أخلد إلى قوله، أي لزم معني ما أتى به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١) أي مال إليها ميل اللازم لها^(٢)، كأنه قيل الخلد^(٣) فيها. والفرق بين الخلود والدوام: أن الدوام: هو الوجود في الأزل ولا يزال.

وإذا قيل: دام المطر، فهو على المبالغة، وحقيقته لم يزل من وقت كذا إلى وقت كذا.

والخلود: هو اللزوم أبداً.

والتخفيف: هو النقصان من المقدار الذي له اعتماد.

والعذاب: الألم الذي له امتداد.

والإنظار: الإمهال قدر ما يقع النظر في الخلاص.

وأصل النظر: الطلب، فالنظر بالعين: الطلب بالعين، وكذلك النظر بالقلب أو باليد أو غيرها من الحواس، وتقول: انظر الثوب أين هو، أي اطلبه أين هو.

(١) سورة الأعراف ٧: ١٧٦.

(٢) ميل اللازم لها، لم ترد في «ه».

(٣) ما أثبتناه من «ح» والحجرية، وفي بقية النسخ: قيل المخلد.

والفرق بين العذاب والإيلام : أنَّ الإيلام قد يكون بجزءٍ من الألم في الوقت الواحد ، والعذاب له استمرار من الألم في أوقات ، ومنه العَذْب ؛ لاستمراره في الحلق ، والعَذْبَةُ^(١) لاستمرارها بالحركة .

قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٣) آية
بلا خلاف .

يوصف تعالى بأنه واحد على أربعة أوجه :

أولها : أنه ليس بذئ أبعاض ولا يجوز عليه الانقسام .

الثاني : واحد في استحقاق العبادة .

الثالث : واحد لا نظير له ولا شبيهه .

الرابع : واحد في الصفات التي يستحقها لنفسه ، فهو قديم واحد^(٢) وقادر لا يعجزه شيء ، وعالم لا يخفى عليه شيء ، فكل هذه الصفات يستحقها وحده .

والواحد : شيء لا ينقسم ، عدداً كان أو غيره ، ويجري على وجهين : على الحكم وعلى جهة الوصف ، فالحكم كقولك : الجزء واحد ، والوصف كقولك : إنسان واحد ودار واحدة .

ومعنى ﴿إِلَهٌ﴾ أنه يحق له العبادة .

وغلط الرماني فقال : هو المستحق للعبادة^(٣) ، ولو كان كما قال لما

(١) عَذْبَةُ السوط : طرفه . انظر : العين ٢ : ١٠٢ «عذب» .

(٢) واحد ، لم ترد في «هـ» والحجرية ، ويمكن أن تُقرأ : وأحد .

(٣) حكاه عنه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٤٨٥ .

كان تعالى إلهاً فيما لم يزل ، لأنه لم يفعل ما يستحقّ به العبادة .
ومعنى ما قلناه : أنه قادر على ما إذا فعله استحقّ به العبادة .
وقيل : معنى ﴿إِلَهٌ﴾ أنه مُنْعِم بما يستحقّ به العبادة ، وهذا باطل ؛ لِمَا
قدّمناه .

ولا يجوز أن يحيا أحد من الخلق بالإلهية ؛ لأنه يستحيل أن يقدر
أحد سوى الله على ما يستحقّ به العبادة ، من خلق الأجسام والقدرة والحياة
والشهوة والنفار وكمال العقل والحواس وغير ذلك .

فلا تصحّ الإلهية إلّا له ؛ لأنه القادر على ما عدّناه .
والآية تتصل بما قبلها وبما بعدها ، فاتّصالها بما قبلها كاتّصال الحسنة
بالسيئة لتمحو أثرها وتحذّر من مواقعتها ؛ لأنه لمّا ذكر الشرك وأحكامه أثبع
ذلك بذكر التوحيد وأحكامه .

واتّصالها بما بعدها كاتّصال الحكم بالدلالة على صحّته ؛ لأنّ ما ذكر
في الآية التي بعدها حجّة على صحّة التوحيد .

فإن قيل : كيف يتّصل الوصف بالرحمة بما قبله ؟
قلنا : لأنّ العبادة تستحقّ بالنعمة التي هي في أعلى مرتبة ، ولذلك
بُولغ في الصفة بالرحمة لتدلّ على هذا المعنى .

﴿هُوَ﴾ في موضع رفع ، ولا يجوز النصب ، ورفع على البدل من
موضع ﴿لَا﴾ مع الاسم ، كقولك : لا رجل إلّا زيدٌ ، كأنك قلت : ليس إلّا
زيدٌ ، فيما تريد من المعنى إذا لم تعتدّ بغيره .

ولا يجوز النصب على قولك : ما قام أحدٌ إلّا زيداً ؛ لأنّ البدل يدلّ
على أنّ الاعتماد على الثاني ، والمعنى ذلك ، والنصب يدلّ على أنّ الاعتماد
في الإخبار إنّما هو على الأول .

وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إثبات لله تعالى وحده، وهو بمنزلة قولك: الله الإله^(١) وحده، وإنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به الإلهية، ولا يدل على النفي في هذا الخبر من قِيلَ أنه لم يدل على إله موجود ولا معدوم سوى الله عز وجل، لكنه نقيض لقول مَنْ ادَّعى إلهاً مع الله، وإنما النفي إخبار بعدم شيء، كما أنَّ الإثبات إخبار بوجوده.

(١) في «ه»: إله.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَدْرِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
لَنَّا كَرِهَ فَنَتَّبِعَ اللَّهُمَّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾



قوله تعالى :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَضْرِبُ الرِّيحُ وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿الرِّيحُ﴾ على
الجمع ، والباقون على التوحيد^(١) . ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف
ولام .

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَفَّارَ أَنَّ إِلَهُهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا ثَانِي لَهُ ، قَالُوا : مَا
الدَّلَالَةُ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ الآية إلى
آخرها .

ووجه الدلالة من الآية : أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا
خَالِقًا لَا يَشْبِهُهَا وَلَا تَشْبِهُهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ الْأَجْسَامِ إِلَّا الْقَدِيمُ الْقَادِرُ
لِنَفْسِهِ الَّذِي لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ ؛ إِذْ جَمِيعُ ذَلِكَ مُحَدَّثٌ ، وَلَا بَدْلَ لَهُ مِنْ
مُحَدَّثٍ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ ؛ لِاسْتِحَالَةِ التَّسْلُسِ .

وَأَمَّا ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ فَيَدُلُّانِ عَلَى عَالِمٍ مُدَبِّرٍ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ فِعْلٌ مُحَكَّمٌ
مُتَقَنَّ وَاقِعٌ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ وَتَرْتِيبٍ وَاحِدٍ ، لَا يَدْخُلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَفَاوُتٌ
وَلَا اخْتِلَالٌ .

(١) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٢ ، والحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٤٨ .

وَأَمَّا ﴿الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ﴾ فَيَدُلُّ عَلَى مُنْعِمٍ دَبَّرَ ذَلِكَ لِمَنَافِعِ خَلْقِهِ ، لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ وَلَا مِنْ قَبِيلِ الْأَجْسَامِ ؛ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا فِعْلُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الْمَاءُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَدُلُّ عَلَى مُنْعِمٍ بِهِ يَقْدِرُ عَلَى التَّصْرِيفِ فِيمَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ .

وَأَمَّا إِحْيَاءُ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَيَدُلُّ عَلَى الْإِنْعَامِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ . وَإِحْيَاؤُهَا : إِخْرَاجُ النَّبَاتِ مِنْهَا وَأَنْوَاعِ الثَّمَارِ .

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ دَالٌّ عَلَى أَنَّ لَهَا صَانِعاً مُخَالَفاً لَهَا مُنْعِماً بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ .

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾ يَدُلُّ عَلَى الْاِقْتِدَارِ عَلَى مَا لَا يَتَأَتَّى مِنَ الْعِبَادِ وَلَوْ حَرَصُوا كُلَّ الْحَرَصِ ، وَاجْتَهَدُوا كُلَّ الْجَهْدِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا هَبَّتْ جَنُوباً - مَثَلًا - وَاجْتَمَعَ جَمِيعُ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَقْلِبُوهَا شِمَالاً أَوْ صَبّاً أَوْ دُبُوراً لَمَّا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تَمَكَّنُوا عَلَى رَدِّهِ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي يَجِيءُ مِنْهَا .

وَأَمَّا ﴿السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُمْسِكُهُ الْقَدِيمُ ، الَّذِي لَا شَبَهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَسْكِينِ الْأَجْسَامِ الثَّقَالِ بِغَيْرِ عِلَاقَةٍ وَلَا دَعَامَةٍ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَسْكِينِ الْأَرْضِ كَذَلِكَ إِلَّا الْقَادِرُ لِنَفْسِهِ ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى صَانِعٍ غَيْرِ مُصْنُوعٍ ، قَدِيمٍ لَا يَشْبَهُهُ شَيْءٌ ، قَادِرٍ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ ، عَالِمٍ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، حَيٍّ لَا يَمُوتُ ، وَاحِدٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّ صِفَاتِ النِّقْصِ لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ تَعَالَى .

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُنْعِمٌ بِمَا لَا يَقْدِرُ غَيْرُهُ عَلَى الْإِنْعَامِ بِمِثْلِهِ ، وَأَنَّهُ يَسْتَحَقُّ بِذَلِكَ الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِهِ .

وَالْخَلْقُ: هو الإحداث للشيء على تقدير من غير احتذاءٍ على مثال، ولذلك لا يجوز إطلاقه إلا في صفات الله؛ لأنه لا أحد يخلق^(١) جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاءٍ على مثالٍ إلا الله تعالى.

وقد استعمل الْخَلْقُ بمعنى المخلوق، كما استعمل الرضا بمعنى المرضي، وهو بمنزلة المصدر، وليس معنى المصدر معنى المخلوق. واختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر، فقال قوم: هو الإرادة له.

وقال آخرون: إنما هو على معنى مقدر، كقولك: وجود وعدم، وحدوث وقدم، وهذه الأسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة، وإلا فالمعنى بها هو الموصوف في الحقيقة^(٢).

وإنما جمعت السماوات وَوَحَّدَتِ الْأَرْضَ؛ لأنه لما ذكرت السماء بأنها سبع في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٣) وقوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٤) جمع لثلاث يؤهيم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع، وقد دل مع ذلك قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٥) على معنى السبع، ولكنه لم يجز على جهة الإفصاح بالتفصيل في اللفظ.

ووجه آخر: وهو أن الأرض لتساكلها تشبه الجنس الواحد كالرجل

(١) يخلق، أثبتناه من «ه».

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة: ٥٤٨، والمغني للقاضي ٦/ القسم الثاني: ٦٤، ونسب القول الأول فيهما إلى أبي هاشم، والفروق اللغوية لأبي هلال: ١١١، والمحيط في اللغة ٤: ١٩٤ «خلق».

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٩.

(٤ و٥) سورة الطلاق ٦٥: ١٢.

والماء الذي لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف ، وليس تجري السماوات مجرى الجنس المتفق ؛ لأنه دبر في كل سماء أمرها ، والتدبير الذي هو حقها .

وفي اشتقاق قوله : «وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» قولان : أحدهما : من الخلف ، لأن كل واحد منهما يَخْلُفُ صاحبه على وجه المعاقبة له .

والثاني : من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض ؛ لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر في الإدراك ، والمختلفان : ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته ^(١) .

والنهار : اتساع الضياء ، وأصله الاتساع ، ومنه قول الشاعر :
[٣٣] مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا ^(٢)
أي أوسعت . ويصلح أن يكون من النَّهَر ، أي جعله كالنهر .
والنهر : أوسع مجاري الماء ، فهو أوسع من الجدول والساقية .
وإنما جمعت الليلة ولم يُجمع النهار ؛ لأن النهار بمنزلة المصدر ، كقولك : الضياء ، يقع على الكثير والقليل ، وأما الليلة فمخرجها مخرج

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ١٠ ، وتفسير الماتريدي ١ : ١١٥ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٧ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٦٤ .

(٢) البيت لقيس بن الخثيم - انظر : ديوانه : ٤٦ - من قصيدة مطلعها :
تَذَكَّرُ كَيْلَى حُسْنَهَا وَصَفَاءَهَا وَبَانَتْ فَأَمْسَى مَا يَنَالُ لِقَاءَهَا
وفي «ه» : قائماً ، وفي الديوان : قائماً من خلفها .
والمعنى : يصف الشاعر طعنة له ، فيقول : ملكت بها : أي شددت بهذه الطعنة كفي . فأنهت : أجريت الدم ووسعت خرقها حتى يرى القائم من دونها الشيء الذي وراءها .

والشاهد فيه : استعمل الشاعر الفعل «أنهت» بمعنى وسعته .

الواحدة من الليل ، على أنه قد جاء جمعه - على وجه الشذوذ - نُهْر ، قال الشاعر :

[٤٧٤] لَوْلَا الثَّرِيدَانِ هَلَكْنَا بِالضُّمْرِ ثَرِيدٌ لَيْلٍ وَثَرِيدٌ بِالنُّهْرِ^(١)
والفُلُكُ : السفن ، يقع على الواحد والجمع بلفظ واحد ، ومنه قوله :
﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾^(٢) وقوله : ﴿وَأَضْعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٣) .
والفَلَكُ : فَلَكُ السماء ، قال الله تعالى : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٤) ، وكلُّ مُستدير : فَلَكٌ ، والجمع أفلاك .

وقال صاحب العين : قيل : اسم للدوران خاصّة ، وقيل : بل اسم لأطواق سبعة فيها النجوم .

وفَلَكَتِ الجارية : إذا استدار ثديها .

والفَلَكَةُ : فَلَكَةُ المِغْزَلِ ، معروف .

وفَلَكْتُ الجَدْيَ : وهو قضيب يُدار على لسانه لئلا يَرَضَعَ^(٥) .

وأصل الباب : الدُّور .

والفُلُكُ : السفينة ؛ لأنها تدور بالماء أسهل دور ، وإنّما جعل الفُلُكُ للواحد والجمع بلفظ واحد ؛ لأنَّ فَعَلَ وفُعِلَ يشتركان كثيراً : كالعَرَبِ ،

(١) نسب الجوهري إنشاد البيت في الصحاح ٢ : ٨٤٠ إلى ابن كيسان ، وابن سيده في المخصص ٤ / السفر التاسع : ٣١٥ إلى ابن السكّيت ، ولم يُنسب لأحدٍ في تهذيب اللغة ٦ : ٢٧٦ ، ولسان العرب ٥ : ٢٣٨ «نهر» .

والمعنى : الضُّمْرُ : الهزال ، والنُّهْرُ : جمع نهار . وهو الشاهد في هذا البيت .

(٢) سورة يس ٣٦ : ٤١ .

(٣) سورة هود ١١ : ٣٧ .

(٤) سورة يس ٣٦ : ٤٠ .

(٥) العين ٥ : ٢٧٤ «فلك» .

والْعُزْبُ ، وَالْعَجَمُ وَالْعُجَمُ ، وَالْبَخْلُ وَالْبُخْلُ . ومن قال في أَسَدٍ : أَسَدٌ ، قال في فُلْكَ : فُلْكَ ، فَجَمَعَهُ عَلَى فَعْلٍ . وَإِنَّمَا أَنْتَ الْفُلْكَ إِذَا أُريدَ به الجمع ، كقولك : السُّفُنُ التي تجرى في البحر^(١) .

وقوله : ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ يعني : من نحو السماء ، عند جميع المفسرين .

وقال قوم : السماء تقع على السحاب ؛ لأنَّ كُلَّ شَيْءٍ علا فوق شيءٍ فهو سماء له^(٢) .

فإن قيل : هل السحاب بخارات تصعد من الأرض ؟ قلنا : ذلك جائز لا يقطع به ، ولا مانع أيضاً من صحته من دليل عقل ، ولا سمع .

والسَّمَاءُ : السَّقْفُ ، فسماء البيت : سَقْفُهُ ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٣) فالسَّمَاءُ المعروفة سَقْفُ الأرض . وأصل الباب : السُّمُو ، وهو العُلُو .

والسماء الطبقة العالية على الطبقة السافلة ، إلا أنها صارت بمنزلة الصُّفَّةِ العالية على السماء المعروفة ، وهي الطبقة التي من أجل السُّمُو كانت عالية على الطبقة السافلة ، والأرض الطبقة السافلة ، يقال : أرض البيت ، وأرض الغرفة ، فهو سماء لما تحته من الطبقة وأرض لما فوقه ، وقد صار الاسم كالْعَلَمِ على الأرض المعروفة ، وإنما يقع على غيرها بالإضافة .

(١) انظر في اشتقاق هذه الكلمة : تهذيب اللغة ١٠ : ٢٥٤ ، والمحيط في اللغة ٦ : ٢٦٧ ، والمحكم ٧ : ٣٩ ، ولسان العرب ١٠ : ٤٧٨ «فلك» .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣ : ١٥٦ ، وتفسير السمعاني ١ : ٥٧ ، والتفسير الوسيط ١ : ٩٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ١٠٨ .

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٢ .

والليل : هو الظلام المُعَاقِب للنهار ، وقد يقال لما لا يصل إليه ضوء الشمس : هو الليل وإن كان النهار موجوداً .

والبحر : هو الخَزَق الواسع للماء الذي يزيد على سعة النهر .
والمنفعة : هي اللذة أو السرور أو ما أدَّى إليهما ، أو إلى كُلِّ واحدٍ منهما .

والنفع والخير والحظّ نظائر ، وقد تكون المنفعة بالآلام إذا أدّت إلى لذات .

والإحياء : فِعْل الحياة ، وحياة الأرض : عمارتها بالنبات ، وموتها : خرابها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات .

والبثّ : التفريق ، وكلّ شيءٍ بَثَثَهُ فقد فرّقته ، ومنه قوله تعالى : ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾^(١) ، وتقول : انبثّ الجراد في الأرض ، وتقول : بَثَثَهُ سِرِّي وأبَثَثَهُ : إذا أطلّعته عليه .

والبثّ : ما يجده الرجل من كرب أو غمٍّ في نفسه ، ومنه قوله : ﴿أَشْكُوا بُيُوتِي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢) .

وأصل الباب : التفريق .

وقال صاحب العين : كلّ شيءٍ ممّا خلق الله يُسَمَّى دَابَّةً ممّا يَدْبُ ، وصار بالعرف اسماً لما يُرْكَب ، ويقولون للبرذون : دابّة ، وتصغيرها دُوَيْبَّة ، ودَبَّ النمل يَدْبُ دَبِيْباً ، ودَبَّ الشُّرَابُ في الإنسان دَبِيْباً ، ودَبَّ القوم إلى العدو ، أي مشوا على هيتهم لم يسرعوا .

والدَّبَابَة : تُتَّخَذ في الحروب ثمّ تُدْفَع إلى أصل حصن فيَنْقُبُون وهُمْ

(١) سورة القارعة ١٠١ : ٤ .

(٢) سورة يوسف ١٢ : ٨٦ .

في جوف الدبابة .

والدُّبُّ : نوع من السباع ، والأنثى دُبَّة .

والدُّبَّة : لزومُ حالِ الرجلِ في فعله ، رَكِبَ فلان دُبَّةً فلان ، وأخذ بدُّبَّتِه ، أي عمل بعمله^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ﴾ التَّصْرِيفُ والتَّقْلِيْبُ والتَّسْلِيْكُ نظائر .

وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ : تصرّفها من حال إلى حال ، ومن وجه إلى وجه ، وكذلك تَصْرِيفُ^(٢) الخَيُْولِ والسُّيُولِ والأُمُورِ .
وَصَرَفُ الدهر : تَقْلَبُهُ ، والجمع صُرُوف .

والصَّرِيْفُ : اللَّبَنُ إذا سكنت رغوته ، قال بعضهم : لا يُسَمَّى صَرِيْفاً حتّى يَنْصَرِفَ به عن الصَّرْعِ^(٣) .

والصَّرِيْفُ : صريف الفحل بنابه حتّى يُسمع لذلك صوت ، وكذلك صَرِيْفُ البَكْرَةِ ، وعز^(٤) صَارَف : إذا أرادت الفحل .

والصَّرْفُ : صبغ أحمر ، قال الأصمعي : هو الذي يُصْبَغُ به الشُّرْكُ^(٥) .

والصَّرْفُ : فَضْلُ الدَّرْهِمِ عَلَى الدَّرْهِمِ فِي الْجُودَةِ ، وكذلك بيع الذهب بالفَضَّةِ ، ومنه اشتق اسم الصَّيْرِفِيِّ ، لتصريفه أحدهما في الآخر .
والصَّرْفُ : النَّافِلَةُ ، وَالْعَدْلُ : الْفَرِيضَةُ .

(١) العين ٨ : ١٢ «دب» .

(٢) ما أثبتناه من «هـ» ، وفي المصادر : تصرّف .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ١٢ : ١٦٢ «صرف» .

(٤) في «هـ» : بقرة .

(٥) حكاه عنه أيضاً ابن دريد في الجمهرة ٢ : ٧٤١ «رصف» ، وفيه : شُرْكُ النعال .
وفي «هـ» : الثياب ، بدل : الشرك .

وَالصَّرْفَةُ - منزل من منازل القمر -: كوكب إذا طلع قدام الفجر فهو أول الخريف ، وإذا غاب من طلوع الفجر فذاك أول الربيع .

وَالصِّرْفُ : الشراب غير ممزوج .

وَالصَّرْفَانُ : تمر معروف أوزنه ^(١) وأجوده .

وأصل الباب : القلب عن الشيء ^(٢) .

وَالسَّحَابُ مشتق من السَّحِب ، وهو جَرَك الشيء على وجه الأرض ، تَسْحَبُهُ سَحْبًا كما تسحب المرأة ذيلها ، وكما تسحب الريح التراب ، وسُمِّي السحاب سحاباً لانسحابه في السماء ، وكلُّ مُنْجَرٍ مُنْسَجِب .

وَالتَّسْخِيرُ والتَّذْلِيلُ والتَّمْهِيدُ نظائر ، تقول : سَخَّرَ الله لفلان كذا - إذا سهَّله له ^(٣) - كما سَخَّرَ الرياح لسليمان ، وَسَخَّرْتُ الرجلَ تَسْخِيرًا : إذا اضطهدته ، فكَلَّفْتُهُ عَمَلًا بلا أجر ، وهي السُّخْرَةُ ، وَسَخَّرَ مِنْهُ : إذا استهزأ به ، قال الله تعالى : ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ^(٤) ، وقال تعالى : ﴿فَاتَّخَذُوا مِنْهُمْ سَخِرِيًّا﴾ ^(٥) من الاستهزاء ، و﴿سُخْرِيًّا﴾ من تَسْخِيرِ الحَوْل وما أشبهه .

وأصل الباب : التَّسْخِيرُ : التَّذْلِيلُ ^(٦) .

(١) كذا في النسخ والحجريّة ، وفي العين ولسان العرب : أَرْزَنَهُ .

(٢) انظر أيضاً مضافاً لما سبق : العين ٧ : ١٠٩ ، والصحاح ٤ : ١٣٨٥ ، ولسان العرب ٩ : ١٨٩ «صرف» .

(٣) إذا سهَّله له ، لم ترد في «ه» .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٧٩ .

(٥) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٠ .

(٦) انظر : العين ٤ : ١٩٦ ، والمحيط في اللغة ٤ : ٢٦١ ، والصحاح ٢ : ٦٧٩ ، ولسان

العرب ٤ : ٣٥٢ «سخر» .

وقيل: في تصريف الرياح قولان:

أحدهما: هبوبها شمالاً وجنوباً وصباً ودبوراً.

الثاني: قيل: مجيؤها بالرحمة مرة وبالعذاب أخرى، وهو قول

قتادة^(١).

وقوله: ﴿لَقَوْمٌ يَعْقِلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عامٌ لمن استدلَّ به ومن لم يستدلَّ من العقلاء.

والثاني: أنه خاصٌّ لمن استدلَّ به، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ

يَخْشَاهَا﴾^(٢)، وكما قال: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) لما كانوا هم الذين اهتموا

بها وخشوا عند مجيئه أضيف إليهم^(٤).

وإنما أضيفت الآيات إلى العقلاء لأمرين:

أحدهما: لأنها نصبت لهم.

والثاني: لأنها لا يصح أن يستدلَّ بها سواهم.

قال أبو زيد: قال القيسيون: الرياح أربع: الشمال والجنوب والصبأ

والدُّبور، فأما الشمال فمن عن يمين القبلة، والجنوب من عن شمالها،

والصبأ والدُّبور متقابلتان، فالصبأ من قِبَل المشرق والدُّبور من قِبَل

المغرب، وإذا جاءت الريح بين الصبأ والشمال، فهي النُّكباء التي لا يختلف

(١) انظر: تفسير الطبري ٣: ١٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٤٧٤/٢٧٥، وتفسير

الطبراني ١: ٢٧٧، وتفسير الماوردي ١: ٢١٧، ونسب الطبري القول الأول إلى بعض أهل اللغة.

(٢) سورة النازعات ٧٩: ٤٥.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢.

(٤) انظر القولين في: تفسير الطبري ٣: ١٤، وتفسير الماتريدي ١: ١١٦، وتفسير

الطبراني ١: ٢٧٨، وتفسير الثعلبي ٤: ٢٦٨، والتذهيب في التفسير ١: ٦٨٣.

فيها ، والتي بين الجنوب والصبأ فهي الجِزْيَاء .

وروى ابن الأعرابي عن الأصمعي وغيره : أنَّ الرياح أربع : الجنوب والشَّمال والصبأ والدَّبُور .

قال ابن الأعرابي : كلَّ ريح بين ريحين فهي نَكْبَاء . قال الأصمعي : إذا انحرفت واحدة منهنَّ فهي نَكْبَاء وجمعها نُكَبٌ .

فأما مَهْبُوءٌ فَإِنَّ ابن الأعرابي قال : مَهْبُءُ الْجَنُوب من مَطْلَعِ سَهَيْلٍ إلى مَطْلَعِ الثُّرَيَّا ، والصبأ من مَطْلَعِ الثُّرَيَّا إلى بنات نَعَشٍ ، والشَّمال من بنات نَعَشٍ إلى مسقط النَّسْرِ الطائر ، والدَّبُور من مَسْقَطِ النَّسْرِ الطائر إلى مَطْلَعِ سَهَيْلٍ ، والجنوب والدَّبُور لهما هَيْفٌ ، والهيف : الرِّيح الحارَّة ، والصبأ والشَّمال لا هيف لهما .

وقال الأصمعي : ما بين سَهَيْلٍ إلى طرف بياضِ الفجر جنوب ، وما بإزائهما ممَّا يستقبلهما من الغرب شَّمال ، وما جاء من وراء البيت الحرام فهو دَبُور ، وما جاء قُبالة ذلك فهو صَبَأٌ ، وتُسَمَّى الصَّبَأُ قَبُولاً لأنها تَسْتَقْبِلُ الدَّبُور . وتُسَمَّى الجنوب الأَزْيَبُ والنُّعَامَى ، وتُسَمَّى الشَّمال مَحْوَةٌ - ولا تصرَّف - لأنها تمحو السَّحاب ، وتُسَمَّى الجِزْيَاء ، وتُسَمَّى مِسْعاً ونِسْعاً ، وتُسَمَّى الجنوب اللاتِح ، والشَّمال حائلاً ، وتُسَمَّى أيضاً عَقِيماً ، وتُسَمَّى الصَّبَأُ عَقِيماً أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ ^(١) وهي التي لا تُلْقِحُ السحاب . والذاريات التي تذرُّ التراب ذرواً ^(٢) . وَمَنْ قرأ بلفظ الجمع فلا تَنْ كُلَّ واحدة من هذه الرياح مثل الأخرى

(١) سورة الذاريات ٥١ : ٤١ .

(٢) من قوله : قال أبو زيد ... إلى هنا مأخوذ من الحجَّة للقراء السبعة ٢ : ٢٥٠ ، وانظر أيضاً : المخصَّص ٤ : ٣٥٧ «السفر التاسع» ، ولسان العرب ١ : ٧٧١ «نكب» .

في دلالتها على التوحيد وتسخيرها لنفع الناس .
ومنَّ وحَّد أراد به الجنس كما قالوا: أهلك الناس الدينار والدرهم .

قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخِذُّ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١٦٥) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر من طريق النهرواني^(١) ﴿وَلَوْ تَرَى﴾
بالتاء ، والباقون بالياء .

وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر
الهمزة فيهما ، الباقون بفتحهما .

وقرأ ابن عامر وحده ﴿إِذْ يَرْوْنَ﴾ بضم الياء ، الباقون بفتحها^(٢) .

الأنذاد : الأمثال والأشباه^(٣) ، واحدا نذ . وقيل : الأضداد^(٤) .

(١) هو عبد الملك بن يكران ، أبو الفرج النهرواني المقرئ ، قرأ على زيد بن أبي بلال ،
وأبي بكر النقاش وغيرهما ، وطال عمره ، وتكاثر عليه الطلبة ، له مصنفات في
القراءات ، قرأ عليه الحسن بن محمد المالكي والحسن بن علي العطار ، والهزاس
وأخرون ، وروى الحديث عن جعفر الخلدي وأبي بكر النجاد ، توفي في رمضان
سنة أربع وأربعمئة .

له ترجمة في : طبقات القراء للذهبي ١ : ٤٦٩/٤١٧ ، وغاية النهاية في طبقات
القراء ١ : ٤٦٧/١٩٥٢ ، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٢ :
١٩٧٧/١٤٣١ .

(٢) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٣ ، والحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٥٨ - ٢٦٣ ،
والكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٣) في «هـ» : والأمثال والأشباه نظائر .

(٤) عن الأخفش في تهذيب اللغة ١٤ : ٧١ «ند» .

وأصل النَّد: المثلُ المُنَاوِي، والمراد به هنا، قال قتادة والربيع ومجاهد وابن زيد وأكثر المفسرين: ألَهِتَهُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ^(١) التي كانوا يعبدونها^(٢).

وقال السُّدِّي: رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال^(٣).

وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ فالمحبة: هي الإرادة إلا أن فيها حذفاً وليس ذلك في الإرادة.

فإذا قلت: أحبُّ زيداً، معناه: أريد منافعه أو مدحه، وإذا أحبَّ الله تعالى عبداً، فمعناه: أنه يريد ثوابه وتعظيمه، وإذا قال: أحبُّ الله، معناه: أريد طاعته واتباع أوامره.

ولا يقال: أريد زيداً، ولا أريد الله، ولا إنَّ الله يريد المؤمن، فاعيد الحذف في المحبة ولم يعتد في الإرادة.

وفي الناس مَنْ قال: المحبة ليست من جنس الإرادة، بل هي من جنس مِثْلِ الطبع، كما تقولون: أحبُّ ولدي، أي يميل طبعي إليه^(٤). وذلك مجاز، بدلالة أنهم يقولون: أُحِبِّتُ أن أفعل، بمعنى: أردت أن أفعل. وضدَّ الحُب: البُغْض، وتقول: أُحِبُّهُ إِحْبَاباً وَحَبُّهُ حُبّاً، وَتَحَبَّبَ

(١) من الأوثان، لم يرد في «ه».

(٢) حكاه عنهم الطبري في تفسيره ٣: ١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ٢٧٨/٢٧٦، ١٤٨٢، ١٤٨٣، والطبراني في تفسيره ١: ٢٧٨، والشعلبي في تفسيره ٤: ٢٦٩، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٣٥، والماوردي في تفسيره ١: ٢١٨.

(٣) حكاه عنه أيضاً الطبري في تفسيره ٣: ١٨، والطبراني في تفسيره ١: ٢٧٨، والشعلبي في تفسيره ٤: ٢٦٩، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٣٦.

(٤) انظر: الفروق اللغوية: ٩٨، وأمالى المرتضى ١: ٢٠٣ «المجلس الرابع عشر».

تَحَبُّبًا، وَحَبَبَهُ تَحَبُّبًا، وَتَحَابًا تَحَابًا.

وَالْمَحَبَّةُ: الْحُبُّ.

وَالْحَبُّ وَاحِدُهُ حَبَّةٌ مِنْ بُرٍّ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ عُنْبٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْحَبَّةُ: بُزُورُ الْبَقْلِ، وَحَبَّةُ الْقَلْبِ: تَمَرَّتُهُ.

وَالْحَبُّ: الْجَرَّةُ الضَّخْمَةُ، وَالْحَبُّ: الْقُرْطُ مِنْ حَبَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَحَبَابُ الْمَاءِ: فَقَاقِيْعُهُ.

وَالْحَبَابُ: الْحَبَّةُ.

وَأَحَبُّ الْبَعِيرِ إِحْبَابًا: إِذَا بَرَكَ فَلَا يَثُورُ كَالْجِرَانِ فِي الْخَيْلِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿أَحَبَيْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾^(١) أَي لَصِقْتُ بِالْأَرْضِ لِحُبِّ الْخَيْرِ حَتَّى فَاتَنِي الصَّلَاةُ^(٢).

وَأَصْلُ الْبَابِ: الْحُبُّ ضَدُّ الْبُغْضِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَحَبِّ اللَّهِ﴾ قِيلَ فِي هَذِهِ الْإِضَافَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: كَحَبِّكَمُ اللَّهِ.

الثَّانِي: كَحَبِّهِمُ اللَّهِ.

الثَّالِثُ: كَحَبِّ اللَّهِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ لَا الْوَاقِعِ مِنْهُمْ^(٣)، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ يَتَسَلِّمُ الْأَمِيرَ^(٤) [٤٧٥]

(١) سورة ص ٣٨ : ٣٢.

(٢) انظر اشتقاقات «حب» في العين ٣ : ٣١، والمحيط في اللغة ٢ : ٣٢١، ولسان العرب ١ : ٢٨٩.

(٣) تفسير الثعلبي ٤ : ٢٦٩، التفسير البسيط ٣ : ٤٦٨، التهذيب في التفسير ١ : ٦٩٣.

(٤) ذكر البيهقي الفراء في معاني القرآن ١ : ١٠٠، والجاحظ في البيان والتبيين ٤ :

٥١، والسيد المرتضى في الأمالي ١ : ٢١٥ «المجلس الخامس عشر»، والثعلبي في

أي مثل تسليمي على الأمير .

فإن قيل : كيف يحبّ المشرك الذي لا يعرف الله شيئاً كحبه الله ؟
قلنا : مَنْ قال : إنّ الكفّار يعرفون الله قال : كحبه الله ^(١) ، وَمَنْ قال : هُمْ لا يعرفون الله - على ما يقوله أصحاب الموافاة - قال : معناه : كحبّ المؤمنين لله ، أو كالحبّ ^(٢) الواجب عليهم .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ قيل في معناه قولان :
أحدهما : ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ للإخلاص له من الإشراك به .

والثاني : لأنهم عبدوا مَنْ يَمْلِك الضرّ والنفع والثواب والعقاب ،
فَهُمْ أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ بذلك ممّن عبد الأوثان ^(٣) .

ويجوز فتح «أَنْ» من ثلاثة أوجه ، وكسره من ثلاثة أوجه مع القراءة
بالياء :

أولها : يجوز فتحها بإيقاع الفعل عليها بمعنى المصدر ، وتقديره :
ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب قوّة الله وشدة عذابه .

الثاني : أن يفتح على حذف اللام ، كقولك : لأنّ القوّة لله .

الثالث : على تقدير : لرأوا أنّ القوّة لله ، على الاتّصال بما حذف من

الجواب .

تفسيره ٤ : ٢٦٩ ، ولم يُنسب لأحد ، ونسبه الجاحظ في رسائله ٢ : ٢٦١ إلى علي
ابن خالد البردخت ، وقال : وهو الذي كان همجا زيدا - أي الضبي - بأنّه حديث
الغنى ، وأتاه وهو أمير في يوم حمله ، فقال ، ثمّ ذكر البيت أعلاه .

(١) في «هـ» : فذاك ، بدل : كحبه الله .

(٢) في «هـ» : كحبهم .

(٣) انظر : تفسير المأثريدي ١ : ١١٦ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٧٩ ، وتفسير الثعلبي

٤ : ٢٧٠ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢١٨ ، وتفسير القشيري ١ : ٨٢ .

والأول من الكسر: على الاستئناف .

الثاني : على الحكاية ممّا حُذِفَ من الجواب ، كأنه قيل : لقالوا : إنّ القوّة لله جميعاً .

الثالث : على الاتّصال بمّا حذف من الحال ، كقولك : يقولون : إنّ القوّة لله .

ومَنْ قرأ بالتاء^(١) ، يُجَوِّزُ أيضاً في الفتح ثلاثة أوجه ، وفي الكسر ثلاثة أوجه :

الأول : الفتح على البدل^(٢) ، كقولك : ولو ترى الذين ظلموا أنّ القوّة لله عليهم ، وهو معنى قول الفراء^(٣) .

الثاني : لأنّ القوّة لله .

الثالث : لرأيت أنّ القوّة لله .

قال أبو علي الفارسي : مَنْ قرأ بالتاء لا يُجَوِّزُ أن تُنصب «أنّ» إلّا بالفعل المحذوف في الجواب ، وأمّا البدل فلا يجوز ؛ لأنّها ليست «الَّذِينَ ظَلَمُوا» ولا بعضهم ولا مشتملاً عليهم .

هذا إن جعل الرؤية من رؤية البصر ، وإن جعلها من رؤية القلب فلا يجوز أيضاً ؛ لأنّ المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول في المعنى .
وقوله تعالى : ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ لا يكون الذين ظلموا^(٤) ، فلم يبق بعد ذلك إلّا أنّه يتنصب بفعل محذوف^(٥) .

(١) في «ي» : بالياء .

(٢) في «هـ» : على الابتداء .

(٣) معاني القرآن ١ : ٩٨ .

(٤) في «هـ» زيادة : في المعنى .

(٥) الحجة للقرّاء السبعة ٢ : ٢٦٣ .

والكسر مع التاء مثل الكسر مع الياء، واختار الفراء مع الياء الفتح، ومع التاء الكسر؛ لأنَّ الرؤية قد وقعت على الذين^(١).

وجواب «لو» محذوف، كأنه قيل: لرأوا مضرة اتخاذهم الأنداد، ولرأوا أمراً عظيماً لا يحضر^(٢) بالأوهام.

وحذف الجواب يدلُّ على المبالغة، كقولك: لو رأيت السَّياط تأخذ فلاناً.

والضمير في قوله: ﴿يَتَّخِذُ﴾ عائد على لفظ ﴿مَنْ﴾، وفي قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ على معنى ﴿مَنْ﴾، لأنَّ «مَنْ» مبهمه، فمرة يُحمل الكلام منها على اللفظ، وأخرى على المعنى، كما قال: ﴿وَمَنْ يَفْقَهُ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾^(٣) بالتاء والياء، حملاً لـ «مَنْ» على اللفظ والمعنى.

واتَّصلت الآية بما قبلها اتصال إنكار، كأنه قال: أَبْعَدَ هذا البيان والأدلة القاهرة على وحدانيته يتخذون الأنداد من دون الله.

ومَنْ قرأ قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ - بالتاء - جعل الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٤). و﴿الَّذِينَ﴾ على هذا في موضع نصب.

ومَنْ قرأ بالياء يكون ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع بأنهم الفاعلون.

وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال، كأنه قيل: إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ

(١) معاني القرآن ١ : ٩٧.

(٢) في «ح» والحجريّة : لا يحضر.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣١.

(٤) سورة الطلاق ٦٥ : ١.

في حال اجتماعها، وهي صفة مبالغه بمعنى: إذا^(١) رأوا مقدورات الله فيما تقدّم الوعيد به علموا أنّ الله قادر لا يعجزه شيء .

والشّدة: قوّة العقد، وهو ضدّ الرخاوة، والقوّة والقدرة واحد .

و«يرى» في قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ من رؤية العين، بدلالة أنّها تعدّت إلى مفعول واحد، لأنّ التقدير: ولو ترون أنّ القوّة لله جميعاً، أي ولو يرى الكفّار ذلك .

ومن قرأ بالتاء يقوّي أنّها المتعدّية إلى مفعول واحد، ويدلّ على ذلك أيضاً قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ **الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ**^(٢)، فتعدّى إلى مفعول واحد .

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهو أمر مستقبل،

و«إذ» لما مضى ؟

قيل: إنّما جاء على لفظ المضى لإرادة التقريب^(٣) في ذلك، كما جاء ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾^(٤) وإنّ ﴿السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٥) وعلى هذا جاء في هذا المعنى أمثلة الماضي، كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾^(٦)، هكذا ذكره أبو علي الفارسي قال: وعلى هذا المعنى جاء في مواضع كثيرة في القرآن، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى

(١) في «هـ»: لو .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٨٥ .

(٣) في المصدر ذكر الغرض مرّتين: مرّة «التقريب» ومرّة «التحقيق والتقريب» .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٧٧ .

(٥) سورة الشورى ٤٢ : ١٧ .

(٦) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

رَبِّهِمْ ﴿١﴾ ، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ﴾ (٢) ، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (٣) ، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُرِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ (٤) ، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ (٥) ، كذلك هذه الآية (٦) .

قوله تعالى :

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (١٦٦) آية واحدة بلا خلاف .

العامل في ﴿إِذْ﴾ قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ﴾ كأنه قيل : وقت تبرأوا .

والتَّبَرُّؤُ : التباعد للعداوة ، فإذا قيل : تبرأ الله من المشركين ، معناه : باعدهم من رحمته ، وكذلك إذا قلت : تبرأ الرسول منهم ، معناه : باعدهم للعداوة عن منازل من لا يحب له الكرامة .

والتَّبَرُّؤُ - في أصل اللغة - والتَّزَيُّلُ والتَّفْصِي (٧) نظائر ، وضدَّ التَّبَرُّؤُ : التَّوَلَّى .

والإتباع : طلب الاتفاق في مكان أو مقال أو فعال ، فإذا قيل : اتَّبَعَهُ

(١) سورة الأنعام ٦ : ٣٠ .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ٢٧ .

(٣) سورة سبأ ٣٤ : ٣١ .

(٤) سورة سبأ ٣٤ : ٥١ .

(٥) سورة الأنفال ٨ : ٥٠ .

(٦) الحجّة للفرّاء السبعة ٢ : ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٧) في النسخ والحجّرة : التَّفْصِي . والصحيح ما أثبتناه كما في مجمع البيان ١ :

لِيَلْحَقَهُ، فمعناه: ليتفق معه في المكان، وإذا اتبعه في مذهبه أو في سيرة أو غير ذلك من الأحوال، فمعناه: طلب الاتفاق.

و﴿أَتَّبِعُوا﴾ ضُمَّتْ الألف فيه لضمّة الثالث، وضمّة الثالث لأنّه مبني لما لم يُسم فاعله؛ لأنّه إنّما يُضمّ له أوّل المتحرّك من الفعل فيما يُبنى عليه، وألف الوصل لا يعتدّ به؛ لأنّه وصلة إلى التكلّم بالساكن، فإذا اتصل بمتحرّك استغني عنه.

والمعني بقوله: ﴿الَّذِينَ أَتَّبِعُوا﴾ رؤساء الضلالة من الإنس، وقال قوم: هم من الجن. وقيل: من الجميع.

والأوّل قول قتادة والربيع وعطاء، والثاني قول السّدي^(١).
وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ فالتّقطّع: التّباعد بعد الاتصال.

والسبب: الوصلة إلى المتعذّر بما يصلح من الطلب، ومعنى الأسباب هاهنا قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال مجاهد وقاتدة والربيع وفي رواية عن ابن عباس: هي الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها.

الثاني: روي عن ابن عباس: أنّها الأرحام التي كانوا يتقاطعون بها.

الثالث: قال ابن زيد: الأعمال التي كانوا يوصلونها.

وقال الجُبائي: تقطّعت بهم أسباب النجاة^(٢).

(١) حكى الأقوال الطبري في تفسيره ٣: ٢٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ٢٧٧/١٤٨٩ - ١٤٩١، والثعلبي في تفسيره ٤: ٢٧٥.

(٢) راجع الأقوال في: تفسير مجاهد: ٢١٨، وتفسير ابن عباس: ٢٣، وتفسير الطبري ٣: ٢٦ - ٢٩، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٤٩١/٢٧٨ - ١٤٩٥، وتفسير

وَالسَّبَبُ : الْحَبْلُ ، وَالسَّبَبُ : مَا تَسَبَّيْتُ بِهِ مِنْ رَجَمٍ أَوْ يَدٍ أَوْ ذَيْنِ ،
ومنه قوله : ﴿ فَلْيَرْتُقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾^(١) ، تقول العرب إذا كان الرجل ذا
ذَيْنِ : ارتقى في الأسباب .

وَالسَّبُّ : الشَّتْمُ ، وَالسَّبُّ : الْقَطْعُ ، وَالسَّبُّ : الشُّقَّةُ الْبِيضَاءُ مِنَ الثِّيَابِ ،
وهي السَّيِّئَةُ ، وَمَضَتْ سَبَّةٌ مِنَ الدَّهْرِ أَيُّ مُلَاوَةٌ .
وَالسَّبُّ : الْوَتْدُ .

وَالسَّبَابَةُ : مَا بَيْنَ الْوُسْطَى وَالْإِبْهَامِ .
وَالتَّسَبُّبُ : التَّوَصُّلُ إِلَى مَا هُوَ مُنْقَطِعٌ عَنْكَ ، وَيُقَالُ : تَسَبَّبَ يَتَسَبَّبُ
تَسَبُّبًا ، وَاسْتَبَّيْتُ اسْتِثْبَابًا ، وَسَبَّبَ تَسْبِيْبًا ، وَسَابَهُ مُسَابَهً^(٢) .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا
كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ ﴾^(١٦٧) آية بلا خلاف .

المعنى بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ هُم الَّذِينَ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ سَادَاتُهُمُ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ .

﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ يعني رجعة إلى دار الدنيا ، قال الأخطل :

﴿ التعلبي ٤ : ٢٧٥ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢١٩ ، والتفسير البسيط ٣ : ٤٨٠ ،
والتهذيب في التفسير ١ : ٦٩٧ .

(١) سورة ص ٣٨ : ١٠ .

(٢) للتوسع في اشتقاق هذه المادة ، انظر : العين ٧ : ٢٠٣ ، والمحكم ٨ : ٤٢٢ ،
ولسان العرب ١ : ٤٥٥ « سبب » .

وَلَقَدْ عَظَمْنِ عَلَىٰ فِزَارَةٍ عَظْمَةً كَرَّ الْمَنِيحِ وَجَلْنِ ثُمَّ مَجَالًا^(١) [٤٧٦]

والعامل في ﴿لَوْ أَنَّ﴾ محذوف، كأنه قال: لو صحَّ أن لنا كرة؛ لأنَّ لو في التمني وغيره تطلب فعلاً، وإن شئت قدرته: لو ثبت أنَّ لنا كرة.

والكَّرُ: نقيض الفَرِّ، تقول: كَرَّ يَكُرُّ كَرًّا وَكَرَّةً، وَتَكَرَّرَ تَكَرُّراً، وَكَرَّرَ تَكَرِّيراً وَتَكَرَّراً، والكَّرَّةُ والفَرَّةُ متقابلان.

والكَّرُ والرَّجْعُ والفَتْلُ نظائر في اللغة.

قال صاحب العين: الكَّرُ: الرجوع عن^(٢) الشيء، ومنه التَّكَرُّارُ، والكَّرُ: الحَبْلُ الغليظ، وقيل: الشَّدِيدُ الفَتْلُ.

والكَرِيرُ: صَوْتُ فِي الحَلْقِ، والكَرِير^(٣): نهر، والكَّرَّةُ: سِرْقَتَانِ وتراب يَدُقُّ يُجْلَى به الدَّرْعُ^(٤).

وقوله: ﴿فَتَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ﴾ فَالتَّبَرُّؤُ والانفصال واحد، ومنه: بَرِئَ مِنْ مرضه إذا انفصل منه بالعافية، ومنه: بَرِئَ مِنَ الدِّينِ براءة، وَبَرَأَ اللهُ الخلق. وانتصب ﴿فَتَتَبَرَّأُ﴾ على أَنَّهُ جواب (التمني، بالفاء، كأنه قال: لو كان

(١) ديوان الأخطل: ٤٨، من قصيدة يهجو بها جريراً ويفتخر على قيس، مطلعها:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ
غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرُّبَابِ خَيْالاً
وفيه: قُدَّارَةٌ، بدل: فِزَارَةٌ.

والمنيح: قُدْح لا فوز له في الميسر، والقُداح أحد عشر قُدْحاً، فسبعة منها ذات أنصباء، وأربعة ليس لها أنصباء، والمنيح منها، فإذا خرج أحد الأربعة رُدَّ في الرِّبَابَةِ وهي خرقَة تجعل فيها القُداح.

والشاهد فيه: استعمال الشاعر لفظ: كَرَّ المنيح، بمعنى إرجاع المنيح.

(٢) في المصدر: على.

(٣) في العين والمحكم: والكَّرُ. ولم يُذكر في المصادر الأخرى الآتية.

(٤) انظر مادة «كرر» في: العين ٥: ٢٧٧، والجمهرة ١: ١٢٥، والمحيط في اللغة ٦:

١٣٨، والصحاح ٢: ٨٠٤، والمحكم ٦: ٦٥٢، ولسان العرب ٥: ١٣٥.

لنا كرور فتتبرأ، وكلما عَطِفَ الفعل على تأويل المصدر نصب^(١) بإضمار «أن» ولا يجوز إظهارها .

وقوله : ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ (وقع التشبيه كأنه قال : كثبرؤ بعضهم من بعضٍ ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾^(٢) حَسَرَتْ ﴿وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما .

وقيل أيضاً : كما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات عليهم^(٣) ، وذلك لأنهم أيقنوا بالهلاك في كل واحد منهما .

والعامل في الكاف ﴿يُرِيهِمُ﴾ .

والأعمال التي يرونها حسرات قيل فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : المعاصي ، يتحسرون عليها لم عملوها ؟

الثاني : الطاعات ، يتحسرون عليها لم لم يعملوها ؟ ! وكيف

ضيّعوها ؟ ! ومثله ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤) أي أعمالهم التي فرضناها عليهم ، أو ندبناهم إليها .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : «هو الرجل يكتسب المال

ولا يعمل فيه خيراً ، فَيَرِيْهُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ^(٥) عملاً صالحاً ، فيرى الأول ما كسبه

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ه» .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «ه» والحجرية .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٨٣٢ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٧٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٤٠ .

(٤) سورة النمل ٢٧ : ٤ .

(٥) كلمة «به» أثبتناها من «ه» وتفسير العياشي ، وبدلها في بقية النسخ : «منه» ، وفي الكافي والأمال : «فيه» .

حسرة في ميزان غيره»^(١).

فإن قيل : لو جاز أن تُضاف الأعمال التي رغبوا فيها ولم يفعلوها بأنّها أعمالهم لجاز أن يقال : الجنة دارهم ، وحُور العين أزواجهم ؛ لأنّهم عرّضوا لها .

قلنا : لا يجب ذلك ، لأنّا إنّما حملنا على ذلك للضرورة ، ولو سمّى الله تعالى الجنة بأنّها دارهم لتأولنا ذلك ، ولكن لم يثبت ذلك فلا يقاس على غيره .

الثالث : الثواب ، فإنّ الله تعالى يُريهم مقادير الثواب التي عرّضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحمّسون عليه لمَ فرطوا فيه ؟

والقول الأوّل قول الربيع وابن زيد ، واختيار الجبائي وأحد قولَي البلخي .
والثاني قول عبدالله والسّدي وأحد قولَي البلخي^(٢) .

وهو كما تقول لإنسانٍ : أقبل على عملك ، (وإذا عقدت عليه عملاً قلت :)^(٣) خُذْ في عملك .

والذي أقوله : إنّ الكلام يحتمل الأمرين ، فلا ينبغي أن يقطع على واحدٍ منهما^(٤) إلّا بدليل ، إلّا أنّ الأوّل أقوى ؛ لأنّه الحقيقة ، والله أعلم

(١) انظر : الكافي ٤ : ٢/٤٢ ، وتفسير العياشي ١ : ١٤٩/١٧٤ ، وروي فيهما عن أبي عبدالله عليه السلام ، وروي عن أحدهما عليه السلام في أمالي المفيد : ٣٥/٢٠٥ «المجلس الثالث والعشرون» .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣٣ - ٣٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ٢٧٩/ ذيل الحديث ١٤٩٩ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٨٠ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٧٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٤٠ ، والتفسير البسيط ٣ : ٣٨١ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٦٩٨ .

(٣) في «هـ» : أي الذي اعتمدت عليه عملاً وهو لم يعمل فإن عمل قال له .

(٤) في «هـ» : أحدهما .

بمراده .

والْحَسَرَات : جمع الْحَسْرَة ، وهي أَشَدُّ النَّدَامَة . والفرق بينها وبين الإِرادَة : أَنَّ الْحَسْرَة تتعلّق بالماضي خاصّة ، والإِرادَة تتعلّق بالمستقبل ؛ لأنّ الحسرة إنّما هي ^(١) على ما فات بوقوعه أو ينقضي وقته ^(٢) .

وإنّما حُرِّكَت السَّيْن ؛ لأنّه اسم على فَعْلَة ، أوسطه ليس من حروف العِلَّة ، ولو كان صفة لقلت : صَعِبَات ^(٣) ، فلم تحرك ، وكذلك جَوَزَات وَيَبِضَّات ، وإنّما حُرِّكَ الاسم ؛ لأنّه على خلاف الجمع السالم ، إذ كان إنّما يستحقّه ما يعقل .

والْحَسْرَةُ والنَّدَامَة نظائر ، وهي نقيض الغِبْطَة ، ونقول : حَسَرْتُ العِمَامَة عن رأسي : إذا كشفتها ، وحَسَرَ عن ذِراعيه حَسْرًا ، وأنْحَسَرَ انْحِسَارًا ، وحَسَرَهُ تَحْسِيرًا ، وَتَحَسَّرَ تَحَسُّرًا ، والحَاسِر في الحرب : الذي لا دِرْع عليه ولا مِغْفَر ، وحَسِرَ يَحْسِرُ حَسْرَةً وحَسَرًا : إذا كمد على الشيء الفاتت وتلهّف عليه ، وحَسِرَت الناقة حُسُورًا : إذا أُعِيَتْ ، وحَسَرَ البَصَر : إذا كَلَّ عن النظر ، والمِحْسَرَةُ : المِكنَسَة ، والطير يَنْحَسِرُ : إذا خرج من ريشه العتيق إلى الحديث .

وأصل الباب : الْحَسْرُ : الكشف ^(٤) .

(١) في «هـ» زيادة : أَشَدُّ النَّدَامَة .

(٢) كذا في النسخ والحجريّة ، ولم يتّضح لنا وجه المقارنة بين الحسرة والإِرادَة ، وكون إحداهما في الماضي والأُخرى تتعلّق بالمستقبل غير كافٍ ، ولعلّ الإِرادَة - هنا - تصحيف : الإِراءَة ، وهي مصدر الفعل «يُري» المذكور في الآية .

(٣) في «هـ» فعلات .

(٤) انظر : العين ٣ : ١٣٣ ، والمحيط في اللغة ٢ : ٤٧٩ ، ولسان العرب ٤ : ١٨٧

وفي الآية دلالة على أنه كان فيهم قدرة على البراءة منهم ؛ لأنهم لو لم يكونوا قادرين لم يجز أن يتحسروا على ما فات ، كما لا يتحسر الإنسان على أنه لم يصعد إلى السماء ولا من كونه في ^(١) الأرض .

قوله تعالى :

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٦٨) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وأبو عمرو وحزمة وخلف وأبو بكر إلا البرجمي والبزي ^(٢) إلا ابن فرج ^(٣) والزيني ^(٤) إلا الولي ﴿خُطُواتٍ﴾ بسكون الطاء حيث وقع ،

(١) بدل «في» في «هـ» : لم يخرق .

(٢) البري أحمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن أبي بزة ، أبو الحسن المخزومي مولاهم ، مقرئ أهل مكة ومؤذن المسجد الحرام ، الفارسي الأصل ، والبزة الشدة ، ولد سنة سبعين ومائة ، من مشايخه : عبدالله بن زياد ، وعكرمة بن سليمان وغيرهما ، ومن تلامذته : إسحاق بن محمد الخزاعي والحسن بن الحباب وغيرهما ، توفي سنة خمسين ومائتين .

انظر ترجمته في : طبقات القراء ١ : ١٠٥/٢٠٣ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٥٥٣/١١٩ ، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء ١ : ٤٢٢/٢٦٦ .

(٣) هو المقرئ أحمد بن الفرّج بن عبدالله بن عبيد الجشمي البغدادي ، أبو علي ، أخذ القراءة عن عبدالرحمن بن مهدي وابن نمير ، وعنه أخذ البخاري والقماطري ، وتكلم فيه بعض . راجع : الموسوعة الميسرة ١ : ٤٠٦/٢٥٣ ، غاية النهاية ١ : ٤٣٦/٩٥ ، تاريخ الإسلام للذهبي : حوادث ٢٦٢ - ٢٨٠ ، ت ٢٣٨ ، تاريخ مدينة السلام ٥ : ٥٦١ ، ت ٢٤٢٨ .

(٤) الزيني : محمد بن موسى بن سليمان ، أخذ عن جمع ، وعنه آخرون ، وُصف بال ضبط ، إذ كان قَيِّماً بالقراءات ، ضابطاً لها ، عارفاً بعلمها ، توفي سنة ٣١٨ هـ . راجع : طبقات القراء للذهبي ١ : ٢٨٧/٣٥٦ ، غاية النهاية ٢ : ٣٤٨٩/٢٦٧ .

والباقون بضَمِّها^(١).

الأكل : هو التَّلْعُ عن مَضْغ ، وَبَلَغَ الحصا ليس بأَكْلٍ في الحقيقة ، وكذلك بلع الذهب وما أشبهه من لَوْلُوٍ وغيره ممَّا لا يقع عليه اسم المضغ فليس بأَكْلٍ في الحقيقة ، وقد قيل : النَّعَام يأكل الجَمْرَ فأجروه مجرئِ فلان يأكل الطعام ، ويقال : مَضَعَهُ ولم يأكله .

والحَلَال : هو الجائز من أفعال العباد ، مأخوذ من أَنَّهُ طُلِقَ لم يُعْقَد بِحَظَرٍ .

والمُبَاح : هو الحلال بعينه ، وليس كلِّ حسنٍ حلالاً ؛ لأنَّ أفعاله تعالى حَسَنَةٌ ، ولا يقال : إِنَّها حلال ؛ إذ الحلال إطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع ، وتقول : حَلَّ يَحِلُّ حَلَالاً ، وَحَلَّ يَحُلُّ حُلُولاً ، وَحَلَّ الْعَقْدَ حَلّاً ، وَأَحَلَّهُ إِحْلَالاً ، وَاسْتَحَلَّ اسْتِحْلَالاً ، وَتَحَلَّلَ تَحَلُّلاً وَاحْتَلَّ احْتِلَالاً ، وَتَحَالَّوْا تَحَالّاً ، وَحَالَهُ مُحَالَةً ، وَحَلَّلَهُ تَحْلِيلَةً ، وَانْحَلَّ انْحِلَالاً ، (وَحَلَّ الْعَقْدَ يَحُلُّهُ حَلّاً)^(٢) .

وكلَّ جامد أذنبته فقد حَلَلْتُهُ ، وَحَلَّ بالمكان : إِذَا نَزَلَ بِهِ ، وَحَلَّ الدَّيْنَ مَحِلّاً ، وَأَحَلَّ من إِخْرَامِهِ وَحَلَّ ، وَالْحِلُّ : الْحَلَال .

وَمَنْ قَرَأَ ﴿يَحْلِلُ﴾^(٣) معناه : يَنْزِلُ ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿يَحْلُلُ﴾ معناه : يَجِبُ ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ ، أَيِ وَجِبَتْ .
وَالْحَلَّالُ : الْجَدِّي الَّذِي يُشَقُّ عَنْ بَطْنِ أُمِّهِ .

(١) انظر : الحجة للقرءاء السبعة ٢ : ٢٦٥ ، وحجة القراءات : ١٢٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٧٣ .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

(٣) سورة طه ٢٠ : ٨١ .

وَتَجِلَّةُ اليمين منه قول الشاعر:

نَجَائِبٌ وَقَعَهُنَّ الْأَرْضَ تَخْلِيلُ^(١) [٤٧٧]

أي هين .

وَالْحَلِيلُ وَالْحَلِيلَةُ : الزوج والمرأة ، سُمِّيَا بذلك ؛ لأنَّهُمَا يَحْلَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ .

وَالْحُلَّةُ : إزار ورداء بُزْد وغيره ، ولا يقال : حُلَّةٌ ، حتى يكون ثوبين .
وَالْإِخْلِيلُ : مَخْرَجُ اللَّبَنِ مِنْ طَبْعِي^(٢) الْفَرْسِ وَخِلْفِ^(٣) النَّاقَةِ وغيرهما ، وهو مخرج البول من الذكر .

وَأَصْلُ الْبَابِ : الْحَلُّ : نَقِيضُ الْعَقْدِ ، وَمِنْهُ أَحَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ ؛ لِأَنَّهُ حَلٌّ عَقْدَ الْإِحْرَامِ بِالْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَتَجِلَّةُ الْيَمِينِ : أَخَذُ أَقْلَ الْقَلِيلِ ؛ لِأَنَّ عُقْدَةَ الْيَمِينِ تَنْحَلُّ بِهِ^(٤) .

(١) البيت لكعب بن زهير ، انظر : ديوانه : ٢٣ ، من قصيدته المعروفة : «بانت سعاد» وصدر البيت :

تُخْلِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ
وفيه : ذَوَابِلٌ ، بَدَل : نَجَائِبٌ .

وَالْبَيْتُ فِي وَصْفِ نَاقَةٍ ، وَمَعْنَى تُخْلِي : تَسِيرُ مَسْرَعَةً ، وَتَسْرَاتٍ : الْقَوَائِمُ الْخَفَافُ ، وَلَاحِقَةٌ : ضَامِرَةٌ ، وَالتَّحْلِيلُ ذِكْرُ مَعْنَاهِ الْمَصْتَفَى ، وَهُوَ الشَّاهِدُ لَذِكْرِ الْبَيْتِ .
(٢) الطَّبْعِيُّ وَالطَّبْعِيُّ : حَلَمَاتُ الضَّرْعِ الَّتِي فِيهَا اللَّبَنُ مِنَ الْخَفِّ وَالظَّلْفِ وَالْحَافِرِ وَالسَّبَاعِ .

وَقِيلَ : هُوَ لَذَوَاتُ الْحَافِرِ وَالسَّبَاعِ كَالثَدِيِّ لِلْمَرْأَةِ وَكَالضَّرْعِ لغيرها . وَالْجَمْعُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَطْبَاءٌ . لِسَانُ الْعَرَبِ ١٥ : ٤ «طبي» .

(٣) الْخِلْفُ - بِالْكَسْرِ - : حَلَمَةُ ضَرْعِ النَّاقَةِ الْقَادِمَانِ وَالْأَخِيرَانِ . الصَّحَاحُ ٤ : ١٣٥٥ «خلف» .

(٤) انظر : العين ٣ : ٢٦ ، والمحيط في اللغة ٢ : ٣١٤ ، والصحاح ٤ : ١٦٧٢ ، والمحكم ٢ : ٥٢٥ «حلل» .

والطَّيِّبُ : هو الخالص من شائب يُنْغَصُ ، وهو على ثلاثة أقسام :
 الطَّيِّبُ : المُسْتَلَدُّ ، والطَّيِّبُ : الجائز ، والطَّيِّبُ : الطاهر ، كقوله تعالى :
 ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ^(١) أي طاهراً .

والأصل واحد ، وهو المُسْتَلَدُّ ، إلّا أنّه وُصِفَ به الطاهر والجائز
 تشبيهاً ، إذ ما يزجر عنه العقل أو الشرع كالذي تكرهه النفس في الصرف
 عنه ، وما تدعو إليه بخلاف ذلك ، وتقول : طَابَ طَيِّباً ، وَاسْتَطَابَ اسْتِطَابَةً ،
 وَطَائِبُهُ مُطَائِبَةٌ ، وَتَطَيَّبَ تَطَيُّباً ، وَطَيَّيْتُهُ تَطَيُّباً ، والطَّيِّبُ : الحلال ، والطَّيِّبُ :
 النّظيف ، والطّهّور من الطيب .

وأصل الباب : الطَّيِّبُ : خلاف الخبيث ^(٢) .

والخُطُوءُ : بُعْد ^(٣) ما بين قدمي الماشي ، والخُطُوءُ : المرّة من الخُطُو ،
 وهو نقل قدم الماشي ، وتقول : خُطُوءٌ وَخُطُوءٌ واحدة ، والاسم الخُطُوءُ ،
 وجمعها خُطُيٌّ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي لا تتبعوا آثاره
 ولا تقتدوا به .

وأصل الباب : الخَطُوءُ : نقل القدم قدماً ^(٥) .

والْعَدُوُّ : المُبَاعَدُ عن الخير إلى الشرّ ، والولي نقيضه .

(١) سورة النساء ٤ : ٤٣ ، سورة المائدة ٥ : ٦ .

(٢) انظر مادة «طيب» في : العين ٧ : ٤٦١ ، وتهذيب اللغة ١٤ : ٣٩ ، والمحيط في
 اللغة ٩ : ٢٢٧ ، والصحاح ١ : ١٧٣ .

(٣) كلمة «بُعد» لم ترد في «ح» .

(٤) «وجمعها خطي» لم ترد في «ه» .

(٥) انظر : العين ٤ : ٢٩٢ ، والمحيط في اللغة ٤ : ٣٨٩ ، والمحكم ٥ : ٢٨٥ ، ولسان
 العرب ١٤ : ٢٣١ «خطو» .

وإنما قال : ﴿حَلَلًا طَيِّبًا﴾ فجمع الوصفين لاختلاف الفائدةين ؛ إذ وصفه بأنه حلال يفيد بأنه طَلَقَ ، ووصفه بأنه طَيِّب يفيد أنه مُسْتَلَذُّ إِمَّا فِي الْعَاجِلِ أَوْ الْآجِلِ .

و﴿خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ هاهنا قيل فيه خمسة أقوال :

الأول : قال ابن عباس : أعماله .

الثاني : قال مجاهد وقتادة : خطاياهم .

الثالث : قال السُّدِّي : طاعتكم إياه .

الرابع : قال الخليل : آثاره .

الخامس : قال قوم : هي النذور في المعاصي .

وقال الجُبَّائي : ما يتخطى بكم إليه بالأمر والترغيب ^(١) .

وروي ^(٢) أَنَّ هذه الآية نزلت لِمَا حَرَّمَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ ثَقِيفٍ وَخَزَاعَةٍ وَبَنِي مُدَلَجٍ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ ، فَهَيَّ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ ، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافِهِ ^(٣) .

والإذن في الحلال يدل على حظر الحرام على اختلاف ضروره ، وأنواعه ، فحملها على العموم أولى .

والمآكل والمنافع في الأصل للناس فيها ثلاثة أقوال :

(١) انظر : العين ٤ : ٢٩٢ «خطو»، وتفسير الطبري ٣ : ٣٨ ، وتفسير الشعبي ٤ : ٢٨٣ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٤٢ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٢٠ ، والتفسير البسيط ٣ : ٤٨٥ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٠١ ، ونسب القول الخامس في أكثر المصادر المتقدمة إلى أبي مجلز .

(٢) في «هـ» : وقال قوم ، بدل : وروي .

(٣) انظر : تفسير الطبراني ١ : ٢٨١ ، وتفسير الشعبي ٤ : ٢٨٠ ، وأسباب النزول :

فقال قوم: هي على الحظر.

وقال آخرون: هي على الإباحة.

وقال قوم: هي على الوقف.

وحكى الرماني: أن فيهم من قال: بعضها على الحظر وبعضها على الإباحة.

وقد بيّنا ما عندنا في ذلك في أصول الفقه، إلا أن هذه الآية دالة على إباحة المآكل إلا ما دلّ الدليل على حظره^(١).

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ في وصف الشيطان، معناه: أنه مُظْهِرُ العداوة بما يدعو إليه من خلاف الطاعة لله^(٢) التي فيها النجاة من الهلاك والفوز بالجنة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٩) آية واحدة بلا خلاف.

الأمر من الشيطان: هو دعاؤه إلى الفعل، فأما الأمر في اللغة فهو قول القائل لمن هو دونه: افعَلْ، وإذا كان فوقه سُمِّيَ ذلك دعاءً ومسألةً. وهل يقتضي الأمر الإيجاب أو الندب، خلاف، ذكرناه في أصول

(١) العدة في الأصول ٢: ٧٤١ - ٧٤٢، وانظر أيضاً: تصحيح الاعتقاد: ١٤٣، وأصول الفقه للمفيد: ٣٨، ومقالات الإسلاميين: ٤٤٧، والمغني لعبد الجبار ١٧: ١٣٣ - ١٣٤، وكتاب المعتمد ٢: ٨٦٨، واللمع: ٢٤٦، وشرح اللمع ٢: ٩٧٧، والبرهان للجويني ١: ٨٦، والمستصفي ١: ٢٠٣.

(٢) كلمة «الله» لم ترد في «ح».

الفقه^(١)، فلا نطوّل بذكره هاهنا .

والسُّوءُ: كلّ فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع، ويُسمّى ما تنفّر عنه النفس سُوءاً، تقول: ساءني كذا، يسوؤني سوء .

وقيل: إنّما سُمّي القبيح سوءاً؛ لسوء عاقبته؛ لأنّه يلتذّ به في العاجل، ويسوء في الآجل، ولا يخلو المكلف من الزجر عن القبيح إمّا عقلاً أو شرعاً، ولو خلا منه لكان مغرّياً بالقبيح، وذلك لا يجوز .
والسُّوءُ في الآية قيل فيه قولان:

قال السُّديّ: هو المعاصي .

وقال غيره: ما يسوء الفاعل، يعني ما يضرّه^(٢)، والمعنى قريب من الأول، والأوّل هو الصحيح .

والفَحْشَاءُ: هو العظيم القُبْح في الفعل، وكذلك الفاحِشَةُ .

وقيل: المراد به الزنا من الفجور، عن السُّدي^(٣) .

والفَحْشَاءُ: مصدر فَحَشَ فَحْشَاءً^(٤) وفُحْشاً، كقولك: ضَرَّه ضَرّاً وضَرَّاءً، وسَرَّه سُرّاً وسَرَّاءً^(٥) . والفَحْشَاءُ والفاحِشَةُ والقبيحَةُ والسيئةُ نظائر، ونقيضها الحَسَنَةُ، تقول: فَحَشَ فَحْشاً، وأفَحَشَ إفْحاشاً، وتَفَاحَشَ تَفَاحُشاً، وفَحَشَ تَفْحِيشاً، واستَفَحَشَ اسْتِفْحاشاً، وكلٌّ مَنْ تجاوز قدره^(٦)

(١) العدة في الأصول ١: ١٧٠ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ٤٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٥١٠/٢٨١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٤٣، وتفسير الماوردي ١: ٢٢٠ .

(٣) انظر المصادر السابقة .

(٤) كلمة «فحشاء» لم ترد في «هـ» .

(٥) كلمة «سراء» لم ترد في «ي» .

(٦) في «هـ»: حدّه .

فهو فاحش ، وأفحش الرجل إذا قال فُحشاً ، وكل شيء لم يكن موافقاً للحق فهو فاحشة ، قال الله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ ^(١) يعني بذلك خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلق لها ، وقال تعالى : ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ ^(٢) .

والقول : كلام له عبارة تُنبئ عن الحكاية ، وذلك ككلام زيد يمكن أن يأتي عمرو بعبارة عنه تنبئ عن الحكاية له ، فيقول : قال زيد كذا وكذا ، فيكون قوله : قال زيد ، يؤذن أنه يحكى بعده كلام . وليس كذلك إذا قال : تكلم زيد ، لأنه لا يؤذن بالحكاية .

والعلم : ما اقتضى سكون النفس .

وقيل : هو تبين الشيء على ما هو به للمُذَرِّك له ^(٣) .

فإن قيل : كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه ؟

قلنا : لما كان الواحد منا يجد من نفسه معنى الأمر بما يجد ^(٤) من الدعاء إلى المعصية ، والمنازعة في الخطيئة ، وكان ما نجده من نفوسنا من الدعاء والإغواء ^(٥) إنما هو بأمر الشيطان الذي دلنا الله عليه ، وحذرننا منه ، صحَّ إخبار الله تعالى بذلك .

فإن قيل : إذا كان الله عز وجل يوصل معنى أمره لنا إلى نفوسنا ، فما وجه ذلك في الحكمة ، وهو لو أمر من غير إيصال معنى الأمر لم يكن في

(١) سورة الطلاق ٦٥ : ١ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٩٠ .

(٣) انظر : الفروق اللغوية : ٧٦ ، واللمع : ٢٩ ، والمستصفي ١ : ٧٨ ، والتعريفات للجرجاني : ٢٣٣ .

(٤) في «هـ» : لا يجد .

(٥) في «ي» : الإغراء .

ذلك مضرة ؟

قلنا : في ذلك أكبر النعمة ^(١) ؛ لأنّ التكليف لا يصحّ إلا مع منازعة إلى الشيء المنهي عنه ، فكان ذلك من قبيل عدوّ يحذّره أولى من أن تكون المنازعة من قبيل وليّ يستنصحه .

وفي ذلك المصلحة لنا بالتعريض للثواب الذي يستحقّه بالمخالفة له والطاعة لله تعالى .

كما أنّ في خلقه مصلحةً من هذه الجهة ، وإذا كان إنّما أفهمنا ذلك لنجنبه فهو كتعليم شبهة مُلحد لنعلّم ^(٢) حلّها .

وفي الآية دلالة على بطلان قول مَنْ قال : إنّ المعارف ضرورة ^(٣) ؛ لأنّها لو كانت ضرورة لما جاز أن يدعوهم إلى خلافها ، كما لا يدعوهم إلى خلاف ما هم مضطّرون إليه من أنّ السماء فوقهم والأرض تحتهم وما جرى مجراه ممّا يُعلم ضرورة ؛ لأنّ الدعاء إلى ذلك يجري مجرى الدعاء إلى خلق الأجسام وبعث الأموات ممّا لا يدخل تحت مقدور القدر ^(٤) .

وقد استدلّ ثفاة القياس والقول بالاجتهاد بهذه الآية بأن قالوا : القول بالاجتهاد والقياس قول بغير علم ، وقد نهى الله عن ذلك ، فيجب أن يكون ذلك محظوراً ^(٥) .

(١) كذا في النسخ .

(٢) في «ح» : ليعلم .

(٣) القائل بهذا القول الجاحظ وثمامة بن أشرس النميري .

انظر : الملل والنحل ١ : ٧٥ ، الشافعي ١ : ٩٢ ، والفرق بين الفرق : ١٧٢ ، ١٧٥ ، ومناقضات أبي جعفر الإسكافي : ٢١/٣٣٤ ، المطبوع مع العثمانية .

(٤) القدر ، لم يرد في «هـ» .

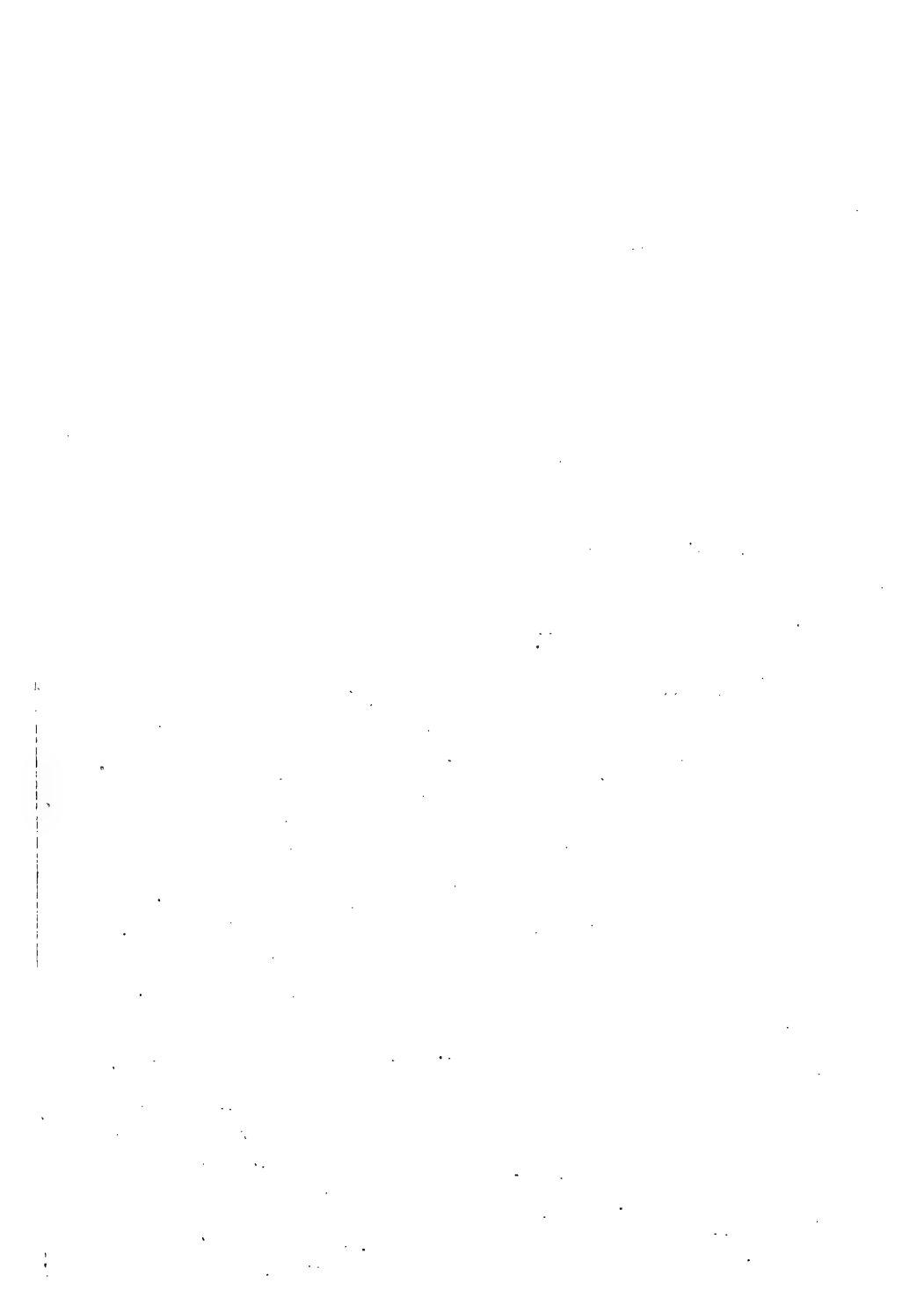
(٥) انظر : عُدة الأصول ٢ : ٦٦٧ .

ومذهبنا وإن كان المنع من القول بالاجتهاد ، فليس ^(١) في هذه الآية دلالة على ذلك ؛ لأنَّ للخصم أن يقول : إذا دلَّني الله تعالى على العمل بالاجتهاد فلا أعمل أنا به إلا بالعلم ، ويجري ذلك مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين ، والعمل بقول المقومين في أروش الجنائيات وقِيم المتلفات وجِهاً القبلة ، وغير ذلك من الأشياء التي هي واقفة على الظنِّ ، فالظنُّ شرط ، والعمل واقف على الدليل الموجب للعمل عنده ، فلا يكون في الآية دلالة على ذلك .

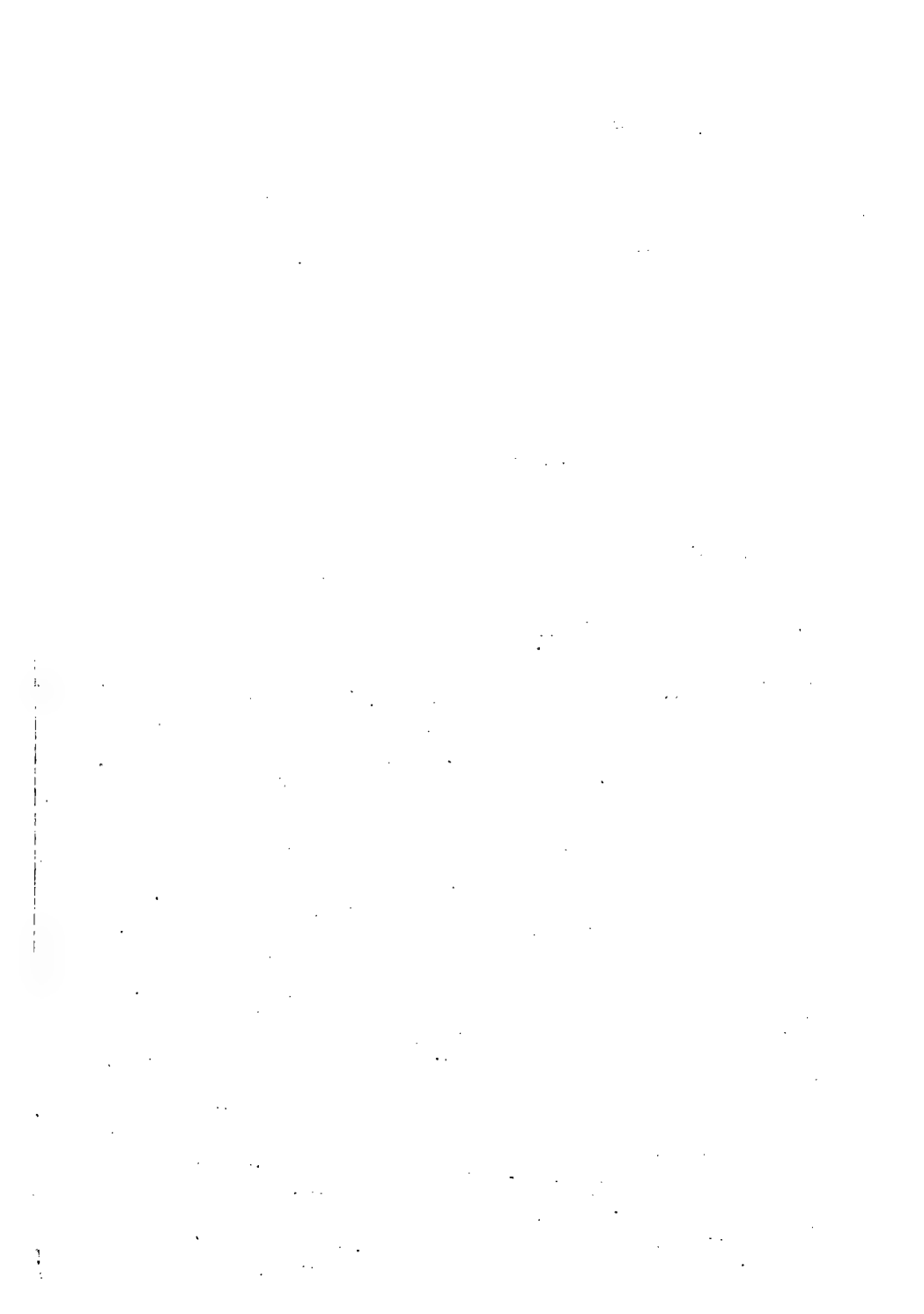
وقد بيَّنا ما نعتمده في بطلان القول بالاجتهاد والرأي في أصول الفقه ^(٢) ، فلا وجه لذكره هاهنا .

(١) في «هـ» : إلا أنه ليس ، بدل : فليس .

(٢) عدَّة الأصول ٢ : ٦٦٨ ، ٧٣٣ .



وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ أَلْمِيسَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ءُثْمًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾



قوله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠) آية
واحدة بلا خلاف .

أَلْفَيْنَا وصادفنا وَوَجَدْنَا بمعنى واحد ، والأب والوالد واحد .

قوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ﴾ هي واو العطف ، دخل عليها حرف الاستفهام ،
والمراد به التوبيخ والتقريع ، فهي ألف التوبيخ .

ومثل هذه الواو ^(١) ﴿أَتُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ ^(٢) و﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ﴾ ^(٣) وإنما جعلت ألف الاستفهام للتوبيخ ؛ لأنه يقتضي ما الإقرار به
فضيحة ^(٤) عليه ، كما يقتضي الاستفهام الإخبار بما ^(٥) يحتاج إليه .

والمعنى : أنهم يقولون هذا القول وإن ﴿كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ .

والفرق بين دخول الواو وسقوطها في مثل هذا الكلام أنك إذا قلت :
أتبعه ولو ضررك ؟ فمعناه : أتبعه على كل حال ولو ضررك ؟ وليس كذلك
إذا قال : أتبعه لو ضررك ؟ لأن هذا خاص والأول عام ، فإنما دخلت الواو
لهذا المعنى .

(١) في الطبعة النجفية : الألف ، بدل : الواو . وما أثبتناه من جميع النسخ والحجرات .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٥١ .

(٣) سورة يوسف ١٢ : ١٠٩ ، سورة الحج ٢٢ : ٤٦ ، سورة محمد ٤٧ : ١٠ .

(٤) في «هـ» : توبيخه ، بدل : فضيحة .

(٥) في «ي» والحجرات : ممّا .

ومعنى قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يحتمل شيئين:

أحدهما: لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون إليه.

والثاني: على الشتم والذم^(١)، كما يقال: هو أعمى، إذا كان لا يبصر طريق الحق على الذم، هذا قول البلخي. والأول قول الجبائي^(٢).

وفي الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف؛ لأنها دللت على أنهم كانوا على ضلال في الاعتقاد.

والضمير في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعود على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾^(٣).

والثاني: أنه يعود على ﴿النَّاسِ﴾ من ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾^(٤) فعدل عن المخاطبة إلى الغيبة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٥).

الثالث: أنه يعود على الكفار إذ جرى ذكرهم^(٦). ويصلح أن يعود إليهم وإن لم يجر ذكرهم؛ لأن الضمير يعود على المعلوم كما يعود على المذكور.

(١) كلمة «والذم» لم ترد في «ي».

(٢) حكى القولين أيضاً الجسمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١: ٧٠٥، وبلا نسبة انظر: تفسير الطبري ٣: ٤٣، وتفسير الثعلبي ٤: ٢٩١، وتفسير الهواري ١:

١٦٤.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٦٥.

(٤) سورة البقرة ٢: ١٦٨.

(٥) سورة يونس ١٠: ٢٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٣: ٤١، وتفسير الطبراني ١: ٢٨٢، وتفسير الثعلبي ٤:

٢٨٩، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٤٤، والتفسير البسيط ٣: ٤٨٩.

وقال ابن عباس: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دعا اليهود من أهل الكتاب^(١) إلى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الآية^(٢).

و﴿أَلْفَيْنَا﴾ في الآية معناه: وجدنا، في قول قتادة^(٣) كما قال الشاعر:

فَأَلْفَيْنَاهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَا كِرٍّ لِلَّهِ إِلَّا قَلِيلًا^(٤) [٤٧٨]

والاتباع: طلب الاتفاق في المقال أو الفعال، أما في المقال فإذا دعا إلى شيء استجيب له، وأما في الفعال فإذا فعل شيئاً فعلت مثله.

والعقل: مجموع علوم بها يتمكن من الاستدلال بالشاهد على الغائب.

وقال قوم: هو قوة في النفس يمكن بها ذلك^(٥).

والاهتداء: الإصابة لطريق الحق بالعلم.

وفي الآية حجة عليهم، من حيث إنه إذا جاز لهم أن يتبعوا آباءهم فيما لا يدرون أحق هو أم باطل، فلم لا يجوز اتباعهم مع العلم بأنهم

(١) من أهل الكتاب، لم ترد في «ه».

(٢) حكاه عنه ابن هشام في السيرة ٢: ٢٠٠، والطبري في تفسيره ٣: ٤٢، وابن أبي

حاتم في تفسيره ١: ١٥١١/٢٨١.

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٣: ٤٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ١:

١٥١٢/٢٨١.

(٤) البيت لأبي الأسود الدؤلي، انظر: ديوانه: ٥٤، من أبيات سته مطلعها:

أَرَيْتَ امْرَأَةً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا

والمعنى: ألقى: وجد، ومستعتب - اسم فاعل -: الراجع بالاعتاب، بمعنى ذكرته ما كان بيننا من اليهود، وعاتبته على تركها، فوجدته غير طالب رضائي، والشاهد فيه: فألقيته، بمعنى وجدته.

انظر: كتاب الأغاني ١٢: ٣١٠، وخزانة الأدب للبغداد ١١: ٣٨١.

(٥) انظر: كتاب التعريفات للشريف الجرجاني: ٢٢٨، ٢٢٩.

مبطلون؟! وهذا في غاية البطلان .

وفيها دلالة على فساد التقليد ؛ لأن الله تعالى ذمهم على تقليد آبائهم ، ووبخهم على ذلك ، ولو جاز التقليد لم يتوجه إليهم توبيخ ، ولا لوم ، والأمر بخلافه .

قوله تعالى :

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٍّ بُكْمٍ عُمًى فَهُمْ لَا يَهْتَفُونَ﴾ (١٧٦) آية بلا خلاف .

التشبيه في هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل :

أحدها ، وهو أحسنها وأقربها إلى الفهم ، وأكثرها في باب الفائدة : ما قاله أكثر المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع ، واختاره الزجاج والفراء والطبري والجُبائي والرماني^(١) ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام^(٢) : أَنَّ مَثَلَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي دَعَائِكَ إِيَّاهُمْ ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أَيِ النَّاعِقِ فِي دَعَائِهِ الْمَنْعُوقَ بِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ كَالْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَعْقِلُ مَا يُقَالُ لَهَا ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُ الصَّوْتِ .

والحذف في مثل هذا حسن ، كقولك لمن هو سيء الفهم : أنت كالحمار ، وزيد كالأسد ، أي في الشجاعة ؛ لأن المعنى في أحد الشيتين أظهر فيشبه به الآخر ليظهر بظهوره ، وهذا باب حسن في البيان .

(١) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٣ ، ومعاني الفراء : ١ : ٩٩ ، وتفسير الطبري : ٣ : ٤٧/٤٤ ، ومعاني القرآن للزجاج : ١ : ٢٤٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم : ١ : ١٥١٣/٢٨٢ ، وتفسير الطبراني : ١ : ٢٨٣ ، وتفسير ابن أبي زمنين : ١ : ١٩٤ ، وتفسير الثعلبي : ٤ : ٢٩٢ .
(٢) تفسير القمي : ١ : ٦٤ .

الثاني : حكاة البلخي وغيره : **إِنْ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعَائِهِمْ آلِهَتُهُمْ مِنَ الْأَوْثَانِ كَمَثَلِ النَّاقِ فِي دَعَائِهِ مَا لَا يَسْمَعُ بَتَعَالٍ وَمَا جَرَىٰ مَجْرَاهُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَهَائِمَ لَا تَفْهَمُ الْكَلَامَ وَإِنْ سَمِعَتْ الدَّعَاءَ وَالنَّدَاءَ ، وَأَقْصَىٰ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ أَنْ تَكُونَ كَالْبَهَائِمِ فِي أَنَّهَا لَا تَفْهَمُ الْكَلَامَ ، فَإِذَا كَانَ لَا يُشْكَلُ عَلَيْهِمْ أَنْ مَنْ دَعَا الْبَهَائِمَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ جَاهِلٌ ، فَهُمْ فِي دَعَائِهِمُ الْحَجَارَةِ أَوْلَىٰ بِالْجَهْلِ وَصِفَةِ الذَّمِّ^(١) .**

الثالث : قال ابن زيد : **إِنْ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعَائِهِمْ آلِهَتُهُمْ كَمَثَلِ النَّاقِ فِي دَعَائِهِ الصَّدَىٰ فِي الْجَبَلِ ، وَمَا أَشْبَهَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ مِنْهُ إِلَّا دَعَاءَ وَنَدَاءَ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ : يَا زَيْدُ ، سَمِعَ مِنَ الصَّدَىٰ يَا زَيْدُ ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّ مَجِيبًا أَجَابَهُ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ ، فَيَقُولُ : يَا زَيْدُ ، وَلَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ ، وَكَذَلِكَ يُخَيَّلُ إِلَى الْمَشْرِكِينَ أَنَّ دَعَاءَهُمُ الْأَصْنَامِ^(٢) يُسْتَجَابُ ، وَلَيْسَ لَذَلِكَ حَقِيقَةٌ وَلَا فِيهِ فَائِدَةٌ^(٣) .**

وإنَّما رَجَّحْنَا الْوَجْهَ الْأَوَّلَ ، لَمَّا بَيَّنَّاهُ مِنْ حَسَنِ الْكَلَامِ ، وَلِأَنَّهُ مُطَابِقٌ لِلْسَبَبِ الَّذِي قِيلَ : إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ، وَلَا يَلِيقُ بِهِمُ الْوَجْهَ الثَّانِي .

فإذا ثبت ذلك ففيه ثلاثة أوجه من الحذف :

أولها : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في دعائهم لهم كمثل الناق في دعائه

(١) حُكِيَ عَنْهُ فِي : التَّهْذِيبِ فِي التَّفْسِيرِ ١ : ٧٠٧ ، وَمَجْمَعُ الْبَيَانِ ١ : ٥٠٩ ، وَبِلَا حِكَايَةٍ عَنْهُ فِي : تَفْسِيرِ الثَّلَعَلِيِّ ٤ : ٢٩٧ ، وَالتَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ ٥ : ٨ .

(٢) مَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ «ي» ، وَفِي بَقِيَةِ النُّسخِ : لِلْأَصْنَامِ .

(٣) حَكَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٣ : ٤٩ ، وَالْقَيْسِيُّ فِي الْهُدَايَةِ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ ١ :

٥٤٧ ، وَالْوَاَحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ ٣ : ٤٩٣ ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١ :

٢٨٤ بِلَا نِسْبَةٍ إِلَيْهِ .

المنعوق به .

والثاني : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في دعائهم الأوثان^(١) كمثل الناقع

في دعائه الأنعام .

الثالث : مثّل وعظ الذين كفروا كمثّل نعنق الناقع بما لا يسمع ، وهذا

من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقول الشاعر :

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ^(٢) [٤٧٩]
والتقدير : على مخافة وَعِل .

فإن قيل : كيف قُوبِل الذين كفروا - وهُم المنعوق به - بالناقع ، ولمّا

تقابل المنعوق به^(٣) بالمنعوق به في ترتيب الكلام أو الناقع بالناقع ؟

قيل : للدلالة على تضمين الكلام تشبيه اثنين باثنين ، الداعي للإيمان

للمدعو من الكفّار بالداعي إلى المراد للمدعو من الأنعام ، فلمّا أُريد الإيجاز

أُبقي ما يدلّ على ما أُلقي ، فأُبقي^(٤) في الأوّل ذكر المدعو وفي الثاني ذكر

الداعي ، ولو رُتّب على ما قال السائل لبطل هذا المعنى .

(١) في «ح» : في دعائك لهم ، بدل : في دعائهم الأوثان .

(٢) البيت للناطقة الذبياني : ١٤٤ ، من قصيدة في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر

الغساني بني مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومطلعها :

أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاءَ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِي فِذَاتِ الْأَجَاوِلِ

وفي الديوان : وقد ، بدل : لقد .

ومعنى البيت : الوعل : الشاة الجبلية ، وخصّه بالذكر لأنّه أشدّ خوفاً من غيره ،

والعاقل : الذي عَقِل في الجبل ، وذو المطارة : اسم جبل .

والشاهد فيه : حذف المضاف وهو «مخافة» وإقامة المضاف إليه وهو «وعِل»

مقامه .

(٣) كلمة «به» لم ترد في «ح» و«و» .

(٤) في «ي» : فما بقي .

وزعم أبو عبيدة والفرّاء أنّه يجري مجرى المقلوب الذي يوضع فيه كلمة مكان كلمة، كآته وضع الناعق موضع المنعوق به، وأنشد:

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّناءُ فَرِيضَةً الرَّجْمِ^(١) [٤٨٠]

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزناء، وكما يقال: أدخلت القلنسوة في رأسي، وإنّما هو أدخلت رأسي في القلنسوة، قال الشاعر:

إِنْ سَرَجاً لَكَرِيْمٍ مَفْخَرَةٌ تَحْلِي بِهِ^(٢) الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجْهَرُ^(٣) [٤٨١]

والمعنى: تحلى بالعين، فجعله تحلى به العين.

والأقوى أن يكون الأمر على ما بيّناه من المعنى الذي دعا إلى الخلاف في الحذف، ليدلّ بما أبقى على ما ألقى.

قال صاحب العين: نَعَى الرَّاعِي بِالْغَنَمِ يَنْعُو نَعِيْقًا: إذا صاح بها

(١) مجاز القرآن ١: ٦٣، معاني القرآن للفرّاء ١: ٩٩.

والبيت للنايعة الجعدي، ديوانه ١٦٩، ومجاز القرآن ١: ٣٧٨، ولسان العرب ١٤: ٣٥٩ «زنا»، وروي بلا نسبة في أمالي المرتضى ١: ٢١٦، ومعاني القرآن للفرّاء ١: ٩٩، ١٣١، والإنصاف للأتباري ٣٧٣، وفي بعض المصادر: كانت فريضة.

والشاهد فيه - كما قال المصنّف - : أنَّ الرجم فريضة الزنا، والبيت جاء على نحو القلب.

(٢) كلمة «به» أثبتناها من «ه» والمصادر، وكذلك في المورد الآتي، وفي النسخ الأخرى بدلها: «له».

(٣) رُوي هذا البيت بلا نسبة لقائل في معاني القرآن للفرّاء ١: ٩٩، والصحاح ٦: ٢٣١٨ «حلا»، وأمالي المرتضى ١: ٢١٦، ولسان العرب ١: ١٧٥ «نوأ»، و١٤: ١٩٦ «حلا».

ومعنى البيت واضح.

والشاهد فيه: أنَّ معنى: تحلى به العين، أي يحلى هو بالعين، على نحو القلب.

زَجْرًا، وَنَعَقَ الْغُرَابُ نُعَاقًا وَنَعِيقًا^(١). وَالنَّاعِقَانِ: كوكبان من كواكب الجوزاء رجُلُهَا الْيُسْرَى وَمَنْكِبُهَا الْأَيْمَنُ، وهو الذي يُسَمَّى الْهِنْعَةَ^(٢)، وَهُمَا أَضْوَأُ كوكبين في الجوزاء^(٣).

وأصل الباب: الصَّيْحاح^(٤).

وَالنَّدَاءُ: مصدر نَادَى مُنَادَاةً وَنَدَاءً، وَتَنَادَا تَنَادِيًا، وَنَدَى تَنْدِيَةً، وَتَنْدَى تَنْدِيًا.

وَالنَّدَاءُ وَالِدْعَاءُ وَالسُّؤَالُ نِظَائِرٌ، قال صاحب العين: النَّدَى له وجوه في المعنى: نَدَى الْمَاءِ، وَنَدَى الْخَيْرِ، وَنَدَى الشَّرِّ، وَنَدَى الصَّوْتِ، وَنَدَى الْحُضُرِ. فَأَمَّا نَدَى الْمَاءِ فَمِنْهُ نَدَى^(٥) الْمَطَرِ، [يقال]: أَصَابَهُ نَدَى مِنْ طَلٍّ، وَيَوْمٌ نَدٍ، وَأَرْضٌ نَدِيَّةٌ. والمصدر منه: النَّدْوَةُ.

وَالنَّدَى: ما أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَلِ، وَنَدَى الْخَيْرِ هو المعروف، تقول: أَنْدَى عَلَيْنَا فَلَانٌ نَدَى كَثِيرًا، وَإِنْ يَدُهُ لَنَدِيَّةٌ بِالْمَعْرُوفِ.

وَنَدَى الصَّوْتِ: بُغْدٌ مَذْهَبُهُ وَصِحَّةٌ جَرْمُهُ^{(٦)(٧)}.

وَاشْتَقَّ النَّدَاءُ فِي الصَّوْتِ مِنَ النَّدَى، ناداه أَي دَعَاهُ بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ^(٨).

(١) في الحجرية زيادة: إذا صاح.

(٢) في المصدر: الْهَقْعَةُ.

(٣) العين ١: ١٧١ «نَعَقَ».

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١: ٢٥٧، والمحيط في اللغة ١: ١٨٥، والصحاح ٤: ١٥٥٩ «نَعَقَ».

(٥) كلمة «ندى» لم ترد في المصدر، ولعلّه المناسب.

(٦) ما أثبتناه من المصدر والمحيط في اللغة ٩: ٣٦٤ «ندو»، وفي جميع النسخ: جريه. وجِرم الصوت: جهارته. لسان العرب ١٢: ٩٣ «جرم».

(٧) العين ٨: ٧٧ «ندى».

(٨) في جميع النسخ إلّا «ه» زيادة: به.

وَالنَّدُو: الاجتماع في النادي، وهو المجلس، نَدَا الْقَوْمَ يَنْدُونُ نَدْوًا:
إذا اجتمعوا، ومنه دار الندوة.

وأصل الباب: النَّدَى: البَلَل، وَنَدَى الْجُودَ كَنَدَى الْغَيْثُ^(١).
ومعنى ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي صُمٌّ عن استماع
الحجة، بُكْمٌ عن التكلم بها، عُمَى عن الإبصار لها، وهو قول ابن عباس
وقتادة والسُّدِّي^(٢).

والأعمى: مَنْ فِي بَصَرِهِ آفَةٌ تَمْنَعُهُ مِنَ الرُّؤْيَةِ.
والأصمّ: مَنْ كَانَ فِي آلَةٍ سَمْعُهُ آفَةٌ تَمْنَعُهُ مِنَ السَّمْعِ.
والأبكمّ: مَنْ كَانَ فِي لِسَانِهِ آفَةٌ تَمْنَعُهُ مِنَ الْكَلَامِ.
وقيل: إِنَّهُ يُولَدُ كَذَلِكَ، وَالْخَرَسُ قَدْ يَكُونُ لِعَرَضٍ يَتَجَدَّدُ^(٣).
وأجاز الفراء النصب في ﴿صُمٌّ﴾ عَلَى الذَّمِّ^(٤).
والأجود: الرفع على ما عليه الفراء، وتقديره: هُمْ صُمٌّ.
وفيها دلالة على بطلان قول مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا عَلَى
الحقيقة، لَأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا صُمًّا لَمْ يَسْمَعُوا الْأَصْوَاتَ^(٥)، وإِنَّمَا
هو كما قال الشاعر:

(١) انظر مضافاً لما تقدّم: تهذيب اللغة ١٤: ١٨٩، والمحكم ٩: ٤٣٦ «ندو».
(٢) انظر: تفسير ابن عباس: ٢٣، وتفسير الطبري ٣: ٥١، وتفسير ابن أبي حاتم ١:
١٧٢/٥٢ - ١٧٤، والتفسير البسيط ٣: ٤٩٣.
(٣) انظر: العين ٤: ١٩٥، و٥: ٣٨٧، والمحكم ٥: ٧٣، و٧: ٧٢ «بكّم»
و«خرس».

(٤) معاني القرآن ١: ١٠٠.

(٥) في الحجرية: لا يسمعون الأصوات.

[١١١] أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ^(١)

وفيه دلالة على بطلان قول مَنْ قال : إِنَّ المعرفة ضرورة^(٢) ؛ لأنهم لو كانوا عالمين ضرورة لما استحقوا هذه الصفة .

وقال عطاء : نزلت هذه الآية في اليهود^(٣) .

ومعنى يَنْعِقُ : يُصَوِّتُ ، قال الأخطل :

فَانْعِقْ بِضَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَتَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا^(٤) [٤٨٢]

والدعاء : طلب الفعل من المدعو ، والأولى أن تُعتبر فيه الرتبة ، وهو أن يكون فوق الداعي .

والسَّمْعُ : إدراك الصوت .

والمَثَلُ : قول سائر يدل على أَنَّ سبيل الثاني سبيل الأول .

(١) تقدّم الاستشهاد به في ١ : ٢٧٣ في تفسير الآية ١٨ : ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن للزجاج ١ : ٨٢ .

وأورده أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١ : ١٣١/١٤٠ بعنوان مَثَل يُضْرَب للرجل يتغافل عما يكره .

(٢) تقدّم أَنَّ القائل بهذا القول هو الجاحظ وثمامة بن أشرس النميري .

انظر : الملل والنحل ١ : ٧٥ ، والشافي ١ : ٩٢ ، والفرق بين الفرق ١٧٢ و١٧٥ ، ومناقضات أبي جعفر الإسكافي : ٢١/٣٣٤ المطبوع مع العثمانية .

(٣) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٥١ .

(٤) ديوان الأخطل : ٥٠ ، من قصيدة طويلة يهجو بها جريراً ويفتخر على قيس ، مطلعها :

كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ غَلَسَ الظلام من الربابِ خَيْتِلا
والنعيق : دعاء الراعي الشاة ، والضأن : الضائن من الغنم : ذو الصوف .
والشاهد فيه : استعمل الشاعر الفعل «انعق» بمعنى صَوَّت وادعو .

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) آية بلا خلاف .

هذا الخطاب يتوجه إلى جميع المؤمنين ، وقد بينّا أنّ المؤمن هو
المُصَدِّق بما وجب عليه ، ويدخل فيه الفُسَّاق بأفعال الجوارح وغيرها ؛ لأنّ
الإيمان لا ينفي الفسق عندنا .

وعند المعتزلة : إنّ خطاب لمجتنبي الكبائر ، وإنّما يدخل فيه الفُسَّاق
على طريق التبعية والتغليب ، كما يغلب المذكر على المؤنث في قولك :
الإماء والعبيد جاؤوني .

وقد بينّا فيما تقدّم أنّ أفعال الجوارح لا تُسمّى إيماناً ، عند أكثر
المرجئة وأكثر أصحابنا ، وأنّ بعضهم يُسمّي ذلك إيماناً ؛ لِمَا رَوَاهُ
الرضا (عليه السلام) ^(١) .

والإيمان مأخوذ من أمان العقاب عند مَنْ قال : إنّهُ يتناول مجتنبي
الكبائر .

وعند الآخرين من أمان الخطأ في الاعتقاد الواجب عليه .
وفي المخالفين مَنْ يجعل الطاعات الواجبات والنوافل من الإيمان ،
وفيهم مَنْ يجعل الواجبات فقط إيماناً ، ويُسمّي النوافل إيماناً مجازاً ^(٢) .

(١) تقدّم بحث الإيمان واختلاف الأقوال فيه ومذاهبه ومصادره وأحاديثه في ١ :
١٧٤ ، عند تفسير الآية : ٣ من سورة البقرة ، وكذلك في ٢ : ٣٨٧ ، عند تفسير
الآية : ٦٢ ، فراجع .

(٢) راجع ج ١ ، ص ١٧٥ من هذا الكتاب ، الآية الثالثة من سورة البقرة .

وقوله: ﴿كُلُوا﴾ ظاهره ظاهر الأمر، والمراد به الإباحة والتخيير؛ لأن الأكل ليس بواجب إلا أنه متى أراد الأكل فلا يجوز أن يأكل إلا من الحلال الطيب، ومتى كان الوقت وقت الحاجة فإنه محمول على ظاهره في باب الأمر، سواء قلنا: إنه يقتضي الإيجاب أو الندب.

وفي الآية دلالة على النهي عن أكل الخبيث في قول البلخي وغيره^(١)، كأنه قيل: كلوا من الطيب دون الخبيث، كما لو قال: كلوا من الحلال، لكان ذلك دالاً على حظر الحرام.

وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم، فأما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده؛ لأن قول القائل: كل من مال زيد، لا يدل على أن المراد تحريم ما عده؛ لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصة، والآخر موقوف على بيان آخر، وليس كذلك ما ضده قبيح؛ لأنه قد يكون من البيان تقييد ضده. والطيبات، قدمنا معناها فيما تقدم^(٢)، وأن المراد بذلك الخالص من شائب يُنغص، وإن كان لا يخلو شيء من شائب، لكنه لا يعتد به في الموصوف بأنه حلال طيب، ولو كان في الطعام ما ينغصه لجاز وصفه بأنه ليس بطيب.

والرزق، قد بينا فيما مضى^(٣)، أنه: ما للحَيِّ الانتفاع به على وجه لا يكون لأحدٍ منعه منه.

وقوله: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ فالشكر: هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، ويكون ذلك على وجهين:

(١) انظر: التهذيب في التفسير ١: ٧١١، ومجمع البيان ١: ٥١١.

(٢) راجع ٢: ٣٢١، عند تفسير الآية: ٥٧، والآية: ١٦٨ في هذا الجزء.

(٣) تقدم في ١: ١٨٣، ضمن تفسير الآية: ٣، و٣١٨، ضمن تفسير الآية: ٢٥.

أحدهما : الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المُنعمُ عليه بالاعتقاد لها .

الثاني : الطاعة بحسب جلاله النعمة .

فالأوّل لازم في كلّ حال من أحوال الذكر، والثاني إنّما يلزم في الحال التي يحتاج فيها إلى القيام بالحق .

واقترضى ذكر الشكر - هاهنا - ما تقدّم ذكره من الإنعام في جعل الطيّب من الرزق للارتفاع، واستدفاع المضار .

وذكر الشرط - هاهنا - إنّما هو على وجه المظاهرة في الحجاج، ولما فيه من حسن البيان دون أن يكون ذلك شرطاً في وجوب الشكر .

وتلخيص الكلام : إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنّه إلهكم ، فالشكر له واجب عليكم بأنّه محسن إليكم .

وأما العبادة فهي ضرب من الشكر، إلّا أنّها غاية ليس وراءها شكر، ويقترن به ^(١) ضرب من الخضوع .

ولا يستحقّ العبادة إلّا الله ؛ لأنّها تستحقّ بأصول النعم من الحياة والقدرة والشهوة والنفاذ وأنواع المنافع، ويقدر من النفع الذي لا توازيه نعمة مُنعم، فلذلك اختصّ الله تعالى باستحقاقها .

قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٣) آية بلا خلاف .

قرأ نافع وابن عامر وابن كثير والكسائي بضمّ نون ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ ،

(١) في «هـ» و«ي» : بها .

والباقون بكسرهما^(١).

لفظة «إنما» تفيد إثبات الشيء ونفي ما سواه ، كقول الشاعر :

..... وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي^(٢) [٤٨٣]

ومعناه : لا يدافع^(٣) غيري وغير من هو مثلي ، وهو قول الزجّاج والفرّاء والرمّاني والطبري وأكثر أهل التأويل^(٤).

و«إنما» كانت لإثبات الشيء ونفي ما سواه ، من قِيلَ أَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ «إِنَّ» للتوكيد ، ثُمَّ ضُمَّ إِلَيْهَا «مَا» للتوكيد أيضاً ، أَكَّدَتْ هِيَ مِنْ جِهَةِ التَّحْقِيقِ لِلشَّيْءِ ، وَأَكَّدَتْ «مَا» مِنْ جِهَةِ نَفْيِ مَا عَدَاهُ ، فَكَأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : إِنِّي بَشَرٌ ، فَالْمَعْنَى : أَنَا بَشَرٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، فَقَدْ ضَمَمْتَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ : مَا أَنَا إِلَّا بَشَرٌ .

(١) السبعة في القراءات : ١٧٤ ، حجة القراءات : ١٢٢ .

(٢) البيت للفرزدق ، انظر : ديوانه ١ : ١٥٣ . وصدر البيت :

..... أَنَا الضَّامُّ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا

من قصيدة بعنوان : فَإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا . وفيه : بلغ نساء بني مجاشع فحشّ جرير بهنّ فأتين الفرزدق مقيداً ، فقلن : قَبِّحَ اللهُ قَيْدَكَ ، فَقَدْ هَتَكَ جَرِيرَ عَوْرَاتِ نَسَائِكَ ، فَلَحِيتُ شَاعِرَ قَوْمٍ ، فَاحْفَظْنَاهُ فَفَضَّ قَيْدَهُ ، وَقَدْ كَانَ قَيْدَ نَفْسِهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَحَلَفَ أَنْ لَا يَطْلُقَ قَيْدَهُ حَتَّى يَجْمَعَ الْقُرْآنُ ، فَقَالَ - مطلع القصيدة - :

أَلَا اسْتَهْزَأْتُ مِنِّي هُنَيْدَةً أَنْ رَأْتُ أَسِيرًا يَدَانِي خَطْوُهُ حَلَقُ الْجَحْلِ
ومعنى البيت واضح . والشاهد فيه : «إنما» في البيت دلّت على أَنَّ المدافع عن حربه الشاعر أو من كان مثله ، ونفت ذلك عن غيره .

وبعبارة أخرى : الضمير «أنا» معمول للفعل «يدافع» وليس معمولاً لـ «إِنَّ» .

(٣) في «ح» و«و» و«ي» : لا يدفع ، وما أثبتناه من «ه» .

(٤) معاني القرآن للزجّاج ١ : ٢٤٣ ، معاني القرآن للفرّاء ١ : ١٠٠ ، تفسير الطبري ٣ :

٥٣ ، تفسير الماتريدي ١ : ١٢٠ ، تفسير الثعلبي ٤ : ٣٠١ ، الهداية إلى بلوغ النهاية

١ : ٥٤٨ ، الوسيط ١ : ٢٥٦ .

وتقدير قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ ما حرّم عليكم إلا الميتة ، ولو كانت «ما» بمعنى الذي لكتبت مفصولة ، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ﴾^(١) أي لا إله إلا واحد ، ومثله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾^(٢) أي لا نذير إلا أنت ، ومثله: إِنَّمَا ضَرَبْتُ أَخَاكَ ، أي ما ضَرَبْتُ إِلَّا أَخَاكَ .

فإذا ثبت ذلك فلا يجوز في الميتة إلا النصب ؛ لأن «ما» كافة ، ومعناها: تحريم الميتة وتحليل المذكي ، ولو كانت «ما» بمعنى الذي لكان يجوز في الميتة الرفع .

والفرق بين الميت والميت قيل فيه قولان :

أحدهما : قال أبو عمرو: ما كان قد مات فهو بالتخفيف ، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾^(٣) . وما لم يموت فهو بالثقل ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٤) . ووجه ذلك^(٥) أن الثقل لما كان هو الأصل كان أقوى على التصريف في معنى الحاضر والمستقبل^(٦) .

والثاني : قال قوم: المعنى واحد ، وإنما التخفيف لثقل الكسرة على الياء^(٧) ، قال الشاعر :

(١) سورة النساء ٤ : ١٧١ .

(٢) سورة الرعد ١٣ : ٧ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٩٥ ، وسورة يونس ١٠ : ٣١ ، وسورة الروم ٣٠ : ١٩ ، وفي الجميع على قراءة «الميت» بالتخفيف .

(٤) سورة الزمر ٣٩ : ٣٠ .

(٥) في «هـ» : آخر .

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢ : ١٤٤ ، والحجة للقراء السبعة ٣ : ٢٥ ، وتفسير

الطبري ٣ : ٥٤ ، و ٥ : ٣١٢ .

(٧) في «و» و«ي» : لثقل الياء على الكسرة .

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَخْيَاءُ^(١) [٤٨٤]
فجمع بين اللغتين^(٢).

قوله: ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ قيل في معناه قولان:
أحدهما: قال الربيع وابن زيد وغيرهما من أهل التأويل^(٣): معناه
ذكر غير اسم الله عليه.

والثاني: قال قتادة ومجاهد: ما ذبح لغير الله^(٤).
والإهلال على الذبيحة: هو رفع الصوت بالتسمية، وكان المشركون
يُسَمُّونَ الأوثان، والمسلمون يُسَمُّونَ الله.
ويقال: انْهَلَّ المطر انْهَالاً^(٥)، وهو شدة انصبابه، وَتَهَلَّلَ السَّحَابُ
بِبَرْقِهِ، أي تَلَأَلَا، وَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ: إِذَا تَلَأَلَا، وَتَهَلَّلَ الرجل فرحاً.
والهلال: غرة القمر، لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير^(٦).
والمُحْرَمُ يَهْلُ بالإحرام، وهو أن يرفع صوته بالتلبية.
ويُهَلِّلُ الرجل: يكبِّرُ إذا نظر إلى الهلال.

(١) نسبته أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ١٤٩، و٢: ١٦١، وابن منظور في لسان
العرب ٢: ٩١ «موت» إلى عدي بن الرعاء الغساني، ونسبه الحموي في معجم
الأدباء ١٢: ٩ إلى صالح بن عبد القدوس.
ومعنى البيت واضح، والشاهد فيه: أن الشاعر جعل الميت من الميت، فهما
بمعنى واحد.

(٢) انظر المصادر في الهامش السابق، وكذا الهامش (٦) من ص ٢٣١.

(٣) في «ه»: أهل العلم.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣: ٥٦ - ٥٧، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ٢٨٣/١٥١٨
و١٥١٩، وتفسير الثعلبي ٤: ٣٠٤، وتفسير الماوردي ١: ٢٢٢، والتفسير البسيط
٣: ٤٩٩.

(٥) في «ه»: أهْلُ المطر إهلالاً.

(٦) كلمة «بالتكبير» لم ترد في «و».

وَهَلَّلَ^(١) البعير تهليلاً: إذا تقوَّس كتقوَّس الهلال، وسُمِّيَ به الذكر؛ لأنَّ الهلال ذكر.

وَتَوَبَّ هَلٌّ، أي رقيق مُشَبَّهٌ بالهلال في رِقته.

والتهليل^(٢): الفرع^(٣).

واشْتَهَلَ الصبي: إذا بكى حين يُولد.

والهلال: الحَيَّةُ الذَّكَرُ؛ لأنَّه يتقوَّس، وسُمِّيَ به الذكر؛ لأنَّ الهلال ذكر^(٤).

﴿فَمِنْ أَضْطَرُّ﴾ مَنْ كسر النون فلالتقاء الساكنين، وَمِنْ ضَمَّهَا أُتْبِع الضمَّة في الطاء، وقرأ أبو جعفر بكسر الطاء^(٥).

والاضطرار: كلُّ فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه، وذلك كالجوع الذي يحدث للإنسان ولا يمكنه الامتناع منه.

والفرق بين الاضطرار والإلجاء: أنَّ الإلجاء تتوفَّر معه الدواعي إلى الفعل من جهة الضرر أو النفع، وليس كذلك الاضطرار. وأكثر المفسِّرين على أنَّ المراد في الآية ضرورة المجاعة^(٦).

(١) في المحيط في اللغة بالبناء للفاعل، وما أثبتناه من العين والتهذيب واللسان.

(٢) في العين والتهذيب: الهَلَّل.

(٣) في «ي» وتهذيب اللغة: الفرع. وما أثبتناه من النسخ والمصادر الأخرى.

(٤) انظر: العين ٣: ٣٥١، وتهذيب اللغة ٥: ٣٦٣، والمحيط في اللغة ٣: ٢١، ولسان العرب ١١: ٧٠١ «هَلَّل».

(٥) انظر: مختصر شواذ القرآن: ١٨، وحُجَّة القراءات: ١٢٢، والسبعة في القراءات: ١٧٤، وتفسير الثعلبي ٤: ٣٠٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٣: ٥٨، ومعاني القرآن للزجاج ١: ٢٤٣، ومعاني القرآن للفرّاء ١: ١٠٣، وأحكام القرآن للجصاص ١: ١٢٦، وتفسير الثعلبي ٤: ٣١٠.

وقال مجاهد : ضرورة إكراه^(١).

والأولى أن يكون محمولاً على العموم إلا ما خصه الدليل .

﴿وَلَحِمَ الْخَنزِيرِ﴾ قال صاحب العين : يقال : رجلٌ لَحِمٌ : إذا كان أكلوا للحم . وَيَتَّ لَحِمٌ : يكثر فيه اللحم .

وَالْحَمْتُ القومَ : إذا قتلتهم وصاروا لحمًا .

وَالْمَلْحَمَةُ : الحرب ذات القتل الشديد .

وَأَسْتَلَحَمَ الطريقُ : إذا اتَّسع^(٢).

وَاللَّحْمَةُ : قرابة النسب .

وَاللَّحْمَةُ : ما يُسَدَّى به بين السَّذَّيْنِ من الثوب .

وَاللَّحَام : ما يُلَحَّمُ به صَدْعُ ذهب أو فضة أو حديد حتى يلتحما ويلتصبا ، وكل شيء كان متبايناً ثم تلائم فقد التحم .

وَشَجَّةٌ متلاحمة : إذا بَلَغَت اللحم^(٣).

وأصل الباب : اللزوم ، فمنه اللَّحْمُ للزوم بعضه بعضاً^(٤).

وقوله : ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال :

الأول : ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ اللذة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سدَّ الجوعة ، وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد^(٥).

(١) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٥٨ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٣١٠ ، والواحدي في التفسير البسيط ٣ : ٥٠٠ .

(٢) في المصدر : واستلحمت الطريقُ : اتَّبَعَتْهُ ، ونحوه في المحيط .

(٣) العين ٣ : ٢٤٥ «لحم» .

(٤) انظر أيضاً : تهذيب اللغة ٥ : ١٠٣ ، والمحيط في اللغة ٣ : ١١٩ ، ولسان العرب ١٢ : ٥٣٥ «لحم» .

(٥) حكى هذا القول ومن قال به في : تفسير الطبري ٣ : ٦١ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣١٢ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٢٣ .

الثاني : ما حكاه الزجّاج ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ في الإفراط^(١) ﴿وَلَا عَادٍ﴾ في التقصير^(٢).

الثالث : ﴿غَيْرِ بَاغٍ﴾ على إمام المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بالمعصية طريقة المحقّين ، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد^(٣) ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام^(٤).

قال الرّماني : وهذا القول لا يسوغ ، لأنّه تعالى لم يبح لأحد قتل نفسه ، بل حظر عليه ذلك ، والتعريض للقتل قتل في حكم الدين ، ولأنّ الرخصة إنّما كانت لأجل المجاعة المُتلفّة ، لا لأجل الخروج في طاعة وفعل إباحة^(٥).

وهذا الذي ذكره غير صحيح ؛ لأنّ مَنْ بغى على إمام عادل فأذى ذلك إلى تلفه ، فهو المُعرّض نفسه للقتل ، كما لو قتل في المعركة فإنّه المُهلِك لها ، فلا يجوز لذلك استباحة ما حرّم الله ، كما لا يجوز له أن يستبقي نفسه بقتل غيره من المسلمين ، وما قاله من أنّ الرخصة لمكان المجاعة ، لا يسلم إطلاقه ، بل يقال : إنّما ذلك للمجاعة التي لم يكن هو المُعرّض نفسه لها ، فأما إذا عرّض نفسه لها ، فلا يجوز له استباحة المحرّم ، كما قلناه في قتل نفس الغير ليدفع عن نفسه القتل .

(١) في «هـ» : الاضطرار .

(٢) معاني القرآن ١ : ٢٤٤ .

(٣) انظر : تفسير مجاهد : ٢١٩ ، وتفسير الطبري ٣ : ٥٩ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣١٢ .

(٤) انظر : الكافي ٦ : ١٢٦٥ ، ومعاني الأخبار ١٢١٣ : ١ ، وتفسير العياشي ١ : ١٧٦ ، وتفسير القمّي ١ : ٦٤ .

(٥) حكاه عنه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٥١٤ .

وأصل البغي: الطلب، من قولهم: بَغَى الرجل حاجتهُ يَبْغِيها بُغَاءً،
قال الشاعر:

[٤٨٥] لَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُغَا ءِ الْخَيْرِ تَغْفَادُ التَّمَانِمِ
إِنَّ الْأَشَانِمَ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِ كَالْأَشَانِمِ^(١)
وَالْبُغَاءُ: طلب الزنا.

وإنما اقتضى ذكر^(٢) المغفرة هاهنا أحد أمرين:

أحدهما: النهي عما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من
السائبة والوصيلة والحام، فوعد الله بالمغفرة عند التوبة والإنابة إلى طاعة الله
فيما أباحه أو حظره.

الثاني: إذا كان يغفر المعصية فهو لا يأخذ بما جعل فيه الرخصة.
ولا يجوز أن يقع في موضع ﴿غَيْرَ﴾ «إِلَّا»؛ لأنها بمعنى النفي هاهنا،
ولذلك عطف عليها بـ: لا؛ لأنها في موضع «لا». فأما «إِلَّا» فمعناها في
الأصل: الاختصاص لبعض من كل، وليس هاهنا كل يصلح أن يخص منه.
و﴿غَيْرَ بَاعٍ﴾ منصوب على الحال، وتقديره: لا باغياً ولا عادياً.

(١) البیتان للمرقش الأكبر عمرو بن سعد، انظر: ديوان المرقشين: ٧٥ و ٧٧، وفيه:
فإذا الأشانم. وقال محقق الديوان: تُسبِت هذه الأبيات إلى المرقش الأكبر والمرقش
السدوسي، وإلى المرقم المعروف بابن الواقفة، وإلى زيان. وفي «و»: إِنَّ الْأَشَانِمِ
كَالْأَيَامِ وَالْأَيَامِ كَالْفَنَانِمِ.

وتغفاد: مصدر للفعل عقد، والتمانم: جمع تميعة، والأشانم: جمع الأشام
ضد الأيامن، فالأولى تجز الشوم في أذيالها، والثانية تأتي باليمن والخير.
والشاهد فيه: استعمال الشاعر كلمة: بُغَاء بمعنى الطلب.

وانظر أيضاً: عيون الأخبار للدينوري ١: ١٤٥، ولسان العرب ٣: ٢٩٦ «عقد».

و ١٤: ٧٥ «بغا».

(٢) في «ي»: ذلك، بدل ذكر.

والقدر المباح من الميتة عند الضرورة : ما يمسك الرمق فقط عندنا ، وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء ^(١) .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) آية بلا خلاف .

المعني بهذه الآية أهل الكتاب بإجماع المفسرين ، إلا أنها متوجهة - على قول كثير منهم ^(٢) - إلى جماعة قليلة منهم ، وهم علماؤهم ، الذين يجوز على مثلهم كتمان ما علموه ، فأما الجمع الكثير منهم الذين لا يجوز على مثلهم ذلك - لاختلاف دواعيهم - فلا يجوز .

والذي كتموه قيل فيه قولان :

الأول : قال أكثر المفسرين : إنهم كتموا أمر النبي ﷺ بأن حذفوه عن وجهه في التأويل ^(٣) ، هذا إذا حمل على الجماعة الكثيرة . وإن حمل على القليلة منهم ، يجوز أن يكونوا كتموا نفس التنزيل أيضاً .

والثاني : قال الحسن : كتموا الأحكام ، وأخذوا الرشا على الأحكام ^(٤) .

(١) الخلاف ٦ : ٩٣ / مسألة ٢٢ «كتاب الأطعمة» .

(٢) انظر : تفسير الهواري ١ : ١٦٦ ، وتفسير الطبري ٣ : ٦٤ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٨٧ .

(٣) انظر مضافاً إلى مصادر الهامش السابق : تفسير الثعلبي ٤ : ٣١٥ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٢٣ .

(٤) حكاه عنه أيضاً : الجشمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٧١٧ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٥١٥ ، والرازي في تفسيره ٥ : ٢٨ .

والكتاب - على القول الأول - هو التوراة، وعلى الثاني يجوز أن يُحمل على القرآن وسائر الكتب .

وقوله : ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ليس المراد به أنهم إذا اشتروا به ثمنًا كثيرًا كان جائزًا، وإنما المقصد أن كل ما يأخذونه في مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل، كما قال : ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(١)، وكما قال : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾^(٢) وإنما أراد أن قتل النبيين لا يكون إلا بغير حق، وأن من ادعى مع الله إلها آخر لا يقوم له عليه برهان، وكما قال الشاعر :

[١٨٦] عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ^(٣)

والمعنى : لا منار^(٤) هناك فيهتدى به ؛ لأنه لو كان لاهتدي به .

وقوله : ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ معناه على قول الربيع والحسن والجُبائي وأكثر المفسرين : الأجر الذي أخذوه على الكتمان^(٥)، سُمي بذلك ؛ لأنه يؤذيهم إلى النار، كما قال في آكلي مال اليتيم ظلماً : ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٦) .

(١) سورة آل عمران ٣ : ٢١ ، وفي «ح» : الحق ، وهي الآية ٦١ من سورة البقرة .

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ : ١١٧ .

(٣) تقدّم الاستشهاد به ولنفس الشاهد عند تفسير الآية : ٤١ .

(٤) ما أثبتناه من «ح» ، وفي بقية النسخ : لا لاحب . وما أثبتناه أنسب لمقتضى الكلام .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٦٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ٢٨٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٤٥ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٥٢ ، والتهذيب في التفسير ١ :

٧١٨-٧١٧ .

(٦) سورة النساء ٤ : ١٠ .

وقال بعضهم: إنَّهم يأكلون في جهنَّم^(١) النار جزاءً على تلك الأعمال^(٢).

والأول أحسن .

فإن قيل : إذا كان الأكل لا يكون إلا في البطن ، فما معنى قوله : ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ ؟

قلنا عنه جوابان :

أحدهما : أنَّ العرب تقول : جُعْتُ في غير بطني ، وشَبِعْتُ في غير بطني ، إذا جاع مَنْ يجري جوعه مجرى جوع نفسه ، فذكر ذلك لإزالة اللبس .

والثاني : أنه لما استعمل المجاز بالإجراء على الرشوة اسم النار حَقَّقَ بذكر البطن ، ليدلَّ على أنَّ النار تدخل أجوافهم .

والْبَطْنُ : خلاف الظَّهر . والبَطْنُ : الغامض من الأرض . والبَطْنُ من العرب : دون القبيلة ، وعرفت هذا الأمر ظاهره وباطنه ، أي سرّه وعلايته . ورجل بَطْنٍ : عظيم البطن . ومُبَطَّنٌ : خَمِصَ البَطْنُ . وفلان بِطَانَتِي دون إخواني ، أي الذي أُبْطِنُهُ أمري . واستَبْطَنْتُ أمرَ فلان : إذا وقفت على دَخْلَتِهِ ، ويقال في المثل : البِطْنَةُ تُذْهِبُ الفِطْنَةَ^(٣) . وَبَطَنَ الشَّيْءُ بَطُونًا : إذا غَمَضَ .

(١) في «هـ» : بطونهم ، بدل : جهنَّم .

(٢) نسبة الجسمي البيهقي في التهذيب في التفسير ١ : ٧١٨ ، والرازي في تفسيره ٥ : ٢٩ إلى الأصمِّ ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ١ : ٥١٦ ، وابن شهر آشوب في متشابه القرآن ٢ : ١٣٢ بلا نسبة لأحدٍ .

(٣) ذكره النيسابوري في مجمع الأمثال ١٠٦ بهذا اللفظ : البطنة تأفن الفطنة .

والبِطَان : حزام الرِّجْلِ^(١).

والبِطَيْن : نجم ، وهو بطن الحَمَل .

وأصل الباب : البُطُون خلاف الظُّهور^(٢).

وقوله : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما : لا يكلمهم بما يحبون ، وإنما هو دليل على الغضب عليهم ، وليس فيه دليل على أنه لا يكلمهم بما يسوؤهم ؛ لأنه قد دلّ في موضع آخر ، فقال : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣) ، وقال : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(٤) ، وهذا قول الحسن وواصل وأبي علي^(٥).

الثاني : لا يكلمهم أصلاً ، فتَحَمَّلَ آيات المسألة على أَنَّ الملائكة تسألهم بأمر الله ، وَيَتَأَوَّلُ قوله : ﴿اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ على أَنَّ الحال دالّة على ذلك^(٦).

(١) في «هـ» و«ي» : الرجل .

(٢) انظر اشتقاق هذه الكلمة ومعانيها في : العين ٧ : ٤٤٠ ، وتهذيب اللغة ١٣ :

٣٧٢ ، والمحيط في اللغة ٩ : ١٩٠ ، والصحاح ٥ : ٢٠٧٩ ، والمحكم ٩ : ١٩١ ،

ولسان العرب ١٣ : ٥٢ «بطن» .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٦ .

(٤) سورة المؤمنون ٢٣ : ١٠٧ و ١٠٨ .

(٥) انظر : التهذيب في التفسير ١ : ٧١٨ ، ومجمع البيان ١ : ٥١٧ ، ومتشابه القرآن

لابن شهر آشوب ٢ : ١٠٣ .

وذكره الهواري في تفسيره ١ : ١٧٤ ، والطبري في تفسيره ٣ : ٦٧ ، والطبراني

في تفسيره ١ : ٢٨٨ بلا نسبة لأحد . وقال الثعلبي في تفسيره ٤ : ٣١٩ كلاماً ينفعهم

ويسرّهم ، هذا قول أهل التفسير .

(٦) انظر : التهذيب في التفسير ١ : ٧١٨ ، ومجمع البيان ١ : ٥١٧ .

وإنّما دَلَّ نفي الكلام على الغضب - على الوجه الأوّل - من حيث إنّ الكلام وُضِعَ في الأصل للفائدة ، فلمّا انتفى على جهة الحرمان الفائدة ، دَلَّ على الغضب ، ولا يدخل في ذلك الكلام للغم والإيلام .

وقوله : ﴿ولا يزكّيه﴾ :

معناه : لا يُثني عليهم ، ولا يصفهم بأنّهم أزكّاء .
ويحتمل أن يكون المراد لا يتقبّل أعمالهم تتقبّل أعمال الأزكّاء .
والاشتراء : هو الاستبدال بالثمن العوض ، فلمّا كانوا هؤلاء استبدلوا بدينهم^(١) الثمن القليل ، قيل فيهم : إنهم اشتروا به ثمناً قليلاً .
والثمن : هو العوض من العين أو الورق .
والقلّة : هو نقصان المقدار عن مقدار غيره ، لأنّه يقال : هو قليل بالإضافة إلى ما هو أكثر منه ، وكثير بالإضافة إلى ما هو أقل منه .
والكلام : ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة إذا وقع ممّن يصحّ منه أو من قبيله الإفادة .

وقال الرمّاني : الكلام : ما كان من الحروف دالّاً بتأليفه على معنى^(٢) .
وأصله^(٣) من الآثار ، وهي كالعلامات الدالّة ، والكلم ، أي أثر الجراح .
وما ذكرناه أولى ؛ لأنّ هذا ينتقض بالمهمّل من الكلام ، فإنّه لا يفيد وهو كلام حقيقة .

(١) في «هـ» والحجريّة : بذنبهم .

(٢) الحدود في النحو : ٤٢ ، المطبوع ضمن رسائل في النحو واللغة ، تحقيق : الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني .

(٣) ما أثبتناه من «و» ، وفي بقيّة النسخ : قال : وأصله .

قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَضْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (١٧٥) آية واحدة بلا خلاف .

معنى ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ استبدلوا؛ لأن أصل الشراء الاستبدال ، وليس يقع في مثله إشكال ، فأما قولهم : استبدل بالجارية غيرها ، فلا يجوز أن يقال بدلاً منه : اشترى ؛ لأنه يلتبس .

والضلالة التي اشتروها بالهدى كفرهم بالنبي ﷺ وجحدهم لنبوته استبدلوه بالإيمان به .

وهم وإن لم يقصدوا أن يضلوا بدلاً من أن يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبي ﷺ بدلاً من الإيمان به ، وذلك ضلال بدلاً من هدى ، فقد قصدوا الضلال بدلاً من الهدى وإن لم يقصدوه من وجه أنه ضلال .

ولا يجوز أن يقول : قصدوا أن يضلوا ؛ لأنه يؤهم أنهم قصدوه من هذا الوجه ، كما ينبغي : علموا أنهم يضلون ، غير أنهم علموه من هذا الوجه ، ويجوز قصدوا الضلال ، وعلموا الضلال لأنه لا ينبغي عن الوجه ، وإنما علموه وقصدوه من وجه آخر ، وهو جحدهم محمداً ﷺ بدلاً من التصديق به .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا أَضْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ الفاء معناها معنى الجواب ؛ لأن الكلام المتقدم قد تضمن معنى : مَنْ كان بهذه الصفة فما أصبره على النار ، فعومل معاملة المعنى الذي تضمنه ، حتى كأنه قد لفظ به . والتعجب لا يجوز على القديم تعالى ؛ لأنه عالم بجميع الأشياء ،

لا يخفى عليه شيء . والتعجب يكون مما لا يعرف سببه .

وإنما الغرض من الآية^(١) أن تدلنا على أن الكفار حلّوا محلّ مَنْ

يَتَعَجَّب منه ، فهو تعجب^(٢) لنا منهم . وقد قيل في معنى «ما» في قوله :

﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ قولان :

أحدهما : قال الحسن وقتادة ومجاهد : إنها للتعجب^(٣) .

والثاني : قال ابن عباس وابن جريج وابن زيد والسدي : إنها

للاستفهام^(٤) .

وقيل في معنى ﴿أَصْبَرَهُمْ﴾ أربعة أقوال :

أحدها : ما أجرأهم على النار ، ذهب إليه الحسن وقتادة^(٥) .

والثاني : قال مجاهد : ما أَعْمَلَهُمْ بأعمال أهل النار^(٦) . وهو المروي

عن أبي عبد الله عليه السلام^(٧) .

والثالث : حكاه الزجاج : ما أبقاهم على النار ، كما تقول : ما أَصْبَرُهُ

على الحبس^(٨) .

(١) ما أثبتناه من «هـ» والحجّية ، وفي بقية النسخ : بالآية .

(٢) في «هـ» : تعجب ، وفي «و» : تعجب به .

(٣) انظر : تفسير مجاهد : ٢١٩ ، وتفسير الطبري ٣ : ٧٠ ، وتفسير الطبراني ١ :

٢٨٨ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٢٠ ، وتفسير الماوردي ١ : ١٧٧ .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٤ ، وتفسير الطبري ٣ : ٦٩ ، وتفسير الطبراني ١ :

٢٨٨ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٢١ ، وتفسير الماوردي ١ : ١٧٧ .

(٥) حكاه عنهما الطبري في تفسيره ٣ : ٦٨ ، والطبراني في تفسيره ١ : ٢٨٨ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد : ٢١٩ ، وتفسير الطبري ٣ : ٧٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ :

١٥٣٧/٢٨٦ .

(٧) انظر : تفسير العياشي ١ : ١٦٢/١٧٨ ، والكافي ٢ : ٢/٢٠٦ .

(٨) معاني القرآن ١ : ٢٤٥ .

والرابع : ذكره الفراء : ما صَبَّرَهُم على النار ، أي حبسهم عليها^(١) .

وقال الكسائي : هو استفهام على وجه التعجب^(٢) .

قال أبو العباس المبرد : هذا حسن ، كأنه توبيخ لهم وتعجيب لنا^(٣) ،
مثل قولك للذي وقع في هلكة : ما اضطرَّكَ إلى هذا - إذا كان غنياً عن
التعرض للوقوع في مثلها - يقال : أَصْبَرْتُ السَّيَّعَ والرجل ونحوه : إذا نَصَبْتُهُ
لما يكره ، وقال الحطيئة :

قُلْتُ لَهَا أَصْبِرْهَا دَائِباً وَيَحْكُ أَمْثَالُ طَرِيفٍ قَلِيلٌ^(٤)
معناه : أَلْزَمْتُهَا وَأَضْطَرُّهَا .

(١) معاني القرآن ١ : ١٠٣ .

(٢) في «و» و«ها» زيادة : أحسن .

وقال الكسائي - يشير إليه المصنّف بعد قليل - في معاني القرآن : ٨٢ عند هذه
الآية : سأُلقي قاضي اليمن وهو بمكة ، فقال : اختصم إليّ رجلان من العرب ،
فحلف أحدهما على حق صاحبه ، فقال له : ما أصبرك على الله .
وعلق الفراء في معاني القرآن ١ : ١٠٣ على كلامه ، وقال : وفي هذا أن يُراد
بها : ما أصبرك على عذاب الله ، ثم تلقى العذاب ، فيكون كلاماً ، كما تقول : ما
أشبه سخاءك بحاتم .

(٣) المقتضب ٤ : ١٨٣ . وحكاه عنه أبو حيّان في البحر المحيط ٢ : ١٢٥ .

(٤) ديوانه : ١٧٦ ، وفيه : صادقاً ، بدل دائباً ، وفي المحكم ٨ : ٣١٢ : جاهداً ،
وكذلك في لسان العرب ٤ : ٤٣٨ «صبر» .

وضبط في الديوان : أَصْبِرْهَا - بضم الهمزة - وما أثبتناه من المصادر المتقدمة ،
وهو المناسب ، كما جاء فيها : صَبَرَهُ عن الشيء يَصْبِرُهُ : حَبَسَهُ . وهو الشاهد في
هذا البيت .

وهذا البيت هو الأول من أربعة أبيات مخاطباً الشاعر امرأته ، ويمدح بها طريف
ابن دقّاق .

وذكر المبرد البيت في المقتضب ٤ : ١٨٤ بلا نسبة وباختلاف :

قلت لَهَا أَصْبِرْهَا دَائِباً أَمْثَالُ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ قَلِيلٌ

فَأَمَّا التَّعَجُّبُ فَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(١) أي قد حلَّ محلَّ ما يُتَعَجَّبُ منه .

وقيل : ما أَصْبَرَكَ عَلَى كَذَا، بمعنى ما أَجْرَأَكَ ، قال أبو عبيدة : هي لغة يمانية^(٢) .

وَاشْتَقُّ أَصْبَرَ - بمعنى أَجْرَأَ - مِنَ الصَّبْرِ ، الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ ؛ لِأَنَّ بِالْجَرَاءِ يُضْبَرُ عَلَى الشَّدَةِ .

فَأَمَّا الْقَوْلُ الْآخِرُ : فَحَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ بِدَوَامِهِمْ عَلَيْهِ وَانْهَمَاكِهِمْ فِيهِ ، وَحَكَّى الْكِسَائِيُّ عَنْ قَاضِي الْيَمَنِ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ ، قَالَ لَخِصْمِهِ : مَا أَصْبَرَكَ عَلَى اللَّهِ^(٣) ، أَيِ : مَا أَصْبَرَكَ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

قوله تعالى :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الْآذِينَ اخْتَلَفُوا فِي
الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (١٧٦) آية واحدة .

﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء ، أو بآئِهِ خبر الابتداء ، وهو إشارة إلى أحد ثلاثة أشياء :

(١) سورة عبس : ٨٠ : ١٧ .

(٢) حكى هذه اللغة عن أهل اليمن - بلا نسبة لأبي عبيدة - : الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٢٠ ، والقرطبي في تفسيره ٣ : ٥١ ، وأبو حيان في تفسيره ٢ : ١٢٥ .

وقال الطبري في تفسيره ٣ : ٧١ : وذلك مسموع من العرب .

(٣) معاني القرآن للكسائي : ٨٢ .

أولها : قال الحسن : ذلك الحكم بالنار^(١).

الثاني : ذلك العذاب .

الثالث : ذلك الضلال .

وفي تقدير خبر ﴿ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال :

أحدها : قال الزجاج : ذلك الأمر ، أو الأمر ذلك^(٢) ، فحذف لدلالة ما تقدّم عليه من الأمر بالحقّ ، فكأنّه قال : ذلك الحقّ ، واستغنى عن ذكر الحقّ ؛ لتقدّم ذكره في الكلام .

الثاني : ذلك معلوم ﴿يَأْنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ، فقد تقدّم ذكر ما^(٣) هو معلوم بالتنزيل ، فحذف لدلالة الكلام عليه^(٤) .

الثالث : ذلك العذاب لهم ﴿يَأْنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ وكفروا^(٥) به ، فتكون الباء في موضع الخبر^(٦) .

ويحتمل ذلك أن يكون رفعاً على ما بيّنا ، ويحتمل أن يكون نصباً على : فعلنا ذلك ؛ لأنّ في الكلام ما يدلّ على : فعلنا . ومعنى ﴿الْكِتَابَ﴾ هاهنا قيل : إنّ التوراة .

(١) نسبته إليه أيضاً الجسمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٢١ ، والطبرسي في مجمع البيان ١ : ٥١٩ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٣ : ٥٢ ، ولم ينسبه لأحد .

(٢) معاني القرآن ١ : ٢٤٦ .

(٣) في «هـ» : ذكره و ، بدلاً من : ذكر ما .

(٤) قال به الأنخفش في معاني القرآن ١ : ١٥٦ .

(٥) في «و» : وأمروا ، بدلاً من : وكفروا .

(٦) قال به العكبري في إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٧٧ .

وانظر أيضاً - مضافاً لما ذكرنا - للوقوف على الأقوال : تفسير الثعلبي ٤ : ٣٢٢ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٢٢ ، وتفسير القرطبي ٣ : ٥٢ .

وقال الجُبائي: إنَّه القرآن وغيره. وهو أعمّ فائدة.

وقال بعضهم: إنَّ المراد بالأوّل التوراة، وبالثاني القرآن^(١).

ومعنى الاختلاف هاهنا يحتمل أمرين:

أحدهما: قول الكفّار في القرآن، فمنهم مَنْ قال: هو كلام السحرة، ومنهم مَنْ قال: كلام علّمه، ومنهم مَنْ قال: كلام تَقَوّله.

الثاني: اختلاف اليهود والنصارى في التأويل والتنزيل من التوراة والإنجيل^(٢)؛ لأنَّهم حرّفوا الكتاب وكتّموا صفة محمّد النبي ﷺ وحدث اليهود الإنجيل والقرآن^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: بعيد عن الألفة بالاجتماع على الصواب.

الثاني: بعيد من^(٤) الشقاق، لشهادة كلّ واحد على صاحبه بالضلال. وكلاهما قد عدل عن السداد^(٥).

ومَنْ ذهب إلى أنَّ المعنى: ذلك العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ قَدَّر: فكفروا به، وجعله محذوفاً.

(١) نَقَلَ الأقوال والقائلين بها الجشمي في التهذيب في التفسير ١: ٧٢٢، والطبرسي في مجمع البيان ١: ٥١٩.

وانظر أيضاً: التفسير البسيط ٣: ٥١٣، وتفسير القرطبي ٣: ٥٢.

(٢) في «ي» زيادة: والقرآن.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣: ٧٣، وتفسير الثعلبي ٤: ٣٢٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٥٦، والتهذيب في التفسير ١: ٧٢٢، وتفسير القرطبي ٣: ٥٢.

(٤) كذا في النسخ، والمناسب: في.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢: ٦٠١، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٥٣٨/٢٨٧، وتفسير الثعلبي ٤: ٣٢٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٥٧، وتفسير الماوردي ١: ١٩٥، والتفسير البسيط ٣: ٣٥٨، والتهذيب في التفسير ١: ٧٢٢.

(وَمَنْ ذَهَبَ إِلَىٰ أَنْ الْمَعْنَى : ذَلِكَ الْحَكْمُ ﴿ب﴾ دَلَالَةٌ ﴿أَنَّ اللَّهَ نَزَلَ
اَلْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ لَمْ يَجْعَلْهُ مَحْذُوفًا^(١) .

وَالْمَعْنَى بِـ ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾ عَلَى قَوْلِ السُّدِّي : الْيَهُود
وَالنَّصَارَى^(٢) .

وَقَالَ غَيْرُهُ : هُمْ جَمِيعُ الْكُفَّارِ مِنْ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ
الضَّلَالِ^(٣) . وَهُوَ الْأَوَّلَى لِأَنَّهُ أَعَمَّ .

وَإِنَّمَا كُسِرَتْ ﴿إِنْ﴾ الثَّانِيَةَ لِلْحَاقِ اللَّامِ الْخَبَرِ ، وَهِيَ لَامُ الْابْتِدَاءِ ،
فَأُخِّرَتْ إِلَى الْخَبَرِ وَكُسِرَتْ مَعَهَا ﴿إِنْ﴾ ؛ لِأَنَّهَا لِلْاِسْتِثْنَاءِ أَيْضًا .
فَأَمَّا «أَنَّ» الْمَفْتُوحَةُ فَاسْمٌ تَعْمَلُ فِيهِ عَوَامِلُ الْإِعْرَابِ كَمَا تَعْمَلُ فِي
الْأَسْمَاءِ .

وَإِنَّمَا كُسِرَتْ ﴿إِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾^(٤) لَا لِلْحَاقِ اللَّامِ ، وَلَكِنْ لِدُخُولِ «إِلَّا»
عَلَى جُمْلَةٍ مُسْتَأْنَفَةٍ فِي التَّقْدِيرِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : إِلَّا هُمْ^(٥) يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَلَوْ
قُلْتُ : مَا ظَنَنْتُ إِلَّا إِنَّكَ لَخَارِجٌ ، لَكُسِرَتْ لِاجْلِ اللَّامِ .

وَالْاِخْتِلَافُ : الذَّهَابُ عَلَى جِهَةٍ التَّفَرُّقِ فِي الْجِهَاتِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ
اِخْتِلَافِ الطَّرِيقِ ، تَقُولُ : اِخْتَلَفْنَا الطَّرِيقَ ، فَجَاءَ هَذَا مِنْ هَاهُنَا ، وَجَاءَ ذَاكَ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَمْ يَرِدْ فِي «ه» .

(٢) حَكَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٣ : ٧٣ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١ :
١٥٣٨/٢٨٦ .

(٣) انْظُرْ : التَّهْذِيبُ فِي التَّفْسِيرِ ١ : ٧٢٢ ، وَمَجْمَعُ الْبَيَانِ ١ : ٥٢٠ ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ
٣ : ٥٢ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٢ : ١٢٦ .

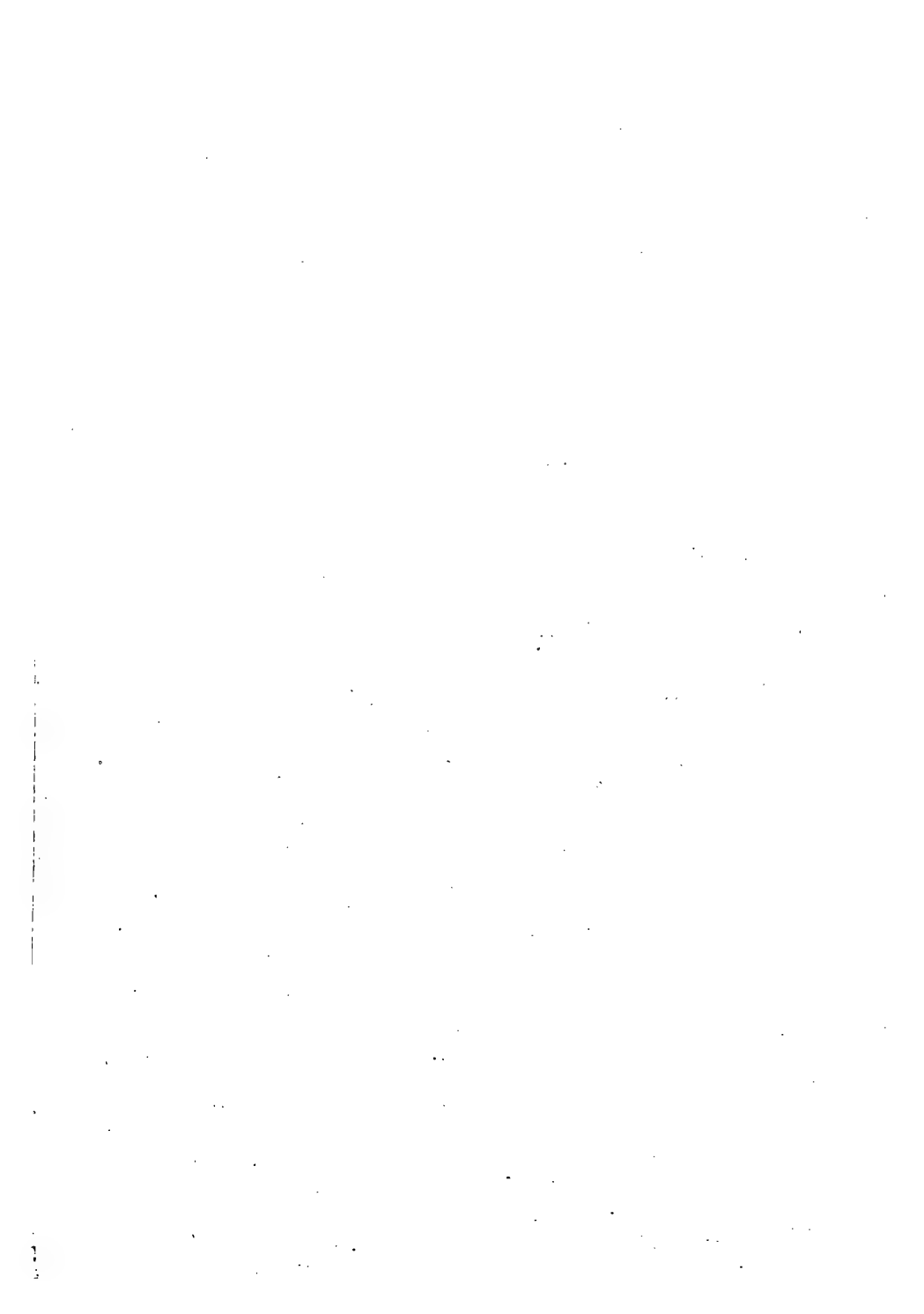
(٤) سُورَةُ الْفُرْقَانِ ٢٥ : ٢٠ .

(٥) فِي «ه» وَ«وُ» : إِنَّهُمْ .

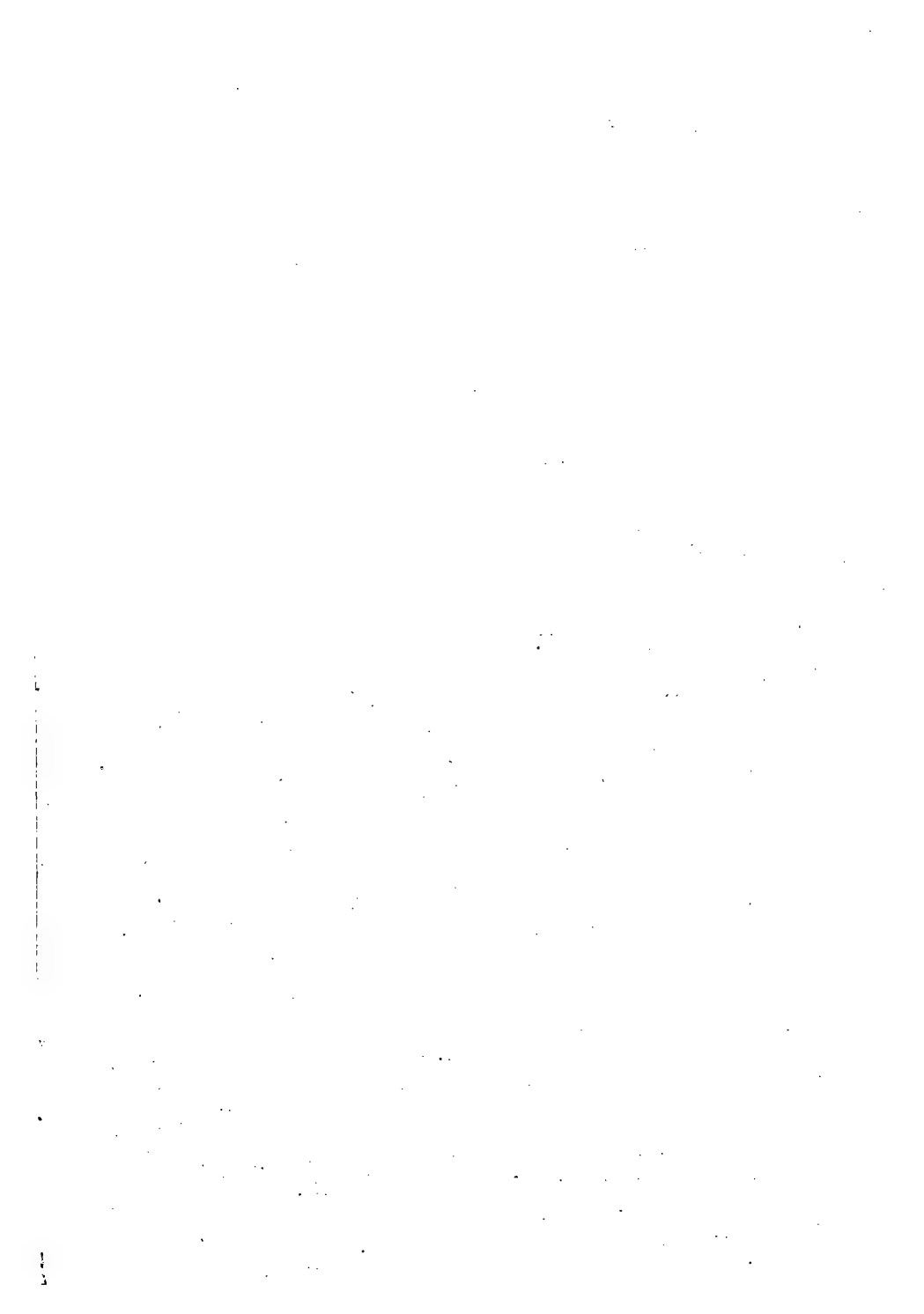
من هناك ، ثم قيل في الاختلاف في المذاهب ، تشبيهاً بالاختلاف في الطريق ، من حيث إنّ كلّ واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد .

فأمّا اختلاف الأجناس فهو : ما لا يسدّ أحدهما مسدّ الآخر فيما يرجع إلى ذاته ، كالسواد والبياض ، وغيرهما .

والشُّقّاق : انحياز كلّ واحدٍ عن شِقِّ صاحبه للعداوة له ، وهو طلب كلّ واحدٍ منهما ما يَشُقُّ على الآخر لأجل العداوة . والمُشاقَّةُ مثله .



﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
 الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
 وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتْلُوا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
 عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ
 بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ
 إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
 بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ
 يَتَذَكَّرُ أَلَّا لَبِّ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
 إِذَا احْتَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ أَنْ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ
 وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
 بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾



قوله تعالى :

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٧٧) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ حفص إلا هبيرة^(١) وحمزة ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الراء ، والباقون برفعها^(٢) .

وقرأ نافع وابن عامر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرُّ﴾ بتخفيف النون ، ورفع الراء ، والباقون بالثقل ونصب الراء^(٣) .

قيل : إن هذه الآية نزلت لما حُولت القبلة ، وكثر الخوض في نسخ تلك الفريضة ، صار كأنه لا يُراعى بطاعة الله إلا التوجه للصلاة ، فأنزل الله هذه الآية^(٤) ، وبيّن فيها أن البر ما ذكره فيها ، ودلّ على أن الصلاة إنما

(١) هبيرة بن محمد التمار المقرئ الأبرش ، أخذ عن حفص ، وتصدّر للإقراء ، أخذ عنه حنّون الدويري والخضر الطوسي وأحمد الخزاز وآخرون .

انظر : طبقات القراء للذهبي ١ : ١٣٣/٢٤٠ ، وتاريخ الذهبي (٢٣١ - ٢٤٠ هـ) : ٤٧٠/٢٨٨ ، والوافي بالوفيات ٢٧ : ٢٨٩/٣٣٢ ، ومعرفة القراء الكبار : ٢٢/١٢١ .

(٢) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٦ ، والحبّة للقراء السبعة ٢ : ٢٦٩ ، وحبّة القراءات : ١٢٣ ، والكشف عن القراءات السبع ١ : ٢٨٠ .

(٣) انظر : حبّة القراءات : ١٢٣ ، والتيسير في القراءات السبع : ٧٩ ، وما بين القوسين أثبتناه من «هـ» ولم يرد في بقية النسخ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٧٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٣٠ .

يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدينية ، وأنه إنما يأمر بها لما في علمه تعالى أنها تدعو إلى الصلاح وتُصرف عن الفساد ، وأن ذلك يختلف بحسب الأزمان والأوقات .

وقوله : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ قيل فيه قولان :

أحدهما ذكره ابن عباس ومجاهد : أنه ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ كله في التوجه إلى الصلاة ، بل حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التي أمر الله تعالى بها .

والثاني قاله قتادة والربيع ، واختاره الجُبائي : أنه ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ ما عليه النصاري من التوجه إلى المشرق ، أو ما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ ما ذكره الله تعالى في الآية وبينه ^(١) .

وقوله : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال :

أولها : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ بِرٌّ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، واختاره المبرّد ^(٢) ؛ لقوله : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا﴾ وقال النابغة :

[٤٧١] وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلِّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ ^(٣)

يعني : على مخافة وعلي .

(١) انظر كلا القولين في : تفسير ابن عباس : ٢٤ ، وتفسير الطبري ٣ : ٧٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٥٣٩/٢٨٧ - ١٥٤١ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٢٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٥٧ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٢٥ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٢٧ .

(٢) الذي وجدناه من قول المبرّد هو ما نقله الثعلبي في تفسيره ٤ : ٣٣٠ حيث قال : قال المبرّد : لو كنت ممن أقرأ القرآن لقرأت : ولكن البرّ من آمن بالله - بفتح الباء - ، تقول : رجل برّ وبرّ ، والجمع برة وأبرار .

(٣) تقدّم الاستشهاد به عند الآية : ١٧١ .

وقالت الخنساء^(١) :

تَزَعُ مَا رَتَعْتُ^(٢) حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٣) [٤٨٧]
معناه : إِنَّمَا هِيَ مُقْبِلَةٌ تَارَةٌ وَمُدْبِرَةٌ أُخْرَى ، فَبَالِغٌ فَجَعَلَهَا إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا ،
وقال مَتَمُّ^(٤) :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعًا^(٥) [٤٨٨]

(١) الاستشهاد ببيت الخنساء - على تقدير المصنّف - يناسب القول الثالث ، أي استعمال المصدر بمعنى اسم الفاعل . وتنبيه لهذا الطبرسي في مجمع البيان ٢ : ٥ ، فأورد البيت في محله .

(٢) في «و» ترفع ما رفعت .

(٣) الديوان : ٣٨٣ ، من قصيدة مطلعها :

مَنْ هَاجَ حُزْنُكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّازُ أَمْ ذَرَفَتْ أَمْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
ومعنى ترتع : أي تأكل وتشرب ما شاءت في خصب وسعة ، ومعنى اذكرت : افتعال من الذكر .

ومعنى البيت : تقول : ليست هذه الناقة التي تترك الرتع حين اذكرت ويصدر منها الإقبال والإدبار بأشدّ مني حزنًا وجزعًا على أخي .

والشاهد فيه : استعمل الشاعر المصدر بمعنى اسم الفاعل بقوله : إقبال وإدبار ، أي مقبلة ومدبرة ، وعبر عن الفاعل بالمصدر للمبالغة بالحدث .

(٤) هو متمم بن نويرة بن حمزة التميمي ، الشاعر ، أخو مالك بن نويرة ، أسلمًا معاً ، قتل خالد بن الوليد مالكا ، وكان متمم شاعراً محسناً ليس لأحد في المراثي كأشعاره التي يرثي بها أخاه مالكا ، وقيل : إنه بكى على أخيه حتى دمعت عينه العوراء .
له ترجمة في : الاستيعاب ٤ : ٢٥١٢/١٤٥٥ ، وأسد الغابة ٤ : ٤٦٥٩/٢٨٢ ، والإصابة ٦ : ٧٧١/٤٠ .

(٥) هذا الشاهد وإن كان يصلح للقول الأول إلا أنه أنسب للقول الثاني ، ففي كليهما حذف المضاف إلا أنه في القول الأول الحذف من الخبر - كما تقدّم - وفي القول الثاني الحذف من الاسم ، وقد أوضح التمييز بينهما الطبرسي في مجمع البيان ٢ : ٥ .

(٦) البيت لمتمم بن نويرة ، نسبه إليه واستشهد به سيبويه في الكتاب ١ : ٣٣٧ ،

معناه : ولا ذي جَزَع .

وثانيها : ولكن ذا البرِّ مَنْ آمَن بالله .

وثالثها : ولكنَّ البارَّ مَنْ آمَن بالله ، فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل ^(١) .

وقد بيَّنَّا في ما مضى ^(٢) حقيقة الإيمان والخلاف فيه ، فلا معنى لإعادته .

والضمير في قوله : ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ يحتمل أن يكون عائداً على حب المال ، ويحتمل أن يكون عائداً على حبَّ الإتيان ، قال عبدالله بن مسعود : على حبَّ ^(٣) المال ؛ لأنه يأمل العيش ويخشى الفقر ^(٤) . وأما على حبَّ الإتيان فوجهه : ألا تدفعه وأنت متسخط له ^(٥) .

وابن السكيت من كتاب القلب والإبدال : ٨ - المطبوع ضمن الكنز اللغوي - والجوهري في الصحاح ٢ : ٦٦٢ ، وابن منظور في لسان العرب ٤ : ٢٩٤ «دهر» وفي المصدرين الأخيرين : جزعاً بالنصب ، وجميع نسخنا مطابقة للمصدرين الأولين .

ومعنى وما دهري بـ : وما همِّي وما عادتني بـ .
والشاهد فيه : استعمل الشاعر المصدر «جَزَع» بتقدير حذف المضاف أي «ذي

جزع» .

(١) انظر هذه الأقوال في : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٦٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ : ١٥٦ ، وتفسير الطبري ٣ : ٧٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٤٦ ، وتهذيب اللغة ١٥ : ١٩٠ «بر» ، وأما لي المرتضى ١ : ٢٠٢ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٢٧ ، والتفسير البسيط ٣ : ٥١٥ .

(٢) راجع ١ : ١٧٤ ، في تفسير قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ .

(٣) في «ح» و«و» و«ي» : حبه .

(٤) حكاه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٧٨ ، وابن أبي حاتم ١ : ١٥٤٦/٢٨٨ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٣٣٠ .

(٥) في الحجرية : عليه ، بدل : له .

كاره^(١).

ويحتمل وجها ثالثاً: وهو أن يكون الضمير عائداً على الله ، ويكون التقدير: على حبّ الله ، فيكون خالصاً لوجهه ، وقد تقدّم ذكر الله تعالى في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ﴾ وهو أحسنها .

والآية تدلّ على وجوب إعطاء مال الزكاة بلا خلاف .

وتدلّ أيضاً - في قول السّعي والجُبائي^(٢) - على وجوب غيره ممّا له سبب وجوب كالانفاق على مَنْ تجب عليه نفقته ، وعلى مَنْ يجب عليه سدّ رمقه إذا خاف التلف ، وعلى ما يلزمه من النذور والكفّارات ، ويدخل فيها أيضاً ما يخرج الإنسان على وجه التطوّع والقربة إلى الله ؛ لأنّ ذلك كلّ من البرّ .

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ : هو الْمُقْطَعُ به ، إذا كان مسافراً محتاجاً وإن كان غنياً في بلده ، وهو من أهل الزكاة .

وقيل : إنّه الضيف .

والأوّل قول مجاهد ، والثاني قول قتادة^(٣) .

ورأى قيل : ابن السبيل ، بمعنى ابن الطريق ، كما قيل للطير : ابن الماء ؛ لملازمته إيّاه ، قال ذو الرمة :

(١) في «هـ» زيادة : بل على رغبة .

(٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٥٤٨/٢٨٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٣١ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٢٨ .

(٣) روى قوليهما الطبري في تفسيره ٣ : ٨٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٥٥٤/٢٨٩ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٣٣٩ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٦٠ .

وَرَدْتُ اغْتِسَافًا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٌ^(١) [٤٨٩]

﴿وَالسَّالِينَ﴾ معناه : والطالين للصدقة ، لأنه ليس كل مسكين يطلب .

وقوله : ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ قيل فيه قولان :

أحدهما : عُنق الرقاب .

والثاني : المكاتبين^(٢) .

وينبغي أن نُحمل الآية على الأمرين ؛ لأنها تحتمل الأمرين ، وهو اختيار الجبائي والرُّماني^(٣) .

والمُرَاقَبَةُ : المُرَاعَاةُ ، والرَّقَبَةُ : الانتظار ، والرَّقِيبُ : المُشْرِفُ عَلَى الْقَوْمِ لحراستهم ، والرَّقِيبُ : الحافظ ، وتقول : رَقَيْتُهُ أَرْقَبُهُ رَقَبًا^(٤) ، وَرَاقَبْتُهُ مُرَاقَبَةً ، وَأَرْقَبْتُهُ أَرْقَابًا ، وَتَرَقَّبُوا تَرَقُّبًا ، وَتَرَقَّبَ تَرَقُّبًا^(٥) .

(١) الديوان ١ : ٢٥٤ ، ورواه عنه المرتضى في الأمالي ٢ : ١٢٥ ، من قصيدة طويلة مطلعها :

أداراً بخزوي هَجَّتِ للعين عَبْرَةً
فماءُ الهوى يَرْفُضُ أو يَتَرَفَّقُ
ومعنى اعتسافاً : على غير هدى . والثريا : مجموعة نجوم ، وابن ماء : نوع من الطير . ومحلق : عالٍ ومرتفع .

والشاهد فيه : استعمال الشاعر «ابن ماء» للدلالة على نوع من الطيور ؛ للزومه الماء ، فكَذلِكَ الآية استعملت «ابن السبيل» في المسافر الذي يلازم الطريق .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٨٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٥٥٨/٢٩٠ و ١٥٥٩ ،
وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٤٦ ، ونسب الثاني لأكثر أهل التفسير ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٦١ .

(٣) حكاه عن أبي علي الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٢٩ ، وعنهما الطبرسي في مجمع البيان ٢ : ١٠ .

(٤) في المصادر : رَقَيْتُهُ يَرْقَبُهُ رَقَبَةً وَرَقَبَانًا وَرُقُوبًا . ولم يذكرُوا : رَقَبًا ، وإذا كان المراد منه الرَّقِيبُ ، فهي إما من باب المفاعلة - راقبه - أو من باب الإفعال - أَرْقَبَهُ . -

(٥) في «و» : رَقَبَ تَرَقُّبًا ، بدل : تَرَقَّبَ تَرَقُّبًا .

وَالرَّقُوبُ : الأُزْمَلَةُ التي لا كاسب لها ، لأنها تَتَرَقَّبُ معروفاً أو صِلَةً .

وَالرَّقَبَةُ : مؤخَّر أصل العُنُق .

وَأَعْنَقَ الله رَقَبَتَهُ ، ولا يقال : عُنُقَهُ .

وَالرَّقِيبُ : ضَرَبٌ من الحَيَاتِ خبيث ، والرَّقُوبُ : المرأة التي لا يعيش

لها ولد .

وَالرَّقِيبُ : النَجْمُ الذي ينوء من المشرق فيغيب رَقِيبُهُ من المغرب^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾ قيل : أراد به قرابة المُعْطَى ، اختاره

الجُبَّائِي ؛ لقول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس^(٢) لَمَّا قالت : يا رسول الله ، إن لي سبعين^(٣) مثقالاً من ذهب ، فقال : «اجعلها في قرابتك»^(٤) .

وقال عليّؑ لَمَّا سئل عن أفضل الصدقة ، فقال : «جُهِدُ الْمُقِلِّ على ذي

(١) راجع اشتقاق ومعاني الكلمة في : العين ٥ : ١٥٤ ، وتهذيب اللغة ٩ : ١٢٨ ، والمحيط ٥ : ٤٠٦ ، والصاحح ١ : ١٣٧ ، والمحكم ٦ : ٣٩٢ ، ولسان العرب ١ : ٤٢٤ «قرب» .

(٢) هي فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر القرشية الفهرية ، أخت الضحّاك بن قيس ، من المهاجرات الأول ، طلقها أبو حفص بن المغيرة ، وقدمت الكوفة على أخيها الضحّاك ، وكان أميراً ، فسمع منها الشعبي ، وفي بيتها اجتمع أصحاب الشورى لَمَّا قُتِلَ عمر بن الخطّاب ، وروت عن النبيّ أحاديث .

لها ترجمة في : الاستيعاب ٤ : ٤٠٦٢/١٩٠١ ، وأسد الغابة ٦ : ٧١٨٥/٢٣٠ ، والإصابة ٨ : ٨٤٧/١٦٤ .

(٣) في «و» : ستّين .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٨١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٥٤٩/٢٨٩ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٣٢ .

والرواية في تفسير الطبري ٣ : ٨٠ ، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٤٦ ، ونسب إخراجها إلى ابن المنذر ، وفيها : لي سبعين مثقالاً .

القرابة الكاشح»^(١) .

ويحتمل أن يكون أراد به قرابة النبي ﷺ كما قال^(٢) : «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(٣) ، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام^(٤) .

وقوله : «فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ» :

قال قتادة : البئساء : البؤس والفقر ، والضراء : السقم والوجع ، ومنه قوله : «مَسْنَى الضُّرِّ»^(٥) ، «وَحِينَ الْبَأْسِ» : حين القتال .

وقال ابن مسعود : البئساء : الفقر ، والضراء : السقم^(٦) .

وإنما قيل : البئساء في المصدر ولم يُقَلْ منه : أفعل ؛ لأن الأصل في فَعْلَاء أَفْعَل للصفات التي للألوان والعيوب ، كقولك : أَحْمَرُ وَحُمْرَاءُ ،

(١) الظاهر أن هذا الحديث مركب من نصين :

الأول : «جُهِدُ الْمَقْلَ وابدأ بمن تعول» .

انظر : مسند أحمد ٢ : ٣٥٨ ، وسنن أبي داود ٢ : ١٦٧٧/١٢٩ ، وصحيح ابن خزيمة ٤ : ٢٤٤٤/٩٩ ، وصحيح ابن حبان ٨ : ٣٣٤٦/١٣٤ ، ومستدرک الحاكم ١ : ٤١٤ .

الثاني : «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح» .

انظر : المعجم الكبير ٢٥ : ٢٠٤/٨٠ ، ومستدرک الحاكم ١ : ٤٠٦ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٢٧ ، ومجمع الزوائد ٣ : ١١٦ .

والرواية في تفسير الطبري ٣ : ٨٢ كما في المتن .

(٢) في «هـ» : لقوله ، بدل : كما قال .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٤) تفسير القمي ٢ : ٢٧٥ . وقال الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٢٩ : وقيل : إنهم القربى في آية النفل والغنيمة .

(٥) سورة الأنبياء ٢١ : ٨٣ .

(٦) ذكر القولان في تفسير الطبري ٣ : ٨٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٥٦٣/٢٩١ -

١٥٦٩ ، وتفسير ابن أبي زمنين ١ : ١٩٧ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٦٣ .

وَأَعْوَرُ وَعَوْرَاءُ .

فأما الأسماء التي ليست بصفات فلا يجب ذلك فيها ، وعلى ذلك

تأولوا قول زهير :

فَتَنْتَجَ^(١) لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِعُ^(٢) [٤٩٠]

(١) قال الفيومي في المصباح المنير : ٥٩١ «نتج» : إذا وَلِيَ الإنسانُ ناقةً أو شاةً ماخضاً حتى تضع قيل : نَتَجَهَا نَتَجاً ، من باب ضَرَبَ ، فالإنسان كالقابلة لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه فهو ناتجٌ ، والبهيمة منتوجة ، والولد نتيجة ، والأصل في الفعل أن يتعدى إلى مفعولين ، فيقال : نَتَجَهَا ولدًا ، لأنه بمعنى ولدها ولدًا . وبينى الفعل للمفعول فيحذف الفاعل ويقام المفعول الأول مقامه ، ويقال : نُتِجَتِ الناقةُ ولدًا ، إذا وضعت ، وعليه قول زهير :

فَتَنْتَجُ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ كُلُّهُمْ

وقال ابن منظور في لسان العرب ٢ : ٣٧٣ «نتج» : ومنهم من يقول : أنتجتِ الناقةُ : إذا وضعت ، وقال الأزهري : هذا غلط ، لا يقال : أَنتَجَتْ بمعنى : وضعت ، وفي الحديث : كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء ، أي تلد ، يقال : نُتِجَتِ الناقةُ إذا ولدت ، فهي منتوجة .

(٢) الديوان : ١٩ ، ونسبه إليه أيضاً الجوهري في الصحاح ٥ : ١٩٥٧ ، وابن منظور في لسان العرب ١٢ : ٣١٥ «شأم» .

والبيت من قصيدة يمدح بها الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهرم بن سنان المرينين ، مطلعها :

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً ، لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوَامِنَةِ الدُّرَّاجِ فَالْمُثَلِّمِ
فَتَنْتَجُ لَكُمْ ، أَي الحرب ، ومعنى غِلْمَانٌ أَشَامٌ : غلمان شؤمٍ وشرٍّ ، فهو أَفْعَلُ بمعنى المصدر ، وأحمر عاد : أراد أحمر ثمود ، وهو لقب قُدَّارِ بْنِ سَالِفٍ عَاقِرِ نَاقَةٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وإنما قال : أحمر عاد ، لإقامة الوزن لما لم يمكنه أن يقول ثمود ، أو وهم فيه ، وقال بعضهم : إن ثموداً من عاد . وتقطم : أي يتم أمر الحرب ، لأن المرأة إذا أرضعت ، ثم قطمت فقد تَمَّت .

والشاهد فيه : أن أَشَامَ - هنا - بمعنى المصدر ، لأنه أراد : غلمان شؤمٍ ، فجعل اسم الشؤم أَشَامَ ، كما جعلوا اسم الضَّرِّ الضَّرَاءُ ، فلهذا لم يقولوا : شأماء ، كما

وأنكر ذلك قوم ؛ لأنه لم يصرف أشأم ، وقالوا : إنَّما (هو صفة وقعت موقع)^(١) الموصوف ، كأنه قال : غلمان أمر أشأم ، فلذلك قالوا : إنَّما المعنى الخلَّة البأساء والخلَّة الضَّراء^(٢) .

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ رفع عطفاً على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ ، ويحتمل أن يكون رفعاً على المدح ، وتقديره : وهم الموفون ، ذكره الزجاج^(٣) .

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نُصب على المدح ، كقول الشاعر :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْتَ الْكَتَيْبَةِ^(٤) فِي الْمُرْدَحَمِ [٤٩١]
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَغْمُ الْأُمُورُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ^(٥)
ويُحتمل أن يكون نصباً بفعل مضمر ، وتقديره : وأعني الصابرين .
ويحتمل أن يكون عطفاً على قوله : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الظالم يقولوا : أضر للمذكر ، إذا كان لا يقع بين مؤنثه ومذكره فصل ؛ لأنه بمعنى المصدر .

وانظر أيضاً لشرح البيت - مضافاً لما ذكر من المصادر - : الصحاح ٢ : ٦٣٦ «حمر» .

(١) بدل ما بين القوسين في «هـ» : موقعه وقع موضع .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٨٨ .

(٣) معاني القرآن ١ : ٢٤٧ .

(٤) في «و» : الكريهة ، الكتبية (خ ل) .

(٥) البتتان أنشدهما الفراء في معاني القرآن ١ : ١٠٥ ، والطبري في تفسيره ٣ : ٨٩ ، والمرضى في الأمالي ١ : ٢٠٥ .

والقرم : البعير المكرم ، الذي لا يحمل عليه ولا يذل ولكن يكون للفحلة ، ومنه قيل للسيد من الناس : قرم . والمزدحم : معركة القتال . وتغم : تبهم وتلتبس . والصليل : الصوت . واللجم - بضم اللام والجيم - : جمع اللجام ، وبفتح اللام : المنية ، وأراد بذات الصليل وذات اللجم الحرب لكثرتها فيها .

والشاهد فيه : نصب «الليث» وذا الرأي على المدح ، مع أنَّهما معطوفان على صفة مجرورة ، وهذا متعارف عند العرب إذا تعددت الصفات اعترضوها بالمدح أو الذم ليتميز الممدوح من المذموم .

الْقُرْبَى ... وَالصَّابِرِينَ ، فعلى هذا يجب أن يكون رفع ﴿الْمُؤْفُونَ﴾ على المدح للضمير الذي في صلة ﴿مَنْ﴾ ؛ لأنه لا يجوز بعد العطف على الموصوف العطف على ما في الصلة^(١).

وهذا الوجه ضعيف ؛ لأنه يؤدي إلى التكرار ؛ لأنهم دخلوا في قوله : ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ﴾ فيجب أن يُحمل قوله : ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ على مَنْ لم يذكر ليكون فيه فائدة وإن كان ذلك وجهاً مليحاً.

والقراءة بالرفع أجود وأقوى ؛ لأنه اسم ﴿لَيْسَ﴾ مقدّم قبل الخبر ، (والفائدة في الخبر)^(٢) ، ولأنه قرئ ﴿لَيْسَ أَلْبَرُّ بِأَنْ﴾ ذكره الفراء^(٣) .
وقوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ :

معناه : الذين جمعوا العمل بهذه الخصال الموصوفة هم الموصوفون بأنهم صدقوا على الحقيقة ؛ لأنهم عملوا بموجب ما أقرّوا به .
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يعني : اتقوا بفعل هذه^(٤) الخصال نار جهنم .

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعني بها أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأنه لا خلاف بين الأمة أن جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه ، ولم تجتمع في غيره قطعاً ، فهو مراد بالآية بالإجماع ، وغيره مشكوك فيه غير مقطوع عليه .

(١) في «ح» : الصفة .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

(٣) معاني القرآن ١ : ١٠٤ .

(٤) في «هـ» : بهذه ، بدل : بفعل هذه .

وقال الزجاج والفراء: هذه الآية تتناول الأنبياء المعصومين؛ لأنهم الذين يجمعون هذه الصفات^(١).

وَمَنْ قَرَأَ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِالرَّفْعِ جَعَلَ﴾ **﴿الْبِرُّ﴾** اسماً، وجعل **﴿أَنْ﴾**^(٢) في موضع نصب، وَمَنْ نَصَبَ جَعَلَ **﴿أَنْ تُولُوا﴾** في موضع رفع وقدّم الخبر، ومثله قوله تعالى: **﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾**^(٣) **﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾**^(٤) **﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾**^(٥) **﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾**^(٦) وما أشبه ذلك.

قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِغَدٍّ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٨) آية بلا خلاف.

معنى قوله: **﴿كُتِبَ﴾** فرض، وأصل الكتب: الخط الدال على معنى، فاشتق منه الخط الدال على معنى الفرض.

وقيل: لأنه مما كتبه الله في اللوح المحفوظ على جهة الفرض^(٧).

(١) معاني القرآن للزجاج ١: ٢٤٦، معاني القرآن للفراء ١: ١٠٤.

(٢) في «هـ» و«و»: **﴿مَنْ﴾**، وهو سهو، لأن الكلام في المورد الأول.

(٣) سورة الجاثية ٤٥: ٢٥.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٤٧.

(٥) سورة الأعراف ٧: ٨٢.

(٦) سورة الحشر ٥٩: ١٧.

(٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٦٥، والتفسير البسيط ٣: ٥٢٩، والتهذيب في التفسير ١: ٧٣١.

قال الشاعر:

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَزُؤُ الدُّيُولِ^(١) [٤٩٢]

وقال النابغة الجعدي:

يَا بِنْتُ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي عَنْكُمْ فَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلَا^(٢) [٤٩٣]

ومنه: الصلاة المكتوبة، أي المفروضة.

فإن قيل: كيف قيل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُم﴾ بمعنى فرض، والأولياء

مخيرون بين القصاص والعفو وأخذ الدية؟

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: أنه فُرِضَ عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص،

والفرض قد يكون مضيّقاً ويكون مخيراً فيه.

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، الديوان: ٣٣٨، ونسبه إليه اليعقوبي في تاريخه ٢:

٢٦٤، والطبري في تاريخه ٤: ٥٧٤، والبيت من ثلاثة أبيات قالها الشاعر في

مقتل مصعب بن الزبير عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري، وهي امرأة المختار،

لما سأله مصعب عن المختار، فقالت: رحمة الله عليه، إن كان عبداً من عباد الله

الصالحين، فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبدالله بن الزبير أنها تزعم

أنه نبي، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها، فقال عمر بن أبي ربيعة في قتلها:

إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ عِنْدِي قَتْلُ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولٍ

قُتِلَتْ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَزُؤُ الدُّيُولِ

وفي المصادر: إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي، بدل الشطر الأول من البيت

الأول.

والعُطْبُولُ: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

(٢) الديوان: ١٣٨، ونسبه إليه ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥: ١٥٩ «كتب».

والبيت من قصيدة، مطلعها:

بِأَنِّ تَذَكِّرُنِي بِاللَّهِ قَاعِدَةً وَالدمع ينهل من شأنهما سَبَلَا

والشاهد فيه: استعمل الشاعر: كتاب الله، بمعنى: الواجب والفرض.

والثاني: فُرِضَ عليكم تركُ مجاوزة ما حُدَّ لكم^(١) إلى التعدي فيما لم يجعل لكم .

والقصاص: الأخذ من الجاني مثل ما جنى، وذلك لأنه تالٍ لجانيته .
وأصله: التَّلَوُّ، من قَصَّ الأثر، وهو تَلَوَّ الأثر .

والقصاص والمُقَاَصَّة والمُعَاوَضَة والمُبَادَلَة نظائر، يقال: قَصَّ يَقْصُ قَصًّا وقَصَصًا، وأَقْصَه به إقْصاصًا، وأَقْصَصَ اقْصِصًا، وتَقَاَصَوْا تَقَاَصًا .
واستَقْصَى: إذا طلب القصاص استِقْصاصًا، وقَاَصَه مُقَاَصَةً وقِصَاصًا .
وقَصَّ الشيءَ بِالْمِقْصِ يَقْصُه قَصًّا، وقَصَّ الحديث يَقْصُه قِصَصًا، وكذلك قَصَّ أثره قِصَصًا: إذا اقتفى أثره .

والقَصُّ والقِصَصُ: عظم الصدر من الناس وغيرهم .

والقِصَّةُ: الخُصْلَةُ من الشعر .

والقِصَّة من القِصَص معروفة .

والقِصَّةُ: الجِصُّ .

والقِصَاصُ: التَّقَاصُ من الجراحات والحقوق، شيءٌ بشيءٍ .

والقِصِينِص: نبات يَنْبُت في أصول الكَمَاة .

وأَقْصَبَتِ الشاةُ فهي مَقْصُصٌ: إذا استَبَانَ ولَدَها .

وأصل الباب: التَّلَوُّ^(٢) .

وقوله تعالى: ﴿الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ﴾ فالْحَرْبُ: نقيض العَبْد، والحرُّ من كلِّ

(١) في «و» للمرء، بدل: لكم .

(٢) انظر اشتقاق الكلمة ومعانيها: العين ٥ : ١٠، وتهذيب اللغة ٨ : ٢٥٤، والمحيط

في اللغة ٥ : ١٨٦، والمحكم ٦ : ١٠٠، ولسان العرب ٧ : ٧٣ «قصص» .

شيء : أَعْتَقَهُ ، والحُرُّ : ولد الحِية ، ووَلَدَ الظبية ، وفَرَضَ الحمام .

وأخْزار البُقُول : ما يؤكل غير مطبوخ .

والحَرُّ : نقيض البرد ، حَرَّ النهارُ يَجِرُّ حَرًّا .

والحَرِيرُ : ثياب من إبريسم .

والحَرِيرَةُ : دقيق يُطَبَّخُ باللبن .

والحَرَّةُ : أرض ذات حجارة سُود ، كأنَّها أُحْرِقَتْ بالنار .

وتَحْرِيرُ الكتابة^(١) : إقامة حروفها .

والحَزُونِيَّة : منسوب إلى حَزَوراء قرية كان أوَّل مجتمعهم بها .

والمُحَرَّرُ : المختصَّ بخدمة الكنيسة ما عاش ، ومنه قوله : ﴿ مَا فِي

بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾^(٢) .

وأصل الباب : الحَرُّ : خلاف البَرْد ، ومنه الحَرِيرُ ؛ لَأَنَّهُ يُسْتَدْفَأُ بِهِ^(٣) .

قوله : ﴿ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ معناه : تُرِكَ ، من عَفَى

المنازل : إذا تُرِكَت حتى دَرَسَتْ .

والعَفْوُ عن المعصية : تَرَكَ الْعِقَابَ عَلَيْهَا . وقيل : معنى العفو هاهنا :

تَرَكَ الْقَوْدَ بَقْبُولِ الدِّيةِ مِنْ أَخِيهِ^(٤) .

فالأخ يجمع إخوة إذا كانوا لأب ، وإذا لم يكونوا لأب فهم إخوان ،

(١) في «ح» : الكتاب .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٣٥ .

(٣) راجع اشتقاق الكلمة ومعانيها : العين ٣ : ٢٣ ، وتهذيب اللغة ٣ : ٤٢٨ ، والمحيط في اللغة ٢ : ٣١١ ، والمحكم ٢ : ٥١٧ «حرر» .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٤ ، وتفسير الطبري ٣ : ١٠٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٨ : ١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٥٧٩/٢٩٤ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٦٠ ونسبه

إلى أكثر المفسرين ، والتفسير البسيط ٣ : ٥٣٥ .

- ٢٦٨ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤
- ذكر ذلك صاحب العين^(١)، ومنه قوله : ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(٢) ومنه الإخاء والتآخي .
- والأخوة : قرابة الأخ ، والتآخي : اتّخاذ الإخوان ، وبينهما إخاء وأخوة ، وأَخِيْتُ فلاناً مؤاخاة وإخاء .
- وأصل الباب : الأخ من النسب ثم شُبّه به الأخ من الصداقة^(٣) .
- والهاء في قوله : ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ تعود إلى أخي المقتول في قول الحسن .
- وقال غيره : تعود على أخي القاتل^(٤) .
- فإن قيل : كيف يجوز أن تعود على أخي القاتل وهو في تلك الحال فاسق ؟
- قيل^(٥) عن ذلك ثلاثة أجوبة :
- أحدها : أنّه أراد أخوة النسب ، لا في الدين^(٦) ، كما قال : ﴿وَالْأَيُّ عَادِ أَخَاهُمْ هُوَ ذَا﴾^(٧) .
-
- (١) العين ٤ : ٣٢٠ «وخي» .
- (٢) سورة الحجرات ٤٩ : ١٠ .
- (٣) انظر - مضافاً لكتاب العين المتقدم - : المحيط في اللغة ٤ : ٤٣٨ ، والصاح ٦ : ٢٢٦٤ «أخو» .
- (٤) انظر القولين في : تفسير ابن عباس : ٢٤ ، وتفسير الحسن البصري ٢ : ١٠٢ ، وتفسير الطبري ٣ : ١٠٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية : ٥٧٠ - ٥٧٢ ، والتفسير البسيط ٣ : ٥٣٤ ، وتفسير السمعاني ١ : ١٧٤ ، والتهديب في التفسير ١ : ٧٣٥ ، وتفسير القرطبي ٣ : ٧٩ ، ومجمع البيان ٢ : ١٣ .
- (٥) في «هـ» قلنا .
- (٦) لا في الدين ، لم ترد في «هـ» .
- (٧) سورة الأعراف ٧ : ٦٥ ، سورة هود ١١ : ٥٠ .

الثاني : لأنّ القاتل قد يتوب فيدخل في الجملة ، وغير التائب على وجه التغليب .

الثالث : تعريفه بذلك على أنّه كان أخاه قبل أن يقتله ، كما قال :
﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾^(١) يعني الذين كانوا أزواجهنّ .

وقال جعفر بن مبشر عن بعضهم : إنّ هذه الآية منسوخة^(٢) بقوله :
﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾^(٣) قال : وليست عندي كذلك ؛ لأنّ الله تعالى إنّما أخبرنا أنّه كتبها على اليهود قبلنا ، وليس في ذلك ما يوجب أنّه فرض علينا ؛ لأنّ شريعتهم منسوخة بشريعتنا^(٤) .

والذي أقوله : إنّ هذه الآية ليست منسوخة ؛ لأنّ ما تضمنته معمول عليه ، ولا ينافي قوله : ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ لأنّ تلك عامّة ، وهذه خاصّة ، ويمكن بناء تلك على هذه ، ولا تناقض ، ولا يحتاج إلى أن تُنسخ إحداها بالأخرى .

وقال قتادة : نزلت هذه الآية ؛ لأنّ قوماً من أهل الجاهليّة كانت لهم جولة^(٥) على غيرهم من أهل الجاهليّة ، فكانوا يتعدّون في ذلك ، ولا يرضون بالعبد إلّا الحرّ ، ولا بالمرأة إلّا الرجل ، فنهاهم الله تعالى عن

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٣٢ .

(٢) قال بالنسخ ابن عباس في تفسيره : ٢٤ ، والفراء في معاني القرآن ١ : ١٠٩ ، ورواه القيسي عن ابن عباس في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٦٦ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

(٤) حكاه عنه الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٤٠ .

(٥) في «ح» : صولة .

ذلك^(١).

وقوله: ﴿فَاتَّبَعُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني: على العافي، وعلى المعفو عنه
﴿أَدَّاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾، وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
والشَّعْبِي والربيع وابن زيد^(٢)، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام^(٣).
وقال قوم: هُما على المعفو عنه^(٤).

والاعتداء: هو القتل بعد قبول الدِّية، على قول ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد^(٥)، وهو المروي عن أبي جعفر
وأبي عبد الله عليه السلام^(٦).

وقال بعضهم: ﴿مَنْ أَعْتَدَى﴾ بعد البيان في الآية فقتل غير قاتل
وليه، أو بعد قبول الدية^(٧) ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهذا أيضاً جيد تحمله
الآية.

(١) حكاه عنه وعن غيره الطبري في تفسيره ٣: ٩٦، والشَّعْبِي في تفسيره ٤: ٣٥٣،
والماوردي في تفسيره ١: ٢٢٨.

(٢) انظر: تفسير ابن عباس: ٢٤، وتفسير الطبري ٣: ١٠٤، وتفسير ابن أبي حاتم
١: ٢٩٥/١٥٨١ - ١٥٨٤، وتفسير الشَّعْبِي ٤: ٣٦١، وتفسير الماوردي ١: ٢٢٩،
والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٧٠، والتفسير البسيط ٣: ٥٣٦.

(٣) تفسير العياشي ١: ١٦٥/١٧٨ و١٦٦، الكافي ٧: ٣٥٨ و١٣٥٩/٤، الفقيه ٤:
٢٥/٨٢، عن أبي جعفر عليه السلام، تهذيب الأحكام ١٠: ١٧٨، ١٤/١٧٩ و١٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣: ١٠٨، وتفسير الماوردي ١: ٢٣٠، كلاهما عن السُّدِّي.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٣: ١١٥، وتفسير الشَّعْبِي ٤: ٣٦٨، والهداية إلى بلوغ النهاية
١: ٥٧٤، والتفسير البسيط ٣: ٥٤.

(٦) رواه العياشي في تفسيره ١: ١٦٧/١٧٩، والكليني في الكافي ٧: ٣٥٨ و١٣٥٩/
٤، والنعمان في دعائم الإسلام ٢: ١٤٤٢/٤١٣، والصدوق في الفقيه ٤:
٢٥/٨٢، والمصنَّف في تهذيب الأحكام ١٠: ١٧٨ و١٤/١٧٩ و١٦.

(٧) رَوَى هذا عن ابن عباس والقاضي، انظر: التفسير البسيط ٣: ٥٤٠، والتهذيب
في التفسير ١: ٧٣٧.

وقوله: ﴿فَاتَّبَاعُ﴾ رُفِعَ بَأْتُهُ ابتداء لخبر محذوف، كأنه قيل: فَحُكْمُهُ اتَّبَاعٌ، أو فعلية اتَّبَاعٌ.

وكان يجوز النصب في العربية على تقدير: فَلْيَتَّبِعْ اتِّبَاعاً، ولم يُقرأ به.

والأداء، قال الخليل: أَدَى فلان يؤدِّي ما عليه أداءً وتأديةً، ويقال: فلان آدَى^(١) للأمانة من غيره، والأداة: من أدوات الأعمال وأداة الحرب^(٢). وأصل الباب: التأدية: تبليغ الغاية^(٣).

وقوله تعالى: ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

معناه: أَنَّهُ جعل لكم القصاص أو الدية أو العفو، وكان لأهل التوراة قصاص وعفو، ولأهل الإنجيل عفو أو دية.

ويجوز قتل العبد بالحرّ، والأنثى بالذكر^(٤) إجماعاً، ولقوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾^(٥) ولقوله: ﴿الْأَنفُسَ بِالنَّفْسِ﴾^(٦).

وقوله في هذه الآية: ﴿الْحُرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾

لا يمنع من ذلك؛ لأنّه تعالى لم يقل: ولا تُقتل الأنثى بالذكر، ولا العبد بالحرّ، فإذا لم يكن ذلك في الظاهر، فما تضمّنته الآية معمول به، وما قلناه مثبت بما تقدّم من الأدلة.

(١) في «ح» و«ي»: أَدَى. وما أثبتناه من بقية النسخ والحجريّة والمصدر.

(٢) العين ٨ : ٩٨ «أدي».

(٣) انظر - مضافاً لكتاب العين - تهذيب اللغة ١٤ : ٢٢٩، والمحيط في اللغة ٩ : ٣٩٢، والمحكم ٩ : ٤٤٩، ولسان العرب ١٤ : ٢٤ «أدي».

(٤) في «ي»: الذكر بالأنثى.

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٣٣.

(٦) سورة المائدة ٥ : ٤٥.

وأما قتل الحرّ بالعبد فعندنا لا يجوز، وبه قال الشافعي وأهل المدينة .

وقال أهل العراق : يجوز .

ولا يُقتل والد بولّد عندنا وعند أكثر الفقهاء ، وعند مالك يُقتل به على بعض الوجوه .

وأما قتل الوالدة بالولد فعندنا تُقتل به ، وعند جميع الفقهاء أنّها جارية مجرى الأب .

فأما قتل الولد بالوالد فيجوز إجماعاً .

ولا يُقتل مولىّ بعبد، ويجوز قتل الجماعة بواحدٍ إجماعاً، إلا أن عندنا يردّ فاضل الدية، وعندهم لا يردّ شيء على حال .

وإذا اشترك بالغ مع طفلٍ أو مجنونٍ في قتلٍ، فعندنا لا يسقط القود عن البالغ، وبه قال الشافعي .

وقال أهل العراق : يسقط^(١) .

ودية القصاص في قود النفس ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو مائة من الإبل، أو مائتان من البقر، أو ألف شاة، أو مائتا حلة .

ولا يُجبر القاتل على الدية عندنا، وإن رضي فهي عليه في ماله .

(١) انظر في تفصيل هذه المسألة : الهداية : ٣٠٢ ، والخلاف للمصنّف ٥ : ١٤٨ - ١٥٢ / مسألة ٤ و ٩ ، ١٠ ، وتحرير الأحكام ٥ : ٤٤٣ و ٤٦٠ و ٧٠١٩/٤٦٣ و ٧٠٥١ و ٧٠٥٨ و ٧٠٥٩ ، والأم ٦ : ٢٥ ، و ٧ : ٣٠٩ ، ومختصر المزني : ٢٣٧ ، والمدونة الكبرى ٦ : ٣٠٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٣٥ ، والشرح الكبير ٩ : ٣٦٢ و ٣٧٢ ، والمجموع ١٨ : ٣٥٧ و ٣٦١ و ٣٦٣ ، ونيل الأوطار ٧ : ١٥٨ ، والمغني لابن قدامة ٩ : ٣٦٠ ، وبداية المجتهد ٦ : ٢٢٨ - ٢٤٠ .

وقال الحسن : يُجبر على العفو عن القصاص ، والدية على العاقلة^(١) .
والقتل بالحديد عمداً يوجب القود إجماعاً .
فأما غير الحديد ، فكل شيء يغلب على الظن أن مثله يقتل فإنه
يوجب القود عندنا وعند أكثر الفقهاء^{(٢)(٣)} .
والذي له العفو عن القصاص كل من يرث الدية إلا الزوج والزوجة ،
وهم لا يستثنونهما إلا أبا حنيفة ، قال : إذا كان للمقتول ولد^(٤) صغار وكبار ،
فللكبار أن يقتلوا ، ويحتج بقاتل عليّ^(٥) .
وقال غيره : لا يجوز حتى يبلغ الصغار^(٥) .
وعندنا أن لهم ذلك إذا ضمنوا حصّة الصغار من الدية إذا بلغوا ،
ولم يرضوا بالقصاص .
وإذا اجتمع مع القصاص حدود ، فإن كان حدّ الله ، فالقتل يأتي عليه ،
وإن كان حدّ لأدمي كحدّ القذف ، أقيم عليه الحدّ ثم يُقتل .
وقال أهل المدينة : القتل يأتي على الكل^(٦) .

-
- (١) حكاه عنه الجشي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٣٥ ، والقرطبي في تفسيره ٣ : ٧٧ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢ : ١٥٢ .
(٢) وعند أكثر الفقهاء ، لم ترد في «هـ» و«و» ، وجاءت فيهما بعد : يوجب القود إجماعاً .
(٣) انظر : الهداية للمرغيناني ٤ : ٥٠٢ ، وبدائع الصنائع ١٠ : ٢٣٤ ، والتهذيب للبغوي ٧ : ٣١ ، والاستذكار ٢٥ : ٢٥١ ، وبداية المجتهد ٦ : ٢٣١ .
(٤) في «و» : وارثه ، بدل . ولد .
(٥) انظر : المحلى ١٠ : ٤٨٢ ، والاستذكار ٢٥ : ٢٨٠ ، والمجموع ١٨ : ٤٣٧ و ٤٤٠ ، والمغني لابن قدامة ٩ : ٤٥٩ ، والشرح الكبير ٩ : ٣٩٣ و ٣٩٥ ، وبداية المجتهد ٦ : ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ونيل الأوطار ٧ : ١٧٦ و ١٧٧ .
(٦) انظر : المدونة الكبرى ٦ : ٢١٢ ، والمغني لابن قدامة ١٠ : ٣١٥ - ٣١٨ ، ومواهب الجليل ٨ : ٤٢٧ .

ويُقتل الرجلُ بالمرأة إذا ردَّ أولياؤها نصف الدية، وخالف جميع الفقهاء في ذلك^(١).

وما قلناه قول عليٍّ عليه السلام وقول الحسن البصري^(٢).
وشرح مسائل الديات ذكرناها في النهاية والمبسوط^(٣)، لا يقتضي ذكرها هاهنا.

قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
آية واحدة بلا خلاف^(٤).

أكثر المفسرين على أن قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ المراد به القصاص في القتل، وإنما كان فيه حياة من وجهين:

أحدهما: ما عليه أكثر المفسرين كمجاهد وقتادة والربيع وابن زيد: أنه إذا همَّ الإنسان بالقتل فذكر القصاص ارتدع، فكان ذلك سبباً للحياة.
والثاني: قال السُّدِّي: من جهة أنه لا يُقتل إلا القاتل دون غيره،
خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفانون^(٥) بالطوائف^(٦)، والمعنيان جميعاً

(١) نقل إجماعهم في الإشراف لابن المنذر ٣: ٦٤، والمقدمات الممهّدة ٣: ٢٨٣، وبداية المجتهد ٦: ٢٣٨.

(٢) انظر: الإشراف لابن المنذر، وبداية المجتهد في الهامش السابق.

(٣) النهاية: ٧٣٣، المبسوط ٧: ١١٤.

(٤) واحدة بلا خلاف، أثبتناها من «هـ» و«و» ولم ترد في بقية النسخ والحجرات.

(٥) في «و»: يقتلون، بدل يتفانون، وفي «هـ»: يقتلون ويتفانون.

(٦) ذكر القولين والقائلين بهما الطبري في تفسيره ٣: ١٢٠-١٢٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ٢٩٧/١٥٩٤ و١٥٩٥، والثعلبي في تفسيره ٤: ٣٧٠، والهداية إلى بلوغ

حسانان .

وقال أبو الجوزاء ^(١) معناه : أنَّ القرآن حياة بالقصاص ^(٢) ، أراد به القرآن . وهذا ضعيف ؛ لأنه تأويل خلاف الإجماع ، ولأنه لا يليق بما تقدّم ولا يُشاكله ، وهو قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ ، فكأنه قال بعده : ولكم فيه حياة .

ونظير هذه الآية قولهم : القتل أنفى للقتل ^(٣) . وبينهما من التفاوت في الفصاحة والبلاغة ما بين السماء والأرض .

وقيل : الفرق بينهما من أربعة أوجه ^(٤) :
أحدها : أنه أكثر فائدة .

وثانيها : أنه أوجز في العبارة .

وثالثها : أنه أبعد عن الكلفة بتكرير الجملة .

﴿ النهاية ١ : ٥٧٤ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٣١ ، والواحدي في الوسيط ١ : ٢٦٨ .

(١) هو أوس بن عبدالله الرّبيعي ، أبو الجوزاء البصري ، من رّبعة الأزد ، روى عن : صفوان المرادي وعبدالله بن عباس وأبي هريرة وغيرهم ، وروى عنه : أبان بن أبي عيّاش وبديل بن ميسرة وغيرهما ، وذكر من قراء أهل البصرة ، قُتل في الجماعم سنة ثلاث وثمانين .

له ترجمة في : تهذيب الكمال ٣ : ٥٨٠/٣٩٢ ، ونهاية السؤل ١ : ٦١١/٢٧٥ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٧٠٢/٣٣٥ .

(٢) عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٥٩٣/٢٩٧ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٣٧١ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤ : ٣٧٠ ، والمجاشعي في النكت في القرآن ١ : ١٥٦ ، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٧ ، وفيه : القتل أقل للقتل ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٤٤ ، والميداني في مجمع الأمثال ١ : ٥٢٩/١٨٥ ، في شرحه للمثل : بعض القتل إحياء للجميع .

(٤) ذكرها أيضاً المجاشعي في : النكت في القرآن ١ : ١٥٦ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٤٤ .

ورابعها : أنه أحسن تأليفاً بالحروف المتلازمة .

أما كثرة الفائدة ففيه جميع ما في قوله : القتل أنفى للقتل وزيادة معانٍ حسنة :

منها : إبانة العدل لذكره القصاص .

ومنها : إبانة الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة .

ومنها : الاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به .

وأما الإيجاز في العبارة ، فإنّ الذي هو نظير القتل أنفى للقتل قوله تعالى : ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ وهو عشرة أحرف ، والأول أربعة عشر حرفاً .

وأما بُعده من التكلف فهو أنّ في قولهم : القتل أنفى للقتل تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصّر في باب البلاغة .

وأما الحُسْن بتأليف الحروف المتلازمة ، فهو مُدْرَك بالحسّ ، وموجود باللفظ ، فإنّ الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من الألف إلى الهمزة؛ لُبْعِد الهمزة من اللام .

وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام .

فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها كان أبلغ منه وأحسن وإن كان الأول حسناً بليغاً .

وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء ، فقال :

أَبْلِغْ أبا مَالِكٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وفي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامٍ ^(١) [٤٩٤]

(١) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣١٦ ، و ٣ : ٣٠٢ ، و ٤ : ٨٥ ، ضمن أربعة أبيات

وهذا وإن كان حسناً فبينه وبين لفظ القرآن ما بين أعلى الطبقة وأدناها، وأول ما فيه أنه استدعاء إلى العتاب، وذلك استدعاء إلى العدل.

وفي هذا إيهام^(١)، وفي الآية بيان عجيب.

وقوله: «يَأْؤُلِي الْأَلْبَابَ» فالألباب: العقول، وهو مأخوذ من لُبّ النخلة على وجه التشبيه به، واللُّبُّ: العقل، لُبُّ الرجلُ يَلُبُّ: إذا صار لُبِيًّا، وَلَبَّ بالمكان، وأَلَبَّ به لَبًّا وإِلْبَابًا: إذا أقام به، وَلَبَّ كلُّ شيءٍ: خالسه.

قال صاحب العين: اللَّبَّبُ: البال. تقول: الأمر منه في لَبَبٍ رَخِيٍّ، أي في بالٍ رَخِيٍّ.

وَاللَّبُّ من الرَّمْل: شبيه حَقْفٍ بين مُعْظَم الرَّمْل وَجِلْد الأرض.

وَتَلَبَّبَ بالثياب: إذا جمعها، وَيُسَبَّه به المتسلِّح بالسلاح.

وَاللَّبَّة من الصدر: موضع القِلادة.

وَالتَّلْيِيبُ: مجمَع ما في موضع اللَّبِّ من ثياب الرجل، تقول: أخذ فلان بِتَلْيِيبِ فلان^(٢).

وأصل الباب: لُبُّ الشيء: داخله الذي تركبه القشرة وتلزمه، ومنه

١ آليات، ونسبها لهام الزقاشي، وذكره ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٤: ٣٧٧ «غل» بلانسة، وذكره ابن منظور في لسان العرب ١١: ٥٠٥ «غل»، ونسب إنشاده لابن بري.

ومعنى رسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى آخر.

والشاهد فيه: أن الشاعر أخذ معنى الآية الكريمة «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ» واستعمله في شعره: وفي العتاب حياة بين أقوام، مع هذا فإن الآية أبلغ وأجمل بما ذكره المصنّف.

(١) في «ي»: إيهام.

(٢) العين ٨: ٣١٧ «لب».

لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ : أي ملازمة لأمرك وإسعاداً لك^(١).

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ :

قد بينّا فيما مضى أنّ «لعلّ» معناه : لكي^(٢) ، وقيل في معناه هاهنا قولان :

الأوّل : لكي تَتَّقُوا القتل بالخوف من القصاص ، ذكره ابن زيد^(٣).

الثاني : قال الجُبَّائي وغيره : لتَتَّقُوا^(٤) رَيْكُمْ باجتناب معاصيه^(٥) ، وهذا أعمّ فائدة؛ لأنّه يدخل فيه اتّقاء القتل وغيره .

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبّرة^(٦) ؛ لأنّ فيها دلالة على أنّه

(١) راجع أيضاً - مضافاً لكتاب العين - تهذيب اللغة ١٠ : ٣٣٦ ، والمحيط ١٠ : ٣١٠ ، والمحكم ١٠ : ٣٦٦ ، ولسان العرب ١ : ٧٢٩ «لبب» .

(٢) تقدّم في ١ : ٢٩٤ ، الآية : ٢١ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ١٢٣ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٣١ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٤٢ ، ورواه أيضاً عن ابن عباس والحسن والأصمّ .

ونسبه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٥٩٧/٢٩٨ إلى سعيد بن جبير وأبي مالك ومقاتل بن حيان .

وذكر القول في عدّة تفاسير بلا نسبة ، منها : تفسير الطبراني ١ : ٢٩٤ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٧٢ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٧٤ ، وغيرها .

(٤) في «هـ» : لكي تَتَّقُوا .

(٥) رواه الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٤٢ عنه وعن القاضي .

(٦) لأنّهم يذهبون إلى القول بأنّ الله تعالى خالق لأفعال العباد وما يوجد في العالم من الظلم والفساد .

وقال الجشمي : في الآية أحكام عقلية وشرعية : أمّا العقلية ، فيدلّ قوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على بطلان قول المجبّرة في المخلوق والارادة ، لأنّه يدلّ أنّه أراد من الجميع التقوى ، وأنّه كلّهم ليتّقوا ، عن أبي علي . وتدلّ على أنّ المقتول لو لم يقتل لا يجب أن يموت خلاف قولهم .

انظر : المعتمد في أصول الدين : ٧ ، ٩ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٤٣ .

أنعم على جميع العقلاء لِيَتَّقُوا رَبَّهُمْ ، وفي ذلك دلالة على أَنَّهُ أراد منهم التقوى وإن عصوا .

وإنما خصَّ الله تعالى بالخطاب أولي الأبواب ، لأنهم المكلفون المأمورون ، وَمَنْ ليس بعاقِلٍ لا يصحَّ تكليفه ولا يحسن ، فلذلك خصَّهم بالذكر .

قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٨٠) آية بلا خلاف .

هذا ابتداء قصّة ، ولا بدّ فيه من واو العطف ، بأن يقال : وكتب ، لكنّه حذف اختصاراً ، وقد بيّنا فيما مضى^(١) : أنَّ معنى ﴿ كُتِبَ ﴾ : فُرِضَ ، وهاهنا معناه : الحثّ والترغيب دون الفرض والإيجاب .

وفي الآية دلالة على أَنَّ الوصية جائزة للوارث ؛ لأنّه قال : للوالدين والأقربين ، والوالدان وارثان بلا خلاف إذا كانا مسلمين حُرَّين غير قاتلين . وَمَنْ خصَّ الآية بالكافرين فقد قال قولاً بلا دليل .

وَمَنْ ادّعى نسخ الآية فهو مدّعٍ لذلك ، ولا يُسَلَّم له نسخها ، وبمثل ما قلناه قال محمّد بن جرير الطبري سواء^(٢)(٣) .

(١) تقدّم عند تفسير الآية : ١٧٨ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ .

(٢) سواء ، لم ترد في «هـ» و«و» .

(٣) تفسير الطبري ٣ : ١٢٤ ، ونسب النسخ إلى جماعة من أهل العلم ، ونسب القيسي النسخ في الهداية ١ : ٥٧٦ إلى ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن عمر وعكرمة لله

فإن ادَّعوا الإجماع على نسخها، كان ذلك دعوى باطلة، ونحن نخالف في ذلك، وقد خالف في نسخ الآية طاووس^(١)، فإنه خصَّها بالكافرين؛ لمكان الخبر، ولم يحملها على النسخ.

وقد قال أبو مسلم محمد بن بحر: إن هذه الآية مجملة، وآية الموارد مفضَّلة، وليست نسخاً^(٢)، فمع هذا الخلاف كيف يدَّعى الإجماع على نسخها.

ومن ادَّعى نسخها؛ لقوله ﷺ: «لا وصية لوارث»^(٣) فقد أبعد؛ لأن

ﷺ ومجاهد، وانظر كذلك: أحكام القرآن للجصاص ١: ١٦٣، وتفسير الثعلبي ٤: ٣٧٤، وتفسير الماوردي ١: ٢٣٢. وفي النسخ تفصيل أيضاً.

(١) هو طاووس بن كيسان، الفقيه، عالم اليمن، أبو عبدالرحمن الفارسي، ثم اليمني الجندي الحافظ، ولد في دولة عثمان أو قبل ذلك، سمع: زيد بن ثابت وعائشة وأبا هريرة وغيرهم، وروى عنه: عطاء ومجاهد وآخرون، مات سنة ستة ومائة. له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٥: ٥٣٧، والمنتظم ٧: ٥٨٤/١١٥، وسير أعلام النبلاء ٥: ١٣/٣٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ١٢٧، وتفسير الثعلبي ٤: ٣٧٧، وتفسير الماوردي ١: ٢٣٢، والتهذيب في التفسير ١: ٧٤٨.

(٣) رواه عنه الرازي في تفسيره ٥: ٦٧، وفي البحر المحيط ٢: ١٥٨ نسب القول إلى قوم.

(٤) روي هذا الحديث في كتب الفريقين.

انظر: دعائم الإسلام ٢: ١٣٠٥/٣٥٨ عن عليّ وأبي جعفر وأبي عبدالله ﷺ، و: ١٣٠٦/٣٥٩، والفقيه ٤: ٤٩٤/١٤٤، والاستبصار ٤: ١٠/١١٣ عن عليّ ﷺ، و: ٤/١٢٧ عن الصادق ﷺ.

وقال المفيد في المقنعة: ٦٧٠: وهذا حديث باطل مصنوع لم يثبت عند نقاد الآثار، وكتاب الله أولى من الحديث، والحكم به على الأخبار أولى من الحكم بالأخبار عليه.

وانظر أيضاً: مسند أحمد ٤: ١٨٦ و ١٨٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩، و ٥: ٢٦٧، وسنن

هذا أولاً خبر واحد لا يجوز نسخ القرآن به إجماعاً، وعندنا لا يجوز العمل به في تخصيص عموم القرآن .

وإدعائهم أن الأمة أجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان .
ولو سلمنا الخبر جاز أن نحمله على أنه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث ؛ لأننا لو خُلينا وظاهر الآية لأجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين والأقربين ، لكن خصص ما زاد على الثلث لمكان الإجماع .
فأما مَنْ قال : إن الآية منسوخة بآية الميراث^(١) فقله بعيد من الصواب ؛ لأن الشيء إما ينسخ غيره إذا لم يمكن الجمع بينهما ، فأما إذا لم يكن بينهما تنافٍ ولا تضاد ، بل أمكن الجمع بينهما فلا يجب حمل الآية على النسخ .

ولا تنافي بين ذكر ما فرض الله للوالدين وغيرهم من الميراث وبين الأمر بالوصية لهم على جهة الخصوص ، فلم يجب حمل الآية على النسخ ؟!
وقول مَنْ قال : حصول الإجماع على أن الوصية ليست فرضاً يدل على أنها منسوخة^(٢) باطل ؛ لأن إجماعهم على أنها لا تفيد الفرض لا يمنع من كونها مندوباً إليها ومرغباً فيها ، ولأجل ذلك كانت الوصية للوالدين^(٣)

١٨٠ : ٢ ، باب لا وصية لوارث ، وسنن أبي داود ٣ : ١١٤ / ٢٨٧٠ ، وغيرها .

(١) روي ذلك عن قتادة وابن عباس والحسن والربيع وابن عمر وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والسدي وغيرهم .
انظر : تفسير الطبري ٣ : ١٢٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٦٠٤ / ٢٩٩ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٣٧٦ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٣٣ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ١ : ٢٣٢ .

(٣) «الوالدين» ليست في النسخ الخطية ، وإنما أثبتناها من الحجرية .

والأقربين الذين ليسوا بوراث ثابتة بالآية ، ولم يقل أحد : إنها منسوخة في خبرهم .

ومن قال : إن النسخ في ^(١) الآية ما يتعلق بالوالدين - وهو قول الحسن والضحاك ^(٢) - فقد قال قولاً ينافي ما قاله مددعو نسخ الآية على كل حال ، ومع ذلك فليس الأمر على ما قال ؛ لأنه لا دليل على دعواه .

وقال طاؤس : إذا وصى لغير ذي قرابة لم تجز وصيته ^(٣) .

وقال الحسن : ليست الوصية إلا للأقربين ^(٤) .

وهذا الذي قاله عندنا وإن كان غير صحيح فهو مبطل قول من يدعي نسخ الآية .

وإنما قلنا : إنه ليس بصحيح ؛ لأن الوصية لغير الوالدين والأقربين عندنا جائزة ، ولا خلاف بين الفقهاء في جوازها .

والوصية لا تجوز بأكثر من الثلث إجماعاً ، والأفضل أن تكون بأقل من الثلث ؛ لقوله عليه السلام : «والثلث كثير» ^(٥) .

(١) في «ج» : من .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ١٢٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٦٠٥/٣٠٠ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٣٢ ، والتفسير البسيط ٣ : ٥٤٨ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ١٢٧ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٣٧٧ ، وفيهما زيادة : انتزعت منهم ، وردت إلى ذوي قرابته .

(٤) انظر : تفسير الهواري ١ : ١٧١ ، وتفسير الطبري ٣ : ١٢٧ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٧٦ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٣٢ .

(٥) روي في دعائم الإسلام ٢ : ١٢٩٩/٣٥٦ ، والتهذيب ٩ : ٣٣/٢٤٢ ، ومسند أحمد ١ : ١٦٨ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ ، وسنن الدارمي ٢ : ٤٠٧ «باب الوصية

وأحقّ من وُصِّي له مَنْ كان أقرب إلى الميِّت إذا كانوا فقراء بلا خلاف ، وإن كانوا أغنياء ، فقال الحسن وعمرو بن عبيد : هُم أحقّ بها^(١) .
وقال ابن مسعود وواصل : الأحقّ بها الأَحوج فالأَحوج من القرابة^(٢) .
وقوله تعالى : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ يعنى مالاً ، واختلفوا في مقداره الذي تجب الوصية عنده .

فقال الزهري : كلّ ما وقع عليه اسم مالٍ من قليلٍ أو كثيرٍ .
وقال إبراهيم النخعي : ألف درهم إلى خمس مائة .
وروي عن عليّ عليه السلام أنّه دخل على مولى لهم في مرضه وله سبع مائة درهم أو ستمائة ، فقال : ألا أوصي ؟ فقال : «لا ، إنّما قال الله تعالى : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وليس لك كثير مالٍ»^(٣) .

وبهذا نأخذ ؛ لأنّ قوله عليه السلام حجة عندنا .
والوصية في الآية مرفوعة بأحد أمرين :
أحدهما : بـ ﴿كُتِبَ﴾ لأنّه لم يُسم فاعله .
الثاني : أن يكون العامل فيه الابتداء وخبره ﴿لِلْوَلَدَيْنِ﴾ ، والجملة في موضع رفع على الحكاية ، بمنزلة قيل لكم : الوصية للوالدين .

﴿بِالْثُلُثِ﴾ ، وسنن ابن ماجه ٢ : ٢٧٠٨/٩٠٣ ، وسنن أبي داود ٣ : ٢٨٦٤/١١٢ ، وغيرها .

(١) انظر : التهذيب في التفسير ١ : ٧٤٨ .
(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٤ : ٣٧٣ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٣٣ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٤٨ .

(٣) روى هذه الأقوال والقائلين بها : الطبري في تفسيره ٣ : ١٣٦ - ١٣٩ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ١٦٣ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٣٢ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٧٧ .

وقيل : في إعراب ﴿إِذَا﴾ والعامل فيه قولان :

أحدهما : ﴿كُتِبَ﴾ على معنى : كُتِبَ ^(١) إذا حضر أحدكم الموت ، أي عند المرض .

والوجه الآخر : قال الزجاج : لأنه رُغِبَ في حال صحته أن يُوصي ، فتقديره : كُتِبَ عليكم الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف في حال الصحة قائلين : إذا حضرنا الموت فلفلان كذا ^(٢) .

والمعروف : هو العدل الذي لا يجوز أن يُنكر ولا حيف فيه ولا جور .

والحضور : وجود الشيء بحيث يمكن أن يُذكر ، وليس معناه في الآية : إذا حضره الموت ، أي إذا عاين الموت ؛ لأنه في تلك الحال في شغلٍ عن الوصية .

لكن المعنى : كُتِبَ عليكم أن تُوصوا وأنتم قادرون على الوصية ، فيقول الإنسان : إذا حضرني الموت ، أي إذا أنا متُّ فلفلان كذا . والحق : هو الفعل ^(٣) الذي لا يجوز إنكاره .

وقيل : ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً ^(٤) . وهو مصدر حَقَّ يَحِقُّ حَقًّا ، وانتصب في الآية على المصدر ، وتقديره : أَجِزْ حَقًّا ، وقد استعمل على وجه الصفة ، بمعنى ذي الحق ، كما وصف بالعدل .

(١) كتب ، أثبتناها من «هـ» ، ولم ترد في بقية النسخ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٥٠ ، وإعراب القرآن للقيسي : ٩٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ١ : ٧٨ ، والدر المصون ١ : ٤٥٤ .

(٣) الفعل ، لم يرد في «هـ» و«و» .

(٤) انظر : مفردات الراغب : ١٢٥ «حق» ، وكتاب التعريفات للجرجاني : ١٥٣ .

﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ معناه : على الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه وامتنال أوامره .

قوله تعالى :

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١) آية بلا خلاف .

الهاء في قوله : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ عائدة على الوصية ، وإنما ذكر حملاً على المعنى ؛ لأن الإيصاء والوصية واحد .
والهاء في قوله : ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ عائدة على التبديل الذي دل عليه قوله : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ .

وقال الطبري : الهاء تعود على محذوف ؛ لأن عودها على الوصية المذكورة لا يجوز ؛ لأن التبديل إنما يكون لوصية الموصي ، فأما (١) أمر الله عز وجل بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يبدله (٢) .

قال الرماني : وهذا باطل ؛ لأن ذكر الله للوصية إنما هو لوصية الموصي ، فكأنه قيل : كتب عليكم وصية مفروضة عليكم ، فالهاء تعود إلى الوصية المفروضة التي يفعلها الموصي (٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ فالتبديل : هو تغيير الشيء عن الحق فيه . فأما البدل : فهو وضع شيء مكان آخر .

ومن أوصى بوصية في ضرار فبذلها الوصي لم يأثم ، قال ابن عباس :

(١) في «هـ» زيادة : ما .

(٢) تفسير الطبري ٣ : ١٣٩ .

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٦٩ ، وتفسير الرازي ٥ : ٧٠ بلا نسبة .

مَنْ أَوْصَى بِضَرَارٍ^(١) لَمْ تَجْزُ وَصِيَّتُهُ ؛ لقوله : ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾^{(٢)(٣)} .

والوصي إذا بَدَلَ الوصية لم ينقص من أجر الموصي شيء كما لو لم يبدل^(٤) ؛ لأنه لا يُجازي أحد على عمل غيره ، لكن يجوز أن تلحقه منافع الدعاء والإحسان الواصل إلى الموصي له على غير وجه الأجر له ، لكن على وجه الجزاء لغيره ممَّن وصل إليه ذلك الإحسان ، فيكون ما يلحق المحسن إليه (من ذلك جزاء له يصح بما يصل إلى المحسن إليه)^(٥) من المنفعة .

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب مَنْ قال : إنَّ الطفل يُعَذَّب بكفر أبويه^(٦) ؛ لأنَّ الله بيَّن وجه العدل في هذا ، وقياس العدل في الطفل ذلك القياس ، فمن هناك دلَّ على الحكم فيه .

وفيها أيضاً دلالة على بطلان قول مَنْ يقول : إنَّ الوارث إذا لم يقض ذنن الميت أنه يؤخذ به^(٧) في قبره أو في الآخرة^(٨) ؛ لِمَا قلناه من أنه دلَّ على أنَّ العبد لا يؤاخذ بجرم غيره ؛ إذ لا إثم عليه بتبديل غيره .

(١) ما أثبتناه من «هـ» ، وفي بقية النسخ : في ضرار .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٢ .

(٣) رواه عنه أيضاً الطبري في تفسيره ٣ : ١٤٠ ، وفيه : في ضرار .

(٤) في الحجرية : لم تُبدل .

(٥) ما بين القوسين لم يرد في «و» و«هـ» .

(٦) انظر المسألة والمذاهب المتعددة فيها في : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٠ ، وأصول الدين للبغدادي : ٢٥٩ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٥١ ، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥ : ١٤٥ ، وفتح الباري ٣ : ١٩٠ .

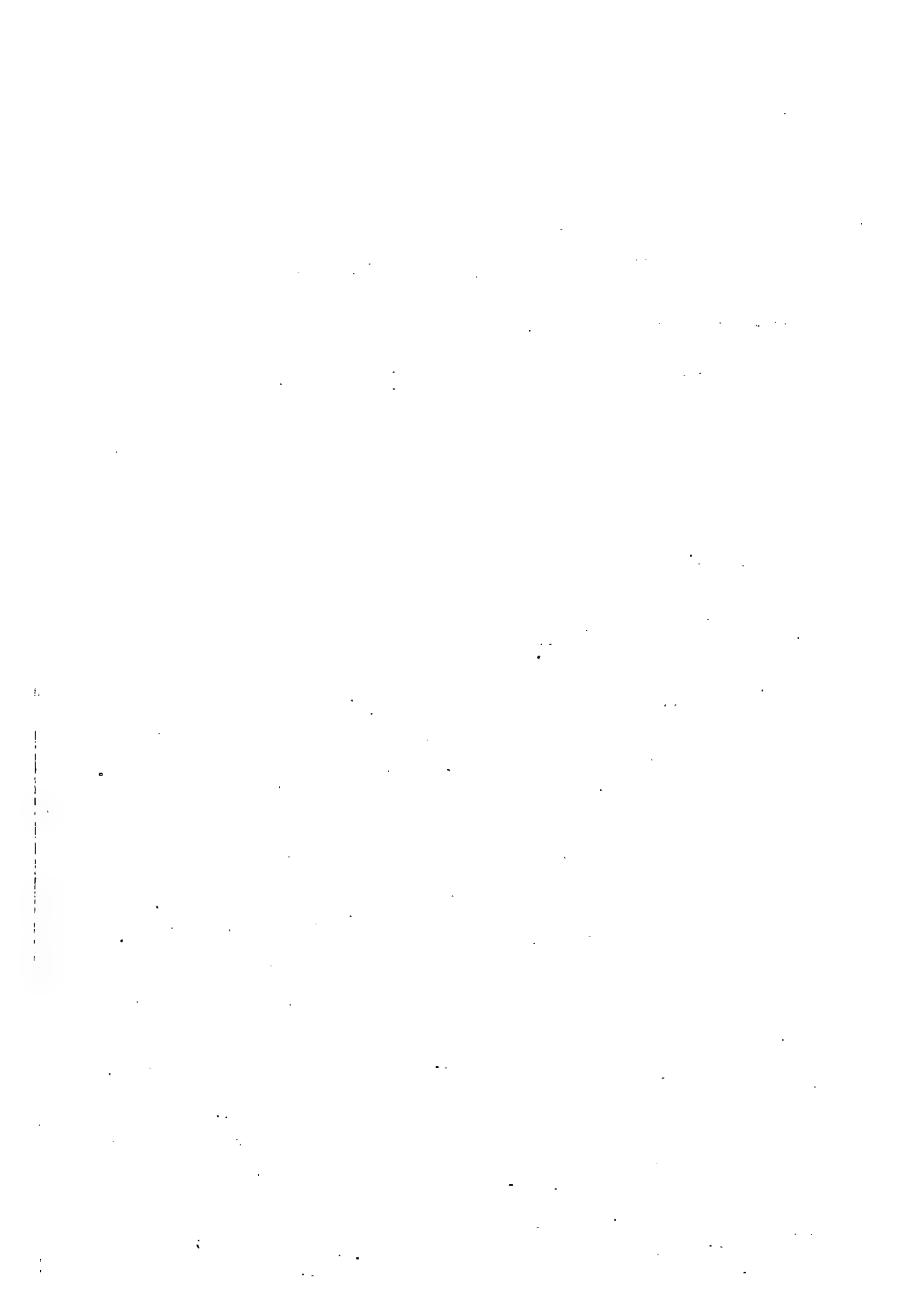
(٧) في «هـ» : يؤاخذ ، بدل : يؤخذ به .

(٨) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٠ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٥١ ، ومجمع البيان ٢ : ١٩ ، وفقه القرآن للراوندي ٢ : ٣٤٨ ، ومتشابه القرآن لابن شهر آشوب ٢ :

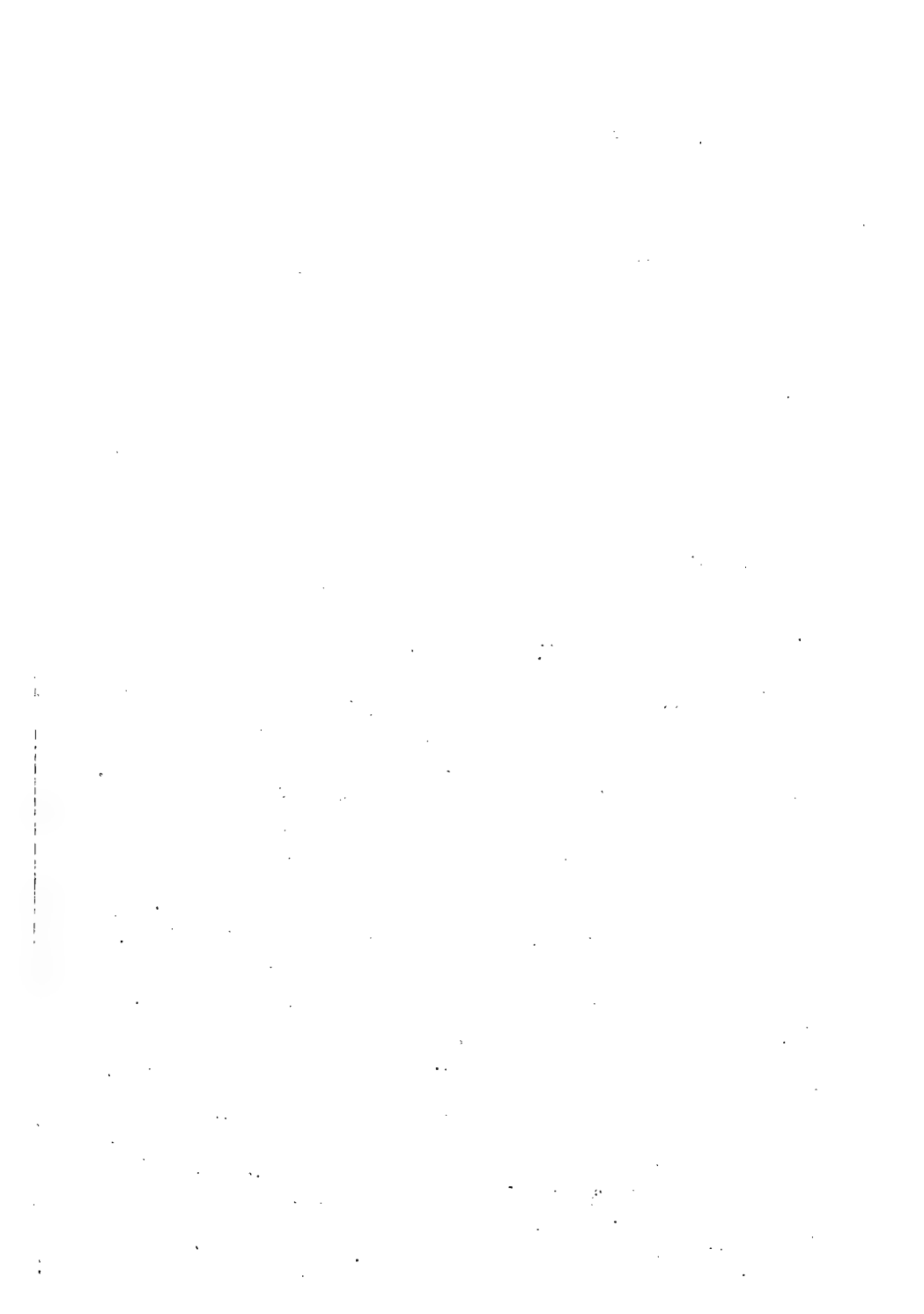
وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يُوصي به الميّت ، لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه إلا أن يتفضل الله بإسقاطه عنه .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ :

معناه : سميع لما قاله الموصي من العدل أو الجنف ، عليم بما يفعله الوصي من التبديل أو التصحيح ، فيكون ذكر ذلك داعياً إلى الطاعة .



فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا
هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾



قوله تعالى :

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِنْثَامًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨٢) آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿مُوسٍ﴾ خفيفة ، والباقون مشددة^(١) . وهما لغتان ، وصَّى وأوصى بمعنى واحد .

فإن قيل : كيف قال : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾ لما قد وقع ، والخوف إنما يكون لما لم يقع^(٢) ؟
قيل فيه قولان :

أحدهما : أنه خاف أن يكون قد زلَّ في وصيته ، فالخوف للمستقبل ، وذلك الخوف هو أن يظهر ما يدلُّ على أنه قد زلَّ ؛ لأنه من جهة غالب الظن .

والثاني : لما اشتمل على الواقع وما لم يقع^(٣) جاز فيه ﴿خَافَ﴾ ذلك ، فيأمره بما فيه الصلاح ، وما وقع ردُّه إلى العدل بعد موته .
والجَنَفُ : الجَوْرُ ، وهو الميل عن الحق .

وقال الحسن : هو أن يوصي لغير القرابة ، قال : فمن أوصى لغير قرابته ردَّ إلى أن يجعل للقرابة الثلثان وللمن أوصى له الثلث^(٤) .

(١) راجع : السبعة في القراءات لابن مجاهد : ١٧٦ ، والحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٧١ .

(٢) في «هـ» : «قد» بدلاً من : لم .

(٣) في «هـ» : أنه لما اشتمل على ما وقع وعلى ما لم يقع .

(٤) رواه عنه ابن حزم في المحلى ٩ : ٣١٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٦ : ٢٦٥ .

وهذا باطل عندنا؛ لأن الوصية لا يجوز صرفها عمّن وصّي له؛ وإنما قال الحسن ذلك لقوله: إنّ الوصية للقرابة واجبة، وعندنا أنّ الأمر بخلافه على ما بيّناه.

وقال صاحب العين: الجَنَفُ: الميل في الكلام والأمور كلّها، تقول: جَنَفَ علينا فلان، وأَجَنَفَ في حكمه، وهو مِثْلُ الحَيْفِ، إلا أنّ الحَيْفَ من الحاكم خاصّة، والجَنَفُ عامٌّ، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾^(١) أي مُتَمَائِلٍ مُتَعَمِّدٍ^(٢).

ورجل أَجَنَفٌ: في أحد شِقَيْهِ مِيلٌ على الآخر.

وقال ابن دريد: جَنِفَ يَجْنُفُ جَنَفًا: إذا صَدَّ عن الحقّ^(٣).

وأصل الباب: الميل عن الاستواء^(٤)، قال الشاعر في الجَنَفِ:

هُمُ الْمَوْلَى وَقَدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وَإِنَّا مِنْ لِقَائِهِمْ لَزُورٌ^(٥) [٤٩٥]

وإذا حَافَ^(٦) الموصي في وصيته فللموصي أن يردّها إلى العدل، وهو

(١) سورة المائدة ٥ : ٣.

(٢) العين ٦ : ١٤٣ «جنف».

(٣) الجمهرة ١ : ٤٨٨ ذيل مادة «جفن».

(٤) انظر - مضافاً لِمَا ذُكِرَ - تهذيب اللغة ١١ : ١١١، والمحيط في اللغة ٧ : ١٢٣،

والمحكم ٧ : ٤٥٥، ولسان العرب ٩ : ٣٢ «جنف».

(٥) البيت لعامر الخَصْفِي. وفي الصحاح ولسان العرب: وإنّ، بدلاً من: وقد، وفي

«ه» و«و»: وأيام اللقاء بهم لزور. وما أثبتناه من «ح» و«ي» والحجرية والمصادر.

والمولى - هاهنا - في موضع الموالي، أي بني العمّ، كقوله تعالى: ﴿يُعْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، وجنفوا، أي جاروا، وهو الشاهد فيه.

انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٦٦، والصحاح ٤ : ١٣٣٩، و٦ : ٢٥٢٩،

ولسان العرب ٩ : ٣٣، و١٥ : ٤٠٨ «جنف» و«ولي».

(٦) ما أثبتناه من «ح»، وفي بقية النسخ والحجرية: جاف. ومعنى «حاف»: جار

وظلم. المصباح المنير: ١٥٩ «حيف».

المروي عن أبي عبد الله عليه السلام^(١)، وبه قال الحسن وقتادة وطاؤس^(٢).
وقال قوم - واختاره الطبري -: إِنْ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ﴾
في حال مرضه الذي يريد أن يوصي فيه ويُعطي بعضاً ويضرّ ببعض، فلا
إثم عليه أن يُشير عليه بالحقّ ويردّه إلى الصواب، ويُسرّع بالإصلاح^(٣) بين
الموصي والورثة والموصى له، حتى يكون الكلّ راضين، ولا يحصل جَنَفٌ
ولا ظلم، ويكون قوله: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ (يريد: فيما يخاف من حدوث
الخلاف فيه)^(٤) فيما بعد، ويكون قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ على ظاهره،
فيكون الخوف مترقباً غير واقع^(٥).

وهذا قريب أيضاً غير أنّ الأول أصوب؛ لأنّ عليه أكثر المفسرين،
وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام^(٦).

وإنّما قيل للمتوسّط بالإصلاح: ليس عليه إثم، ولم يقل: فله الأجر
على الإصلاح، لأنّ المتوسّط إنّما يجري أمره في الغالب على أن ينقص
صاحب الحقّ بعض حقّه بسؤاله إياه، فاحتاج إلى أن يبيّن الله لنا أنّه لا إثم
عليه في ذلك إذا قصد الإصلاح.

(١) تفسير القمّي ١: ٦٥، ونحوه عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير العياشي ١:
١٧٧/١٨٢، والكافي ٧: ٢/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ١٤٣، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٦١٩/٣٠٣، والهداية
إلى بلوغ النهاية ١: ٥٨٠.

(٣) في «هـ» و«ي»: في الإصلاح. وفي «ح» و«و»: يشرع، بدل: يُسرّع.
(٤) في «هـ» بدل ما بين القوسين: بمعنى فيما يخاف الخلاف فيه من حدوث
الخلاف.

(٥) تفسير الطبري ٣: ١٤٧، الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٨١، تفسير الماوردي ١:
٢٣٣.

(٦) راجع: الهامش (١).

والذي اقتضى قوله : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ أنه إذا كان يغفر المعصية ، فإنه (لا يجوز أن يؤاخذ)^(١) بما ليس بمعصية مما بين أنه لا إثم عليه .

والضمير في قوله : ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الوصي والإصلاح ؛ لأنه يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم ، وأنشد الفراء في مثل ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾ :

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ [٤٩٦]
وَيَصُمُّ عَمًا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرْ^(٢)
أراد بينها وبين زوجها ، وإنما ذكرها وحدها .
وأنشد أيضاً :

وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي [٤٩٧]
أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي^(٣) (٤)

(١) بدل ما بين القوسين في «هـ» و«و» : لا يؤاخذ .

(٢) البيتان لمسكين الدارمي : ربيعة بن عامر ، انظر : أمالي المرتضى ١ : ٤٤ و ٤٧٤ ، وكنز الفوائد ٢ : ١٨٨ ، ومعجم الأدياء ١١ : ١٣٢ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣ : ٧٢ ، وفي بعضها باختلاف يسير جداً ، وبلا نسبة في بعض الموارد .

ومعنى يوارى : يستر ، والخِذر : الستر ، والوَقْر : ثقل في الأذن .
والشاعر يصف عفته وطهارة نفسه بالنسبة إلى جارته ، وأنه لا ينظر إليها بسوء ولا يسمع ما يدور بينها وبين زوجها .

والشاهد فيه : أن الضمير في «بينهما» يعود لجارته ولزوجها مع أن الزوج لم يتقدم ذكره ، لكنه عُلِمَ من ذكر الزوجة .

(٣) ما أثبتناه من «هـ» والديوان وأكثر مصادر اللغة ، وفي بقية النسخ وبعض المصادر : «لا يأتليني» بدل «هو يبتغيني» .

(٤) البيتان للمثقب العبيدي ، ديوانه : ٢١٢ ، وانظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٧٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٢ ، وتهذيب اللغة ١٥ : ٥٠٨ ، ولسان العرب ١٢ :

فكُنْتُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَنِ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْخَيْرَ وَحْدَهُ .
 وَقِيلَ : بَلْ يَعُودُ عَلَى مَذْكُورٍ، هُمُ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ^(١) .
 وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ : ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ عَائِدٌ عَلَى الْوَصِيِّ فِي قَوْلِ
 الْحَسَنِ^(٢) .

وَيَجُوزُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْمَصْلُحِ الْمَذْكُورِ فِي «مَنْ» .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ يُرِيدُ بِالْجَنَفِ : الْمِيلَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى
 جِهَةِ الْخَطَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ .
 وَالْإِثْمُ أَنْ يَتَعَمَّدَ ذَلِكَ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَالضَّحَّاكَ
 وَالسُّدِّيَّ^(٣) ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ^(٤) .
 وَالْجَنَفُ فِي الْوَصِيَّةِ : أَنْ يُوصِيَ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، أَوْ يُوصِيَ بِمَالٍ فِي
 مَعْصِيَةٍ أَوْ إِنْفَاقٍ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَرَدُّ وَلَا يَنْفَذُ .
 فَإِنَّمَا أَنْ يُوصِيَ الرَّجُلُ لَابْنِ بَنْتِهِ ، وَلَهُ أَوْلَادٌ ، أَوْ يُوصِيَ لَزَوْجِ بَنْتِهِ وَلَهُ
 أَوْلَادٌ ، فَلَا يَجُوزُ رَدُّهُ عَلَى وَجْهِ عِنْدِنَا .

﴿٣٧﴾ «أَنْم» .

وَمَعْنَى : يَمُتُ : قَصَدْتُ ، وَالْوَجْهَ : الْجِهَةَ .
 وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ : أَيُّهُمَا ، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الشَّرَّ إِلَّا بَعْدَ
 تِمَامِ الْبَيْتِ .
 وَفِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الشَّافِيَةِ - الْمَطْبُوعِ آخِرُهَا - : ١٨٨ : عَلَى أَنَّ هَمْزَةَ الْوَصْلِ فِي
 «الْخَيْرِ» بَيْنَ بَيْنِ .

- (١) انظر : التهذيب في التفسير ١ : ٧٥٣ ، والدَّرُّ المصون ١ : ٤٥٨ .
- (٢) انظر : ما تقدّم عن المحلّي ٩ : ٣١٥ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٦٥ .
- (٣) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٥ ، وتفسير الطبري ٣ : ١٤٩ - ١٥١ ، وتفسير ابن
 أبي حاتم ١ : ١٦١١/٣٠١ - ١٦١٧ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٨٢ .
- (٤) في تفسير القمي ١ : ٦٥ عن الإمام الصادق عليه السلام : فالجنف : الميل إلى بعض ورثته
 دون بعض . والإثم : أن يأمر بعمارة بيوت النيران واتخاذ المسكر .

وخالف فيه طاؤس^(١).

وكذلك إن وصّى للبعيد دون القريب لا تردّ وصيته.

وخالف فيه الحسن^(٢).

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣) آية بلا خلاف .

هذه الآية ظاهرها يتوجّه إلى مَنْ كان على ظاهر الإيمان ، فأما الكافر فلا يعلم بهذا الظاهر أنّه مخاطب بالصيام .

وقوله : ﴿كُتِبَ﴾ معناه : فرض ، على ما بيّناه فيما مضى^(٣) .

والصيام والصّوم مصدر صُمْتُ صَوْماً وصِياماً .

والصوم في اللغة : هو الإمساك . وقال ابن دريد : كل شيء سكنت

حركته فقد صام يَصُومُ صَوْماً ، قال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَغْلُكُ اللَّجْمَا^(٤) [٤٩٨]

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ١٤٥ ، وتفسير الطبراني ١ : ٢٩٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧١ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٨١ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧١ ، والمحلى ٩ : ٣١٥ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٦٥ .

(٣) تقدّم في تفسير الآية : ١٧٨ و ١٨٠ .

(٤) الجمهرة ٢ : ٨٩٩ «صوم» ، ولم يذكر البيت في الديوان ، طبعة دار المعارف ، وذكر في طبعة دار صعب : ٢١٧ ، وطبعة المكتبة الثقافية : ١٣٠ تحت عنوان : أبيات متفرقة ، ونسبه للنابغة أيضاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ : ٦ ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٣ : ٣٢٣ «صوم» ، و ٤ : ١٣٢ «علك» وابن سيده في المحكم للـ

وقال صاحب العين: الصَّوْمُ والصمت واحد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾^(١) أي صَمْتاً، والصَّوم: قيام بلا عمل، وصام الفرس على آريه إذا لم يعتَلِف، وصَامَتِ الريح: إذا رَكَدَت، وصامت الشمس: حين تستوي في منتصف النهار. ومَصَّام الفرس: موقفه. والصَّوم: ذرق^(٢) النَّعَام^(٣)، والصوم: شجر^(٤).
وأصل الباب: الإمساك^(٥)، فالصوم: الصمت؛ لأنه إمساك عن الكلام.

والصَّوم في الشرع: هو الإمساك عن أشياء مخصوصة، على وجه مخصوص، ممَّن هو على صفات مخصوصة، في زمان مخصوص، ومن شرط انعقاده النيَّة.

وقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال: أحسنها: أنه كُتِبَ عليكم صيام أيام، كما كُتِبَ عليهم صيام أيام، وهو اختيار الجبائي وغيره.

ويكون ﴿الصَّيَامُ﴾ رفعا؛ لأنه ما لم يُسمَ فاعله، ويكون موضع

٨٥: ٣٩١، وابن منظور في لسان العرب ١٢: ٣٥١ «صوم».
المعنى: الصائم من الخيل: القائم الساكن الذي لا يطعم شيئا، والعلك: المضغ.

والشاهد فيه: أنَّ الصوم هنا جاء بمعنى الركود وعدم الحركة.

(١) سورة مريم ١٩: ٢٦.

(٢) في المصدر: عُرَّة، بدلا من: ذرق.

(٣) في «ه»: الحمام.

(٤) العين ٧: ١٧١ «صوم».

(٥) انظر: التهذيب في اللغة ١٢: ٢٥٩، والمحيط في اللغة ٨: ٢٠٧، والمحكم ٨:

٣٩٠، ولسان العرب ١٢: ٣٥٠ «صوم».

﴿كَمَا﴾ نصباً على المصدر.

والمعنى: فُرض عليكم فرضاً كالذي فُرض على الذين من قبلكم.
ويحتمل أن يكون نصباً على الحال من الصيام، وتقديره: كُتب عليكم الصيام مفروضاً، أي في هذه الحال.
والثاني: ما قاله الشعبي والحسن: إنه فُرض علينا شهر رمضان كما كان فُرض شهر رمضان على النصارى، وإنما زادوا فيه وحولوه إلى زمان الربيع.

والثالث: ما قاله الربيع والسُّدي: إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة، لا يحل بعد النوم مأكلاً ولا مشرب ولا منكح، ثم نُسخ^(١).
والأول هو المعتمد.

وقال مجاهد وقتادة: المعني بـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أهل الكتاب^(٢).
وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم في قول الجُبائي^(٣).

وقال السُّدي: لتتقوا ما حُرِّم عليكم من المأكَل والمشرب^(٤).

(١) انظر الأقوال والقائلين بها في: تفسير الطبري ٣: ١٥٣، وتفسير الطبراني ١: ٣٠٠، وأحكام القرآن للجصاص ١: ١٧٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٥٨٢، وتفسير الماوردي ١: ٢٣٦، والتهذيب في التفسير ١: ٧٥٦.

(٢) رواه عن مجاهد الطبري في تفسيره ٣: ١٥٥، والماوردي في تفسيره ١: ٢٣٦، ورواه الجشمي عنهما في التهذيب في التفسير ١: ٧٥٦، وروى الأولان عن قتادة أنهم جميع الناس.

(٣) حكاه عنه الجشمي في التهذيب في التفسير ١: ٧٥٦، والطبرسي في مجمع البيان ٢: ٢٣.

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣: ١٥٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ٥٨٧، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ١٦٢٩/٣٠٥.

وقالت فرقة : معناه : لتكونوا أتقياء بما لطف لكم في الصيام ؛ لأنه لو لم يُلطف بكم لم تكونوا أتقياء^(١) .

وإنما قلنا : الأول هو المعتمد ؛ لأنه يصح ذلك في اللغة إذا كان فرض عليهم صيام أيام كما فرض علينا صيام أيام وإن اختلف ذلك بالزيادة والنقصان .

قوله تعالى :

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ ابن عامر ونافع ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾ على إضافة الفدية وجمع المساكين ، والباقون ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ منوثة ، ﴿ طَعَامُ مِسْكِينَ ﴾ على التوحيد^(٢) . والقراءتان متقاربتا المعنى ؛ لأنَّ المعنى لكل يوم يُفطر طعام مسكين ، والقراءتان تفيدان ذلك .

قوله تعالى : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ منصوب بأحد شيئين :

أحدهما : على الظرف ، كأنه قيل : الصيام في أيام معدودات ، وهو الذي اختاره الزجاج^(٣) .

(١) وقال به الزجاج في معاني القرآن ١ : ٢٥٢ ، ونسبه الطبراني في التفسير الكبير ١ :

٣٠١ إلى القيل ، ونسبه الماوردي إلى الزجاج في تفسيره ١ : ١٨٤ .

(٢) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٦ ، وحجّة القراءات : ١٢٤ ، والحجّة للقراء السبعة

٢ : ٢٧٣ .

(٣) معاني القرآن ١ : ٢٥٢ .

الثاني : أن يكون قد عُذِّي الصيام إليه ، كقولك : اليوم صمته^(١) .
وقال الفراء : هو مفعول ما لم يُسمِّ فاعله ، كقولك : أعطى زيدَ المال^(٢) .
وخالفه الزجاج ، قال : لأنه لا يجوز رفع الأيَّام ، كما يجوز^(٣) رفع المال^(٤) .

وإذا كان المفروض في الحقيقة هو الصيام دون الأيَّام فلا يجوز ما
قاله الفراء إلا على سعة الكلام .
وقال عطاء و قتادة : الأيَّام المعدودات^(٥) كانت ثلاثة أيَّام من كلِّ
شهر ، ثم نُسخ ، وكذلك روي عن ابن عباس^(٦) .
وقال ابن أبي ليلى^(٧) : المعنيُّ به شهر رمضان ، وإنَّما كان صيام ثلاثة

(١) ومَن قال بتعلُّق أيَّام بالصيام الزمخشري ، انظر : الكشَّاف ١ : ٣٧٩ ، وانظر
تفسير الراغب : ٣٨٨ ، وإملاء ما مَن به الرحمن ١ : ٨٠ ، والبحر المحيط ٢ :
١٨١ ، والدرِّ المصون ١ : ٤٦٠ .

(٢) معاني القرآن ١ : ١١٢ .

(٣) فيما عدا «ح ، ي» من النسخ : لا يجوز . وما أثبتناه من «ح ، ي» ، وهو المطابق
لما في المصدر ، ومفاده : أنَّ زيداً ومالاً كلاهما معمولان للفعل ، فيجوز رفع أيَّهما
شئت ، ولكن «أيَّام» في الآية متعلِّقة بالمصدر - الصوم - ، والصوم متعلِّق بالفعل .
(٤) معاني القرآن ١ : ٢٥٢ .

(٥) في «هـ» : المفروضات .

(٦) رواه عنهم الطبري في تفسيره ٣ : ١٥٧ ، وابن أبي حاتم ١ : ١٦٣٠/٣٠٥ ، عن
عطاء ، وكذلك القيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٨٧ ، وعن عطاء و قتادة
الماوردي في تفسيره ١ : ٢٣٧ .

(٧) هو عبدالرحمن بن أبي ليلى الحافظ ، أبو عيسى الأنصاري ، ولد في خلافة
أبي بكر ، وحدث عن : عليٍّ ، وأبي ذرٍّ ، وبلال ، وغيرهم ، وحدث عنه : عمرو بن
مُرَّة والحكم والأعمش وغيرهم ، شهد النهروان مع الإمام عليٍّ عليه السلام ، وخرج على
الحجَّاج مع عبدالرحمن بن الأشعث ، وإنَّه قُتل بدجيل .

أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ تَطَوَّعًا^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ارتفع ﴿عِدَّةٌ﴾ على الابتداء، وتقديره: فعليه عدَّة من أَيَّامٍ أُخَرَ.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنَّ شهر رمضان كان واجباً صومه على كل نبيٍّ دون أمته، وإنَّما أوجب على أُمَّة نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله فحسب^(٢).

وإنَّما قال: ﴿أُخَرَ﴾ ولا يوصف بهذا الوصف إلَّا جمع المؤنث التي كل واحدةٍ منه أنثى، والأَيَّام جمع يوم، وهو مذكَّر، حملاً له على لفظ الجمع؛ لأنَّ الجمع يؤنَّث كما يقال: جاءت الأَيَّام، ومضت الأَيَّام.

و﴿أُخَرَ﴾ لا تصرف؛ لأنَّه معدول عن الألف واللام^(٣)، لأنَّ نظائرها

^(١) له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٦: ١٠٩، وأخبار القضاة لوكيع ٢: ٤٠٦، وسير أعلام النبلاء ٤: ٩٦/٢٦٢.

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣: ١٥٩، والماوردي في تفسيره ١: ٢٣٧، ونسبه أيضاً إلى جمهور المفسرين.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام في: الفقيه ٢: ١٨٤٤/٩٩، وفضائل الأشهر الثلاثة: ١٣٤/١٣١، وفي تفسير القمي: قال: «أَوَّل ما فرض الله الصوم لم يفرضه في شهر رمضان على الأنبياء، ولم يفرضه على الأمم». وهي لا توافق ما في المتن، وفي طبعة مؤسسة الإمام المهدي (عج) المحققة ١: ١٠١: «أَوَّل ما فرض الله الصوم فرضه في شهر رمضان على الأنبياء، ولم يفرضه على الأمم» وهي موافقة لما في المتن، وأشار المحقق في الهامش للنسخة المتقدِّمة على أنَّها نسخة بدل. وأشار أيضاً لنسخة المستدرک، هي: «لم يفرضه في شهر رمضان إلَّا على الأنبياء». وهي أيضاً موافقة لما في المتن.

(٣) أي معدول عن الآخر، جاء في حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ٢٣٢: وهو معدول عن الآخر، أي بضمّ ففتح معرّفاً بآل، بدليل أنَّه أفعَل تفضيل أو في حكمه، فحقّه أن لا يجمع ولا يؤنَّث إلَّا مقروناً بآل أو مضافاً لمعرفة، فحيث وجد بدون ذلك حكمنا ببدله عمّا يستحقّه من التعريف بآل، هذا قول أكثر النحويين.

٣٠٢ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

من الصَّغَر والكَبَر لا يستعمل إلَّا بالالف واللام ، ولا يجوز : نسوة صَغَرٌ^(١) .
ويجوز في العربية «فَعِدَّة» بالنصب^(٢) على معنى : فليعدَّ عِدَّةً من أَيَّام
أُخَر ، بدلاً ممَّا أفطر .

وهذه الآية فيها دلالة على أنَّ المسافر والمريض يجب عليهما
الإفطار ؛ لأنَّه تعالى أوجب عليهما القضاء مطلقاً ، وكلَّ مَنْ أوجب عليه^(٣)
القضاء بنفس السفر والمرض أوجب عليه^(٤) الإفطار .
وداؤد^(٥) أوجب القضاء وخيَّر في الإفطار^(٦) .

﴿ وقال سيويه في الكتاب ٣ : ٢٢٤ : قلت : فما بال أُخَر لا ينصرف في معرفة
ولا نكرة ؟

فقال : لأنَّ أُخَر خالفت أخواتها وأصلها ، وإنَّما هي بمنزلة : الطُّول والوُسْط
والكَبَر ، لا يَكُن صفة إلَّا وفيهِنَّ ألف ولام ، فتوصف بهنَّ المعرفة ، ألا ترى أنَّك
لا تقول : نسوة صَغُرٌ ، ولا هؤلاءِ نسوة وُسْطٌ ، ولا تقول : هؤلاء قوم أصاغُرٌ ، فلما
خالفت الأصل ، وجاءت صفة بغير الألف واللام تركوا صرفها .

ولمعرفة المزيد عن تفاصيل المسألة راجع : أوضح المسالك لابن هشام ٤ :

١٢٣ ، وشرح قطر الندى : ٣١٦ ، وشرح الكافية للاسترابادي ١ : ١١٦ .

(١) راجع كلام سيويه في الهامش السابق .

(٢) بالنصب ، أثبتناها من «هـ» ، ولم ترد في بقية النسخ .

(٣ و ٤) عليه ، أثبتناها من «هـ» ، ولم ترد في بقية النسخ .

(٥) داؤد بن علي بن خلف ، أبو سليمان ، المعروف بالاصبهاني ، مولى المهدي
العباسي ، إمام ورئيس أهل الظاهر ، سمع : سليمان بن حرب ، وعمر بن مرزوق ،
والقعنبي وغيرهم . وحَدَّث عنه : ابنه محمد ، وزكريَّا الساجي ويوسف بن يعقوب
 وغيرهم ، مولده سنة مائتين ، له كتب كثيرة منها : الإيضاح والإفصاح والأصول
 وغيرها ، مات في شهر رمضان سنة سبعين ومائتين .

له ترجمة في : تاريخ مدينة السلام ٩ : ٤٤٢٦/٣٤٢ ، والمنتظم ١٢ :

١٧٥٦/٢٣٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ : ٥٥/٩٧ .

(٦) وهو مذهب أصحابه أهل الظاهر أيضاً ، انظر : تفسير الماوردي ١ : ٢٣٨ ،

فإن قَدَرُوا في الآية : فأفطَرَ ، كان ذلك خلاف الآية .

وبوجوب الإفطار في السفر قال عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن عمر ،
وعبدالله بن عباس ، وعبدالرحمن بن عوف^(١) ، وأبو هريرة ، وعروة بن
الزبير^(٢) ، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام .

وروى سعيد بن جببر عن قتادة عن جابر^(٤) بن زيد^(٥) عن ابن عباس :

المحلى ٦ : ٢٤٣ ، والاستذكار ١٠ : ٧١ - ٧٢ ، والبيان للعمري ٣ : ٤٧٥ ، وتفسير
السمعاني ١ : ١٧٩ ، وبداية المجتهد ٢ : ٣٧١ .

(١) هو عبدالرحمن بن عوف بن عبدنوف الزهري ، أبو محمد ، أمه الشفاء بنت
عوف ، وُلد بعد عام الفيل بعشر سنين ، هاجر إلى الحبشة ، وهاجر إلى المدينة ،
وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، توفي سنة إحدى وثلاثين وهو ابن خمس
وسبعين سنة بالمدينة .

له ترجمة في الاستيعاب ٢ : ١٤٤٧/٨٤٤ ، وأسد الغابة ٣ : ٣٣٦٤/٣٧٦ ،
والإصابة ٤ : ٥١٧١/١٧٦ .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام القرشي ، وأمّه أسماء ابنة أبي بكر ، حدّث عن أبيه وعن
أمّه وعائشة وغيرهم ، وحدّث عنه : بنوه - يحيى وعثمان وهشام ومحمد -
وسليمان بن يسار وابن شهاب وغيرهم ، وُلد عروة سنة ثلاث وعشرين ، وقيل غير
ذلك ، ومات سنة ثلاث وتسعين ، وهو ابن سبع وستّ سنة .

له ترجمة في : الطبقات الكبرى ٥ : ١٧٨ ، وسير أعلام النبلاء ٤ : ١٦٨/٤٢١ ،
ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢ : ٩٢٠/٥٨١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٠٤ - ٢٠٨ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٤٨٠ ، والاستذكار
١٠ : ١٣٩٤٢/٧١ ، والمحلى ٦ : ٢٥٦ ، والاعتبار للهازمي ١١٠ .

(٤) في «و» و«ه» : خالد .

(٥) جابر بن زيد الأزدي اليمامي ، أبو الشعثاء ، مولاها البصري الخوفي ، والخوف
ناحية من عُمان ، كان عالم أهل البصرة في زمانه ، حدّث عنه : عمرو بن دينار
وأَيُّوب السخيتاني وقاتدة وآخرون ، وروى عن : ابن عباس وابن عمر وابن الزبير
وآخرين ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين .

له ترجمة في : الطبقات الكبرى ٧ : ١٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ٤ : ١٨٤/٤٨١ ،
وتهذيب التهذيب ٢ : ٦١/٣٤ .

قال: الإفطار في السفر عزيمة^(١).

وروى يوسف بن الحكم^(٢)، قال: سألت ابن عمر عن الصوم في السفر، قال: لو تصدقت على رجل بصدقة فردّها عليك ألا تغضب؟ فإنّها صدقة من الله تصدّق بها عليكم^(٣).

وروى عبد الملك بن حميد^(٤)، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «كان أبي عليه السلام لا يصوم في السفر وينهى عنه»^(٥).

وروي عن عمر: أنّ رجلاً صام في السفر فأمره أن يعيد صومه^(٦).
وروي عطاء، عن المحرّر^(٧) بن أبي هريرة، قال: كنت مع أبي في

(١) انظر: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٩٠٥٩/١٣٠، وتفسير الطبري ٣: ٢٠٥، والمحلى ٦: ٢٥٧.

(٢) يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، والد الحجاج بن يوسف، روى عن: محمد بن سعد بن أبي وقاص، وقيل: عن سعد نفسه، وروى عنه: كعب بن علقمة، ومحمد بن أبي سفيان بن العلاء.
له ترجمة في: تهذيب الكمال ٣٢: ٧١٣١/٤١٧، وتهذيب التهذيب ١١: ٧٠١/٣٦٠.

(٣) رواه أيضاً الطبري في تفسيره ٣: ٢٠٥، والثعلبي في تفسيره ٤: ٥٠٤، وابن حزم في المحلى ٦: ٢٥٧.

(٤) عبد الملك بن حميد بن أبي غنّة الخزاعي الكوفي، والد يحيى بن عبد الملك، أصله أصبهاني، روى عن: إسماعيل بن رجاء الزبيدي، وثابت بن عبيد الأنصاري، وجبلّة بن شحيم وغيرهم، وروى عنه: إسماعيل بن عيّا، وخلاد بن يزيد الباهلي، وسفيان الثوري، وابن عيينة وغيرهم.

له ترجمة في: تهذيب الكمال ١٨: ٣٥٢٤/٣٠٢، وتهذيب التهذيب ٦: ٤٢٠٤/١٤٢.

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٣: ٢٠٥، وابن حزم في المحلى ٦: ٢٥٨.

(٦) رواه عبد الرزاق في المصنّف ٤: ٧٧٦٣/٢٧٠، وابن أبي شيبة في المصنّف ٦: ٩٠٩١/١٣٨، والطبري في تفسيره ٣: ٢٠٦، وابن حزم في المحلى ٦: ٢٥٦.

(٧) مُحرّر - بمهملات اسم مفعول - بن أبي هريرة، روى عن أبيه وابن عمر، وعنه:

سفر في شهر رمضان ، وكنت أصوم ويفطر ، فقال أبي : أما إنك إذا أقمت قضيت^(١) .

وروى عاصم مولى قُرَيْبَةَ^(٢) : أنَّ رجلاً صام في السفر فأمره عروة أن يقضي^(٣) .

وروى الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف^(٤) ، قال : قال رسول الله ﷺ : «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»^(٥) .

وروي عن معاذ : أنَّ النبي ﷺ قدم المدينة ، وكان يصوم عاشوراء

الشعبي ، والزهري ، وعبد الله بن محمد بن عقيل وآخرون ، توفي بالمدينة في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، وكان قليل الحديث .

له ترجمة في : الطبقات الكبرى ٥ : ٢٥٤ ، وتهذيب الكمال ٢٧ : ٥٨٠١/٢٧٥ ، نهاية السؤل ٨ : ٦٧٧٧/٢٧١٣ .

(١) روي ذلك في المصنّف لابن أبي شيبة ٦ : ٩٠٨٩/١٣٧ ، وتفسير الطبري ٣ : ٣٠٦ ، والمحلى ٦ : ٢٥٧ .

(٢) عاصم بن صهيب مولى قُرَيْبَةَ بنت محمد بن أبي بكر ، كنيته أبو بكر ، سكن واسط ، وهو والد علي بن عاصم ، يروي عن المدنيين ، روى عنه شعبة وهشيم . له ترجمة في : الجرح والتعديل للرازي ٦ : ١٩٤٤/٣٥٢ ، والثقات لابن حبان ٧ : ٢٥٧ ، وتعجيل المنفعة : ٤٩٩/٢٤٣ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ٣ : ٢٠٦ ، و٢٠٧ ، وابن حزم في المحلى ٦ : ٢٥٨ ، وفيه : عروة بن الزبير .

(٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ، الحافظ ، قيل : اسمه عبدالله ، وقيل : إسماعيل ، وُلد سنة بضع وعشرين ، وحَدَّث عن : أبيه ، وعن أسامة بن زيد ، وعائشة وغيرهم كثير ، وحَدَّث عنه : ابنه عمر وابن أخيه سعد والشعبي وغيرهم ، توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وعمره اثنتان وسبعون سنة . له ترجمة في : الطبقات الكبرى ٥ : ١٥٥ ، وأخبار القضاة لوكيع ١ : ١١٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٨/٢٨٧ .

(٥) روي ذلك في سنن ابن ماجه ١ : ١٦٦٦/٥٣٢ ، والسنن الكبرى للنسائي ٢ : ٢٥٩٤/١٠٦ ، وتفسير الطبري ٣ : ٢٠٧ ، و٢٠٨ ، والمحلى ٦ : ٢٥٧ و٢٥٨ .

٣٠٦ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

وثلاثة أيام من كل شهر، ثم نُسخ ذلك بشهر رمضان في قوله: ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(١).

واختار الطبري هذا الوجه، وقال: لأنه لم ينقطع العذر برواية
صحيحة أنه كان هاهنا صوم متعبد به فنسخه الله بشهر رمضان^(٢).

وأصل السَّفر: الكَشْفُ، تقول: سَفَرَ يَسْفِرُ سَفْرًا: إذا كَشَفَ، وأسْفَرَ
لونه إشْفَارًا، وأسْفَرَتِ الإبِلُ: إذا انكشفت ذاهبة انسْفَارًا، وسَافَرَ سَفْرًا،
وسَفَرَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ: إذا قشعته، قال العجاج:

سَفَرُ الشَّمَالِ الرُّبُجِ المُرَبَّرَجَا^(٣) [٤٩٩]

الرُّبُج: السَّحاب الرقيق، ومنه السفر؛ لأنه يظهر به ما لم يكن
ظهر^(٤)، وينكشف به ما لم يكن انكشف.

والسَّفَرَةُ: طعام السفر، وبه سُمِّيت الجلدة التي يحمل فيها الطعام
سَفَرَةً.

(١) انظر: مسند أحمد ٥: ٢٤٦، وتفسير الطبري ٣: ١٥٨، ومستدرک الحاكم ٢:
٢٧٤، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٦٢٢/٣٠٤.

(٢) تفسير الطبري ٣: ١٥٩.

(٣) ديوانه ٢: ٧٠، ونسبه إليه الجوهري في الصحاح ١: ٣١٨، وابن منظور في
لسان العرب ٢: ٢٨٥ «زبرج». واستشهد الخليل به في العين ٧: ٢٤٦، ولم ينسبه
لأحد. وصدر البيت:

وَحِينَ يَبْعَثُ الرِّيَاحَ رَهَجًا

ومعنى البيت: جاءت الخيلُ تثير الغبار، كما سَفَرَتِ الشَّمَالُ الزُّبُرَجَ، وهو الغيم
الخفيف. والرياح والرهج: الغبار. وسَفَرُ الشَّمَال: أي قشرها هذا الزُّبُرَجَ، وهو الغيم
الصغار الرقاق في السماء.

والشاهد فيه: استعمل الشاعر «سَفَرُ الشَّمَال» بمعنى قَشَرِهَا الغيوم.

(٤) في «هـ»: يظهر منه ما لم يظهر لأحد.

وَالْمِسْفَرَةُ: الْمِكْنَسَةُ.

وَالسَّفِيرُ: الدَّخَلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِلصَّلَاحِ.

وَالسَّفِيرُ: وَرَقٌ ^(١) الشَّجَرِ إِذَا سَقَطَ.

وَسَفَرَ فُلَانٌ شَعْرَهُ: إِذَا اسْتَأْصَلَهُ عَنْ رَأْسِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ ^(٢) أَيِ مُشْرِقَةٍ مُّضِيئَةٍ ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ ^(٣) أَيِ أَضَاءَ، وَالْأَسْفَارُ: جَمْعُ سَفَرٍ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ^(٤) أَيِ كَتَبَةٍ ^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ يُقَالُ: طَاقَ يَطُوقُ طَوْقاً وَطَاقَةً وَهِيَ الْقُوَّةُ، وَأَطَاقَهُ إِطَاقَةً طَاقَةً أَيْضاً: إِذَا قَوِيَ عَلَيْهِ، وَطَوْقُهُ نَطْوِيقاً: أَلْبَسَهُ الطَّوْقَ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ ذَهَبٍ كَانَ أَوْ فِضَّةً؛ لِأَنَّهُ يُكْسَبُهُ قُوَّةٌ بِمَا يُعْطِيهِ مِنَ الْجَلَالَةِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ اسْتَدَارَ فَهُوَ طَوْقٌ، كَطَوْقُ الرَّحَى الَّذِي يُدِيرُ الْقُطْبَ، مُشَبَّهٌ بِالطَّوْقِ الْمَعْرُوفِ فِي الصُّورَةِ.

وَتَطَوَّقَتِ الْحَيَّةُ عَلَى عُنُقِهَا ^(٦)، أَيِ صَارَتْ كَالطَّوْقِ فِيهِ.

وَالطَّاقَةُ: شُعْبَةٌ مِنْ رِيحَانٍ أَوْ شَعَرٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَالطَّاقُ: عَقْدُ الْبِنَاءِ حَيْثُ مَا كَانَ، وَالْجَمْعُ الْأَطَوَاقُ، وَذَلِكَ لِقُوَّتِهِ،

(١) مَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ «هـ» وَ«و» (خ ل) وَالْحَجَرِيَّةُ وَالْمَصَادِرُ، وَفِي بَقِيَةِ النُّسخِ: دَق.

(٢) سُورَةُ عَبَسَ ٨٠: ٣٨.

(٣) سُورَةُ الْمَذْتَرِ ٧٤: ٣٤.

(٤) سُورَةُ عَبَسَ ٨٠: ١٥.

(٥) انْظُرْ: الْعَيْنَ ٧: ٢٤٦، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١٢: ٣٩٩، وَالْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ ٨: ٣٠٨،

وَالْمَحْكَمَ ٨: ٤٧٨، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ٤: ٣٦٧، «سَفَرٌ».

(٦) كَذَا فِي النُّسخِ، وَفِي الْمَصَادِرِ اللَّغَوِيَّةِ: عُنْقُهُ، وَهُوَ الْمُنَاسِبُ.

٣٠٨ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

وَطَوَّقَهُ الْأَمْرَ : إِذَا جَعَلَهُ كَالطَّوْقِ فِي عُنْقِهِ ^(١) .

وقال الحسن وأكثر أهل التأويل : إنَّ هذا الحكم كان في المراضع والحوامل والشيخ الكبير ، فنُسِخَ من الآية المراضع والحوامل ، وبقي الشيخ الكبير ^(٢) .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : « ذَلِكَ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ يَطْعَمُ لِكُلِّ يَوْمٍ ^(٣) مَسْكِينًا » ^(٤) .

منهم مَنْ قَالَ : نَصَفَ صَاعَ ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ ^(٥) .

وقال الشافعي : مُدٌّ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ ^(٦) .

وعندنا إِنْ كَانَ قَادِرًا فَمُدَّانَ ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَى مُدٍّ أَجْزَأُهُ .

وقال السُّدِّيُّ : لَمْ يَنْسَخْ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى : وَعَلَى الَّذِينَ كَانُوا يَطْبِقُونَهُ ^(٧) .

وقوله تعالى : « فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا » يعني أطعم أكثر من مسكين في

(١) انظر اشتقاقات الكلمة في : العين ٥ : ١٩٣ ، وتهذيب اللغة ٩ : ٢٤٤ ، والمحيط

في اللغة ٥ : ٤٨٠ ، والمحكم ٦ : ٥٣٣ ، ولسان العرب ١٠ : ٢٣١ « طوق » .

(٢) انظر : تفسير الحسن البصري ٢ : ٢٠٦/١٠٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٥٩٢ ،

وأحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٦ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٣٨ .

(٣) في « ه » زيادة : ستين .

(٤) انظر : الكافي ٤ : ٥/١١٦ ، وفيه : « ... فَعَلَيْهِمْ لِكُلِّ يَوْمٍ مُدٌّ » ، وروي عن

الإمام الباقر عليه السلام في الكافي ٤ : ٤/١١٦ ، والفتحية ٢ : ١٩٤٧/١٣٣ ، والتهذيب ٤ :

٣٣٨/٦٩٧ ، والاستبصار ٢ : ٣٣٨/١٠٤ ، وفيها أيضاً : فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمُدٍّ .

(٥) الحجة على أهل المدينة ١ : ٣٩٧ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٨ ، المبسوط

للسرخسي ٣ : ١٠٠ .

(٦) مختصر المزني : ٥٨ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٨ .

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ١٦٩ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٣٩ .

قول ابن عباس^(١)، وعمل برأ في جميع الدين في قول الحسن^(٢)، وهو أعم فائدة.

ومنهم مَنْ قال: مَنْ جمع بين الصوم والصدقة، ذهب إليه ابن شهاب^(٣).

والهاء في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ - عند أكثر أهل العلم - عائدة على الصوم^(٤)، وهو الأقوى.

وقال قوم: عائدة على الفداء^(٥)؛ لأنه معلوم وإن لم يَجْر له ذِكْرٌ. والمعنى بقوله: ﴿الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال: أولها: أنه سائر الناس مَنْ شاء صام، وَمَنْ شاء أفطر وافتدى لكل يومٍ إطعام مسكين، حتى تُسَخ ذلك، في قول ابن عباس والشَّعْبِي. ثانيها: قال الحسن وعطاء: إنه في الحامل والمرضع والشيخ الكبير، فُسِّخ من الآية الحامل والمرضع، وبقي الشيخ الكبير. ثالثها: قال السُّدِّي: إنه فيمن كان يطيقه إذا صار إلى حال العجز عنه^(٦).

(١) انظر: تفسير ابن عباس: ٢٥، وتفسير الطبري ٣: ١٨٣.
 (٢) انظر: التهذيب في التفسير ١: ٧٦٢، ومجمع البيان ٢: ٢٨، وفي تفسير الحسن البصري ٢: ٢٠٨/١١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٦٤٢/٣٠٩ نحو قول ابن عباس.
 (٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣: ١٨٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ٣٠٩.
 (٤) انظر: معاني القرآن للفراء ١: ١١٢، ومعاني القرآن للأخفش: ١٥٨، ومعاني القرآن للزجاج ١: ٢٥٢، وأحكام القرآن للجصاص ١: ١٧٩.
 (٥) نقله الفراء في معاني القرآن ١: ١١٢، والجصاص في أحكام القرآن ١: ١٧٩، ونقله الجشمي في التهذيب في التفسير ١: ٧٦١ عن الحسن والأصم وأبي مسلم.
 (٦) راجع الأقوال الثلاثة والقائلين بها: تفسير الطبري ٣: ١٦٤ - ١٦٩، وتفسير ابن

٣١٠ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

و﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ الظاهر والأليق أنها للجزاء، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي.

وما زوي في الشواذ من قراءة مَنْ قرأ^(١) ﴿يُطَوَّقُونَهُ﴾^(٢) قيل فيه قولان:

أحدهما: يُكَلِّفُونَهُ على مشقة فيه، وهُمْ لا يُطِيقُونَهُ لصعوبته.
الثاني: أن يكون معناه: يلزمونه، وهُم الذين يطيقونه^(٣)، فيؤول إلى معنى واحد.

ومَنْ قرأ ﴿فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ﴾ على إضافة الفدية، وجمع المساكين، عن ابن عامر ونافع^(٤)، فإن معنى قراءته تؤول إلى قراءة مَنْ ينون ﴿فِدْيَةَ طَعَامِ مَسْكِينٍ﴾؛ لأن المعنى: لكل يوم يُفطر طعام مسكين. والأول يفيد هذا أيضاً؛ لأنه إذا قيل: إطعام مساكين للأيام، بمعنى لكل يوم مسكين، صار المعنى واحداً.

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: إن القدرة مع الفعل^(٥)؛ لأنه لو كانت الاستطاعة مع الفعل الذي هو الصيام، لسقطت عنه الفدية، لأنه إذا صام لم يجب عليه فدية.

طأبي حاتم ١: ١٦٣٤/٣٠٧ - ١٦٤٠، وتفسير الثعلبي ٤: ٤٢٢ - ٤٢٧، وتفسير الماوردي ١: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(١) في «هـ»: عَمَنْ قرأ، بدل: من قراءة مَنْ قرأ.
(٢) انظر: شواذ القرآن لابن خالويه: ١٩، والمحتسب ١: ١١٨، وفي «هـ» زيادة: بالتشديد.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣: ١٧٢ - ١٧٤، والتذهيب في التفسير ١: ٧٥٩.
(٤) تقدّم ذكر هذه القراءة عند أول تفسير الآية.
(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ١٧٩، والذريعة للسيد المرتضى ١: ١٧٢.

وقوله: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ رفع ﴿خَيْرٌ﴾؛ لأنه خبر المبتدأ^(١)، وتقديره: وصومكم خير لكم، كأن هذا مع جواز الفدية، فأما بعد النسخ فلا يجوز أن يقال: الصوم خير من الفدية، مع أن الإفطار لا يجوز أصلاً.

قوله تعالى:

﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
 (١٨٥) آية واحدة بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها^(٢).

قال أبو العباس: أَكْمَلْتُ وَكَمَلْتُ بمعنى واحد، إلا أن في التشديد مبالغة^(٣)، ومن قرأ بالتخفيف فلقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤).
 الشهر معروف، وجمعه: الأشهر والشهور.
 والشهرة: ظهور الأمر في شئنة، وشهرت الحديث: أظهرته.
 وشهر فلان سيفه: إذا انتضاه.

(١) ما أثبتناه من الحجرية، وفي بقية النسخ: الابتداء.

(٢) السبعة في القراءات: ١٧٦، حجة القراءات: ١٢٦، الحجة للقراء السبعة ٢: ٢٧٤.

(٣) انظر: المقتضب ٢: ١١٧ - ١١٨.

(٤) سورة المائدة ٥: ٣.

والمُشْهِر: الذي أتى عليه شهر.

وَأَشْهَرَتِ الْمَرْأَةُ: إذا دخلت في شهر ولادها^(١).

وَأَتَانُ شَهِيرَةً: أي عريضة ضخمة.

والمُشَاهَرَةُ: المعاملة شهراً بشهر.

وسُمِّي الشهر شهراً؛ لاشتغاره بالهلال.

وأصل الباب: الظهور^(٢).

وقال ابن دريد: الرَّمَضُ: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، والأرض رَمَضَاء، وَرَمَضَ يَوْمُنَا رَمَضاً: إذا اشتدَّ حرُّه، ورمضان من هذا اشتقاقه؛ لأنَّهم سَمَوْا الشهور بالأزمنة التي فيها، فوافق رمضان أيامَ رَمَضٍ الحرِّ، وقد جمعوا رَمَضَانَ رَمَضَانَات^(٣).

وقال صاحب العين: والرَّمَضُ: حُرْقَةُ غَيْظٍ^(٤)، تقول: أَرَمَضَنِي هذا الأمرُ، وَرَمَضْتُ لَهُ. والرَّمَضُ: مَطَرٌ يكون قبل الخريف^(٥).

وأصل الباب: شدة الحرِّ^(٦).

(١) ما أثبتناه من «ح» و«ي» والمصادر اللغوية، وفي «هـ» و«و»: ولادتها.

قال في المصباح المنير: ٦٧١ «ولد»: الولادة: وضعُ الوالدة ولدها، والولاد - بغير هاء -: الحمل، يقال: شاةٌ وُلِدَ، أي حامل بينة الولادة.

(٢) انظر اشتقاق هذه اللفظة ومعانيها في: العين ٣: ٤٠٠، والتعذيب في اللغة ٦:

٧٩، والمحيط في اللغة ٣: ٣٩٠، والمحكم ٤: ١٨٤، ولسان العرب ٤: ٤٣١

«شهر».

(٣) الجمهرة ٢: ٧٥١ «رمض».

(٤) في المصدر: حُرْقَةُ القَيْظِ.

(٥) العين ٧: ٣٩ «رمض».

(٦) انظر أيضاً: تعذيب اللغة ١٢: ٣٢، والمحيط في اللغة ٨: ١٧، والمحكم ٨:

٢٠٢ «رمض».

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ رفع لأحد ثلاثة أشياء :

أولها : أن يكون خبر ابتداء محذوف ، يدل عليه ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وتقديره : هي ^(١) شهر رمضان .

الثاني : على ما لم يُسم فاعله ، ويكون بدلاً من الصيام ، وتقديره : كُتِبَ عليكم الصيامُ شهرَ رمضان .

الثالث : أن يكون مبتدأ وخبره ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

ويجوز في العربية : شهرَ رمضان - بالنصب - من وجهين :
أحدهما : صوموا شهرَ رمضان .

والآخر : على البدل من أيام .

وقوله : ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن : إن الله تعالى أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم أنزل على النبي ﷺ بعد ذلك نجوماً ^(٢) ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ^(٣) .

والثاني : أنه ابتداء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان ^(٤) .

(١) في «هـ» : هو .

(٢) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٥ ، وتفسير الطبري ٣ : ١٨٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٦٥٠/٣١٠ ، وتفسير الطبراني ١ : ٣٠٥ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٤٤٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٠٢ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ١٨٥/١٨٩ ، الكافي ٢ : ٦/٤٦٠ ، أمالي الصدوق : ٥/١١٩ «المجلس الخامس عشر» .

(٤) رواه الطبراني في تفسيره ١ : ٣٠٦ ، بلا نسبة ، ونسبه الجشمي في تهذيب التفسير ١ : ٧٦٦ إلى أبي إسحاق .

فإن قيل : كيف يجوز إنزاله كله في ليلة واحدة^(١) ، وفيه الإخبار عما كان ، ولا يصلح ذلك قبل أن يكون ؟

قلنا : يجوز ذلك في مثل قوله : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٢) وقوله : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٣) على : إذا كان وقت كذا أنزل ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٤) أي : إذا كان يوم القيامة ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ موضعه نصب على الحال ، كأنه قال : أنزل فيه القرآن هادياً للناس ، ولا يحتمل سواه ؛ لقوله : ﴿وَبَيَّنَّتْ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ .

والقرآن^(٥) اشتقاقه : قرأ يقرأ قراءةً ، وأقرأه إقرأه ، وقال صاحب العين : رجل قارئ ، أي عابد ناسك ، وفعله التَّقرُّي والقراءة ، وأقرأت المرأة : إذا حاضت ، وقَرأتِ^(٦) الناقة : إذا حَمَلَتْ^(٧) .
والقُرءُ : الحيض ، وقد جاء بمعنى الطهر .

(١) واحدة ، أثبتناها من «د» ، وبدلها في بقية النسخ : القدر ، ولم يرد كلاهما في الحجرية .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٢٣ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٢٥ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٥) والقرآن ، أثبتناه من الحجرية ، ولم يرد في بقية النسخ .

(٦) في المصدر : قَرَوْتُ ، وفي المحيط في اللغة ٦ : ٩ ، والمحكم ٦ : ٤٧١ «قرأ» كما أثبتناه .

(٧) العين ٥ : ٢٠٥ «قرء» .

وأصل الباب : الجمع ؛ لقولهم : ما قَرَأَتِ الناقة سَلَى قَطً ، أي ما جمعت رحمها على سَلَى قَطً . وفلان قَرَأً ، لأنه جمع الحروف بعضها إلى^(١) بعض ، والقُرْءُ : الحَيْضُ ؛ لاجتماع الدم في ذلك الوقت .
﴿وَالْفُرْقَانُ﴾ : هو الذي يَفَرِّقُ بين الحقِّ والباطل ، والمراد به القرآن هاهنا .

وقوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ قيل في معناه قولان : أحدهما : مَنْ شَاهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ مُقِيمًا .
والثاني : مَنْ شَهِدَهُ ، بأن^(٢) حضره ، ولم يغب ؛ لأنه يقال : شَاهَدَ بمعنَى حَاضِرٍ ، ويُقال : شَاهِدَ بمعنَى مُشَاهِدٍ^(٣) .

وروي عن ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد وجماعة من المفسرين - ورووه عن عليٍّ عليه السلام - أنهم قالوا : مَنْ شَهِدَ الشَّهْرَ : بأن دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه أن يصوم الشهر كله ، وإن سافر فيها بعدُ فليصم في الطريق ، ولا يجوز له الإفطار^(٤) .

وعندنا أن مَنْ دخل عليه الشهر كره له أن يسافر حتى يمضي (ثلاث وعشرون من الشهر)^(٥) إلا أن يكون سَفَرًا واجبًا كالْحَجِّ ، أو تَطَوُّعًا كالزَّيَارَةِ ،

(١) في «ه» : مع .

(٢) في «ه» : أي .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٦ : ٧٢ ، ولسان العرب ٣ : ٢٣٨ «شهد» . وفي «و» و«ي» : شاهد ، بدل : مشاهد .

(٤) رواها عنهم أيضاً الطبري في تفسيره ٣ : ١٩٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٦٥٦/٣١١ ، والطبراني في تفسيره ١ : ٣٠٩ ، والثعلبي في تفسيره ٤ : ٤٧٣ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٤٠ .

(٥) بدل ما بين القوسين في «و» و«ه» : عليه ثلاث وعشرون يوماً .

فإن لم يفعل وخرج قبل ذلك كان عليه الإفطار، ولم يجزئه الصوم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾:

ناسخ القدية على قول مَنْ قال بالتخير، وناسخ للقدية أيضاً في الأمراض والحوامل عند مَنْ ذهب إليه، وبقي الشيخ الكبير له أن يطعم، ولم يُنسخ.

وعندنا أنَّ المرضعة والحامل إذا خافتا على ولديهما أفطرتا وكفرتا، وكان عليهما القضاء فيما بعد إذا زال العذر، وبه قال جماعة من المفسرين، كالطبري وغيره^(١).

وقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ قد بينّا أنه يدل على وجوب الإفطار في السفر؛ لأنه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض. وكلّ مَنْ قال ذلك أوجب الإفطار.

ومَنْ قَدَّر في الآية^(٢): أو على سفر فأفطر فعِدَّة من أيامٍ أُخر، زاد في الظاهر ما ليس فيه.

فإن قيل: هذا كقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾^(٣) ومعناه: فَحَلَقَ.

قلنا: إنّما قَدَرنا هناك: فَحَلَقَ؛ للإجماع على ذلك، وليس هاهنا إجماع، فيجب أن لا نترك الظاهر ولا نزيد فيه ما ليس فيه.

(١) انظر: تفسير الطبري ٣: ١٧٩، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٦٣٤/٣٠٧ - ١٦٣٨، وأحكام القرآن للجصاص ١: ١٨٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ٢٠١، وتفسير الطبراني ١: ٣٠٩، وتفسير الشعلبي ٤: ٤١٤، وتفسير الماوردي ١: ٢٤١.

(٣) سورة البقرة ٢: ١٩٦.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ قال صاحب العين: الإرادة: أصلها الواو؛ لأنك تقول: رَاوَدْتُهُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وكذا مرادة^(١).

ومنه رَادَ يَرُوْدُ رَوْدًا، فهو رائد، بمعنى الطالب شيئاً.

ويقال: أَرَوَدَ فلانٌ إِرْوَادًا: إذا رفق في مشي أو غيره، ومنه رُوِيْدًا فلاناً، أي أَمِهْلُهُ يَنْفَتَحُ مَنْصَرَفًا^(٢)، ومنه^(٣) اِرْتَادَ اِرْتِيَادًا، كقولك: طَلَبَ طَلْبًا. والمِرْوَد: المِثْل^(٤).

وفي المثل: الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ^(٥)، أي الطالب صلاحهم لَا يَكْذِبُهُمْ؛ لأنه لو كذبهم غشهم.

وأصل الباب: الطَّلَب، والإرادة بمنزلة الطلب للمراد؛ لأنها كالسبب له^(٦).

وَالْيُسْرُ: ضِدُّ الْعُسْرِ، يقال: أَيْسَرَ إِنْسَارًا، وَيَسَّرَهُ تَيْسِيرًا، وَتَيْسَّرَ تَيْسَرًا، وَتَيَّاسَرَ تَيَّاسَرًا، وَاسْتَيْسَرَ اسْتَيْسَارًا.

وَالْيَسَارُ: الْيَدُ الْيُسْرَى، وَالْيَسَارُ: الْغِنَى وَالسَّعَةِ^(٧).

وَالْيُسْرُ: الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْجُزُورِ فِي الْمَيْسِرِ، وَالْجَمْعُ: الْأَيْسَارُ.

(١) العين ٨: ٦٤ «رود».

(٢) في «ح» و«ي» والحجرية: يَنْفَسَحُ مَنْصَرَفًا، وفي «هـ»: بِالْفَتْحِ مَنْصَرَفًا، وفي «و»: يَنْفَتِحُ مَنْصَرَفًا.

(٣) في «هـ» و«و»: وَمِثْلُهُ.

(٤) في «هـ» و«و»: اللَّيْلُ. وَهُوَ مُصَحَّفٌ حَتْمًا.

(٥) ذكره أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١: ٤٧٢.

(٦) انظر: تهذيب اللغة ١٤: ١٦٠، والمحكم ٩: ٤٢٠، ولسان العرب ٣: ١٨٧.

«رود»، وفي المحيط في اللغة ٩: ٣٤٧ «ريد».

(٧) والسعة، لم ترد في «هـ» و«و».

وفرس حَسَنُ التَّيْسُورِ: إذا كان حَسَنَ السَّمَنِ .

وأصل الباب: السُّهُولة^(١) .

والْعُسْرُ: ضِدُّ الْيُسْرِ، وَعُسِرَ الشَّيْءُ عُسْرًا، وَرَجُلٌ عَسِيرٌ: بَيْنَ الْعَسْرِ .

وَرَجُلٌ أَعْسَرُ: يَعْمَلُ بِشِمَالِهِ .

وَأَعْسَرَ الرَّجُلُ إِعْسَارًا: إِذَا افْتَقَرَ، وَالْعَسِيرُ: النَّاقَةُ الَّتِي اغْتَاصَتْ

فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْ سِسْتِهَا، وَبَعِيرٌ عَيْشَرَانُ: إِذَا رُكِبَ قَبْلَ أَنْ يُرَاضَ .

وأصل الباب: الصعوبة^(٢) .

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَكْمِلُوا أَلْعِدَّةَ﴾ يقال: كَمَّلَ^(٣) يَكْمُلُ كَمَالًا،

وَأَكْمَلَ إِكْمَالًا، وَتَكَامَلَ تَكَامُلًا، وَكَمَلَهُ تَكْمِيلًا، وَاسْتَكْمَلَ اسْتِكْمَالًا،

وَتَكَمَّلَ تَكْمُلًا .

أصل الباب: الكَمَالُ، وهو التَّامُّ^(٤) .

وعطف باللام في قوله تعالى: ﴿وَلِتَكْمِلُوا أَلْعِدَّةَ﴾ على أحد أمرين:

أحدهما: عطف جملة على جملة؛ لأنَّ بعده محذوفًا، كأنه قال:

ولتكمّلوا العدةَ شرع ذلك أو أريد ذلك^(٥)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

نُورِيْ إِبْرَاهِيْمَ مَلَكُوْتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُؤَقِّنِيْنَ﴾^(٦) أي:

(١) انظر: تهذيب اللغة ١٣: ٥٧، والصحاح ٢: ٨٥٧، والمحكم ٨: ٥٧٤، ولسان العرب ٥: ٢٩٥ «يسر» .

(٢) انظر: العين ١: ٣٢٦، والمحيط في اللغة ١: ٣٥٦، والصحاح ٢: ٧٤٤، والمحكم ١: ٤٧٤، ولسان العرب ٤: ٥٦٣ «عسر» .

(٣) قال الجوهري: والكسر أردؤها .

(٤) انظر: العين ٥: ٣٧٨، والتهذيب في اللغة ١٠: ٢٦٤، والمحيط في اللغة ٦: ٢٧٣، والصحاح ٥: ١٨١٣، ولسان العرب ١١: ٥٩٨ «كمل» .

(٥) في «هـ»: أراد بذلك، وفي «و»: ليُريك ذلك .

(٦) سورة الأنعام ٦: ٧٥ .

وليكون من الموقنين ^(١) أريناه ، هذا قول الفراء ^(٢) .

الثاني : أن يكون عطفاً على تأويل محذوف دلّ عليه ما تقدّم من الكلام ؛ لأنه لما قال : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ دلّ على أنه فعل ذلك ليسهل عليكم ، فجاز له عطف ^(٣) ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ عليه ، قال الشاعر :

بادتْ وَغَيْرَ أَيَّهِنَّ مع البلى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرَهُنَّ هَبَاءً
وَمُسَجَّجٍ أَمَا سَوَاءٌ قَدَالِهِ فَبَدَأَ وَغَيْرَ سَارَهُ الْمَغْزَاءُ ^(٤)

فعطف على تأويل الكلام الأول ، كأنه قال : بها رواكد ومشجج ، وهذا قول الزجاج ^(٥) ، وهو الأجود ؛ لأنّ العطف يعتمد على ما قبله ، لا على ما بعده .

وعطف الظرف على الاسم في قوله : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ جائز ؛ لأنه بمعنى الاسم ، وتقديره : أو مسافراً ، ومثله قوله : ﴿دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ ^(٦) كأنه قال : مضطجعا أو قاعداً أو قائماً .

(١) وليكون من المؤمنين ، لم يرد في «هـ» والحجرية .

(٢) معاني القرآن ١ : ١١٣ .

(٣) له عطف ، أثبتناه من «هـ» ، ولم يرد في بقية النسخ والحجرية .

(٤) البيتان استشهد بهما الخليل في كتاب الجمل في النحو : ١٤٥ ، وسيبويه في الكتاب ١ : ١٧٣ ، والزجاج في معاني القرآن ١ : ٢٥٤ .

ومعنى بادت : تغيرت وبلبت ، والآي : جمع آية ، وهي آثار الديار ، والبلى : تقادم العهد ، والهباء : الغبار ، والمشجج : الودت ، والقذال : أعلى الودت ، والسواء : الوسط ، وساره : جميعه ، والمغزاء : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة . والشاهد فيهما : عطف مشجج - المرفوع - على رواكد - المنصوب - على تقدير : فيها رواكد ومشجج ، أو بقيت رواكد ومشجج .

(٥) معاني القرآن ١ : ٢٥٤ .

(٦) سورة يونس ١٠ : ١٢ .

٣٢٠ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

والْيُسْر - المذكور في الآية - : الإفطار في السفر ، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك^(١) .

والْعُسْر : الصوم فيه وفي المرض .

والْعِدَّة المأمور بإكمالها ، والمراد بها أيام السفر والمرض الذي أمر بالإفطار فيها ، وقال الضحاك وابن زيد : عِدَّة ما أفطروا فيه^(٢) .

وقوله : ﴿وَلْتَكْبِرُوا لِلَّهِ﴾ :

المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات : المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الغداة وصلاة العيد على مذهبننا .

وقال ابن عباس وزيد بن أسلم وسفيان وابن زيد : التكبير يوم الفطر^(٣) .

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة من ثلاثة أوجه :

أحدها : قوله : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ فعمّ بذلك كل إنسان مكلف ، وهم يقولون : ليس يهدي الكفار^(٤) .

الثاني : قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ والمجبرة تقول : قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق ممّا لم يُعطه عليه قدرة ولا يُعطيه ، ولا عُسْر أعسر من ذلك .

(١) انظر : تفسير ابن عباس : ٢٥ ، وتفسير الطبري ٣ : ٢١٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٦٦٠/٣١٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٢٢ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٤١ .
(٢) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٣ : ٢٢٠ - ٢٢١ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٢٠٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٢١ - ٢٢٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٢٤ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٥٠٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦١٠ .

(٤) ما أثبتناه من «و» ، وفي بقية النسخ : للكفار .

الثالث : لو أنَّ إنساناً حمل نفسه على المشقة الشديدة التي يخاف معها التلف في الصوم لمرض شديد لكان عاصياً ، وكان قد حمل نفسه على العسر الذي أخبر الله أنه لا يريده بالعبد ، والمجبرة تزعم أنَّ كلَّ ما يكون من العبد من كفرٍ أو عُسِرٍ أو غير ذلك من أنواع الفعل يريده الله^(١).

(١) للاطلاع أكثر على عقيدة المجبرة الباطلة والردود عليها راجع : رسالة إنقاذ البشر من الجبر والقدر للشريف المرتضى ، المطبوعة ضمن رسائل العدل والتوحيد : ١٩٥ ، والذخيرة : ١٠٠ و ١٢٧ ، والملل والنحل : ٨٥ ، وغيرها .

مسائل من أحكام الصوم

يجوز قضاء شهر رمضان متتابعاً ومتفرقاً، والتتابع أفضل، وبه قال مالك والشافعي^(١). وقال أهل العراق: هو مخير^(٢).

ومن أفطر في شهر رمضان متعمداً بالجماع في الفرج لزمه القضاء والكفارة عندنا، والكفارة: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وبه قال أبو حنيفة والشافعي^(٣). وقال مالك: هو بالخيار^(٤)، وفي أصحابنا من قال بذلك^(٥).

والإطعام لكل مسكين نصف صاع عندنا، وبه قال أبو حنيفة، فإن لم يقدر فمُدٌّ، وبه قال الشافعي ولم يعتبر العجز^(٦).

فإن جامع ناسياً، فلا شيء عليه، وقال مالك: عليه القضاء^(٧). ومن أكل متعمداً أو شرب في نهار شهر رمضان لزمه القضاء والكفارة عندنا، وهو قول أبي حنيفة ومالك^(٨).

(١) الموطأ ١: ٣٠٤/ذيل الحديث ٤٨، مختصر المزني: ٥٨، أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٠٨.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٠٨.

(٣) الأم ٧: ٢٢٥، المجموع ٦: ٣٤٥، الهداية للمرغيناني ١: ١٣٤، بداية المجتهد ٢: ٣٩٤/المسألة الرابعة.

(٤) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: ١٢٤، المعونة ١: ٤٧٨، بداية المجتهد ٢: ٣٩٤/المسألة الرابعة.

(٥) كالمفيد في المقنعة: ٣٤٥، والمرتضى في الانتصار: ٦٩.

(٦) التهذيب للبغوي ٣: ١٧٠، بداية المجتهد ٢: ٣٩٥/المسألة الخامسة.

(٧) المدونة الكبرى ١: ٢٠٨، التفريع ١: ٣٠٥، بداية المجتهد ٢: ٣٩١/المسألة الثانية.

(٨) تحفة الفقهاء ١: ٣٥٥ و ٣٦١، بداية المجتهد ٢: ٣٨٩/المسألة الأولى.

وقال الشافعي : لا كفارة عليه ، وعليه القضاء ^(١) .

والناسي لا شيء عليه عندنا وعند أهل العراق والشافعي ^(٢) .

وقال مالك : عليه القضاء ^(٣) .

ومن أصبح جُنْباً متعمداً من غير ضرورة لزمه عندنا القضاء والكفارة .

وقال ابن حي ^(٤) : عليه القضاء استحباباً ، وقال جميع الفقهاء : لا شيء

عليه ^(٥) .

ومن ذَرَعَهُ ^(٦) القَيْءُ فلا شيء عليه ، فإن تعمده كان عليه القضاء ، وبه

قال أبو حنيفة والشافعي ومالك ^(٧) .

(١) الحاوي الكبير ٣ : ٤٢٠ ، البيان للعمرائي ٣ : ٥١٥ ، بداية المجتهد ٢ : ٣٨٩ / المسألة الأولى .

(٢) الحاوي الكبير ٣ : ٤٢٠ ، تحفة الفقهاء ١ : ٣٥٢ ، البيان للعمرائي ٣ : ٥١٢ ، الهداية للمرغيناني ١ : ١٣٢ .

(٣) المدونة الكبرى ١ : ٢٠٨ ، التفریع ١ : ٣٠٥ ، الإشراف لعبد الوهاب ١ : ٤٣٢ .

(٤) هو الحسن بن صالح بن صالح بن حَيٍّ ، أبو عبدالله ، الفقيه ، الهمداني ، أخو علي بن صالح ، ولد سنة مائة ، ومات سنة سبع وستين ومائة ، روى عن : أبان البصري ، وإبراهيم البجلي ، والأجلح ، وغيرهم ، وروى عنه : الجراح بن مليح ، وحמיד الرؤاسي ، وعبدالله بن المبارك ، وغيرهم .

له ترجمة في : تهذيب الكمال ٦ : ١٧٧ / ١٢٣٨ ، والوافي بالوفيات ١٢ : ٤٥ / ٥٩ ، والجواهر المضيئة ١ : ٤٥١ / ٦١ .

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٩١ ، والخلاف للمصنف ٢ : ١٧٤ ، والمغني لابن قدامة ٣ : ٧٥ ، والمجموع ٦ : ٣٠٧ ، والشرح الكبير لابن قدامة ٣ : ٥٤ ، وتذكرة الفقهاء ٦ : ٢٦ .

(٦) أي إذا غلبه وسبق إلى فيه . انظر : لسان العرب ٨ : ٩٥ «ذرع» ، واختلفت نُسختنا في ضبط هذه الكلمة بين : درعه ، ودرته ، وذراه .

(٧) الأم ٢ : ٩٧ ، الموطأ ١ : ٣٠٤ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٩٠ ، تحفة الفقهاء ١ : ٣٥٧ ، بداية المجتهد ٢ : ٣٩٩ / المسألة السابعة .

وقال الأوزاعي^(١): إن غلبه فعليه القضاء بلا كفارة، وإن استدعاه فعليه القضاء والكفارة^(٢).

ومن أكل حصي أو نوى متعمداً فعليه القضاء والكفارة، وبه قال مالك والأوزاعي^(٣).

وقال أهل العراق: عليه القضاء بلا كفارة^(٤).

وقال ابن حي: لا قضاء ولا كفارة^(٥).

وإذا احتلم الصبي يوم النصف من شهر رمضان صام ما بقي، ولا قضاء عليه فيما مضى، ويمسك بقية يومه تأديباً، فإن أفطر فيه فلا قضاء عليه، وبه قال أهل العراق^(٦).

وقال مالك: أحب إلي أن يقضي ذلك اليوم، وليس بواجب^(٧).

(١) هو عبدالرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، أبو عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام وفقههم وعالمهم، كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً إلى أن مات، وقيل: كان مولده ببعلبك. حدث عن: الإمام الباقر عليه السلام ومكحول وقتادة والزهري وغيرهم كثير. وروى عنه: الزهري وشعبة والثوري وغيرهم كثير. وكان مولده في حياة الصحابة في سنة ثمان وثمانين.

انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٧: ٤٨/١٠٧، وتاريخ الإسلام (١٤١) - ١٦٠ هـ: ٤٨٣، وشذرات الذهب ١: ٢٤١.

(٢) فقه الأوزاعي ١: ٣٩٢، بداية المجتهد ٢: ٣٩٩ المسألة السابعة، وفي المجموع ٦: ٣٢٠ عنه: إذا ذرعه القيء لا يبطل صومه.

(٣) بداية المجتهد ٢: ٣٩٩ المسألة السابعة، المجموع ٦: ٣٣٠.

(٤) تحفة الفقهاء ١: ٣٥٥، الهداية للمرغيناني ١: ١٣٤.

(٥) حكاه عنه الجصاص في أحكام القرآن ١: ١٩٠، والماوردي في الحاوي الكبير ٣: ٤٥٦.

(٦) أحكام القرآن للجصاص ١: ١٨٦، الهداية للمرغيناني ١: ١٣٧.

(٧) أحكام القرآن للجصاص ١: ١٨٦.

وقال الأوزاعي : يصوم ما بقي ويقضي ما مضى منه ^(١).

وحكم الكافر إذا أسلم حكم الصبي إذا احتلم في جميع ذلك .

والمجنون والمغمى عليه في الشهر كله لا قضاء عليه عندنا ؛ بدلالة قوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وإنما أراد : مَنْ شهد الشهر وهو مِمَّن يتوجّه إليه الخطاب ، والمجنون والمغمى عليه ليس بعاقلي يتناوله ^(٢) الخطاب .

وقوله : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ المراد به إذا ^(٣) كان مريضاً عاقلاً يشقّ عليه الصوم ، أو يخاف على نفسه منه ، فيلزمه ﴿عِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ .

وقال أهل العراق : إن لم يفق المجنون في جميع الشهر فلا قضاء عليه ، وإن أفاق في بعضه فعليه قضاؤه كله .

وأما المغمى عليه في الشهر كله فعليه قضاؤه ؛ لأنه بمنزلة المريض .

وقال الحسن بن صالح ومالك : المجنون والمغمى عليه سواء ، عليه قضاء الشهر كله إن جنّ في الشهر كله وأغمي عليه فيه .

وقال الأوزاعي : المجنون والمغمى عليه سواء ، لا قضاء على واحدٍ منهما ما مضى من الشهر ، ويقضي ما بقي منه ، فإن أفاق بعد ما خرج الشهر كله فلا قضاء عليه ، وهذا مثل ما قلناه .

(١) رواه عنه الجصاص في أحكام القرآن ١ : ١٨٦ .

(٢) في «هـ» و«وُ» : يعامل بتناوله .

(٣) في «هـ» : مَنْ .

وقال الشافعي : يقضي المغنم عليه ولا يقضي المجنون^(١) .

والحامل والمرضع والشيخ الكبير إذا أفطروا ، قال أهل العراق في الحامل والمرضع يخافان على ولدهما : يفطران ، ويقضيان يوماً مكانه ، ولا صدقة عليهما ولا كفارة^(٢) ، وبه قال قوم من أصحابنا^(٣) .

وقال مالك : الحامل تقضي ولا تُطعم ، والمرضع تقضي وتطعم لكل^(٤) يوم مَدًّا^(٥) .

وقال الشافعي في رواية المزني^(٦) : عليهما القضاء في الوجهين ،

(١) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٨٤ ، والحاوي الكبير ٣ : ٤٦٣ ، والمحلى ٦ : ٢٢٦ ، والهداية للمرغيناني ١ : ١٣٨ ، والمغني لابن قدامة ٣ : ٣٢ ، ٥٥ ، وبداية المجتهد ٢ : ٣٨٠ ، والمجموع ٦ : ٢٥٤ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٨٠ ، الهداية للمرغيناني ١ : ١٣٧ .

(٣) انظر : مختلف الشيعة ٣ : ٥٥٠ ، وقال العلامة بعد نقله كلام ابن الجنيدي : وهو يُشعر باستحباب الصدقة .

(٤) في «هـ» : عن كل .

(٥) المدونة الكبرى ١ : ٢١٠ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٨٠ ، الاستذكار ١٠ : ٢٢٣ ، بداية المجتهد ٢ : ٣٨٥ .

(٦) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري ، تلميذ الشافعي ، مولده سنة خمس وسبعين ومائة ، سنة موت الليث بن سعد ، حدث عن الشافعي ، وعلي بن مَعْبُد ، ونعيم بن حَمَاد وغيرهم ، وهو قليل الرواية ، ويُعدّ رأساً في الفقه ، حدث عنه : أبو بكر بن خزيمة ، وأبو الحسن بن جَوْصَا ، وأبو جعفر الطحاوي وغيرهم ، مات سنة أربع وستين ومائتين ، له كتب كثيرة منها المختصر ، والجامع الكبير ، والجامع الصغير وغيرها .

له ترجمة في : سير أعلام النبلاء ١٢ : ١٨٠/٤٩٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٢٠/٩٣ .

وَتُطْعَم لِكُلِّ يَوْمٍ مُدًّا^(١)، وهو مذهبنا والمعمول عليه .

وفي رواية البُؤَيْطِي^(٢) عن الشافعي مثل قول مالك^(٣) .

والشيخ الكبير الذي لا يطبق الصوم يفطر ويتصدق مكان كل يوم نصف صاع في قول أهل العراق^(٤)، وهو مذهبنا .

وقال الشافعي : مُدٌّ لِكُلِّ يَوْمٍ^(٥) .

وقال مالك : يفطر ولا صدقة عليه^(٦) .

والسفر الذي يوجب الإفطار ما كان سفرًا حسنًا، وكان مقداره ثمانية فراسخ أربعة وعشرين^(٧) ميلًا، وعند الشافعي ستة عشر فرسخًا، وعند

(١) مختصر المزني : ٥٧ ، الاستذكار ١٠ : ٢٢٣ .

(٢) هو يوسف بن يحيى ، أبو يعقوب البُؤَيْطِيّ المصري الفقيه ، صاحب الشافعي ، سمع عبدالله بن وهب ومحمد بن إدريس الشافعي ، روى عنه أبو إسماعيل الترمذي وإبراهيم بن إسحاق الحربي وغيرهم ، قال الربيع : كان أبو يعقوب من الشافعي بمكان مكين ، وكان قد حُيِّلَ إلى بغداد في أيام محنة خَلَقَ القرآن ، وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الإجابة إلى ذلك ، فحبس ببغداد ومات في حبسه في شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

له ترجمة في : تاريخ مدينة السلام ١٦ : ٧٥٦٥/٤٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢ : ١٣/٥٨ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٣٩/١٦٢ .

(٣) رواها أيضاً ابن عبد البر عنه في : الاستذكار ١٠ : ٢٢٣ .

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٨ ، والمحلى ٦ : ٢٦٥ ، والهداية للمرغيناني ١ : ١٣٧ .

(٥) الأم ٢ : ١٠٤ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٨ .

(٦) المدونة الكبرى ١ : ٢١٠ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ١٧٨ ، بداية المجتهد ٢ : ٣٨٦ .

(٧) في «هـ» وهي أربعة وعشرون .

أبي حنيفة: أربعة وعشرون فرسخاً^(١).

وقال داؤد: قليله وكثيره يوجب الإفطار^(٢).

والمرض الذي يوجب الإفطار ما يخاف معه التلف أو الزيادة المفرطة في مرضه.

وروي أنه كلّ مريض لا يقدر معه على القيام مقدار صلاته، وبه قال الحسن وعبيدة السلماني^(٣)، وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف^(٤).

ومن قال^(٥): إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ يدلّ على أن شهر

(١) انظر: الاستذكار ٦: ٨٧ - ٩٠، وتحفة الفقهاء ١: ١٤٨، والهداية للمريغيناني ١:

٨٦، وبداية المجتهد ١: ٤٧٧، والمجموع ٤: ٣٢٢، ومغني المحتاج ١: ٢٦٦.

(٢) انظر: المحلّى ٥: ٢، والاستذكار ٦: ٩٠، وبداية المجتهد ١: ٤٧٧، ٢: ٣٧٤.

(٣) انظر: تفسير الحسن البصري ٢: ٢١١/١١١ و٢١٢، وتفسير الطبري ٣: ٢٠٢.

(٤) الخلاف ٢: ١٦٠/كتاب الصوم.

(٥) القائل بأن شهر رمضان لا ينقص هو الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، حيث قال في الفقيه ٢: ١٧١/ذيل الحديث ٢٠٤٤، وبعد نقله لأحاديث دلّت على عدم نقصان شهر رمضان: قال مصنّف هذا الكتاب (عليه السلام): من خالف هذه الأخبار وذهب إلى الأخبار الموافقة للعامة في ضدها اتّقى كما يتّقى العامة، ولا يكلم إلا بالتقية، كائنًا من كان، إلا أن يكون مسترشدًا فيرشد ويبين له، فإن البدعة إنما تمت وتبطل بترك ذكرها، ولا قوة إلا بالله.

وقال أيضاً في الخصال ٢: ٥٣١/ذيل الحديث ٩: مذهب خواص الشيعة وأهل الاستبصار منهم في شهر رمضان أنه لا ينقص عن ثلاثين يوماً أبداً، والأخبار في ذلك موافقة للكتاب ومخالفة للعامة، فمن ذهب من ضعفة الشيعة إلى الأخبار التي وردت للتقية في أنه ينقص ويصيبه ما يصيب الشهور من النقصان والتمام اتقى كما تتقى العامة، ولم يكلم إلا بما يكلم به العامة، ولا قوة إلا بالله.

رمضان لا ينقص أبداً فقد أبعد من وجهين :

الأول : لأن قوله : ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ معناه : ولتكملوا عِدَّة الشهر سواء كان الشهر تاماً أو ناقصاً .

والثاني : أن ذلك راجع إلى القضاء ؛ لأنه قال عقيب ذكر السفر والمرض : ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني عِدَّة ما فاته ، وهذا بين .

قوله تعالى :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) آية بلا خلاف .
روي عن الحسن : أن سائلاً سأل النبي ﷺ : أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية .

قال قتادة : نزلت جواباً لقوم سألوا النبي ﷺ : كيف ندعو ؟ (١) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ :

معناه : إن اقتضت المصلحة إجابته وحسن ذلك ولم تكن فيه مفسدة ، فأما أن يكون قطعاً لكل من يسأل فلا بد أن يجيبه فلا ، على أن الداعي لا يحسن منه السؤال إلا بشرط أن لا يكون في إجابته مفسدة لاله ولا لغيره ،

وقد رد الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان على مذهب عدم النقصان برسالة المعروفة : جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية ، المطبوع ضمن مصنفاته في الجزء التاسع .

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٢٢ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٥١١ ، وتفسير الماوردي ١ :

وإلا كان الدعاء قبيحاً.

ولا يجوز أن تقيّد الإجابة بالمشيئة بأن يقول: إن شئت؛ لأنه يصير الوعد به لا فائدة فيه، فمن أجاز ذلك فقد أخطأ^(١).

فإن قيل: إذا كان لا يجيب دعاء^(٢) كل مَنْ دعا فما معنى الآية؟

قلنا: معناها: أن مَنْ دعا على شرائط الحكمة التي قدّمتها واقتضت المصلحة إجابته أوجب لا محالة، بأن يقول: اللهم افعل بي كذا إن لم يكن فيه مفسدة لي أو لغيري في الدين، أو ينوي^(٣) هذا في دعائه.

وفي الناس مَنْ قال: إن الله وعد بإجابة الدعاء عند مسألة المؤمنين دون الكفار والفاسقين^(٤).

والمعتمد هو الأول.

فإن قيل: إذا كان ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعل به، فلا معنى للدعاء.

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: أن ذلك عبادة كسائر العبادات، ومثله قوله: ﴿رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾^(٥).

والثاني: أنه لا يمتنع أن تقتضي المصلحة إجابته إذا دعا، ومتى

(١) ذكر هذا القول - تعلق الإجابة بالمشيئة - الطبري في تفسيره ٣: ٢٢٨، والثعلبي في تفسيره ٤: ٥١٦، ولم ينسبها لأحد.

(٢) دعاء، أثبتناه من «ه»، ولم يرد في بقية النسخ.

(٣) في الحجرية والطبعة النجفية ٢: ١٢٩: دنيوي.

(٤) ذكره الجشمي في التهذيب في التفسير ١: ٧٧٣ عن أبي علي، وكذلك يأتي عن المصنّف نسبه لأبي علي.

(٥) سورة الأنبياء ٢١: ١١٢.

لم يدع لم تقتض الحكمة إجابته .

فإن قيل : هل تجوز أن تكون الإجابة غير ثواب ؟

قلنا : فيه خلاف ، قال أبو علي : لا تكون إلا ثواباً ، لأنَّ مَنْ أجابه الله يستحق المدح في دين المسلمين ، فلا يجوز أن يجيب كافراً ولا فاسقاً .
وكان أبو بكر بن الأخشاذ^(١) يجيز ذلك في العقل على وجه الاستصلاح (كما يجوز من النبي ﷺ لو سأله بعض الكفار شيئاً حسناً أن يجيبه إليه على وجه الاستصلاح)^(٢) له^(٣) .

وهذا الوجه أقرب إلى الصواب .

والدُّعاء : طلب الطالب للفعل من غيره ، ويكون الدعاء لله على

وجهين :

أحدهما : طلب في مخرج اللفظ ، والمعنى على التعظيم والمدح والتوحيد ، كقولك : يا الله لا إله إلا أنت ، وقولك : ربَّنَا^(٤) لك الحمد .

الثاني : الطلب لأجل الغفران أو عاجل الإنعام ، كقولك : اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني وارزقني ، وما أشبه ذلك .

وقوله : ﴿ فَأَيُّ قَرِيبٍ ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما : أي قريب الإجابة ، أي سريع الإجابة ، فجاز ذلك لمشكلة معنى قريب لسريع^(٥) .

(١) انظر ما تقدّم في ضبط الاسم في ٢ : ٣٣ هامش (١) .

(٢) ما بين القوسين أثبتناه من «ح» ، ولم يرد في النسخ الأخرى .

(٣) رواه عنهما الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٧٣ .

(٤) في «هـ» زيادة : سبحانه .

(٥) في «هـ» : لسميع .

الثاني : أنه ^(١) قريب ؛ لأنه سمع دعاءهم كما يسمعه القريب المسافة منهم ، فجازت لفظة قريب ، لحسن ^(٢) البيان بها ^(٣) .

فأما قُرب ^(٤) المسافة فلا يجوز عليه تعالى ؛ لأنه من صفات المحدثات .

وقوله : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فالإجابة من الجَوْب ، وهو القطع ، يقال : جَابَ البلادَ يَجُوبُ جَوْبًا : إذا قطعها ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ ^(٥) أي قطعوه .

وأجاب الله دعاءه إجابةً ، وأجاب فلان عن السؤال جواباً ، واجتَابَ الظلامَ : أي قطعه .

واستَجَابَ له استِجَابَةً ، وجَاوَبَهُ مُجَاوَبَةً ، وَجَاوَبَ تَجَاوَبًا ، وانجَابَ السَّحَابُ : إذا انقَشَعَ .

وأصل الباب : القَطْع ^(٦) ، فإجابة السائل القطع بما سأل ؛ لأنَّ سؤاله على الوقف أيكون أم لا يكون .

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ هذه لام الأمر ، لا بد منها للغائب . فأما الحاضر فيجوز فيه إثباتها وإسقاطها ، كقولك : قُمْ وَلِتَقُمْ .

(١) أنه ، أثبتناه من «هـ» ، ولم يرد في بقية النسخ .

(٢) في «و» والحجرية : فحسن ، وما أثبتناه من «ح» و«هـ» .

(٣) انظر القولين وغيرهما في : تفسير الماوردي ١ : ٢٤٣ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٧١ .

(٤) في «هـ» : قريب .

(٥) سورة الفجر ٨٩ : ٩ .

(٦) انظر : العين ٦ : ١٩٢ ، وتهذيب اللغة ١١ : ٢١٨ ، والمحيط في اللغة ٧ : ٢٠٠ ،

ولسان العرب ١ : ٢٨٣ «جوب» .

والأصل فيها أن تكون مكسورة، ويجوز فيها السكون إذا اتصلت بحرف واحد، كالفاء، فأما «ثم» فالوجه معها الكسر؛ لأنها منفصلة، وإنما جاز فيها السكون دون لام «كي»؛ لأنه لما كان عملها التسكين جاز فيها؛ لا يذانه بعملها.

وقال أبو عبيدة: استجاب وأجاب بمعنى واحد^(١)، وأنشد لكعب بن سعد الغنوي^(٢):

[١٠٦] وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٣)
أي: لم يجبه.

وقال المبرد: هذا لا يجوز؛ لأن في الاستجابة معنى الإذعان، وليس ذلك في الإجابة^(٤).

وقوله: «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» في «لعل» جوابان:
أحدهما: ليرشدوا، فتكون دالة على الغرض^(٥) في الإجابة من الله تعالى للعبد.

الثاني: على الرجاء والطمع لأن يرشدوا، ويكون متعلقاً بفعل العباد.

(١) مجاز القرآن ١: ٦٧.

(٢) هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، شاعر جاهلي، وكان له أخ يدعى أبا المغوار، قُتل في حرب ذي قار، فثراه كعب في قصيدة تُعدّ من مراثي العرب الطائرة، ويقال لكعب: كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال.

له ترجمة في: معجم الشعراء للمرزباني: ٢٢٨، وشعراء النصرانية: ٧٤٦، ومعجم الشعراء للجبوري ٤: ٢٢٩.

(٣) تقدّم الاستشهاد به وترجمة الشاعر في ١: ٢٦٢.

(٤) رواه عنه الطبرسي أيضاً في مجمع البيان ٢: ٣٦.

(٥) في الحجرية: العوض.

٣٣٤ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

والرُّشد: نقيض الغي، يقال: رَشَدَ يَرشُد رُشْداً، ورَشِيد رَشْداً^(١)،
وأَرْشَدَهُ إِرْشاداً، واستَرْشَدَ اسْتِرْشاداً، وهو لِرَشْدَةٍ خلاف لِرِشْيَةٍ.

وأصل الباب: إصابة الخير، ومنه الإرشاد: الدلالة على وجه الإصابة
للخير^(٢).

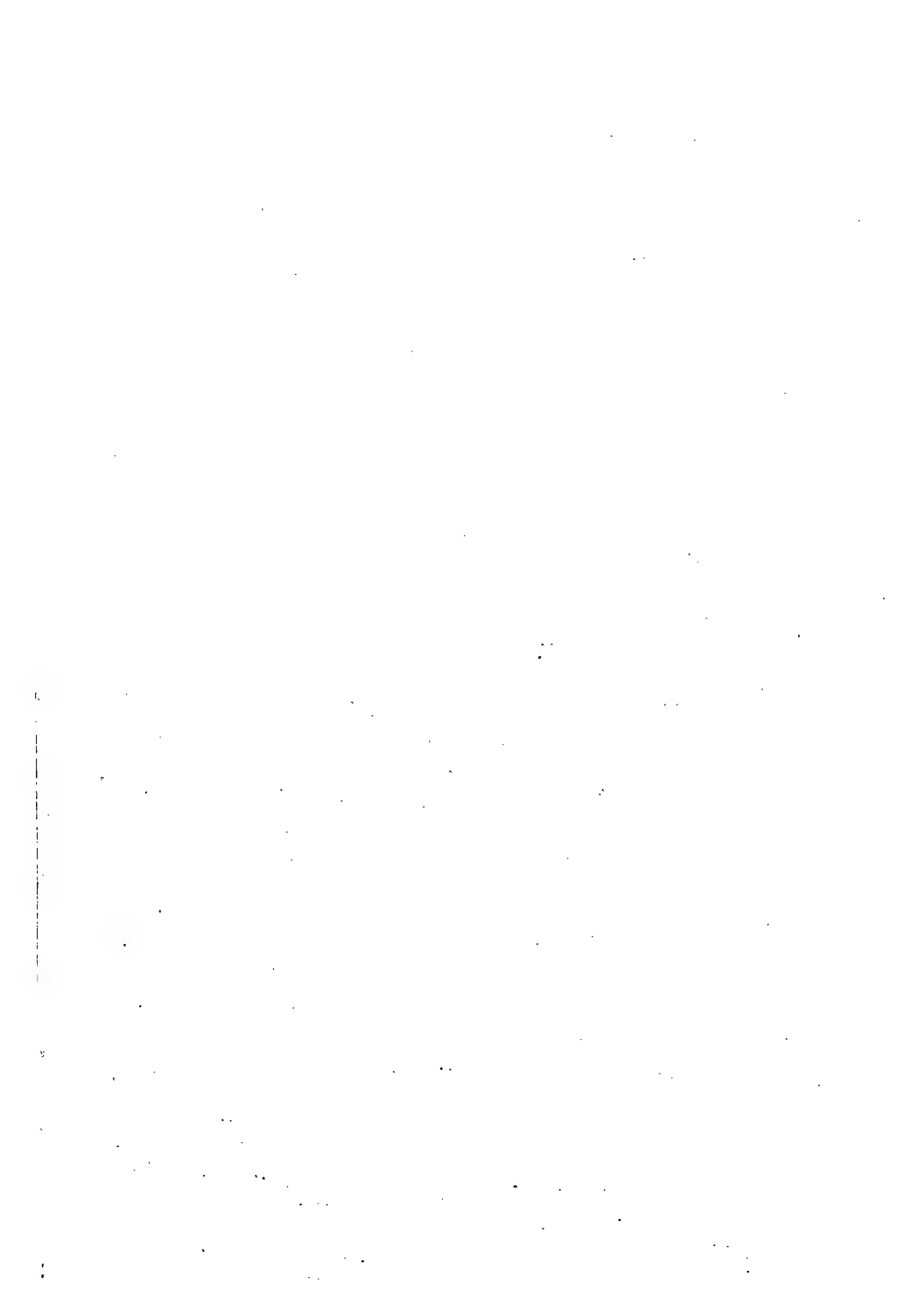
وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «وَلْيُؤْمِنُوا بِي»، أي وليتحققوا
أنِّي قادر على إعطائهم ما سألوا^(٣).

(١) في «هـ»: رَشْداً ورِشْداً.

(٢) انظر: العين ٦: ٢٤٢، وتهذيب اللغة ١١: ٣٢١، والمحيط في اللغة ٧: ٣٠٠،
ولسان العرب ٣: ١٧٥ «رشد».

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٠١/١٨٨، باختلاف يسير.

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ
وَابْتَغُوا مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ
إِلَى الْإِيلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالِإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ
بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى
وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾



قوله تعالى :

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَطِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَطِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٨٧) آية واحدة بلا خلاف .

(الرَّفَثُ : الْجِمَاعُ - هاهنا - بلا خلاف) (١)، وفي قراءة ابن مسعود :

﴿فَلَا رُقُوتٌ﴾ (٢).

وقيل : أصله فاحش القول ، فكُنِّي به عن الجِمَاع (٣) ، قال العجاج :

..... عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ (٤) [٥٠١]

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ها» و«و» .

(٢) رواها عنه الفراء في معاني القرآن ١ : ١١٤ ، والسجستاني في كتاب المصاحف :

٦٩ ، وهي قراءة للآية ١٩٧ من سورة البقرة ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾ .

(٣) قاله الأزهري في تهذيب اللغة ١٥ : ٧٧ ، وابن منظور في لسان العرب ٢ : ١٥٣

«رفث» .

(٤) ديوانه ١ : ٤٥٦ ، ونسبه إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٧٠ ، والجوهري في

الصاحح ٢ : ٢٨٣ «رفث» ، والبيت من قصيدة ميمية طويلة مطلعها :

يا دار سلمى يا سلمى ثم اسلمي بسلمى أو عن يمين سلمى

وصدر البيت :

وَرُبُّ أَشْرَابٍ حَاجِجٍ كُظْمٌ

٣٣٨ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

وَالرَّفْتُ وَالرَّفْتُ: قول الفحش، يقال: رَفْتُ يَرْفُتُ رَفْتًا.

وروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام كراهية الجماع في أول ليلة من كل شهر إلا أول ليلة من شهر رمضان؛ لمكان الآية ^(١).

والأشبه أن يكون المراد بليلة الصيام ليالي الشهر كله، وإنما ذكر بلفظ التوحيد؛ لأنه اسم جنس يدل على الكثير.

ومعنى قوله: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ» أَنَّهُنَّ يصرن بمنزلة اللباس، كما قال النابغة الجعدي:

[٥٠٢] إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهُ تَنَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسًا ^(٢)
وقال قوم: معناه هُنَّ سكن لكم، كما قال: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» ^(٣)
أي سكنًا ^(٤).

واللباس: الثياب التي من شأنها أن تستر الأبدان، وتشبه بها الأغشية،

﴿ ومعنى أسراب: قِطْع، وكَظَم: لا تتكلم بالكلام القبيح، وهو الرث، واللغو واللغأ: ما لا يعتد به من كلام وغيره.

(١) انظر: الكافي ٤: ٣/١٨٠، والفتاوى ٢: ٢٠٥٢/١٧٣.

(٢) ديوانه: ١٠٠، وفيه: إذا ما الضجيع ثنى جيدها. واستشهد به ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥: ٢٣٠، والأزهري في تهذيب اللغة ١٢: ٤٤٤ «لبس» وغيرهما.

ومعنى الضجيع: مَرٌّ يضاجعك في فراشك، وثنى: طوى؛ وتثنى: مال وانحنى، وعطفوا الإنسان - بالكسر -: شقاه من لدن رأسه إلى وركه.
والشاهد فيه: أن الضجيع إذا صرف المرأة إليه وعطفها عليه للتعانق مالت إليه واشتملت عليه اشتمال اللباس على البدن، فهي لباس له.

(٣) سورة النبأ ٧٨: ١٠.

(٤) نسب إلى ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم.

انظر: تفسير الطبري ٣: ٢٣٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ٣١٦، وتفسير الثعلبي ٤: ٥٣٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٦١٦، وتفسير الماوردي ١: ١٨٧.

فيقال : لبس السيف بالحلية .

وقوله تعالى : ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ :

معناه : أنهم كانوا لما حرّم عليهم الجماع في شهر رمضان بعد النوم خالفوا في ذلك ، فذكّرهم الله بالنعمة في الرخصة ^(١) التي نسخت تلك الفريضة .

فإن قيل : أليس الخيانة انتقاص ^(٢) الحقّ على جهة المساترة ، فكيف يساتر نفسه ؟

قلنا : عنه جوابان :

أحدهما : أن بعضهم كان يساتر بعضاً فيه ، فصار كأنه يساتر نفسه ؛ لأنّ ضرر النقص والمساترة داخل عليه .

الثاني : أنه يعمل عمل المساتر له ، فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له . ويقال : خائنه يخونُه خَوْنًا وخِيَانَةً ، وخَوْنُهُ تَخَوُّنًا ، واختائنه اختيَانًا ، وتَخَوُّنُهُ تَخَوُّنًا ، والتَخَوُّنُ : التنقُّصُ ، والتَّخَوُّنُ : تغيير الحال إلى ما لا ينبغي ، و﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ ^(٣) : مُسَارِقَةُ النظر إلى ما لا يحلّ . وأصل الباب : منع الحقّ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي قَبِلَ توبتكم على ما بيّناه فيما تقدّم ^(٥) .

(١) في «هـ» : بالرخصة ، بدل في الرخصة .

(٢) في الحجرية : انتقاض .

(٣) سورة غافر ٤٠ : ١٩ .

(٤) انظر : العين ٤ : ٣٠٩ ، وتهذيب اللغة ٧ : ٥٨١ ، والمحيط في اللغة ٤ : ٤١٩ ،

ولسان العرب ١٣ : ١٤٤ «خون» .

(٥) تقدّم في ٢ : ١٠٧ عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: غفر ذنبكم.

الثاني: أزال تحريم ذلك عنكم، وذلك عفو عن تحريمه عليهم^(١).
وقوله تعالى: ﴿فَالْتَنَّ بَشِيرُوهُمْ﴾ أي جامعوهن، ومعناه الإباحة دون الأمر، والمباشرة: إلصاق^(٢) البَشَرَةِ بالبَشَرَةِ، وهي ظاهر أحد الجلدين بالآخر.

وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الحسن وغيره: يعني طلب الولد.

الثاني: قال قتادة: يعني طلب الحلال الذي بينه الله في الكتاب^(٣).
والابتغاء: الطلب للبغيّة.

وقوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ إباحة للأكل^(٤) والشرب.

﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ أي يظهر. وَالتَّبَيَّنَ: تَمَيَّزَ الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق.

﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ يعني بياض الفجر من سواد الليل.

وقيل: خيط الفجر الثاني ممّا كان في موضعه من الظلام. وقيل:

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٢٧، وتفسير الماوردي ١: ٢٤٥.

(٢) في «هـ» و«و»: التصاق.

(٣) انظر القولين والقائلين بهما في: تفسير الطبري ٣: ٢٤٤، وتفسير ابن أبي حاتم

١: ١٦٨٢/٣١٧ و١٦٨٣، وتفسير الطبراني ١: ٣١٩، وتفسير الثعلبي ٤: ٥٣٨،

والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٦٢٢، وتفسير الماوردي ١: ٢٤٥.

(٤) في «هـ» و«و»: أباح الأكل.

النهار من الليل ، فأوّل النهار طلوع الفجر الثاني ؛ لأنّه أوسع ضياءً^(١) ، قال أبو داؤد :

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا غُدُوَّةٌ وَلَاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَتَانَا^(٢) [٥٠٣]

وروي عن حذيفة والأعمش وجماعة : أنّ الخيط الأبيض : هو ضوء الشمس ، وجعلوا أوّل النهار طلوع الشمس ، كما أنّ آخره غروبها بلا خلاف في الغروب^(٣) .

وأكثر المفسّرين على القول الأوّل ، وعليه جميع الفقهاء ، ولا خلاف فيه بين الأئمّة اليوم .

والخَيْطُ في اللغة معروف ، يقال : خَاطَ يَخِيطُ خِيَاطَةً فهو مَخِيطٌ^(٤) ، وَخَيْطُهُ تَخِيِطٌ .

وَالْخَيْطُ : القطيع من النعام ، ونَعَامَةٌ خَيْطَى^(٥) ، قيل : خَيْطُهَا : طُولُ قَصَبِهَا وَعُتْقُهَا ، وقيل : اختلاط سوادها بِبَيَاضِهَا^(٦) ، وكلاهما محتمل ،

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ١١٥ ، وتفسير الطبري ٣ : ٢٤٨ ، وتفسير ابن

أبي حاتم ١ : ١٦٨٦/٣١٨ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٥٤٨ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٤٥ .

(٢) البيت لأبي داؤد الإيادي جارية بن الحجاج ، شاعر جاهلي من المجيدين .

واستشهد بهذا البيت في الصحاح ٣ : ١١٢٥ ، والكشف والبيان ٤ : ٥٥٠ ،

ولسان العرب ٧ : ٢٩٩ «خيط» ، وانظر شرحه : شرح شواهد مجمع البيان ٢ : ١٥٦ ،

وفي بعض المصادر : سدفة ، بدل : غدوة . والسدفة : ظلمة آخر الليل .

والشاهد فيه : قوله : خيط ، فإنّه أراد به بياض الفجر ، أي أوّل ما يبدو من

الفجر الصادق المعترض في الأفق كالخيط الممدود .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٥٣ ، وتفسير الماوردي ٦ : ٢٤٦ .

(٤) في الحجرية : يخيط . وهو سهو .

(٥) في «هـ» : خيطاء .

(٦) انظر : العين ٤ : ٢٩٣ ، وتهذيب اللغة ٧ : ٥٠٣ «خيط» .

فالأول لأنه كالخيوط الممدود، والثاني لأنه كاختلاط خيوط بيض بسود .

والخِيطُ : الإِبرَةُ ونحوها ممَّا يخاط به .

والأَبْيَضُ : نقيض الأسود، والبَيَاضُ : ضدَّ السَّوَادِ، يقال : أَبْيَضَ
وابْيَاضَ ابْيَاضاً، وَبَيَّضَهُ تَبْيِيضاً، وَتَبَيَّضَ تَبْيِيضاً، وَبَيَّضَهُ الطَّيْرُ، وَبَيَّضَهُ
الحديد . وبيضة الإسلام : مجتمعه، وابتناؤهم، أي استأصلوهم ؛ لأنهم
اقتلوا بيضتهم .

وأصل الباب : البَيَاضُ ^(١) .

واسْوَدَّ واسْوَادَ اسْوِداداً، وَسَوَّدَهُ تَسْوِيداً، وَتَسَوَّدَ تَسَوُّداً، وَسَاوَدَهُ
سِوَاداً، أي : سَارَهُ سِرَاراً ؛ لأنَّ الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل ،
وسَوَادُ العراق سُمِّيَ به ؛ لكثرة الماء والشجر الذي تَسَوَّدُ به الأرض ، وسَوَادُ
كُلِّ شَيْءٍ شَخْصُهُ .

والأَسْوَدُ من الحيَّة يجمع أَسَاوِدَ .

وَسُوَيْدَاءُ القلب وَسَوْدَاؤُهُ ^(٢) : دمه الذي فيه ، في قول ابن دريد ^(٣) ،
وقيل : حَبَّة القلب ^(٤) ؛ لأنه في سواد من الظلمة .

وسَادَ سَوْدَدًا فهو سَيِّدٌ ؛ لأنه ملك السَّوَادِ الأعظم .

(١) انظر : العين ٧ : ٦٨ ، وتهذيب اللغة ١٢ : ٨٣ ، والمحيط في اللغة ٨ : ٥٤ «بيض» .

(٢) في المصدر : وسَوَادُهُ .

(٣) الجمهرة ٢ : ٦٥٠ «سود» .

(٤) العين ٧ : ٢٨٢ «سود» .

وَالْمَسْودُ^(١) : الذي قد ساده^(٢) غيره .

وقوله : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ يحتمل^(٣) معنيين :

أحدهما : أن تكون بمعنى التبعض^(٤) ؛ لأنَّ المعنى : من الفجر ،
وليس الفجر كله ، هذا قول ابن زيد^(٥) .

الثاني : بمعنى تبيين الخيط^(٦) ، كأنه قال : الخيط الأبيض الذي هو
الفجر .

وقوله : ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ قد بيَّنا حقيقة الصيام فيما
مضى^(٧) .

والليل : هو بعد غروب الشمس ، وعلامة دخوله - على الاستظهار -
سقوط الحمرة من جانب المشرق ، وإقبال السواد منه ، وإلا فإذا غابت
الشمس مع ظهور الآفاق^(٨) في الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي
فقد دخل الليل .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾ قيل في معناه قولان هاهنا :

(١) ويمكن قراءته : وَالْمُسَوَّد . وهو الذي سوَّده قومُه عليهم . انظر : العين ٧ : ٢٨١
«سود» .

وتساعد هذه القراءة ما في نسخة «هـ» : قد ساد غيره .

(٢) في «هـ» : ساد .

(٣) في النسخ زيادة : من ، وما أثبتناه من الحجرية .

(٤) في «هـ» : من للتبعض . بدل : بمعنى التبعض .

(٥) ما أثبتناه من «هـ» ، وهو المطابق لتفسير الطبري ٣ : ٢٦١ ، وفي بقية النسخ : ابن
دريد .

(٦) في «هـ» : أن تكون «من» للتبيين .

(٧) تقدّم عند تفسير الآية (١٨٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ .

(٨) في «هـ» و«و» : الآثار . وما أثبتناه من «ح» والحجرية .

٣٤٤ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

الأول : قال ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم : أراد به
الجماع^(١) .

الثاني : قال ابن زيد ومالك : أراد الجماع ، كل ما كان دونه من قبله
وغيرها^(٢) ، وهو مذهبننا .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ فلا اعتكاف عندنا :
هو اللبث في أحد المساجد الأربعة : المسجد الحرام أو مسجد النبي ﷺ أو
مسجد الكوفة أو مسجد البصرة للعبادة من غير اشتغال بما يجوز تركه من أمور
الدنيا ، وله شرائط ذكرناها في كتب الفقه^(٣) ، وأصله اللزوم ، قال الطرماح :

فَبَاتَ بَنَاتُ اللَّيْلِ حَوْلِي عَكْفًا عَكُوفَ الْبَوَاكِي يَبْتَهِنُ صَرِينُ^(٤) [٥٠٤]

وقال الفرزدق :

نَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَكْفُ^(٥) [٥٠٥]

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٦٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٦٩١/٣١٩ ، وتفسير

الطبراني ١ : ٣٢٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٢٧ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٤٧ .

(٢) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٣ : ٢٧١ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٤٨ .

(٣) الخلاف ٢ : ٢٢٧ ، المبسوط ١ : ٢٨٩ .

(٤) ديوانه ١٨٤ ، من قصيدة طويلة ، مطلعها :

بَزَتْ لَكَ حَمَاءُ الْيَلَاطِ سَجُوعٌ وداع دعا من خلتيك نزيغ

وروى البيت عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٢٦٨ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ :

٢٤٢ ، والتعلبي في تفسيره ٤ : ٥٥٩ ، وورد في لسان العرب ١٤ : ٩٣ «بني» ،

باختلاف يسير . وفيه : بنات الليل : الهموم ، وفي حياة الحيوان للدميري ١ : ٢٢ :

ويقال للإبل : بنات الليل . وبقية مفردات البيت واضحة المعنى .

والشاهد فيه : أن المراد بالعكوف الإقامة بالمكان الملازمة له .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٩ ، من قصيدة طويلة له ، مطلعها :

عزفت بأعاشير وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ فالحدّ على وجوه: أحدها: المنع، يقال: حدّه عن كذا حدّاً، أي منعه. والحدّ: حدّ الدار. والحدّ: الفرض من حدود الله، أي فرائضه. والحدّ: الجلد للزاني وغيره. والحدّ: حدّ السيف وما أشبهه. والحدّ في الخلق: الحِدّة، والحدّ: الفرق بين الشيتين. والحدّ: منتهى الشيء. وحدّ الشراب: صلابته.

وإحداد المرأة على زوجها: امتناعها من الزينة والطيب.

وإحداد السيف: إشحاذه. وإحداد النظر إلى الشيء: التحديق إليه.

والحديد معروف، وصانعه الحدّاد، والحدّاد: السجّان.

والاستحداد: حلّق الشيء بالحديد.

وحادثته: عاصيته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرُسُولَهُ﴾^(١).

وأصل الباب: المنع^(٢).

والحدّ: نهاية الشيء التي تمنع أن يدخله ما ليس منه وأن يخرج عنه ما هو منه.

وَمَعْنَى الْبَيْتِ: حَوْلَهُ: أي حول قدورهم التي يقدّمون فيها الطعام لضيوفهم المتقدّم ذكرها قبل هذا البيت. والمعتفين: جمع معتفي، وهو كلّ طالب فضل أو رزق.

والشاهد فيها ما تقدّم في بيت الطرمّاح المتقدّم.

(١) سورة المجادلة ٥٨: ٥ و٢٠.

(٢) انظر: العين ٣: ١٩، وتهذيب اللغة ٣: ٤١٩، والمحيط في اللغة ٢: ٣٠٥.

«حدّ».

[أحكام الاعتكاف]^(١)

ولا يجوز الاعتكاف إلا بصوم، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، ومالك
ابن أنس^(٢).

وقال الشافعي: يصح بلا صوم، وبه قال الحسن إلا أن يُشترط^(٣).
وعندنا لا يكون أقل من ثلاثة أيام، وبه قال أهل المدينة^(٤).
وقال أهل العراق: الاعتكاف جائز في كل مسجد يُصلّى فيه جماعة^(٥).
وقال مالك: لا اعتكاف إلا في موضع يُصلّى فيه الجمعة من
المصر^(٦).

وقال أهل العراق: المرأة تعتكف في مسجد بيتها^(٧).
وقال مالك: لا تعتكف إلا في مسجد جماعة^(٨).

(١) قد ذكرنا في مقدّمة الكتاب أننا حذفنا بعض العناوين من الطبعة السابقة لعدم
ذكرها في جميع النسخ الخطيّة، وارتأت المؤسسة الآن أن تُبقي على بعض العناوين
المهمّة والمفضّلة خصوصاً الفقهية والعقائدية خدمةً للقارئ، وتسهيلاً له في
الاطّلاع على هذه البحوث.

(٢) المدوّنة الكبرى ١: ٢٢٥، تحفة الفقهاء ١: ٣٧١، الهداية للمرغيناني ١: ١٤٢.
(٣) الأم ٢: ١٠٧، المحلّى ٥: ١٨١، أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٤٥، المجموع
٤٨٧: ٦.

(٤) انظر: الاستذكار ١٠: ٣١٣، وبداية المجتهد ٢: ٤٢٦.
(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٤٣، والهداية للمرغيناني ١: ١٣٢، وبداية
المجتهد ٢: ٤٢٣.

(٦) انظر: الاستذكار ١٠: ٢٧٤، وبداية المجتهد ٢: ٤٢٣.
(٧) تحفة الفقهاء ١: ٣٧٢، الهداية للمرغيناني ١: ١٣٢، بداية المجتهد ٢: ٤٢٤.
(٨) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٤٣، والتفريع ١: ٣١٣، والاستذكار ١٠:
٢٧٥، وبداية المجتهد ٢: ٤٢٣.

وقال الشافعي : المرأة والعبد يعتكفان ، وكذلك المسافر حيث شاؤوا^(١).

وقد بيّنّا ما عندنا في ذلك ، ولا فرق بين الرجل والمرأة فيه .

وقال مالك : لا يكون الاعتكاف أقلّ من عشرة أيّام ، وعند أهل

العراق يكون يوماً^(٢) .

ومسائل الاعتكاف قد بيّناها في النهاية والمبسوط في الفقه ،

فلا نطوّل بذكرها ، والمختلف فيها ذكرناه في مسائل الخلاف^(٣) .

وقيل : إنّ هذه الآية نزلت في شأن أبي قيس بن صرّمة^(٤) ، فكان

يعمل في أرض له ، فأراد الأكل ، فقالت له امرأته : نصلح لك شيئاً ، فغلبت

عيناه ، ثمّ قدّمت له الطعام فلم يأكل^(٥) ، فلمّا أصبح لاقى جهداً ، فأخبر

رسول الله ﷺ بذلك ، فنزلت هذه الآية^(٦) .

وروي أنّ عمر أراد أن يواقع زوجته في الليل ، فقالت : إنّني نمت ،

فظنّ أنّها تعتلّ عليه فوقع عليها ، ثمّ أخبر النبي ﷺ بذلك من الغد ، فنزلت

الآية فيهما^(٧) .

(١) الأم ٢ : ١٠٨ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٤٣ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٤٥ ، الاستذكار ١٠ : ٣١٣ ، بداية المجتهد ٢ : ٤٢٦ .

(٣) النهاية : ١٧٠ ، المبسوط ١ : ٢٨٩ ، الخلاف ٢ : ٢٢٧ .

(٤) أبو قيس ، قيل : مالك بن الحارث ، وقيل : بل اسم أبي قيس صرّمة بن أبي أنس

ابن مالك ، كان رجلاً قد ترهّب في الجاهليّة ، ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ،

واغتسل من الجنابة ، وهمّ بالنصرانيّة ثمّ أمسك عنها ، ولمّا قدم الرسول ﷺ

المدينة أسلم وهو شيخ كبير .

له ترجمة في : الاستيعاب ٤ : ٣١٣٨/١٧٣٥ ، وأسد الغابة ٥ : ٦١٧٨/٢٥٦ .

(٥) فلم يأكل ، لم ترد في «هـ» و«و» .

(٦) انظر : سنن الدارمي ٢ : ٥ ، وأسباب النزول للواحدي : ٥٤/١٥٨ ، و ٥٥/١٥٩ .

وفيها : قيس بن صرّمة .

(٧) أسباب النزول للواحدي : ٥٤/١٥٨ .

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعني ما بين لهم من الأدلة على ما أمرهم به، ونهاهم عنه، لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده التي أمرهم الله بها، ونهاهم عنها، وأباحهم إياها. وفي ذلك دلالة على أنه تعالى أراد التقوى من جميع الناس الذين بين لهم هذه الحدود.

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنها نزلت في خوات بن جبير^(١) مثل قصة أبي قيس بن صرمة، وأنه كان ذلك يوم الخندق^(٢).
وروي عن أبي جعفر عليه السلام حديث أبي قيس سواء^(٣).

قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ آية واحدة بلا خلاف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ قيل في معناه

(١) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عبدالله، وكان أحد فرسان رسول الله ﷺ، شهد بدرًا هو وأخوه عبدالله في قول بعضهم، وقال بعضهم: خرج إلى بدر، فلما بلغ الصفراء أصاب حجرًا ساقه فرجع، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، وروى عن النبي ﷺ صلاة الخوف، وحديث «ما أسكر كثيره فقليله حرام»، وثوقي بالمدينة سنة أربعين، وعمره أربع وتسعون سنة.
له ترجمة في: الاستيعاب ٢: ٦٨٦/٤٥٥، وأسد الغابة ١: ١٤٨٩/٦٢٥، والإصابة ٢: ٢٢٩٤/١٤٣.

(٢) انظر: الكافي ٤: ٤/٩٨، وتفسير العياشي ١: ٢٠٢٠/١٨٩، وتفسير القمي ١: ٦٦.

(٣) رواه الكليني في الكافي المتقدم عن أحدهما عليه السلام.

قولان :

أحدهما : أن يكون ذلك على جهة الظلم ، نحو الخيانة ^(١) والسرقة والغصب ، ويكون التقدير : لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل كالآكل مال نفسه بالباطل ، ومثله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ^(٢) ومعناه : لا يلمز بعضكم بعضاً ، وقوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ^(٣) والمعنى : لا يقتل بعضكم بعضاً .
الثاني : لا تأكلوه على وجه الهزء واللعب مثل ما يؤخذ في القمار والملاهي ونحوها ؛ لأن كل ذلك من أكل المال بالباطل ^(٤) .

وقال أبو جعفر عليه السلام : «(لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) يعني باليمين الكاذبة يقتطعون بها الأموال» ^(٥) .

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حُكَّام يحكمون بخلاف الحق ، فنهى الله المؤمنين أن يتحاكموا إليهم ، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق» ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَتَذُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ :

فالحكم : هو الخبر الذي يفصل به بين الخصمين ، يمنع كل واحد من منازعة الآخر .

(١) في «هـ» و«و» : الجنائية .

(٢) سورة الحجرات ٤٩ : ١١ .

(٣) سورة النساء ٤ : ٢٩ .

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٥١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٤٨ .

(٥) جاء في دعائم الإسلام ٢ : ١٨٥٦/٥١٨ : روينا عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي أن رسول الله ﷺ نهى عن اقتطاع مال المسلم باليمين الكاذبة .

(٦) انظر : تفسير العياشي ١ : ٢١٠/١٩١ ، والكافي ٧ : ٣/٤١١ ، وتهذيب الأحكام ٦ : ٥١٧/٢١٩ ، وفي تفسير القمي ١ : ٦٧ عن العالم عليه السلام .

وقيل في معناه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس والحسن وقتادة : إِنَّهُ الْوَدِيعَةُ وما لا تقوم به
بَيِّنَةٌ^(١) .

الثاني : قال الجُبَّائي : في مال اليتيم الذي في يد الأوصياء ؛ لأنه
يدفعه إلى الحاكم إذا طُوبِ به ليقطع بعضه ويقوم له في الظاهر حِجَّةٌ^(٢) .
يقال : أدلَّى فلان بالمال إلى الحاكم : إذا دفعه^(٣) إليه . وأدلى فلان
بحقِّه وحجَّتَه : إذا هو احتجَّ بها وأحضرها ، ودلَّوْتُ الدلو في البئر أدلَّوها :
إذا أرسلتها في البئر ، وأدليتها إدلاءً : إذا انتزعتها من البئر ، ومنه قوله تعالى :
﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾^(٤) أي انتزعها .

وقال صاحب العين : أدليتها : إذا أرسلتها أيضاً . وأدلى الإنسان شيئاً
في مهوى ويتدلَّى^(٥) هو بنفسه^(٦) . والدالية معروفة .

وموضع ﴿ وَتَدْلُوا ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون جزءاً على النهي عطفاً على قوله : ﴿ لَا تَأْكُلُوا ﴾ .
والثاني : أن يكون نصباً على الصرف^(٧) ، ويكون نصبها بإضمار أن ،

(١) تفسير الطبري ٣ : ٢٧٧ ، تفسير ابن أبي حاتم ١ : ٣٢١ ، التفسير البسيط ٣ : ٦١٤ ، التهذيب في التفسير ١ : ٧٨٢ .

(٢) رواه عنه الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٨٢ .

(٣) في «ح» : رفعه .

(٤) سورة يوسف ١٢ : ١٩ .

(٥) في «هـ» و«و» : تدلَّى . وما أثبتناه من «ح» والمصدر .

(٦) العين ٨ : ٦٩ «دلو» .

(٧) في «هـ» و«و» : الظرف . والصحيح ما أثبتناه ، وهو من مصطلحات الكوفيين ،
ومعناه - كما بيَّنه الطبري في تفسيره ٦ : ٩٢ - أن يجتمع فعلاً بعبء حروف
للـ

كقول الشاعر:

[١٩٠] لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(١)

أي لا تجمع بينهما . والأول أجود .

وقيل في اشتقاق ﴿وَتَدُلُّوْا﴾ قولان :

أحدهما : أنَّ التعلُّق بسبب الحكم كتعلُّق الدلو بالسبب الذي هو

الجبيل .

والثاني : أَنَّهُ يمضي فيه من غير تثبُّت كمضيِّ الدلو في الإرسال^(٢) من

غير تثبُّت^(٣) .

وبالباطل : هو ما تعلَّق بالشيء على خلاف ما هو به ، خبراً كان أو

اعتقاداً أو تخيلاً أو ظناً .

والفريق : القطعة المعزولة من الشيء .

والإثم : الفعل الذي يستحقُّ به الذم .

وقوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ معناه : إنكم تعلمون أنَّ ذلك الفريق من

المال ليس بحقِّ لكم ؛ لأنَّه أشدَّ في الزجر .

وفي الآية دلالة على أنَّ معرفة^(٤) الحاكم بشهادة الزور غير جائزة ،

والنسق ، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق ، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف ؛ لأنَّه مصروف عن معنى الأول ، وذلك يكون مع جحد أو استفهام أو نهْي في أول الكلام ، وذلك كقولهم : لا يسعني شيءٌ ويضيقُ عنك ، فلذلك نُصِبَ .

وانظر أيضاً : الهداية إلى بلوغ النهاية ٢ : ١١٣٨ .

(١) تقدَّم الاستشهاد به في ٢ : ١٥٧ .

(٢) في «هـ» : بالإرسال .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ١ : ٢٤٨ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٨٢ .

(٤) في «ح» : تفرقة .

ولا يستباح به النكاح لأحد الشاهدين ، كما لا يحل ذلك في المال .

قوله تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩) آية واحدة بلا خلاف .

البيوت والشيوخ والغيوب^(١) والجيوب يكسر أوائلها الشامي^(٢) والكسائي والأعشى ، ولا يكسرون العيون^(٣) ، ويكسرهما حمزة ويحيى إلا الجيوب ، ويكسرهما ابن كثير إلا الجيوب والغيوب^(٤) ، وابن فليح يكسرهما كلها ، وقالون يكسر منها البيوت فقط ، وأبو عمرو يضمها كلها^(٥) .

الأهلة : جمع هلال ، وسمي الهلال لرفع الصوت بذكره عند رؤيته ، ومنه أهل بالحج : إذا رفع الصوت بالتلبية .

واختلف أهل العلم إلى كم يسمى هلالاً ، فقال قوم : يسمى لليلتين من الشهر هلالاً .

ومنهم من قال : يسمى هلالاً لثلاث ليالٍ ، ثم يسمى قمراً .

وقال الأصمعي : يسمى هلالاً حتى يحجر ، وتحجيره أن يستدير بخطّة دقيقة .

(١) في «ه» : العيون ، وفي «و» : العيوب .

(٢) في «ح» : بكسر أوائلها شامي . وفي «و» : فكسر أوائلها شامي .

(٣) في «و» : العيوب .

(٤) في «ه» : العيون .

(٥) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٨ ، والحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٨٠ ، وحجة القراءات : ١٢٧ .

ومنهم مَنْ قال : يُسَمَّى هلالاً حتى يبهـر ضوؤه سواد الليل ، فإذا غلب ضوؤه ^(١) سُمِّي قمراً ، وذلك لا يكون إلا في الليلة السابعة .
وقال الزَّجَّاج : يُسَمَّى هلالاً لليلتين ^(٢) .

واسم القمر : الزُّبْرَقَان ، واسم دَارَتِهِ : الهالة ، والفَتْحُ : اسم ضوئه أو ظُلمته على خلافٍ فيه ، واسم ظِلِّه السَّمَر ، ومنه قيل : سُمِّرَ للَّذِينَ يتحدَّثون بالليل ^(٣) .

وإنما اقتصر في جمعه على أهلة - وهو لأدنى العدد - دون الفُعل الذي هو للجمع الكثير استقلاً ^(٤) له في التضعيف ، كما قالوا فيما ليس بمضعفٍ : جِمار وأحْمَرَة وحُمُر .

فإن قيل : عمّاذا كان وقع السؤال من حال الأهلة ؟

قيل : عن زيادتها ونقصانها .

وما وجه الحكمة في ذلك ؟

فأجيب : بأنّ مقاديرها تحتاج إليها الناس في صومهم وفطـرهم وحجّهم وعدد نساءهم ومحلّ ديونهم ، وغير ذلك .

وفيها دلالة واضحة على أنّ الصوم لا يثبت بالعدد ، وأنّه يثبت بالهلال ؛ لأنّ العدد لو كان مُراعى لَمّا أُحيل في مواقيت الناس في الحجّ على ذلك ، بل أُحيل على العدد .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ ﴾ :

(١) في «هـ» : فإذا بهر وغلـبه ، بدل : فإذا غلب ضوؤه .

(٢) انظر جميع الأقوال في : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ : ٢٥٩ ، وأحكام القرآن للجصاص

١ : ٢٥٤ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٨٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ : ٢٦٠ .

(٤) في «هـ» و«و» : استقلاً .

فالمِيقَات : هو مقدار من الزمان جُعل عِلْماً لما يَقْدَر من العمل ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(١) .

والتَّوْقِيت : تقدير الوقت ، وَقَّت تَوَقَّيْتاً ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتُ﴾^(٢) . وكلّما قَدَرْتَ غاية فهو^(٣) مَوْقَت .

والمِيقَات : منتهى الوقت ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾^(٤) فالآخرة : مِيقَات الخلق .

والإِهْلَال : مِيقَات الشهر .

وإنّما لم يُصَرَف «مَوَاقِيت» وَصُرِف «قَوَارِير»^(٥) ؛ لأنّ قَوَارِير فاصلة في رأس آية ، فصرفت لتجري على طريقة واحدة في الآيات كالقوافي ، وليس ذلك تنوين الصرف .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ قيل في معناه وجهان :

أحدهما : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ كما قلنا في قوله : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾^(٦) .

(١) سورة الحجر ١٥ : ٣٨ ، سورة ص ٣٨ : ٨١ .

(٢) سورة المرسلات ٧٧ : ١١ .

(٣) في «هـ» : فهي .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٤٢ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإنسان ، الآيتان ١٥ و ١٦ : ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ على قراءة مَنْ نَوَّن قَوَارِير . وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر ونافع والكسائي .

انظر تفصيل الخلاف في كتاب السبعة في القراءات : ٦٦٣ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ١٧٧ .

والثاني : على وقوع المصدر موقع الصفة ، كأنه قال : ولكنَّ البَّارَ مَنْ آمَن بالله^(١) .

وقيل في معنى الآية قولان :

أحدهما : أنه كان قوم من الجاهليَّة إذا أحرَموا نقبوا في ظهر بيوتهم نقباً ، يدخلون منه ويخرجون ، فنهوا عن التدنُّين بذلك ، وأمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها ، في قول ابن عباس والبراء وقتادة وعطاء^(٢) .

وثانيهما : قال قوم واختاره الجُبَّائي : إنَّه مَثَلٌ ضربه الله لهم ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ أي اتُّوا البرَّ من وجهه الذي أمر الله به ورَغِب فيه^(٣) . وهذا الوجه حسن .

وروى جابر^(٤) عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾ الآية ، قال : «يعني أن يأتي الأمر من وجهه ، أي

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٧٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٧٩ ، ومشكل إعراب القرآن ١ : ٨١ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٨٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٨٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٠٩/٣٢٣ ، و١٧١٤/٣٢٤ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٠ .

(٣) ذكره الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٢٥٦ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٥١ ، ونسبه إلى الجُبَّائي السَّيد المرتضى في الأمالي ١ : ٣٧٧ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٧٨٦ .

(٤) جابر بن يزيد الجعفي ، عُدَّ من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليه السلام ، وتوفِّي في زمان الإمام الصادق عليه السلام سنة ثمانٍ وعشرين ومائة ، له كتب كثيرة ذكرها النجاشي ، منها : كتاب الجمل ، وكتاب صفين ، وكتاب النهروان ، وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام ، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام ، وروى أيضاً : عن أبي الطفيل وأبي الضحى وعكرمة وغيرهم ، وروى عنه : شعبة والثوري وإسرائيل وغيرهم .

له ترجمة في كتب الرجال ، منها : تنقيح المقال ١٤ : ٣٣/٩٧ ، وتهذيب الكمال ٤ : ٨٧٩/٤٦٥ ، وتهذيب التهذيب ٢ : ٧٥/٤١ .

الأُمور كان»^(١).

وروى أبو الجارود^(٢) عن أبي جعفر عليه السلام مثل قول ابن عباس سواء^(٣).

وقال قوم: أراد بالبيوت النساء^(٤)؛ لأن المرأة تُسمَّى بيتاً على ما بيَّناه فيما مضى^(٥)، فكأنه نهى عن إتيان النساء في أدبارهنَّ وأباح الوطء في قُبُلهنَّ.

والأولان أقوى وأجود.

وبالباب: هو المدخل، تقول منه: بَوَّبَ تَبْوِيباً: إذا^(٦) جعله أبواباً، والبوَّاب: الحاجب؛ لأنه يلزم الباب، والبابة: القطعة من الشيء كالباب من الجملة^(٧).

فإن قيل: أيّ تعلّق لقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ بسؤال القوم عن الأهلة؟

(١) المحاسن ١: ١٤٤/٣٥٢، تفسير العياشي ١: ٢١٦/١٩٣، ٢١٨.
(٢) هو زياد بن المنذر الهمداني النهدي الشقفي، أبو الجارود الأعشى، روى عن: الأصمعي بن ثبّانة، والحسن البصري، وزيد بن علي، وغيرهم، وروى عنه: إسماعيل الوراق، والسري بن عبدالله، ونصر بن مزاحم وغيرهم، تُنسب إليه فرقة الجارودية الزيدية، مات من الخمسين ومائة إلى الستين.

له ترجمة في: تهذيب الكمال ٩: ٢٠٧٠/٥١٧، وتهذيب التهذيب ٣: ٧٠٤/٣٣٢، وتهذيب تهذيب الكمال ٣: ٢٠٩٩/٣٢٧.

(٣) ورواها أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٤٧.

(٤) انظر: أمالي المرتضى ١: ٣٧٨، وتفسير الماوردي ١: ٢٥٠.

(٥) تقدّمت معاني البيت عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا النَّبْتَ مَخَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، الآية ١٢٥.

(٦) في «ه» و«ي»: أي.

(٧) انظر: تهذيب اللغة ١٥: ٦١١، ولسان العرب ١: ٢٢٣ «بوب».

قلنا : لأنه لما بين ما فيه من وجه الحكمة اقتضى لتعملوا^(١) على^(٢) أمور مقدرة ، ولتجري أموركم على استقامة ، فإنما البر أن تتبعوا أمر الله .
ومن كسر الباء من البيوت ، فلاستثقال الخروج من الضم إلى الياء .
ومن ضم غيوب^(٣) وكسر البيوت ، فلأن الغين^(٤) لما كان مستعليا منع الكسر ، كما منع الإمالة .

وأما الحج : فهو قصد البيت الحرام لأداء مناسك مخصوصة بها في وقت مخصوص .

والبر : النفع الحسن .
والظهر : الصفحة المقابلة لصفحة الوجه .
وقوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعني واتقوا ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه ، لكي تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذي ضمنه للمتقين .

قوله تعالى :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩٠) آية .

القتال : هو المقاتلة ، وهو محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله .
والتقاتل : محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر .
والخطاب بقوله : ﴿وَقَاتِلُوا﴾ متوجه إلى المؤمنين ، ولو قال : تقاتلوا ،

(١) في «ي» والحجرية : لتعلموا .

(٢) في «ح» : في ، بدلاً من : على .

(٣) في «ح» : عيوب ، وفي «هـ» : عيون .

(٤) في «ح» و«هـ» و«و» : العين . وما أثبتناه هو الصحيح ؛ لأن الغين من حروف الاستعلاء ، وهو موافق لما في «ي» والحجرية .

لكان أمراً للفريقين .

وذهب الحسن وابن زيد والريبع والجُبائي إلى أنَّ هذه الآية منسوخة ؛
لأنَّه قد وجب علينا قتال المشركين وإن لم يقاتلونا بقوله : ﴿فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(١) ، وقوله : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
فِتْنَةً﴾^(٢) .

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعمر بن عبدالعزيز^(٣) أنَّها غير
منسوخة .

وقال بعضهم : أمروا بقتال المقاتلين دون النساء .

وقيل : إنَّهم أمروا بقتال أهل مكة^(٤) .

والأولى حمل الآية على عمومها إلَّا مَنْ أخرجها الدليل .

وقوله : ﴿تَعْتَدُوا﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال :

(١) سورة التوبة ٩ : ٥ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٩٣ .

(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم ، أبو حفص القرشي الأموي ، وأمه أم
عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطَّاب ، بويع له بالخلافة بعد سليمان بن
عبد الملك ، ولد سنة ثلاثٍ وستين ، حدَّث عن : عبدالله بن جعفر والسائب بن يزيد
وسهل بن سعد وغيرهم ، وحدَّث عنه : أبو سلمة وإبراهيم بن عتبة وحמיד الطويل
 وغيرهم ، مات يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان
 من أرض حمص ، وعاش تسعاً وثلاثين سنة ونصفاً .

له ترجمة في الطبقات الكبرى ٥ : ٣٣٠ ، وتاريخ دمشق ٤٥ : ٥٢٤٢/١٢٦ .

وسير أعلام النبلاء ٥ : ٤٨/١١٤ .

(٤) انظر جميع الأقوال في : تفسير الطبري ٣ : ٢٨٩ ، ومعاني القرآن للرجَّاح ١ :

٢٦٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧١٩/٣٢٥ - ١٧٢٤ ، وتفسير الطبراني ١ : ٣٢٨ ،

وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٥٧ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٥ ، والهداية إلى بلوغ

النهاية ١ : ٣٤ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥١ ، والتذهيب في التفسير ١ : ٧٨٨ ،

وأسباب نزول القرآن للواحدي : ١٦٤ .

أحدها : لا تعتدوا بقتال مَنْ لم تؤمروا بقتاله .

الثاني : لا تعتدوا إلى^(١) النساء والصبيان وَمَنْ قد أعطيتموه الأمان .

الثالث : لا تعتدوا بالقتال على غير الدين^(٢) .

فإن قيل : إذا كان الاعتداء في قتالِ مَنْ لم يقاتلهم ، فكيف يجوز أن

يُؤمروا به فيما بعد ؟

قيل : إنما كان اعتداء من أجل أنه مجاوزة لما حدّه الله لهم ممّا فيه

الصلاح للعباد ، ولم يكن فيما بعْدَ على ذلك ، فجاز الأمر به .

وقوله : ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يعنى : دين الله ، وهو الطريق الذي بيّنه

للعباد ليسلكوه على ما أمرهم به ودعاهم إليه .

وقوله : ﴿ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ :

معناه : لا يريد ثوابهم ولا مدحهم كما يريد ثواب المؤمنين .

وقد بيّنا فيما مضى أنّ المحبة هي الإرادة^(٣) ، وإنّما قلنا : إنّها من

جنس الإرادة ؛ لأنّ الكراهة تنافيها ، ولا يصحّ اجتماعهما ، ولأنّها تتعلّق بما

يصحّ حدوثه كالإرادة ، فلا يصحّ أن يكون محبّاً للإيمان كارهاً له ، كما بيّنا

في أن يكون مريداً له كارهاً .

وتعلّق المحبة بأن يؤمن كتعلّق الإرادة بأن يؤمن . وإنّما اعتيد في

المحبة الحذف ولم يعتد ذلك في الإرادة ، فيقال : الله يحبّ المؤمن ،

ولا يقال : يريد المؤمن .

(١) في «هـ» : بقتال ، بدلاً من : إلى .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٩٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٦٣ ، وتفسير الثعلبي

٥ : ٢٧ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥١ .

(٣) تقدّم بيانه عند تفسير الآية : ١٦٥ .

وقوله : ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ :

ظاهره يقتضي أنه يسخط عليهم ؛ لأنه على جهة الذم لهم ؛ إذ لا يجوز أن يطلق على مَنْ لا ذنب له من الأطفال والمجانين .
والاعتداء : مجاوزة الحق ، وأصله المجاوزة ، يقال : عدا : إذا جاوز حده في الإسراع .

وروي عن أئمتنا عليهم السلام أن قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
ناسخ لقوله : ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(١) وكذلك
قوله : ﴿وَأَقَاتِلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(٢) ناسخ لقوله : ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾^{(٣)(٤)} .

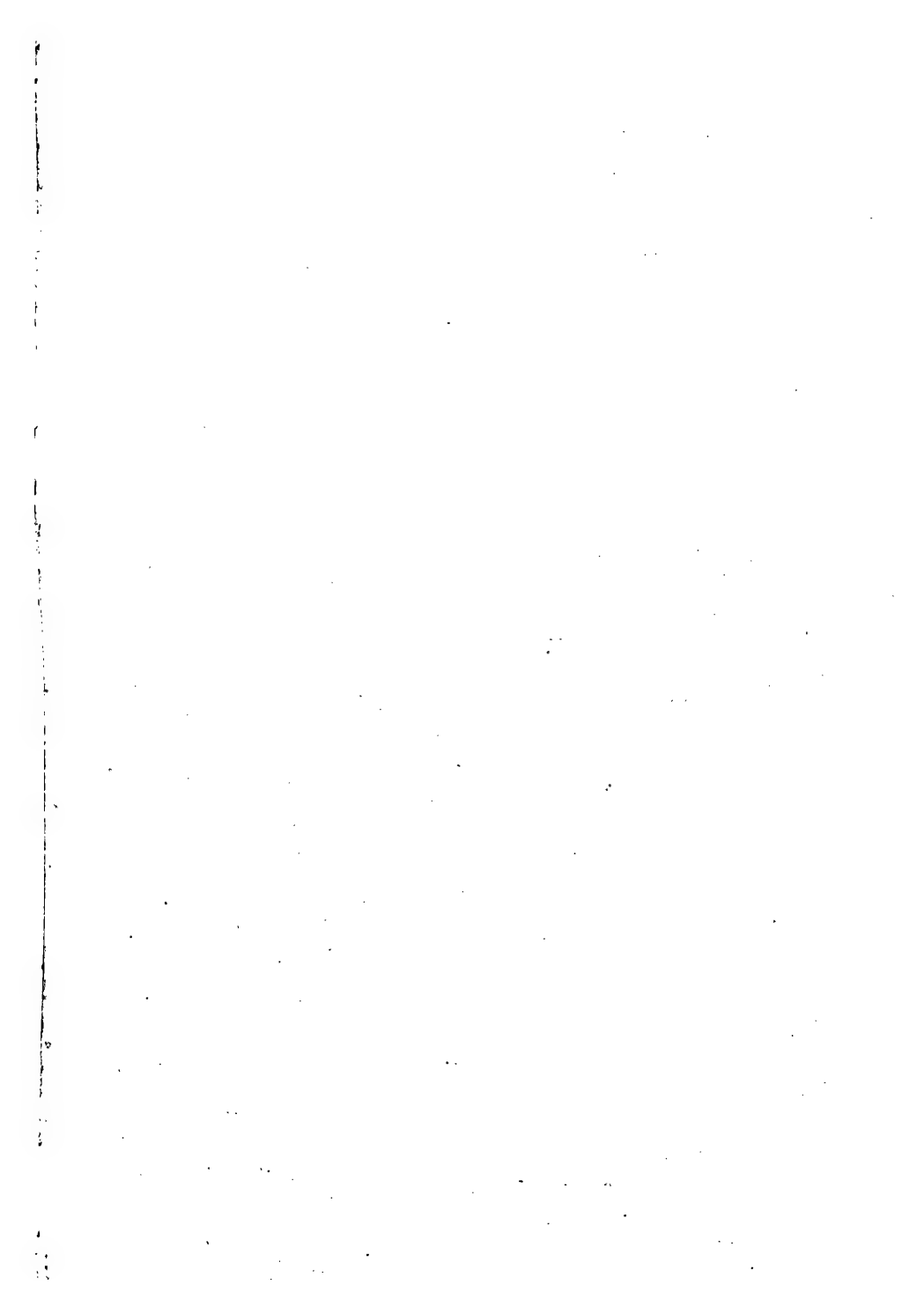
(١) سورة النساء ٤ : ٧٧ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٩١ .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٨ .

(٤) انظر : ناسخ القرآن ومنسوخه : ١٩٨ .

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾



قوله تعالى :

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْبِلُوكُمُ
فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩١) آية واحدة بلا
خلاف .

قرأ حمزة والكسائي ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ «حَتَّى يُقْتَلُوكُمْ» «فَإِنْ
قَتَلُوكُمْ» كـله بغير ألف ، والباقون بألف في جميع ذلك ^(١) .
والمعنى : لا تبدؤوهم بقتل ولا قتال حتى يبدؤوكم ، إلا أن القتل
نقض بُنية الحياة ، والقتال محاولة القتل ممن يحاول القتل .
وقوله : ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾ أمر للمؤمنين بقتل الكفار «حَيْثُ
تَقِفْتُمُوهُمْ» .

ويجوز في «حيث» ثلاثة أوجه : ضمّ الثاء وفتحها وكسرها .
فالضمّ لشبهها بالغاية ، نحو : قبل وبعد ؛ لأنها مُنعت ^(٢) الإضافة إلى
المفرد مع لزوم معنى الإضافة له ، فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء
على الضمّ ، ولا يجب مثل ذلك في «إذ» ؛ لأنها مبنية على الوقف ، كما أن
«مُذ» لا يجب فيها ما يجب في «منذ» .
والفتح لأجل الباء ، كما فتحت أين وكيف .

(١) انظر : السبعة في القراءات : ١٧٩ ، والحة للقرء السبعة ٢ : ٢٨٤ ، وحة
القراءات : ١٢٧ .

(٢) ما أثبتناه من «هـ» ، وفي بقية النسخ : لأنه منع .

والكسر فعلى أصل الحركة ؛ لالتقاء الساكنين .

وإنما كُتِبَ بغير ألف في الثلاث الكَلِم في المصحف للإيجاز ، كما كتبوا الرحمن بغير ألف . وكذلك صالح وخالد وما أشبهها من حروف المد واللين ؛ لقوتها على التغيير .

وقوله : ﴿ تَقَفُّهُمْ ﴾ تقول : تَقَفُّهُ أَتَقَفُّهُ تَقَفًّا : إذا ظَفِرْتَ به ، ومنه قوله : ﴿ فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾ ^(١) وَتَقَفْتُ الشَّيْءَ ثَقَافَةً : إذا حَدَقْتُهُ ، ومنه اشتقاق الثَّقَافَةِ بالسيف ، وقد تَقَفَّ ثَقَافَةً فهو تَقِفٌّ ، والثَّقَافُ : حديدة تكون مع القوَّاس والرمَّاح يُقَوِّمُ بها المَعْوَجَّ ، وَتَقِفُّ الشَّيْءَ ثَقْفًا : إذا لَزِمَ ^(٢) ، وهو تَقَفٌّ : إذا كان سريع التعلم ، وَتَقَفُّهُ تَثْقِيفًا : إذا قَوَّمْتَهُ .

وأصل الباب : التَثْقِيفُ : التقويم ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ قال الحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد وجميع المفسرين : إنها الكفر ^(٤) .

وأصل الفِتْنَةِ : الاختبار ، فكأنه قال : والكفر الذي يكون عند الاختبار أعظم من القتل في الشهر الحرام .

وجه قراءة مَنْ قرأ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ ﴾ أنه جاء في كلام العرب إذا قُتِلَ بعضهم قالوا : قُتِلْنَا ،

(١) سورة الأنفال : ٥٧ .

(٢) انظر : العين ٥ : ١٣٨ .

(٣) انظر : العين ٥ : ١٣٨ ، والجمهرة ١ : ٤٢٩ ، والصحاح ٤ : ١٣٣٤ ، والمحكم ٦ :

٣٥٦ ، ولسان العرب ٩ : ١٩ «تقف» .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٩٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٢٦/٣٢٦ ، والهداية

إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٣٥ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥١ .

فتقديره : حتى يقتلوا بعضهم^(١) .

ومعنى قوله : ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها . وروي أن هذه الآية نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام ، فعابوا المؤمنين بذلك ، فبين الله تعالى أن الفتنة في الدين أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان محظوراً لا يجوز^(٢) .

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٩٢) آية .

معنى قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ يعني عن كفرهم بالتوبة منه ، في قول مجاهد وغيره من المفسرين^(٣) .

والانتهاء : الامتناع ، يقال : نَهَى نَهْياً ، وَأَنْهَى إِنْهَاءً ، وَأَنْتَهَى أَنْتِهَاءً ، وتناهى تَنَاهِياً .

والنَّهْي : الرَّجْرُج عن الفعل بصيغة : لا تَفْعَل .

والأَمْر : الدَّعَاء إلى الفعل بصيغة : افْعَلْ مع اعتبار الرتبة^(٤) .

والنَّهْي : الغدير يكون له الحاجز يمنع الماء أن يفيض^(٥) ، فالنهي

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ١١٦ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٥٩ ، التهذيب في التفسير ١ : ٧٩٠ . ورواه عن أبي علي .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٩٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٢٦/٣٢٦ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٣٩ ، والتفسير الوسيط ٣ : ٦٢٧ .

(٤) مع اعتبار الرتبة ، لم ترد في «هـ» و«و» .

(٥) في «هـ» و«و» : ينقص .

بمنزلة المنع .

ونهاية الشيء : غايته .

ونُهيّة الرّيد : الرّزّ ، وهو الحزّ في رأسه الذي يمنع الحبل أن ينسلخ ؛ لأنّه ينهّاه عن ذلك .

والنّهى : جمع نهية . وهي العقل ، والتّنهية وجمعها تناهي ، وهي مواضع تنهبط ويتناهى إليها ماء السماء .

والإنهاء : إبلاغ الشيء نهايته^(١) .

وفي الآية دلالة على أنّه تُقبل توبة القاتل عمداً ؛ لأنّه بيّن أنّه تُقبل توبة المشرك ، وهو أعظم من القتل ، ولا يحسُن أن تُقبل التوبة من الأعظم ولا تُقبل من الأقل .

فإن قيل : فما معنى جواب الشرط ، والله غفور رحيم ، وإن لم ينتهوا ؟

قيل : إنّ معناه : فإنّ الله غفور لهم رحيم بهم ، ويجوز : فإنّ الله يغفر لهم لأنّه غفور رحيم ، واختصر الكلام لدلالة ما تقدّم على أنّه في ذكرهم ، وإنّ الذي اقتضى انتهاءهم إنّما هو ذكر المغفرة لهم ، فكأنّ الدلالة عليها بغير إفصاح عنها أحسن ؛ لما في ذلك من الإيجاز والإحالة^(٢) على الاستدلال ، لتمكين الإشعار لمتضمّن الكلام .

والمغفرة : تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم .

(١) انظر : العين ٤ : ٩٣ ، وتهذيب اللّغة ٦ : ٤٣٨ ، والمحيط في اللّغة ٤ : ٦٨ ،
والصّاحح ٦ : ١٥١٧ ، ولسان العرب ١٥ : ٣٤٣ «نهى» .

(٢) في «هـ» و«و» : الإطالة .

قوله تعالى :

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنْتَهُوْا فَلَا عُدُوْنَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٣) آية .

هذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدؤوا بالقتال فيه ؛ لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام ، في قول الجُبائي والحسن وغيره ، وعلى ما حكىناه عن ابن عباس وعمر بن عبدالعزيز : أن الأولى ليست منسوخة ، فلا تكون هذه ناسخة بل تكون مؤكدة^(١) .

والفتنة : الشرك ، في قول ابن عباس وقَتادة ومجاهد والربيع وابن زيد^(٢) ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام^(٣) .

وإنما سَمِيَ الكفر فتنة ؛ لأنَّ الكفر يُوْدِي إلى الهلاك ، كما تُوْدِي الفتن إلى الهلاك ، ولأنَّ الكفر إظهار الفساد عند الاختبار ، والفتنة إنما هو الاختبار .

والدين - هاهنا - قيل في معناه قولان :

أحدهما : الإذعان لله بالطاعة ، كما قال الأعشى :

(١) تقدّم عند تفسير الآية ١٩٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٩٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٣٤/٣٢٧ ، وأحكام

القرآن للجصاص ١ : ٢٦٠ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٤٠ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ :

٦٣٨ .

(٣) الكافي ٨ : ٢٤٣/٢٠١ .

[٤٢] هُوَ ذَاكَ الرَّبَّابُ إِذْ كَسَرَهُمَا الدَّيْنِ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالٍ^(١)

والثاني: الإسلام دون الكفر، وأصل الدين العادة في قول الشاعر:

[٤٣] تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِيئِي أَهَذَا دِيْنُهُ أَبَدًا وَدِيْنِي

وقال آخر:

كَدِيْنِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارِيَتِهَا أُمُّ الرَّبَّابِ بِمَأْسَلٍ^(٢) [٥٠٦]

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي

دِينِ الْمَلِكِ﴾^(٣).

واستعمل بمعنى الإسلام؛ لأنَّ الشريعة فيه يجب أن تجري على

عادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤).

وقوله: ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوَ﴾:

معناه: امتنعوا عن^(٥) الكفر وأذعنوا بالإسلام، ﴿فَلَا عُدُوْنَ إِلَّا عَلَى

الظَّالِمِينَ﴾ أي فلا قتل عليهم، ولا قتل إلا على الكافرين المقيمين على

الكفر، وسُمِّيَ القتل عدواناً مجازاً من حيث كان عقوبة على العدوان

(١) تقدّم الاستشهاد به في تفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وكذلك البيت الآتي.

(٢) البيت لامرئ القيس، انظر: ديوانه: ٩، والظاهر للأنباري ١: ٣٨٢، ومعجم مقاييس اللغة ٢: ٣١٩ «دين» بلا نسبة، والبيت من قصيدته المعروفة التي مطلعها:

قفا نيك من ذكرئ حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول وحول
ومعنى الدين: الدأب، وهو العادة، وفي ديوانه - طبعة دار صادر -: كدأبك،
بدل: كدينك. أي لقيت من هذه ما كنت تلقى من أم الحويرث، وهي هرأخت
الحارث بن الحصين بن ضمضم. ومأسل: موضع.

والشاهد فيه: أنَّ الشاعر استعمل كلمة الدين بمعنى العادة.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٧٦.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٩.

(٥) في «ح» و«و»: من.

والظلم ، كما قال تعالى : ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ ^(١) ، وكما قال : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ ^(٢) ، وكما قال : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ ^(٣) وحسن ذلك لازدواج الكلام ومزاوجته هاهنا على المعنى ؛ لأن تقديره : ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ عن العدوان ﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .

فإن قيل : أيجوز أن تقول : لا ظلم إلا على الظالمين كما جاز : لا عدوان إلا على الظالمين ؟

قلنا : على القياس لا يجوز ؛ لأن ذلك مجاز ، والمجاز لا يقاس عليه عند المحصلين لثلاث تلتبس بالحقيقة بالمجاز ، وإنما أجازوا في المزوجة ؛ لأن الكلام معه أبلغ وأفصح ، كما قال عمرو بن شأس الأسدي ^(٤) :

جَزَيْنَا ذَوِي الْعُدْوَانِ بِالْأَمْسِ فَرَضَهُمْ قِصَاصاً سِوَاءَ حَذْوِكَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ^(٥) [٥٠٧]
وأصل الظلم : الانتقاص ، من قوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئاً﴾ ^(٦) .

(١) سورة البقرة ٢ : ١٩٤ .

(٢) سورة الشورى ٤٢ : ٤٠ .

(٣) سورة النحل ١٦ : ١٢٦ .

(٤) هو عمرو بن شأس بن عبيد الأسدي ، أبو عرار ، شاعر جاهلي مخضرم ، أدرك الإسلام وأسلم وهو شيخ كبير ، عُذ من الطبقة العاشرة من فحول الشعراء ، كثير الشعر في الجاهلية والإسلام .

له ترجمة في : معجم الشعراء للمرزباني : ٢٢ ، والأغاني ١١ : ١٩٦ ، ومعجم الشعراء للجبوري ٤ : ١٠١ .

(٥) رواه عنه الأخفش في معاني القرآن ١ : ١٦١ ، والطبري في تفسيره ٣ : ٣٠٢ ، والأندلسي في البحر المحيط ٢ : ٢٤٧ . وفي معاني القرآن : مثله ، بدل : فرضهم ، وفي تفسير الطبري : قرضهم .

والشاهد فيه : أن الشاعر يقول : جزينا الأعداء بما فعلوا بنا من ظلم حذو النعل بالنعل ، وإن كان بالحقيقة ما فعلوه بنا ظلم ، وما فعلنا بهم قصاص ليس بظلم .

(٦) سورة الكهف ١٨ : ٣٣ .

وحقيقته ما قدّمنا ذكره من أنّه ضرر محض لا نفع فيه يُوفى عليه عاجلاً ولا أجلاً، ولا هو واقع على وجه المدافعة .

قوله تعالى :

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٩٤) آية واحدة بلا خلاف .

الأشهر الحرم أربعة : رجب وهو فرد ، وثلاثة أشهر سرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم . والمراد - هاهنا - ذو القعدة ، وهو شهر الصّدّ عام الحديبية . وإنّما سُمّي الشهر حراماً ؛ لأنّه كان يحرم فيه القتال ، فلو أنّ الرجل يلقي قاتل أبيه أو ابنه لم يعرض له بسبيل ، وسُمّي ذو القعدة ذا القعدة ؛ لقعودهم فيه عن القتال .

و﴿الشَّهْرُ﴾ : مرتفع بالابتداء ، وخبره ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ ، وتقديره : قتال الشهر الحرام - أي في الشهر الحرام - بقتال الشهر الحرام ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

ويحتمل أن يكون تقديره : الشهر الحرام على جهة العوض لِمَا^(١) فات من الحجّ في السنة الأولى .

وقوله : ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما : الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام ، قال مجاهد : لأنّ قريشاً فخرت برّدّها رسول الله ﷺ يوم الحديبية

مُحَرَّمًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ عَنِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمَقْبَلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَقَضَى عَمْرَتَهُ وَأَقْصَاهُ بِمَا حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ يَوْمَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ وَالرَّبِيعِ وَابْنِ زَيْدٍ ^(١).

وروي عن ابن عباس ^(٢) وأبي جعفر محمد بن علي ^(٣) مثله.

وثانيهما: ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ بالقتال في الشهر الحرام، أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً.

قال الحسن: إنَّ مشركي العرب قالوا لرسول الله ﷺ: أَتُهَيْتُ عَنْ قِتَالِنَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؟ قال: «نعم» فأراد المشركون أن يغزوه ^(٤) في الشهر الحرام فيقاتلوه، فأنزل الله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ أي إن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم ^(٥)، وبه قال الزجاج والجُبَّائِي ^(٦).

وإنما جمع الحرمات لأحد أمرين:

أحدهما: أنه يريد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الإحرام.

الثاني: كل حرمة تستحل، فلا تجوز إلا على وجه المجازاة.

وفي الناس من قال: إنَّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا

(١) انظر: تفسير الطبري ٣: ٣٠٥ - ٣٠٨، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٢٦١، وتفسير الماوردي ١: ٢٥٢، وأسباب النزول للواحدي: ١٦٥، والتفسير البسيط ٣: ٦٢٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ٣٠٥، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٢٦١.

(٣) ذكرها أيضاً الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٥٤.

(٤) في «ح»: يغتروه، وفي أحكام القرآن: يُغَيِّرُوهُ.

(٥) رواه عنه الجصاص في أحكام القرآن ١: ٢٦١، والجشمي في التهذيب في

التفسير ١: ٧٩٥، وابن الجوزي في زاد المسير ١: ٢٠١.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ١: ٢٦٤، والتهذيب في التفسير ١: ٧٩٥.

الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً^(١).

وقال آخرون: ليست منسوخة؛ لأنه يجوز اجتماعها مع تلك الفريضة^(٢)، وهو الأولي؛ لأنه لا دلالة على نسخها. والحرام: هو القبيح الممنوع من فعله. والحلال: هو المطلق المأذون فيه.

والقصاص: الأخذ للمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إيّاه. فإن قيل: كيف جاز قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ مع قوله: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾؟

قلنا: الثاني ليس باعتداء على الحقيقة، وإنما هو على وجه المزاجية، ومعناه المجازاة على ما بيّننا^(٣). والمعتدي مطلقاً لا يكون إلا ظالماً فاعلاً لضرر قبيح، وإذا كان مجازياً فإنما يفعل ضرراً حسناً.

فإن قيل: كيف قال: ﴿بِمِثْلِ مَا آعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ والأول جور والثاني عدل؟

قلنا: لأنه مثله في الجنس، وفي مقدار الاستحقاق لأنه ضرر، كما أن الأول ضرر، وهو على مقدار ما يوجب الحق في كل جرم. وقيل: إن عداً واعتدى لغتان بمعنى واحد، ومثل: قُرْبٌ واقترب، وجَلَبٌ واجتلب، وقال قوم: في افتعل مبالغة ليست في فعل^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري ٣: ٣٠٨، ونسب القول إلى ابن زيد، والتهذيب في التفسير ١: ٧٩٦، والآية في سورة التوبة ٩: ٣٦.

(٢) انظر: التهذيب في التفسير ١: ٧٩٦، وتفسير القرطبي ٣: ٢٤٨.

(٣) في تفسير الآية: ١٩٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣: ٣١٢، والتهذيب في التفسير ١: ٧٩٤.

ومعنى قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني بالنصرة لهم،
كأنه قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة، أو أَنَّ نصرة الله معهم .
وأصل «مع»: المصاحبة في المكان أو الزمان ^(١).

قوله تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى جميع المكلّفين المتمكّنين من الإنفاق في سبيل الله أن
يُنْفِقُوا في سبيله، وسبيل الله: هو كلّ طريق شرعه الله تعالى لعباده،
ويدخل فيه الجهاد والحجّ وعِمارة القناطر والمساجد ومعاونة المساكين
والأيتام، وغير ذلك .

والإنفاق: هو إخراج الشيء عن ملك ماله إلى ملك غيره؛ لأنّه لو
أخرجته إلى هلاك لم يُسمَّ إنفاقاً .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾:

معناه: لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك بأن تفعلوا ما يؤدّي إليه .
وحقيقة الإلقاء: تصيير الشيء إلى جهة السفّل، وإنّما يقال: ألقي
عليه مسألة، مجازاً، كما يقال: طرح عليه مسألة .

والباء في قوله: ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ تحتل وجهين:
أحدهما: أن تكون زائدة، كقولك: تعلّقت زيدا، وتعلّقت بزيد،
وجذّبت الثوب، وجذّبت بالثوب، وعلمّته وعلمّته به، قال الشاعر:

(١) انظر: العين ١ : ٩٥ ، والصاح ٣ : ١٢٨٦ «مع» .

وَلَقَدْ مَلَأْتُ عَلَى نُصَيْبٍ جِلْدَهُ بِمَسَاءَةٍ إِنَّ الصَّدِيقَ يُعَاتَبُ^(١) [٥٠٨]
والمراد ملأت جلده مساءة .

والثاني : أن يكون على أصل الكلام من وجهين :
أحدهما : أن كل فعل متعدٍ إذا كُنِيَ عنه أو قَدَّر على المصدر دخلته
الباء ، كقولك : ضَرَبْتُهُ ، ثُمَّ تُكْنِي عنه فتقول : فَعَلْتُ بِهِ ، والآخر أن تقول :
أوقعت الضَّرْبَ بِهِ فجاء على أصل الأفعال المتعدية .
والوجه الآخر : أنه لما كان معناه : لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم ،
دخلت الباء لتدل على هذا المعنى ، وهو خلاف : أهلك نفسه بيد غيره .
وقيل في معنى الآية وجوه :

أولها : قال الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وهو المروى عن
حذيفة وابن عباس : إن معناها ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بالامتناع
من الإنفاق في سبيل الله^(٢) .

الثاني : ما روي عن البراء بن عازب ، وعبيدة السلماني : لا تركبوا
المعاصي باليأس من المغفرة^(٣) .

الثالث : ما قاله البلخي من أن معناها : لا تتجحموا الحرب من غير

(١) نسبه أبو زيد في النوادر : ٢٣٥ إلى أبي الغول ، ورواه الثعلبي في تفسيره ٥ : ٤٨
بلا نسبة إلى أحد .

وفي الأول : قال ثعلب ، يُعَاتَبُ ، أي غُظِّتْهُ حَتَّى انتفخ في جلده .
والشاهد فيه : قول الشاعر : ملأت جلده بمساءة . والباء زائدة ، والمعنى : ملأت
جلده مساءة .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣١٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٤٤/٣٣١ ، وتفسير
الثعلبي ٥ : ٤٩ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٣ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٧٩٩ .

(٣) رواه عنهما أيضاً : ابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٧٤٨/٣٣٢ ، والجصاص في
أحكام القرآن ١ : ٢٦٢ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٥٣ .

نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم^(١).

الرابع : ما قاله الجُبَّائي : لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النفس^(٢).

والأولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك .

والتَّهْلُكَةُ والهَلَاكُ واحد ، وقيل : التَّهْلُكَةُ : ما أهلكهم الله عنده .

وأصل الهَلَاك : الضياع ، وهو مصير^(٣) الشيء بحيث لا يُدرى أين هو ، ومنه يقال للكافر : هَالِكٌ ، وللمَيِّت : هَالِكٌ ، وللمعذَّب : هَالِكٌ .

والهَلُوكُ^(٤) : المَهْوَاةُ البعيدة ؛ لأنَّ الذي يَهْوِي فيها هَالِكٌ ، والهَلُوكُ : الفاجرة ، والهَلُوكُ : الْمُتَبَخِّرَةُ^(٥) ، تشبيهاً بالهَلُوكِ الفاجرة التي تتمايل في مشيتها ، تقول : هَلَكَ يَهْلِكُ هَلَاكاً وهَلَاكاً ، وَأَهْلَكَ إِهْلَاكاً ، وَتَهَالَكَ تَهَالُكاً ، وَاهْتَلَكَ اهْتِلَاكاً : إذا ألقى نفسه في المهالك ، واستَهْلَكَ استِهْلَاكاً ، وَانْهَلَكَ انْهِلَاكاً : إذا حمل نفسه على الأمر الصعب .

والهَالِكِي : الحَدَّاد ، وأصل ذلك أنَّ بني الهالك بن عمرو^(٦) كانوا قِيُوناً ، فَسُمِّيَ بذلك كُلُّ قَيْنٍ هَالِكِيّاً .

(١ و ٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٤٥/٣٣١ ، وأحكام القرآن للحصّاص ١ : ٢٦٢ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٣ ، وذكر جميع الأقوال وغيرها في التهذيب في التفسير ١ : ٧٩٩ .

(٣) في الحجرية : مصدر ، بدل : مصير .

(٤) كذا في النسخ ، وفي المصادر : الهَلَكُ .

(٥) ما أثبتناه من «ح» ، وفي «هـ» و«و» : المتبختر ، وفي الحجرية : المتحيرة ، وفي لسان العرب وتهذيب اللغة : كنْتُ أَتهْلِكُ في مغاوز ، أي كنت أدور فيها شِبْهَ المتحير .

(٦) في «هـ» و«و» : عمر .

والتَّهْلُكَةُ: كُلُّ مَا كَانَ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْهَلَاكِ .

والهالك: الفقير الذي بمضيعة^(١) .

والإِحْسَانُ: هو الإفضال إلى المحتاج، في قول زيد بن أسلم^(٢) .
وحدَّ الإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير، وليس المحسن مَنْ فَعَلَ
الفعل الحسن؛ لأنَّ الله تعالى يفعل العقاب وهو حَسَنٌ، ولا يقال: إنَّه
محسن به، ولا يُسَمَّى مستوفي الدَّيْنِ مُحْسِنًا وإن كان حَسَنًا، فإن أُطْلِقَ
ذلك في موضعٍ فعلى وجه المجاز .

وإنَّما اعتبرنا أن يكون النفع حسنًا؛ لأنَّ مَنْ أوصل نفعًا قبيحًا إلى
غيره لا يقال: إنَّه محسن إليه .

وقد بيَّنَّا حقيقة المحبة فيما مضى^(٣) فلا وجه لإعادته، ومحبة الله
للمحسين إرادة الثواب بهم والمنفعة لهم .

وقال عكرمة: أحسنوا الظنَّ بالله يبرِّ بكم . وقال ابن زيد: أحسنوا
بالعُودِ على المحتاج ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «لو أنَّ رجلاً أنفق ما في يديه في
سبيل من سبَّل الله ما كان أحسن ولا وُفَّقَ؛ لقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المقتصدين»^(٥) .

(١) انظر: معاني الكلمة واشتقاقاتها في: العين ٣: ٣٧٧، وتهذيب اللغة ٦: ١٤،
والمحيط في اللغة ٣: ٣٥٨، والصحاح ٤: ١٦١٦، ولسان العرب ١٠: ٥٠٣ «هلك» .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ٣٢٧، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٧٤٥/٣٣١ .

(٣) تقدَّم بيانه عند تفسير الآية: ١٦٥ و ١٩٠ .

(٤) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٣: ٣٢٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١:
١١٢ .

(٥) تفسير العياشي ١: ٢٢٢/١٩٤، الكافي ٤: ٧/٥٣ .

قوله تعالى :

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٩٦) آية واحدة بلا خلاف .

وروي عن الشعبي : أنه قرأ ﴿وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ رفعاً^(١)، وذهب إلى أنها ليست واجبةً ، كما قال أهل العراق^(٢) .

وعندنا وعند الشافعي^(٣) : أنها واجبة كوجوب الحج .

والقراء كلهم على النصب ﴿وَالْعُمْرَةَ﴾ عطفاً على قوله : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ﴾ وتقديره : وأتموا العمرة لله . وأمر الله تعالى جميع من توجه إليه وجوب الحج أن يَتِمَّ الحج والعمرة .

وقيل في إتمام الحج والعمرة^(٤) أقوال :

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٦٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ١ : ١١٤ ، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١٩ .

(٢) انظر : المحلى ٧ : ٤٢ ، وتحفة الفقهاء ١ : ٣٩١ ، وبداية المجتهد ٣ : ٢٤ .

(٣) انظر : الأم ٢ : ١٨٨ ، والاستذكار ١١ : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والمحلى ٧ : ٤٢ ، وبداية المجتهد ٣ : ٢٣ .

(٤) في «هـ» زيادة : أربعة .

أحدهما : أنه يجب أن يبلغ آخر أعمالهما بعد الدخول فيهما ، وهو قول مجاهد وأبي العباس المبرّد وأبي علي الجُبائي .

والثاني : قال سعيد بن جبیر وعطاء والسُّدي : إنَّ معناه إقامتهما إلى آخر ما فيهما ؛ لأنَّهما واجبان .

الثالث : قال طاوُس : إتمامهما إفرادهما .

الرابع : قال قتادة : الاعتمار في غير أشهر الحج^(١) . وأصحُّ الأقوال الأول .

والحجّ : هو القصد إلى البيت الحرام لأداء مناسك مخصوصة^(٢) في أوقات مخصوصة .

ومناسك الحجّ تشتمل على المفروض والمسنون ، والمفروض يشتمل على الركن وغير الركن ، فأركان الحجّ أولاً : النية والإحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة . والفرائض التي ليست بأركان : التلبية وركعتا طواف الزيارة وطواف النساء وركعتا الطواف له .

والمسنونات : الجهر بالتلبية واستلام الأركان وأيام منى ورمي الجمار والخلق أو التقصير ، والأضحية إن كان مُفرداً ، وإن كان متمتعاً فالهَدْْي واجب عليه ، وإلا فالصوم الذي هو بدل منه ، وتفصيل ذلك ذكرناه في النهاية والمبسوط والجُمْل والعقود^(٣) ، فلا نطوّل بذكره .

(١) تجد الأقوال والقائلين بها في : تفسير الطبري ٣ : ٣٢٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٦٣ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٤ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٨٠١ .

(٢) في «ح» والحجّرة زيادة : بها .

(٣) النهاية : ٢٠٢ ، المبسوط ١ : ٢٩٦ ، الجُمْل والعقود : ٢٢٣ (ضمن الرسائل العشر) .

وفي هذه المناسك خلاف كثير بين الفقهاء ، ذكرناه في مسائل الخلاف^(١) .

والعمرة واجبة كوجوب الحجّ ، وبه قال الحسن وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعطاء وابن جبير وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء والشافعي .

وقال إبراهيم النخعي والشَّعْبِي وسعيد بن جبير وأهل العراق : إنّها مسنونة .

وعن ابن مسعود فيه خلاف^(٢) ، فمن قال : إنّها غير واجبة قال : لأنّ الله تعالى أمر بإتمام الحجّ والعمرة ، ووجوب الإتمام لا يدلّ على أنّه واجب قبل ذلك ، كما أنّ الحجّ المتطوّع به يجب إتمامه وإن لم يجب الدخول فيه ، قالوا : وإنّما علمنا وجوب الحجّ بقوله تعالى : ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾^(٣) .

وهذا ليس بصحيح ؛ لأنّا قد بيّنا أنّ معنى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ : أقيموهما ، وهو المروي عن عليّ عليه السلام ، وعن عليّ بن الحسين عليه السلام مثله ، وبه قال مسروق والسُّدِّي^(٤) .

(١) الخلاف ٢ : ٢٤٥ .

(٢) انظر الأقوال في كتب التفسير : تفسير الطبري ٣ : ٣٣٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٦٣/٢٣٥ - ١٧٦٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٦٤ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٨٩ .

وانظر من الكتب الفقهية : الأمّ ٢ : ١٨٨ ، والمحلى ٧ : ٣٦ - ٤٢/مسألة ٨١١ ، والاستذكار ١١ : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، وتحفة الفقهاء ١ : ٣٩١ ، وبداية المجتهد ٣ : ٢٣ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٩٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٩٢ ، ٩٦ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٤٧ .

والْحُمْرَة : هي الزيارة في اللغة .

وفي الشَّريح : عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة أي وقتٍ كان من أيام السنة .

وأفعال العمرة الواجبة : النِّية والإِحرام والطواف والصلاة عند المقام والسعي بين الصفا والمروة وطواف النساء .

وفي بعض ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف^(١) .

وقوله : ﴿ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ ﴾ فيه خلاف ، قال قوم : فإن منعكم خوف أو عدو أو مرض أو هلاك بوجهٍ من الوجوه فامتنعتم لذلك .

وقال آخرون : إن مَنَعكم حابس قاهر .

فالأوّل قول مجاهد وقَتادة وعطاء ، وهو المروي عن ابن عباس^(٢) ، وهو المروي في أخبارنا^(٣) .

والثاني ذهب إليه مالك بن أنس^(٤) .

والأوّل أقوى ؛ لما روي في أخبارنا ، ولأنّ الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء ، وحصره : منعه ، ولهذا يقال : حَصَرَ العدو ، ولا يقال : أُخْصِر .

واختلف أهل اللغة في الفرق بين الإحصار والحصر ، فقال الكسائي

(١) الخلاف ٢ : ٣٣٠ مسألة ١٤٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٢٤٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٦٧/٣٣٥ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٦٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٤٩ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٤ .

(٣) الكافي ٤ : ٣٦٨ «باب المحصور والمصدود» ، تهذيب الأحكام ٥ : ١١١/٤٢١ - ١١٦ .

(٤) الموطأ ١ : ٩٨/٣٦٠ .

وأبو عبيدة وأكثر أهل اللغة: إن الإحصار: المنع بالمرض أو ذهاب النفقة .
والحصار بحبس العدو^(١).

وقال الفراء: يجوز كل واحد منهما مكان الآخر^(٢).

وخالفه في ذلك أبو العباس والزجاج^(٣)، واحتج المبرد بنظائر ذلك ،
كقولهم: حبسه أي جعله في الحبس، وأحبسه أي عرضه للحبس، وقتله:
أوقع به القتل، وأقتله: عرضه للقتل، وقبره: دفنه في القبر، وأقبره: عرضه
للدفن في القبر، وكذلك حصره: حبسه^(٤)، أي أوقع به الحضر، وأحصره:
عرضه للحضر^{(٥)(٦)}.

ويقال: أحصره إحصاراً: إذا منعه، وحصره يحصره حصرأ: إذا
حبسه، وحصر حصرأ: إذا عي في الكلام، وحاصره مُحاصرة: إذا ضيق
عليه في القتال، والحصر: الضيق، هذا حصر شديد .
والحصر: الذي لا يبوح بسرّه؛ لأنه قد حبس نفسه عن البوح به .

(١) معاني القرآن للكسائي: ٨٦، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٦٩، تهذيب اللغة ٤:
٢٣٣، الصحاح ٢: ٦٣٢ «حصر» .

وقال الفيومي في المصباح المنير: ١٣٨ «حصر»: حصره العدو حصرأ من باب
قتل: أحاطوا به ومنعوه من المضى لأمره، وقال ابن السكيت وثعلب: حصره العدو
في منزله: حبسه، وأحصره المرض - بالألف - منعه من السفر، وقال الفراء: هذا
هو كلام العرب وعليه أهل اللغة .

(٢) معاني القرآن ١: ١١٨ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١: ٢٦٧، ورواه عنهما الجصاص في أحكام القرآن ١:
٢٦٨ .

(٤) حبه، لم ترد في «ه» .

(٥) في «ه» : للحبس .

(٦) حكى الاستدلال عنه العسكري في الفروق اللغوية: ٦٣، والجصاص عنهما في
أحكام القرآن ١: ١٦٨ .

وَالْحَصِيرُ: الْمَلِكُ .

وَالْحَصِيرُ: الْمَحْبِسُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^(١) .

وَالْحَصُورُ: الَّذِي لَا إِرَةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ ، وَالْحَصُورُ: الْهُيُوبُ الْمُخِجِمُ عَنْ الشَّيْءِ .

وَالْحَصِيرُ: الْبَخِيلُ لِحَبْسِهِ رَفْدَهُ .

وَأَصْلُ الْبَابِ: الْحَبْسُ^(٢) .

وقوله : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ موضع «ما» رفعٌ ، كأنه قال : فعليه ما استيسر من الهدى ، ويجوز النصب ، وتقديره : فليهد ما استيسر من الهدى .

والرفع^(٣) أقوى ؛ لكثرة نظائره ، كقوله : ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِّيَامٍ﴾ وقوله : ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٤) وقوله : ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ .

وفي معنى : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ خلاف ، فروي عن عليٍّ عليه السلام وابن عباس والحسن وقتادة : أنه شاة .

وروي عن ابن عمر وعائشة : أنه ما كان من الإبل والبقر دون غيره ،

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٨ .

(٢) انظر: العين ٣ : ١١٣ ، والصاح ٢ : ٦٣٠ ، ولسان العرب ٤ : ١٩٣ «حصر» .

(٣) في «ه» و«و» : أتقن .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٨٤ .

ووجَّها التيسر على ناقةٍ دون ناقةٍ وبقرةٍ دون بقرةٍ^(١).

والأوّل هو المعمول عليه عندنا .

وفي اشتقاق الهدي وأصله قولان :

أحدهما : أنّه من الهدية ، يقال : أهديتُ الهديةَ إهداءً ، وأهديتُ إلى البيتِ الهدى إهداءً ، فعلى هذا يكون : هدياً لأجل التقرب به إلى الله بإخلاص الطاعة فيه على ما أمر به .

الثاني : من هديته هدىً : إذا سقته إلى طريق الرشاد^(٢).

وواحد الهدى هذية ، وروى أبو عبيدة عن أبي عمرو : أنّه لا يُعرف له نظير إلّا جذية السرج وجدي^(٣).

وقال المبرد : وهو مطرّد في الأجناس كتمرة وتمر وشربة وشري ، وهو الحنظل^(٤).

وقوله : «وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ» :

معناه : لا تزيلوا شعور رؤوسكم ، يقال : خلّقَ يخلُقُ خلقاً ، وخلّقَ تخليقاً ، وأنخلقَ أنخلاقاً ، والخلقُ : مجرى الطعام والشراب في المريء . والخلقةُ : خلقةُ القوم ، وخلقةُ الحديد ، والخلقةُ : السلاح ، ويقال أيضاً بالتخفيف .

(١) انظر القولين وغيرهما في : تفسير الطبري ٣ : ٣٤٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٦٩/٣٣٦ - ١٧٧٤ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٢٩ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٤٩ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣٥٩ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٢٩ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٥ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٦٩ ، و٢ : ٢١٧ ، ورواه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٣٥٨ .

(٤) المقتضب ٢ : ٢٠٧ .

وَحَلَقَ الطائر في الهواء : إذا ارتفع ، وهَوَى من حَالِقٍ : أي من عَلُو إلى سفلي .

وَحَلَقَ صَرْعُ الناقة : إذا ارتفع لبنها .

وَحَلَقَ : المنية .

وجاء بالحِلَق : إذا جاء بالمال الكثير ، والمُحَلَّق : مُحَلَّق الشَّعر بالمُوسَى وما أشبهه ^(١) .

وَحُلُوُق الأرض : مجاريها في أوديتها .

والمُحَلَّق : موضع حلق الرأس بجنى .

وأصل الباب : الاستمرار ^(٢) .

والرؤوس : جمع رأس ، يقال : رَأْسَ يَزُأْسُ رِيَاسَةً ، وَتَرَأْسَ تَرَأْسًا ، وَرَأْسَهُ تَرِئْسًا .

والرَأْس : أعلى كل شيء .

الرؤاسي : العَظِيمُ الرأس فوق قدره .

وكلبة رُؤوس : وهي التي تساور رأس الصيد .

وسَحابة رائسة : وهي التي تَقَدِّمُ السَّحاب ، ورجل مَرُؤوس : إذا أصابه البرُسام ^(٣) في رأسه .

(١) في «هـ» : وما أشبهها . قال الفيومي في المصباح المنير : ٥٨٥ «ماس» : وأوجز ابن الأنباري فقال : المُوسَى يذكر ويؤنث ، إلى أن قال : عن أبي عبيد لم أسمع تذكير المُوسَى إلا من الأموي .

(٢) انظر اشتقاق «حَلَقَ» في : العين ٣ : ٤٨ ، وتهذيب اللغة ٤ : ٥٨ ، والمحيط في اللغة ٢ : ٣٥٤ ، والصحاح ٤ : ١٤٦٢ ، ولسان العرب ١٠ : ٥٨ «حلق» .

(٣) في العين وتهذيب اللغة : السراسم .

(وَرَأْسٌ فَلَانٌ فَلَانًا : إِذَا ضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ .

وأصل الباب : الرأس ^(١) ^(٢) .

وقوله : ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ :

معناه : حتى ينتهي إليه ، يقال : بَلَغَ يَبْلُغُ بُلُوغًا ، وَأَبْلَغَهُ إِبْلَاغًا ، وَيَبْلُغُهُ تَبْلِيغًا ، وَبَالِغٌ مُبَالِغَةٌ ، وَتَبَالُغَ تَبَالُغًا ، وَتَبْلُغَ تَبْلُغًا ، وَيَبْلُغَ الرَّجُلُ بِلَاغَةً : إِذَا صَارَ بَلِيغًا ، وَالبُّلُغَةُ : الْقُوَّةُ .

وأصل الباب : البلوغ ، وهو الانتهاء ، ومنه البلاغة ؛ لأنها تبلغ بالمعنى إلى القلب ^(٣) .

وقيل في محلّ الهدى قولان :

أحدهما : ما رُوي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطاء : أنه الحرم ، فإذا ذبح به يوم النحر أحلّ .

الثاني : قال مالك : إنّه الموضع الذي صُدّ فيه ، وهو المكان الذي يحلّ نحره فيه ، قال : لأنّ النبي ﷺ نحر الهدى وأمر أصحابه فنحروا بالحديبية ^(٤) .

وعندنا أنّ الأوّل حكم المُخَصَّر بالمرض ، والثاني حكم المحصور

(١) انظر : العين ٧ : ٢٩٤ ، وتهذيب اللغة ١٣ : ٦٣ ، والمحيط في اللغة ٨ : ٣٧٣ ،
والصاحح ٣ : ٩٣٢ ، ولسان العرب ٦ : ٩١ «رأس» .

وفي «و» زيادة : على كلّ شيء .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «ح» .

(٣) انظر : العين ٤ : ٤٢١ ، وتهذيب اللغة ٨ : ١٣٨ ، والصاحح ٤ : ١٣١٦ ، ولسان
العرب ٨ : ٤١٩ «بلغ» .

(٤) انظر القولين في : تفسير الطبري ٣ : ٣٦٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٧٢ ،
وتفسير الثعلبي ٥ : ١٣١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٥ ، والمحلى ٧ : ٢٠٦ .

٣٨٦ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤

بالعدو، وروي أيضاً أن محله منى إن كان في الحج، وإن كان في العمرة فمكة^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ :
فالأذى: كل ما تأذيت به، ورجل أذِي^(٢): إذا كان شديد التأذي^(٣)
تقول: أَذِي يَأْذِي أَذًى .
وأصله: الضرر بالشيء^(٤).

وروى أصحابنا أن هذه الآية نزلت في إنسانٍ يُعرف بكعب بن
عُجْرة^(٥).

وروى ذلك أيضاً أصحاب التأويل وأنه كان قد قَمِلَ رأسه فأنزل الله
فيه هذه الآية^(٦)، لكنها محمولة على جميع الأذى.

(١) المقنع: ٢٤٤ - ٢٤٥، تهذيب الأحكام ٥: ١١٦/٤٢٣.
(٢) ما أثبتناه من «ؤ» والعين وتهذيب اللغة واللسان، وفي بقیة النسخ والمحيط في اللغة: أذ.
(٣) ما أثبتناه من «ح» والحجریة وجميع المصادر و«ؤ» (خ ل)، وفي بقیة النسخ: الأذى.

(٤) انظر: العين ٨: ٢٠٦، وتهذيب اللغة ١٥: ٥١، والمحيط في اللغة ١٠: ١١٩، ولسان العرب ١٤: ٢٧ «أذى».

(٥) هو كعب بن عُجْرة بن أمية البلوي حليف الأنصار، وقيل من أنفسهم، يكنى أبا محمد، وتأخر إسلامه، وشهد المشاهد كلها، روى عنه: ابن عمر وجابر بن عبد الله وابن عباس وغيرهم، وتوفي في المدينة سنة إحدى وخمسين، وقيل غير ذلك. له ترجمة في الاستيعاب ٣: ٢١٩٧/١٣٢١، وأسد الغابة ٤: ٤٤٦٥/١٨١، والإصابة ٥: ٧٤١٣/٣٠٤.

(٦) تفسير العياشي ١: ٢٣٥/١٩٧، الكافي ٤: ٢/٣٥٨، الفقيه ٢: ٢٦٩٧/٣٥٨، تهذيب الأحكام ٥: ١١٤٧/٣٣٣.

(٧) رواها أيضاً الطبري في تفسيره ٣: ٣٨٠، والواحي في أسباب النزول: ١٧٢.

وقوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ﴾ :

فالذي رواه أصحابنا أنَّ الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستّة مساكين ،
وزُوي عشرة مساكين . والنُّسْك : شاة^(١) .

وفيه خلاف بين المفسّرين . فرُوي عن كعب بن عُجْرَةَ الأنصاري
ومجاهد وعلقمة وإبراهيم والربيع واختاره الجُبَّائي مثل ما قلناه : إنَّ الصوم
ثلاثة أيّام والإطعام لستّة مساكين^(٢) .

وقال الحسن وعكرمة : صوم عشرة أيّام أو^(٣) إطعام عشرة مساكين
لكلّ مسكين نصف صاع بلا خلاف^(٤) .

ولم يختلفوا في النُّسْك أنّه شاة .
والنُّسْك : جمع نسيكة ، ويُجمع أيضاً : نَسَاك ، كَصَحِيفَةٍ وَصَحَافٍ
وَصُحُف .

وقوله: ﴿فَإِذَا أَمِئْتُمْ﴾ :

معناه : أمتم أن يحصركم العدو أو أمتم المرض ﴿فَمَن تَمَتَّعَ
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ ففَرَضُ التمتع عندنا هو اللازم لكلّ مَنْ لم يكن من

(١) الكافي ٤ : ٣/٣٥٨ ، الفقيه ٢ : ٢٦٩٧/٣٥٨ ، تهذيب الأحكام ٥ : ١١٤٧/٣٣٣ ،
و١١٤٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣٨٢ ، و٣٩١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٧٨٣/٣٣٨ -
١٧٨٥ ، والمحلى ٧ : ٢١٢ ، ومعاني القرآن للنخاس ١ : ١٢٠ ، وأحكام القرآن
للجصاص ١ : ٢٨١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٦ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٨٠٩ .

(٣) في «هـ» و«و» : و .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣٩٤ ، والمحلى ٧ : ٢١٢ ، وأحكام القرآن للجصاص
١ : ٢٨١ ، وتفسير التعلبي ٥ : ١٣٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٥٢ ، وتفسير
الماوردي ١ : ٢٥٦ .

حاضري المسجد الحرام، وحدّ حاضري المسجد الحرام: مَنْ كان على اثني عشر ميلاً من كلّ جانبٍ إلى مكّة: ثمانية وأربعين^(١) ميلاً، فما خرج عنه فليس من الحاضرين، لا يجوز له مع الإمكان غير التمتع، وعند الضرورة يجوز له القرآن والإفراد. ومَنْ كان من حاضري المسجد الحرام لا يجوز له التمتع، وإنّما فرضه القرآن أو الأفراد على ما نفّسره في القرآن والإفراد.

وسياق المتمتع أن يُحرّم من الميقات في أشهر الحجّ وهي: شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، ثم يخرج^(٢) إلى مكّة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر، ثم يُنشئ إحراماً آخر بالحجّ من المسجد الحرام ويخرج إلى عرفات، ويقف هناك، ويفيض إلى المشعر، ويغدو منها إلى منى، ويقضي مناسكه هناك، ويدخل من^(٣) يومه إلى مكّة، فيطوف بالبيت طواف الزيارة، ويسعى بين الصفا والمروة، ويطوف طواف النساء، وقد أحلّ من كلّ شيء، ويعود إلى منى فيبيت ليالي منى بها، ويرمي الجمار في ثلاثة أيّام على ما شرحناه في النهاية^(٤) والمبسوط^(٥).

وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف^(٦).

وللمفسّرين في التمتع أربعة أقوال:

(١) في «هـ»: وأربعون.

(٢) ما أثبتناه من الحجريّة، وفي جميع النسخ: يدخل.

(٣) في الحجريّة: في.

(٤) النهاية: ٢٠٢.

(٥) المبسوط ١: ٢٩٦.

(٦) الخلاف ٢: ٢٤٥.

فالأول : ما رواه أنس بن مالك : أنَّ النبي ﷺ أهل بعمره وحبّة ، وسمّوه قارناً ، وأنكر ذلك ابن عمر^(١) .

والثاني : ما روي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيّب وعطاء واختاره الجُبائي ، وهو أن يعتمر في أشهر الحجّ ، ثمّ يأتي مكّة ، فيطوف ويسعى ويقصّر ، ثمّ يُقيم حلالاً إلى يوم التروية أو يوم قبله ، فيهلّ فيه بالحجّ من مكّة ثمّ يحجّ^(٢) . وهذا مثل ما قلناه سواء .

وقال البلخي : إنّ هذا الضرب كرهه عمر ونهى عنه ، وكرهه ابن مسعود^(٣) .

الثالث : هو الفاسخ^(٤) للحجّ بالعمرة ، رواه جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري : أنَّ رسول الله ﷺ أمرهم وقد أهلوا بالحجّ لا ينوون غيره أن يعتمروا ثمّ يحلّوا إلى وقت الحجّ^(٥) . وهذا عندنا جائز أن يفعل . وروي عن أبي ذر^(٦) : أنَّها كانت لأصحاب النبي ﷺ

(١) انظر : مسند أحمد ٣ : ٩٩ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٨٦ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٤٠ «باب مَنْ قال : يُسمّي الحجّ أو العمرة أو هُما عند الإهلال» ، والتمهيد ٨ : ٣٥٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٤١٦ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٤٠ ، والهداية للمرغيناني ١ : ٦٥٣ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٦ .

(٣) انظر : التمهيد ٨ : ٣٥٣ .

(٤) في الحجزيّة : الناسخ .

(٥) انظر : مسند أبي داؤد الطيالسي ٣ : ١٧٨١/٢٥٥ ، وصحيح مسلم ٢ : ١٤٤/٨٨٥ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٣ و ٢٢ ، والتمهيد ٨ : ٣٥٨ .

(٦) هو جندب بن جنادة الغفاري ، اختلف في اسمه ، وما أثبتناه هو المشهور ، أمّه لله

خاصّة^(١). وكذلك يقولون: إنَّ عمر أنكر هذه المتعة^(٢).

الرابع: قال ابن الزبير: إنَّ الْمُحْضَر إذا دخل مَكَّةَ بعد فوت الحجِّ يتمتّع بالعمرة؛ لأنَّه يحلُّ بها إلى وقت الحجِّ، وكذلك مَنْ اعتمر في غير أشهر الحجِّ ثمَّ حجَّ تلك السنة فهو المتمتّع، ولا هدي عليه^(٣). وهذا عندنا فاسد بما قدّمناه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ فالهدي واجب على المتمتّع بلا خلاف؛ لظاهر التنزيل، على خلاف فيه أنه تُسَكُّ أو جُبران؛ فعندنا أنه تُسَكُّ، وفيه خلاف^(٤)، فإن لم يجد الهدي ولا ثمنه صام ثلاثة أيّام في الحجِّ، وعندنا أن وقت صوم الثلاثة أيّام: يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، فإن صام في أوّل العشر جاز ذلك رخصة.

وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى^(٥) يوماً آخر بعد التشريق، فإن فاته يوم التروية صام بعد انقضاء^(٦) التشريق ثلاثة أيّام متتابعات.

جارية بنت الوقعة، قديم الإسلام أسلم بعد أربعة، وتوفّي بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وخبر وفاته معلوم مشهور، قال فيه النبي ﷺ: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر». روى عن النبي ﷺ، وروى عنه: أنس وابن عباس والأحنف وغيرهم.

له ترجمة في: الاستيعاب ٤: ٢٩٤٤/١٦٥٢، وأسد الغابة ٥: ٥٨٦٢/٩٩، والإصابة ٧: ٣٨٢/٦٠.

(١) صحيح مسلم ٢: ١٦٠/٨٩٧ - ١٦٣، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم ٢: ١٤٥/٨٨٥، والتمهيد ٨: ٣٥٩.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٢٩٠، والمحلى ٧: ١٥٨.

(٤) انظر: الخلاف ٢: ٢٦٩/مسألة ٣٥.

(٥) في «ه»: صام.

(٦) في «ه»: أيّام.

وروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد : أنه يجوز ما بين إحرامه في أشهر الحج إلى يوم عرفة ، واستحبوا أن يكون يوماً قبل التروية ، ويوم عرفة^(١) .

ووقت صوم السبعة أيام إذا رجع إلى أهله ، وبه قال عطاء وقتادة^(٢) . وقال مجاهد : إذا رجع عن حجّه في طريقه^(٣) .

فأمّا أيام التشريق فلا يجوز صومها عندنا ، وبه قال جماعة من المفسرين ، واختاره الجُبائي^(٤) ؛ لنهي النبي ﷺ عن صوم أيام التشريق^(٥) . وروي عن ابن عمر وعائشة جواز ذلك^(٦) .

وقوله : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ :

اختلفوا في معناه ، فقال الحسن والجُبائي ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام : إنّ المعنى : كاملة من الهدي ، أي إذا وقعت بدلاً منه

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٤٢٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٨٠٢/٣٤٢ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٤٣ .

(٢) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٣ : ٤٣٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ٢٩٨ ، وانظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٤٣/١٨٠٥ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٤٣٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٨٠٨/٣٤٣ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٤٣ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٧ ، وفي المصادر الثلاثة الأولى عن مجاهد : هي رخصة إن شاء صامها في الطريق .

(٤) رواه عنه أيضاً الجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٨١٣ .

(٥) انظر : الموطأ ١ : ٣٧٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٩٥ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٨١٣ .

(٦) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٨ : ٧٦٠ « مَنْ رَخَّصَ فِي صَوْمِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ » ، وتفسير الطبري ٣ : ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٧ ، والسنن الكبرى للبيهقي ٤ : ٢٩٨ .

استكملت ثوابه^(١).

الثاني: ما ذكره الزجاج والبلخي أنه لإزالة الإيهام لنَّلا يُظَنُّ أَنَّ الواو بمعنى أو، فيكون كأنه قال: فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة أيام إذا رجعتُم؛ لأنه إذا استعمل «أو» بمعنى الواو جاز أن يستعمل الواو بمعنى أو، كما قال: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَّةَ وَرُبْعَ﴾^(٢) والمراد: أو، فذكر ذلك لارتفاع اللبس^(٣).

الثالث: قاله المبرِّد: إنه أعاد ذلك للتأكيد^(٤)، كما قال الشاعر:

ثَلَاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهِنَّ خَمْسٌ وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى شِمَامٍ^(٥) [٥٠٩]
وتقول: ثَلَّثْتُ الْقَوْمَ أَثْلَيْتُهُمْ فَأَنَا ثَالِثُهُمْ، وربما قالوا: ثَلَّثْتُ الرَّجُلَيْنِ، أي صِرْتُ لهما ثالثاً، والثَلَّثْتُ: جزء من ثلاثة، والمَثَلَّثْتُ: شكل على ثلاثة أضلاع، والمَثْلُوثُ: ما أخذ ثلثه، والثَّلَاثَاءُ: اليوم الثالث من الأحد، والثَّلَاثِيَّ: ما نُسِبَ إلى ثلاثة أشياء.
وأصله: الثلاثة من العدد.

(١) انظر: الكافي ٤: ١٥/٥١٠، وتهذيب الأحكام ٥: ٤٩/٤٠، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وتفسير الطبري ٣: ٤٣٦، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٨٠٩/٣٤٣، وتفسير الماوردي ١: ٢٥٧، والتهذيب في التفسير ١: ٨١٠.

(٢) سورة النساء ٤: ٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١: ٢٦٨، التهذيب في التفسير ١: ٨١٠.

(٤) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٧٠، ومعاني القرآن للأخفش ١: ١٦٣، وتفسير الثعلبي ٥: ١٤٣، والتهذيب في التفسير ١: ٨١٠، بلانسة في الجميع.

(٥) البيت للفردق أنشدته ضمن أبيات أمام سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه واضح كما في المتن.

انظر: طبقات الشعراء لابن قتيبة: ٣١٥، وعيون الأخبار لابن قتيبة: ٢: ٣٣، والأغاني ٢١: ٣٧٣، والموشح للمرزباني: ١٤٥، ووفيات الأعيان ٦: ٩٤.

وأهل الرجل: زوجته، والتَّاهُل: التَّزْوَج، وأهل الرَّجُل: أَخْصُ
الناس به، وأهل البيت: سَكَانَه، وأهل الإسلام: مَنْ يَدِين به، وأهل
القرآن: مَنْ يقرأه ويقوم بحقوقه، وَأَهْلَتْهُ لهذا الأمر، أي جعلته أهلاً له،
والأَهْلِيّ: خلاف البرّي، وقولهم: مَرْحَباً وأهلاً، أي اختصاصاً بالتحية
والتكرمة.

وقد بَيَّنَّا أَنَّ أهل ﴿حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ أَوْ بَيْنَهُ
وَبَيْنَهَا اثْنَا عَشَرَ مِيلاً مِنْ أَرْبَعِ جَوَانِبِهَا^(١).

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: إِنَّهُمْ أَهْلُ الْحَرَمِ^(٢)، وروى في
أخبارنا أيضاً ذلك^(٣).

وقال مكحول^(٤) وعطاء: من بين مكَّة والمواقيت.

وقيل: ثُمَّ أَهْلُ الْحَرَمِ وَمَنْ قَرِبَ مَنْزِلَهُ مِنْهَا^(٥) كَأَهْلِ عَرَفَةَ وَعُرْنَةَ،

(١) تقدّم عند تفسير: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ من هذه الآية.

(٢) رواه عنهما أيضاً الطبري في تفسيره ٣: ٤٣٨، وابن أبي حاتم ١: ١٨١٤/٣٤٤،
وأحكام القرآن للجصاص ١: ٢٨٩، وتفسير الماوردي ١: ٢٥٨، والمحلّي لابن
حزم ٧: ١٤٦.

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٥٠/٢٠١.

(٤) هو مكحول بن دبر، ويقال: ابن أبي مسلم بن شاذل بن سندر الكابلي، من
سبي كابل، مولى لامرأة من هذيل أو من قريش، فقيه أهل الشام، أبو عبدالله،
روى عن: أنس بن مالك، ووائل بن الأسقع، وأبي أمامة وغيرهم، وروى عنه:
الزهري، وخميد الطويل، والمعلّى بن الحارث وغيرهم، توفي سنة اثنتي عشرة
ومائة.

له ترجمة في: الطبقات الكبرى ٧: ٤٥٣، وتاريخ دمشق ٦٠: ٧٦٢٢/١٩٧،
وسير أعلام النبلاء ٥: ٥٧/١٥٥.

(٥) في «هـ» من مكَّة.

ذهب إليه الزهري^(١) ومالك^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

تقول: عَقِبَ الشيءُ يَعْقِبُ بمعنى خَلَفَ بعد الأول، وَأَعْقَبَ إِغْقَابًا، وَتَعَقَّبَ الرَّأْيَ تَعَقَّبًا، ﴿وَالْعَقِيبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) أي الآخرة، ﴿وَنُرْذُ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾^(٤) أي نُعَقِّبُ بالشر بعد الخير، والعقبة: رُكُوب أعقبه المشي، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾^(٥) ملائكة الليل تَخْلُفُ ملائكة النهار، وَعَقِبَ الإنسان: نَسَله، وَعَقِبُهُ: مُؤَخَّر قدمه، والعقبة: المَصْعَدُ في الجبل، والعقب: الصعب، والعقاب: الطائر، واليعقوب: ذَكَر القَنْج، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾^(٦) أي لا رادَ لقضائه.

وأصل الباب: الْعَقِبُ: الْخَلْفُ بعد الأول^(٧).

(١) في «و»: الرهيمي .

(٢) انظر القولين الأخيرين في: تفسير الطبري ٣: ٤٤٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١:

١٨١٢/٣٤٤ - ١٨١٤، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٢٨٩، وتفسير الماوردي ١:

٢٨٥، والمحلى لابن حزم ٧: ١٤٦.

(٣) سورة الأعراف ٧: ١٢٨.

(٤) سورة الأنعام ٦: ٧١.

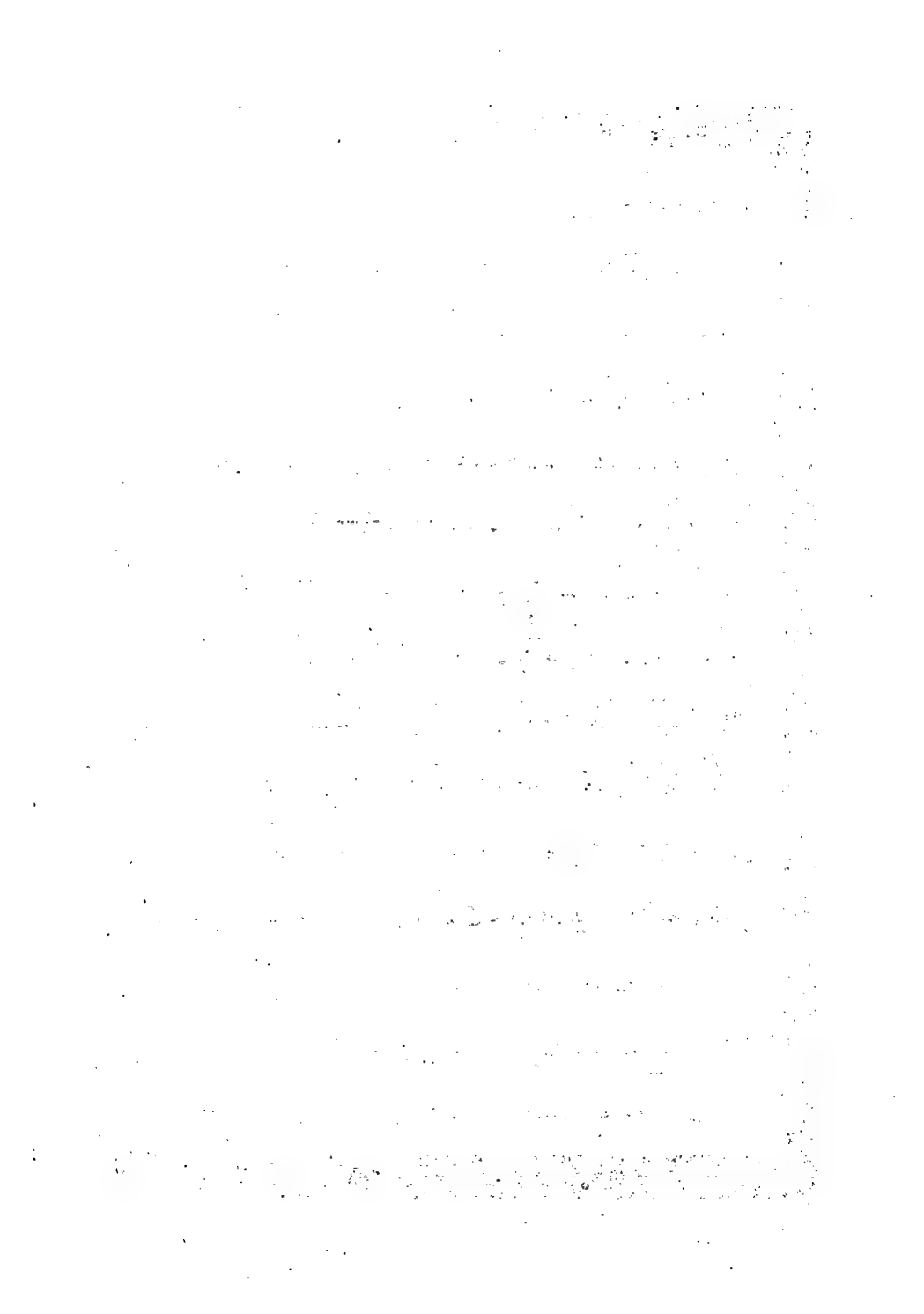
(٥) سورة الرعد ١٣: ١١.

(٦) سورة الرعد ١٣: ٤١.

(٧) انظر: العين ١: ١٧٨، والتهذيب في اللغة ١: ٢٧١، والصاحح ١: ١٨٤،

ولسان العرب ١: ٦١١ «عقب».

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
 وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَاتَ فَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
 يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۖ وَتَكْرَدُوا فَاتَّخِذُوا خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ۚ وَاتَّقُوا
 يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
 تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ
 عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
 وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
 النَّكَاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
 فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
 آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۚ فَمِنَ النَّكَاسِ مَنْ
 يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلْقٍ ﴿١٢٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٢١﴾
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٢٢﴾



قوله تعالى :

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٧) آية بلا خلاف .
قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بالرفع ، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ بالنصب ، والباقون بالنصب فيهن^(١) .

تقدير الآية : أشهر الحج أشهر معلومات ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

وأشهر الحج عندنا : شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام^(٢) ، وبه قال ابن عباس وابن عمر وإبراهيم والشَّعْبِي ومجاهد والحسن ، واختاره الجُبَّائِي .
وقال عطاء والربيع وابن شهاب وطاؤس : أشهر الحج : شوال وذو القعدة ، وذو الحجة^(٣) ، وروي ذلك في أخبارنا^(٤) .

(١) السبعة في القراءات : ١٨٠ الحجة للقراء السبعة ٢ : ٢٨٦ ، حجة القراءات لأبي زرع : ١٢٨ .

(٢) انظر : الكافي ٤ : ٣/٢٩٠ «باب أشهر الحج» .

(٣) ذكر الأقوال والقائلين بها الطبري في تفسيره ٣ : ٤٤٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ : ١٨١٧ ، ١٨١٦/٣٤٥ ، والثعلبي في تفسيره ٥ : ١٤٦ ، ١٥٠ ، والقيسي في النهاية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦٠ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٥٨ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٨١٧ .

(٤) انظر : تفسير العياشي ١ : ٢٥٤/٢٠٣ و ٢٥٥ و ٢٥٧ ، والكافي ٤ : ١/٣٨٩ و ٢ «باب أشهر الحج» ، والفتاوى ٢ : ٢٥٢٠/٣٠١ ، و ٢٩٣٧/٤٤٨ ، و ٢٩٥٩/٤٥٦ ،

وإنما كانت هذه أشهر الحج؛ لأن الإحرام بالحج لا يصح أن يقع إلا فيها بلا خلاف، وعندنا أن الإحرام بالعمرة التي يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها.

ومَنْ قال: إن جميع ذي الحجة من أشهر الحج، قال: لأن^(١) جميع ذي الحجة يصح أن يقع فيه شيء من أفعال الحج، مثل صوم الثلاثة أيام، فإنه يصح أن يقع في جميع ذي الحجة، وكذلك يصح أن يقع ذبح الهدي فيها.

وقال قوم: إن المعنى واحد في قول الفريقين.
وقال آخرون: هو مختلف^(٢)؛ من حيث إن الثاني معناه: أن العمرة لا ينبغي أن تكون في الأشهر الثلاثة على الكمال؛ لأنها أشهر الحج، والأول على أنها لا ينبغي أن تكون في شهرين وعشر من الثالث، فقد روي عن ابن عمر: أن تفصلوا بين الحج والعمرة، فتجعلوا العمرة في غير أشهر الحج أتم لحج أحكم وأتم لعمرته.

وروي ذلك عن القاسم بن محمد، وعن^(٣) ابن شهاب عن عبدالله وعن ابن سيرين^(٤). وقد بينّا مذهبنا في ذلك.

فإن قيل: كيف جمع^(٥) شهرين وعشرة أيام ثلاثة أشهر؟

المؤلفاني الأخبار: ١/١٩٣، والاستبصار ٢: ١/١٦١، وتهذيب الأحكام ٥: ٢/٤٦،
و١/٥١، و٣٦/٦٠، و٤٤٥/١٩٦.

(١) في «هـ» و«و»: إن.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ٤٤٨، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٢٩٩.

(٣) وعن، أثبتناه من «هـ»، وفي بقية النسخ: «عن» بدون الواو.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣: ٤٤٩، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٨١٨/٣٤٥.

(٥) في «هـ»: جعلتم.

قلنا : لأنه قد يضاف الفعل إلى الوقت وإن وقع في بعضه ، ويجوز أن يضاف الوقت إليه كذلك ، كقولك : صليت صلاة يوم الجمعة ، وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه .

ويقال أيضاً : قدم زيد يوم كذا ، وخرج يوم كذا ، وإن كان قدومه أو خروجه في بعضه ، فكذلك جاز أن يقال : شهر الحج ذو الحجة وإن كان في بعضه .

وإنما يفرض فيهنّ الحجّ بأن يُحرّم فيهنّ بالحجّ بلا خلاف ، أو بالعمرة التي يتمتع بها بالحجّ عندنا خاصّة ، وفي الإحرام بالحجّ وافقنا فيه ابن عباس والحسن وقتادة .

وقال ابن عمر ومجاهد : إنّما يفرض فيهنّ بالتلبية^(١) .

وقال بعض المتأخرين : يفرض بالعزم على أعمال الحجّ^(٢) .

ولا يجوز نصب «أشهُر» في العربية على ما بيّناه من المعنى من أنّ تقديره : أشهر الحجّ أشهرٌ معلومات ، أو وقت الحجّ أشهرٌ معلومات ، وقد أجازوا : الحجّ شهر ذي الحجة ؛ لأنه معرفة ، كما تقول العرب : المسلمون جانبٌ ، والكفار جانبٌ - بالرفع - فإذا أضافوا نصبوا ، فقالوا : المسلمون جانبٌ أرضهم ، والكفار جانبٌ بلادهم . وإنّما جاز ذلك ؛ لأنّ النكرة لمّا جاءت على شرط الخبر في كونه نكرةً من حيث كانت الفائدة فيه رُفعت

(١) انظر القولين في : تفسير الطبري ٣ : ٤٥٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٨٢١/٣٤٦ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٠٦ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٨ .

(٢) قال به الطبري في تفسيره ٣ : ٤٥٣ ، واحتمل رجوع قول ابن عباس والحسن وقتادة إلى الإيجاب بالعزم ، ونسبه إلى القيل الجشمي في التهذيب في التفسير ١ :

٤٠٠ النبيان في تفسير القرآن / ج ٤

بأنها خبر ابتداء، فلما صارت معرفة والخبر يطلب النكرة نُصبت ليصح تقدير الاستقرار الذي هو نكرة، كأنك قلت: الكفار مستقرّون جانب بلادهم، ففائدة الأول في جانب، وفائدة الثاني في مستقرّ.
وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾:

فالرفث هاهنا عند أصحابنا: كناية عن الجماع، وهو قول ابن مسعود وقتادة^(١). وأصله: الإفحاش في النطق، كما قال العجاج:

..... عن اللّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ [٥١٠]

وقيل: الرّفث بالفرج: الجماع، وباللسان: المواعدة للجماع، وبالعين: الغمز للجماع.

وقال ابن عباس وابن عمر وعطاء: المراد هاهنا المواعدة للجماع والتعريض للنساء به.

وقال الحسن: الجماع والتعرّض له بمواعدة أو مداعبة كلّ رفث^(٢).
وقوله تعالى: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾:

روى أصحابنا أنّه أراد الكذب^(٣).

والأولى أن نحمله على جميع المعاصي التي تُهيئ المحرّم عنها، وبه قال ابن عمر.

(١) رواه عنهما وعن غيرهما الطبري في تفسيره ٣: ٤٦٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ١: ١٨٢٤/٣٤٦، والشعلبي في تفسيره ٥: ١٥٤، والماوردي في تفسيره ١: ٢٥٩، والجشمي في التهذيب في التفسير ١: ٨١٨.

(٢) ذُكرت هذه الأقوال أيضاً في تفسير الطبري ٣: ٤٥٧، وتفسير ابن أبي حاتم ١: ١٨٢٢/٤٦ - ١٨٢٤، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٣٠٧، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٦٦٠، وتفسير الماوردي ١: ٢٥٩.

(٣) انظر: تفسير العياشي ١: ٢٥٨/٢٠٣، و٤: ٢٥٩/٢٠٤، والكافي ٤: ٣/٣٣٧.

وقال الحسن : المعاصي نحو القذف وشبهه .

وقال ابن عباس ومجاهد (وعطاء : هو) ^(١) جميع المعاصي مثل ما قلناه .

وقال بعضهم : لا يجوز أن يكون المراد إلا ما نُهي عنه المُحَرَّم هاهنا

مما هو حلال له في غير الإحرام ؛ لاختصاصه بالنهاي عنه ^(٢) .

وهذا غلط ؛ لأنه تخصيص للعموم بلا دليل ، وقد يقول القائل : ينبغي

أن تقيّد لسانك في رمضان لئلا يبطل صومك ، فيخصّه بالذكر لعظم حرمة .

وقوله : ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ :

فالذي رواه أصحابنا أنّه قول : لا والله ، وبلَى والله ، صادقاً وكاذباً ^(٣) .

وللمفسرين فيه قولان :

أحدهما : قال ابن عباس وابن مسعود والحسن : إنّه لا مراءٍ

بالسباب ^(٤) والإغضاب على جهة المحكّ واللجاج .

الثاني : قال مجاهد والسدي : إنّه لا جدال في أنّ الحجّ قد استدار في

ذي الحجة ؛ لأنّهم كانوا يُنْسِنُونَ الشهور فيقدّمون ويؤخّرون ، فربّما اتّفق في

غيره ^(٥) .

(١) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

(٢) انظر اختلاف التفسير في : تفسير الطبري ٣ : ٤٧٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ :

١٨٢٥/٣٤٧ - ١٨٢٩ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٠٨ ، وتفسير الثعلبي ٥ :

١٥٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٩ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٢٥٨/٢٠٣ ، و٢٥٩/٢٠٤ ، الكافي ٤ : ٣/٣٣٧ .

(٤) في «هـ» و«و» : بالتسابق .

(٥) انظر القولين وغيرهما في : تفسير الطبري ٣ : ٤٧٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ :

١٨٣٠/٣٤٨ - ١٨٣٢ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٦٠ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ :

٦٦١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٥٩ .

وأما اشتقاقه في اللغة : فالجدال والمُجادلة والمُنازعة والمُشاجرة والمُخاصمة واحد ، وتقول : جَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدَلُهُ وَأَجْدَلُهُ جَدَلًا : إذا قَتَلْتَهُ ، وَجَادَلْتُ الرجلَ مُجَادَلَةً وَجِدَالًا : إذا خَاصَمْتَهُ ، وَتَجَادَلَا تَجَادُلًا ، وَجَدَلْتُهُ تَجْدِيلًا : إذا أَلْقَيْتُهُ عَلَى الأرض ، وَتَجَدَّلَ تَجْدُلًا ، وَانْجَدَلَا انْجِدَالًا ، وَالجَدِيلُ : زِمَامُ البعير ، والجَدُولُ : نَهْرٌ صَغِيرٌ ، والمِجْدَلُ : القَصْر ، والجَدَالَةُ : الأرض ذات الرَّمْلِ الدقيق ، والأَجْدَلُ : الصَّغَرُ ، وكلُّ مَفْتُولٍ : مَجْدُولٌ ، وَعُلامُ جَادِلٍ : إذا ترعرع واشتدَّ ، والجَدِيلَةُ : شَرِيحَةُ الحِمَامِ ، وَرَجُلٌ أَجْدَلُ المُنْكَبِ : فِيهِ تَطَاطُؤٌ ، بخلاف الأشراف^(١) من المناكب .

(وأصل الباب : الفتل ، والجدال : القتال)^(٢)(٣) .

وَمَنْ نَصَبَ الثَّلَاثَ أَخْرَجَ اللفظ مخرج عموم النفي للمبالغة في معنى النفي^(٤) .

وَمَنْ رَفَعَ بَعْضًا وَنَصَبَ بَعْضًا فِلاخْتِلَافِ المعنى ؛ لِأَنَّ الأوَّلَ عَلَى معنى النفي ، والثاني بمعنى الإخبار أَنَّ الحِجَّ قَدْ اسْتَدَارَ فِي ذِي الحِجَّةِ ، فَكَانَ أَحَقَّ بِالنَّصْبِ لِعُمُومِ النفي .

فَأَمَّا الأوَّلُ فَقَدْ يَقَعُ مِنَ الخاطيِّ فِلا يَصِحَّ^(٥) فِيهِ عُمُومُ النفي ، هَذَا

(١) كَذَا فِي النسخ ، وَفِي المصَادِر اللغوية الآتية : الأشراف .

(٢) مَا بَيْنَ القوسين لَمْ يَرِدْ فِي «هـ» .

(٣) رَاجِعْ مَعَانِي واشتقاق «جدل» فِي : العين ٦ : ٧٩ ، وَتَهْذِيبُ اللغة ١٠ : ٦٤٩ ، وَالصَّحاح ٤ : ١٦٥٣ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ١١ : ١٠٣ .

(٤) فِي «هـ» : الْعُمُومُ ، بِدَلٍّ : معنى النفي .

(٥) فِي «ح» : يَصْلَحُ .

قول النحويين^(١).

والصحيح أنَّ الكلَّ معناه النهي وإن خرج مخرج النفي والإخبار، فالمراد به النهي بلا خلاف .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ :

معناه : وما تفعلوا من خير يُجازيكم الله العالم به ؛ (لأنَّ الله عالم على كلِّ حال ، إلاَّ أنَّه جعل ﴿يَعْلَمُهُ﴾ في موضع يجازيه للمبالغة)^(٢) في صفة العدل ؛ لأنَّه يعاملكم معاملة مَنْ يعلمه إذا ظهر منكم فيجزي^(٣) به ، وذلك تأكيد أنَّ الجزاء لا يكون إلاَّ بالفعل دون ما يعلم أنَّه يكون منهم قبل أن يفعلوه .
وقوله : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ :

قيل في معناه قولان :

أحدهما : قال الحسن وقتادة ومجاهد : إنَّ قوماً كانوا يرمون بأزوادهم ويُتسمَّون بالمتوكِّلة ، فقليل لهم : تزودوا من الطعام ولا تُلْقُوا كُلَّكُمْ على الناس ، وخير الزاد مع ذلك التقوى^(٤) .

والثاني : ﴿تَزَوَّدُوا﴾ من الأعمال الصالحات^(٥) ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ١٢٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٧٠ ، والحجَّة للقرءاء السبعة ٢ : ٢٩٠ ، وحجَّة القراءات : ١٢٩ .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «هـ» .

(٣) في «هـ» : فيجزيكم .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٤٩٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٨٣٨/٣٤٩ و ١٨٣٩ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٠٩ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٦٨ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦٢ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٠ .

(٥) روى هذا القول أيضاً الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٣٠٩ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٦٠ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٨١٨ .

الْتَقَوَى ﴿ فذكر ذلك في الحج ؛ لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه .

والزَاد : الطعام الذي يُتَّخَذ للسفر ، والمِزْوَدُ : وعاء يجعل فيه الزاد ، وكلٌّ مَنْ انتقل بخير^(١) من عمل أو كسب فقد تزود منه تزوداً .

وقوله : ﴿وَأَتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ :

يعني : يا ذوي العقول ؛ لأنَّ اللَّبَّ العقل ، وإنما سُمِّي لباً لأنه أفضل ما في الإنسان ، وأفضل كل شيء لبه .

قوله تعالى :

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَلَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (١٦٨) آية بلا خلاف .

هذه الآية فيها تصريح بالإذن في التجارة ونحوها في حال الإحرام ؛ لأنهم كانوا يتحرّجون بذلك في صدر الإسلام ، على قول ابن عباس وابن عمر ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة^(٢) ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام^(٣) .

والجُنَاح : هو الحرّج في الدين ، وهو الميل عن الطريق المستقيم ،

(١) في «هـ» و«و» : الخير . وما أثبتناه من «ح» ، وهو المناسب لسياق الكلام .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٥٠٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ : ١٨٤٥/٣٥١ - ١٨٤٨ ، وأحكام القرآن للخصاص ١ : ٣٠٩ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ١٧٣ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦٤ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٠ .

(٣) روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في تفسير العياشي ١ : ٢٦٥/٢٠٦ .

وأصله : الميل ، على ما مضى القول فيه ^(١) .

وقوله : ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ :

يعني : دفعتم من عرفة إلى المزدلفة عن اجتماع كفيض الإناء عن امتلائه ، تقول : فَاَضَ الماءَ يَفِيضُ فَيْضاً : إذا انْصَبَّ عن امْتِلَاءٍ ، وَأَفَاضَ إِفَاضَةً في الحديث : إذا اُنْذَفَعَ فيه ، واسْتَفَاضَ الخبر : إذا شَاعَ ، والإِفَاضَةُ : الضَرْبُ بِالْقِدَاحِ . وَفِيضُ الصَّدْرِ بما فيه : البَوْحُ به .

والإِفَاضَةُ : امْتِلَاءُ الْحَوْضِ حَتَّى يَفِيضَ ، ورجل فَيَاض : جَوَادٌ ، وَدِرْعٌ مُفَاضَةٌ وَفِيوضٌ : إذا كانت سَابِغَةً ، وَفِيضُ البصرة : نَهْرُهَا .

وأصل الباب : الْفَيْضُ : الانْصِبَابُ عن الامْتِلَاءِ ^(٢) .

و﴿عَرَفَاتٍ﴾ صُرِفَتْ وَإِنْ كَانَ فِيهَا التَّعْرِيفُ وَالتَّائِيثُ ؛ لِأَنَّهَا عَلَى حِكَايَةِ الْجَمْعِ ، كَمَا يَجِبُ أَنْ يُحْكِيَ الْمَذْكَرُ إِذَا سُمِّيَ بِهِ الْجَمْعُ ، وَيَجُوزُ فِيهَا تَرْكُ الصَّرْفِ تَشْبِيهاً بِالْوَاحِدِ ، فَيَسْقُطُ التَّنْوِينُ ، وَيَسْقُطُ الْإِعْرَابُ ، كَمَا كَانَ فِي الْجَمْعِ ، كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا يَثْرِبُ أَذْنَى ذَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ ^(٣) [٥١١]

(١) تَقَدَّمَ ضَمَنُ تَفْسِيرِ الْآيَةِ : ١٥٨ .

(٢) انظر معاني «فيض» في : العين ٧ : ٦٥ ، والمحيط في اللغة ٨ : ٥١ ، والصحاح ٣ : ١٠٩٩ ، ولسان العرب ٧ : ٢١٠ .

(٣) ديوانه : ٣١ - بتحقيق محمد أبو الفضل - ومعاني القرآن للرحاج ١ : ٢٧٣ ، وتفسير الطبري ٣ : ٥١١ .

ومعنى البيت : تَنَوَّرْتُهَا : مثلت نازها وتوهمتها ، وأذرعَات : مدينة بالشام ، نظر عال : مرتفع بعيد .

والشاهد فيه : أَذْرِعَاتٍ : منصرف وإن كان علماً - اسم مدينة - وكذلك مؤنث ؛ لأنه على حكاية الجمع ، فلذلك تُنَوِّنُ المقابلة كمسلمات ، وعلى قياسه «عرفات» ، وهناك وجهان آخران ذكرهما المصنّف ﷺ .

والأول اختيار النحويين^(١)، وقد أجاز بعضهم فتح التاء بغير تنوين على قياس طلحة، وأنشدوا البيت على ثلاثة أوجه: أذرعاً متوناً مكسوراً ومجوراً بلا تنوين ومفتوحاً بلا تنوين، وأنكر الزجاج الوجه الثالث^(٢).
والمشعر: هو معلّم المتعبّد.

وقال المبرّد: المشعر - بفتح الميم والعين -: مكان الشّعور، كالمدخل لمكان الدخول. والمشعر: بكسر الميم -: الحديد التي يشعر بها، أي يُعلّم بها، فكُسرت لأنها آلة كالمخزّز والمقطّع والمخيّط^(٣).
وقال الكسائي: لا فرق بين الفتح والكسر^(٤).

و﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو المزدلفة، وهو جمع بلا خلاف.
وسُمّيت عرفات عرفات؛ لأن إبراهيم عليه السلام عَرَفَهَا بما تقدّم له من النعت لها والوصف، على ما روي عن عليّ عليه السلام وابن عباس^(٥).
وقال عطاء والسدّي - وقد روي ذلك في أخبارنا -: إنّها سُمّيت بذلك؛ لأنّ آدم وحواء اجتمعا فيه فتعارفا بعد أن كانا افتراقاً^(٦).
وقيل: سُمّيت عرفات لعلوّه وارتفاعه^(٧)، ومنه: عُرِفَ الديك.

(١) انظر: الكتاب ٣: ٢٣٣، ومعاني القرآن للزجاج ١: ٢٧٢، وشرح الكافية للرضي ٤٧: ١.

(٢) معاني القرآن ١: ٢٧٣، وانظر المصادر السابقة.

(٣) حكاه عنه ابن سيده في المخصص ٦: ١٢٩ «الحج»، السفر الثالث عشر.

(٤) حكاه عنه ابن قتيبة في أدب الكاتب: ٣٧٠.

(٥) رواه عنهما الطبري في تفسيره ٣: ٥١٣، والثعلبي في تفسيره ٥: ١٩٠، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٦٦٥، وذكره الماوردي في تفسيره ١: ٢٦١ بلا نسبة.

(٦) رواه الثعلبي في تفسيره ٥: ١٨٣ عن الضحّاك، والماوردي في تفسيره ١: ٢٦١ بلا نسبة.

(٧) رواه الماوردي في تفسيره ١: ٢٦١.

ووجه التشبيه في قوله: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَلَكُمْ﴾ أن الذكر بالشكر والثناء يجب أن يكون بحسب الإنعام والهداية في العظمة؛ لأنه يجب أن يكون الشكر كالنعمة في عظم المنزلة، كما يجب أن يكون على مقدارها لو صَغُرَت النعمة، ولا يجوز التسوية في الشكر بين مَنْ عظمت نعمته وَمَنْ صَغُرَت.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾:

معنى إِنْ هاهنا: المخففة من الثقل بدلالة دخول لام الابتداء معها، وإذا خُفِّفَت لم تعمل، وجاز دخولها على الاسم والفعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾^(١).

وأما ﴿كُنْتُمْ﴾ فلا موضع لها من الإعراب؛ لأنها بعد حرف غير عامل، وليس لـ ﴿إِنْ﴾ موضع، كما ليس لها موضع في الابتداء، وإنما هذه الواو عطف جملة على جملة.

وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» معناه: أن تطلبوا المغفرة»^(٢).

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٩٩) آية بلا خلاف.

قيل في معنى الآية قولان:

(١) سورة يس ٣٦ : ٣٢.

(٢) رواه الطبرسي أيضاً في مجمع البيان ٢ : ٧٠.

أحدهما : قال ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة والسُّدِّي والربيع - وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام^(١) - : إنه أمر لقريش وحلفائهم ؛ لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ، ويقولون : نحن أهل حرم الله لا نخرج عنه^(٢) ، فكانوا يقفون بجمع و يفيضون منه دون عرفة ، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها^(٣) .

والثاني : قال الضحَّاك والجُبَّائي وحكاه المبرِّد - لكنَّه اختار الأول - : إنه خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عليه السلام من المزدلفة^(٤) .

والأول إجماعٌ وهذا شاذٌ .

وليس لأحد أن يقول على الوجه الآخر : كيف يقال لإبراهيم وحده :

الناس ! ؟

وذلك أن هذا جائز ، كما قال : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٥) وإِنَّمَا كان واحداً بلا خلاف ، وهو نُعَيْم بن مسعود الأشجعي^(٦) ، وذلك مستعمل

(١) انظر : تفسير العياشي ١ : ٢٦٦/٢٠٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ - ٢٧١ ، وفيه عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام ، وكذلك في الكافي ٤ : ٤/٢٤٥ .

(٢) في «هـ» : منه .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٥٢٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٨٦٠/٣٥٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣١٠ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٠٢ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦٦ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٥٣٠ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣١٠ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦١ ، والتذهيب في التفسير ١ : ٨٢٤ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٧٣ .

(٦) هو نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الأشجعي ، أبو سلمة ، أسلم يوم الخندق ، لله

كثيراً .

وقيل : إن إبراهيم لما كان إماماً كان بمنزلة الأمة التي تتبع في سننه ^(١) .

فإن قيل : إذا كانت «ثم» للترتيب ، فما معنى الترتيب هاهنا ؟

قلنا : الذي رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ» ، «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» ، «فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» ، «وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» .

وقال قوم : المعنى «ثُمَّ أَفِيضُوا» من المزدلة ^(٢) .

والذي أجاب به المتأولون أن قالوا : رُبَّتِ الإفاضة بعد المعنى الذي دلَّ الكلام الأول عليه ، كأنه قيل : أحرموا بالحج على ما بين لكم «ثُمَّ أَفِيضُوا» يا معشر قريش «مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» بعد الوقوف بعرفة . وهذا قريب مما قلناه ، وإنما عدل الذي تأوله على الإفاضة من مزدلفة ؛ لأنه رآه بعد قوله : «فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ» قال : فأمرُوا أن يفيضوا من مزدلفة بعد الوقوف بها كما أمرُوا في عرفة . وقد بينّا ترتيب الكلام في التأويل المختار .

«واستأذن النبي أن يخذل الكفار ، قال له النبي ﷺ : «خذل ما استطعت فإن الحرب خدعة» فأوقع الخلاف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق ، وخذل بعضهم عن بعض ، وفي موته روايتان : أنه مات زمن عثمان ، والثانية قُتل في الجمل الأول قبل قدوم أمير المؤمنين عليه السلام البصرة مع حكيم بن جبلة ومجاشع بن مسعود رحمهم الله .

له ترجمة في : الاستيعاب ٤ : ٢٦٢٩/١٥٠٨ ، وأسد الغابة ٤ : ٥٢٧٤/٥٧٢ .

(١) ذكر الجصاص أيضاً هذا القول في أحكام القرآن ١ : ٣١٠ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٣١٠ .

والاستغفار: هو طلب المغفرة، كما أنَّ الاستخبار: طلب السؤال.

والمَغْفِرَة: التَّغْطِيَة للذنب بإيجاب المَثْوِيَة.

وقيل في معنى الاستغفار قولان:

أحدهما: الحَضُّ^(١) عليه في تلك المواطن الشريفة؛ لأنها خليفة

بالإجابة.

الثاني: استغفروه لما سلف من مخالفتكم في الوقوف والإفاضة كما

سنَّه الله تعالى للناس عامة.

والفرق بين غَفُورٍ وغَافِرٍ: أنَّ في «غفور» مبالغة لكثرة المغفرة، فأما

«غافر» فيستحقُّ الصفة فيه بوقوع الغفران.

والعفو: هي المغفرة، وقد فُرِّقَ بينهما: بأنَّ العفو ترك العقاب على

الذنب، والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة، ولذلك كثرت المغفرة في

صفات الله تعالى دون صفات العباد، فلا يقال: استغفر السلطان، كما يقال:

استغفر الله.

قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن

خَلْقٍ﴾ (٢٠٠) آية بلا خلاف.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ﴾:

معناه: إذا فرغتم منها.

(١) في «و»: الحث (خ ل).

وأصل القضاء: فصل الأمر على إحكام، وقد يُفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك، وقد يُفصل بالعمل له على تمام، كقوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١)، وقد يُفصل بالإخبار على القطع، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٢). وقد يُفصل بالحكم كقضاء القاضي على وجه الإلزام بالقهر.

والمناسك المأمور بها - هاهنا - جميع أفعال الحج المتعبد بها، في قول الحسن وغيره من أهل العلم^(٣)، وهو الصحيح.
وقال مجاهد: هي الذبائح^(٤).
وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾:

فالذكر هو العلم. وقيل: هو حضور المعنى للنفس بالقول أو غيره ممّا هو كالعلة لحضوره بها.

وقيل: المراد به - هاهنا - التكبير أيام منى؛ لأنه الذكر الذي يختصه بالترغيب فيه على غيره من الأوقات.
وقيل أيضاً: إنه سائر الدعاء لله تعالى في ذلك الموطن؛ لأنه أفضل من غيره^(٥)، وهو الأقوى؛ لأنه أعم.

(١) سورة فصلت ٤١ : ١٢ .

(٢) سورة الإسراء ١٧ : ٤ .

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٨٦٨/٣٥٥، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢١٨، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦٨، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٧٤، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٢ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣ : ٥٣٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٨٦٧/٣٥٥، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢١٨، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٦٩، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٢ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ٣ : ٥٤٠، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٢ .

وقوله : ﴿كَذِّكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ :

معناه : ما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنهم كانوا يجتمعون يتفاخرون بالآباء وبمآثرهم وبيباغون فيه ^(١).

وقوله : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ :

إنما شبه الأوجب بما هو دونه في الوجوب لأمرين :

أحدهما : أنه خرج على حال لأهل الجاهلية ، كانت معتادة أن يذكروا آباءهم بأبلغ ^(٢) الذكر على وجه التفاخر ، ف قيل : اذكروا الله كالذكر الذي كنتم تذكرون به آباءكم في المبالغة أو أشد ذكراً بما له عليكم من النعمة ، هذا قول أنس وأبي وائل والحسن وقتادة ^(٣).

الثاني : قال عطاء : اذكروه بالاستغاة ^(٤) به كذكر الصبي لأبيه إذا قال : يا أباه ^(٥).

والأول هو المعتمد.

وإنما نصب ﴿ذِكْرًا﴾ ولم يخفض كما يخفض في قولهم : هذا الذكر أشد ذكراً ؛ لأن فيه ضميراً منهم ، نظير قولك : هم أشد ذكراً ، وفي أشد ضمير «هم» ، ولو قلت : مررت به أشد ذكراً ، لكان منصوباً على الحال ، فأما

(١) انظر : تفسير القمي ١ : ٧٠ ، وتفسير العياشي ١ : ٢٧٣/٢٠٨ - ٢٧٦ .

(٢) في «ح» : أبلغ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٥٣٥ ، وتفسير ابن أبي زمنين ١ : ٢١١ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٢ .

(٤) في «ح» : بالاستعانة .

(٥) رواه عنه أيضاً الطبري في تفسيره ٣ : ٥٣٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢ : ١٨٧١/٣٥٦ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٧٠ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٦٢ ، والجشمي في التهذيب في التفسير ١ : ٨٢٧ .

الذكر فعلى التمييز :

فإن قيل : الأمر بالذكر^(١) - ها هنا - بعد قضاء المناسك أو معه ؟
 قيل : أجاز أبو علي الوجهين ، واستشهد بقولهم : إذا وقفت بعرفات
 فادعُ الله ، وإذا حججت فطف بالبيت^(٢) .
 والخلاق : النصيب من الخير ، وأصله : التقدير ، فهو النصيب من
 الخير على وجه الاستحقاق .

قوله تعالى :

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
 وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) آية واحدة بلا خلاف .

﴿رَبَّنَا﴾ منصوب ؛ لأنه منادى ، وتقديره : يا ربنا . وإنما حذف حرف
 النداء لما كان أصله تنبيه المنادى ليُقْبَلَ عليك ، وكان الله عز وجل لا يغيب
 عنه شيء - تعالى عن ذلك - سقط حرف النداء للاستغناء عنه ، فأما : يا الله
 اغفر لي ، فيجوز أن يُخرج مخرج التنبيه للتوكيد أن يُقبل عليك برحمته ،
 ولأنك تسأله سؤال المحتاج أن يُنبه على حاله ؛ لأن ذلك أبلغ في الدعاء
 وأحسن في المعنى .

والفرق بين القول والكلام : أن القول يدل على الحكاية ، وليس
 كذلك الكلام ، نحو : قال : الحمد لله ، فإذا أخبرته عنه بالكلام قلت : تكلم
 بالحق .

(١) في «هـ» : الذكر ، بدل : الأمر بالذكر .

(٢) انظر : التهذيب في التفسير ١ : ٨٢٦ ، والتفسير الكبير ٥ : ٢٠١ ، بلا نسبة
 إليه .

والحكاية تكون على ثلاثة أوجه : حكاية على اللفظ والمعنى ،
وحكاية على اللفظ فقط ، وحكاية على المعنى .

فالأول : نحو : ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾^(١) إذا حكاه مَنْ يعرف لفظه ومعناه .

الثاني : إذا حكاه مَنْ يعرف لفظه دون معناه .

الثالث : نحو أن تقول : آتوني أفرغ عليه نحاساً ، فيكون حكاه على معناه دون لفظه .

وقوله : ﴿ءَاتِنَا﴾ :

معناه : أعطنا ، فالإيتاء : الإعطاء . وأصله الأثني : المَجِيء ، فَأَتَى : إذا كان منه المجيء ، وَأَتَى : إذا حمل غيره على المجيء ، كما يقال : أتاه ما يحب ، وأتاه غَيْرُهُ ما يحب .

والحسنة التي سألوها قيل في معناها قولان :

أحدهما : قال قتادة والجُبَّائي وأكثر المفسرين : إِنَّهُ نِعَمُ الدُّنْيَا وَنِعَمُ الْآخِرَةِ^(٢) .

الثاني : قال الحسن : العبادة في الدنيا والجَنَّةُ في الآخرة^(٣) .

وَسُمِّيَتْ نِعْمَةً لِلَّهِ حَسَنَةً ؛ لِأَنَّهَا مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحِكْمَةُ .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٩٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٥٤٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٨٨١/٣٥٨ ، ١٨٨٥ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٢٩ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٧٠ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٣ ، والتهديب في التفسير ١ : ٨٢٩ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٥٤٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢ : ١٨٨٤/٣٥٩ ، وابن أبي زمنين في تفسيره ١ : ٢١٢ ، والثعلبي في تفسيره ٥ : ٢٢٧ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٧١ ، والماوردي في تفسيره ١ : ٢٦٣ .

وقيل : الطاعة والعبادة : حسنة ؛ لأنها مما يدعو إليه العقل .

وقوله تعالى : ﴿وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ :

فالوقاء : الحاجز^(١) الذي يسلم به من الضرر ، يقال : وقاه يقيه وقاءً ووقايةً ، وتوقى هو توقياً .

وأصل الوقاء : الحَجَز بين الشيئين .

وأصل قَنَا : أَوْقَنَا ، مثل أحمَلْنَا ، فذهبت الواو لسقوطها في يقي ؛ لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم أتبع سائر تصاريف الفعل ما لزمته العلة ، وسقطت ألف الوصل للاستغناء عنها بتحريك ما بعدها ، وحُذفت الياء للوقف الذي هو نظير الجزم .

والفائدة في الإخبار عنهم بهذا الدعاء الاقتداء بهم فيه ؛ لأنه لما حذر من الدعاء الأول رَغِب في الثاني .

قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٠٢﴾

آية بلا خلاف .

﴿أُولَٰئِكَ﴾ رفع بالابتداء ، وخبره ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ، ومعناه : أولئك

لهم نصيب من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه .

والتَّصِيب : الحَظُّ ، وجمعه أَنْصِبَاءُ^(٢) وَأَنْصِيبَةٌ .

وحَدُّ النصيب : الجزء الذي يختص به البعض من خير أو شر .

(١) في «هـ» و«و» : كالحاجز .

(٢) في «هـ» : أنصباب .

والكَسْبُ : الفعل الذي يُجْتَلَبُ^(١) به نفع أو يدفع به ضرر .
وتقول : نَصَبَ يَنْصِبُ نَصْبًا^(٢) ، وَنَصَبَ نَصْبًا من التَّعَبِ^(٣) .
وَأَنْصَبَنِي هذا الأَمْرُ إِنْصَابًا ، وَاَنْتَصَبَ الشَّيْءُ اِنْصَابًا ، وناصبه العداوة
مُنَاصَبَةً .

وَالنَّصَبُ : إقامتك الشيء ، والنُّصْبُ : الرُّفْعُ ، نَصَبَ الْقَوْمَ السَّيْرَ^(٤) : إذ
رفعوه ، وكلَّ شيءٍ رفعته فقد نَصَبْتُهُ ، ومنه نَصَبَ الحرف ؛ لأنَّ الصوت
يُرفع فيه إلى الغار الأعلى .

وَالنَّصَبُ : تغيّر الحال من مرض أو تَعَب .
وَالنُّصْبُ جمعه^(٥) أَنْصَاب ، وهي حجارة كانت تُنصب في الجاهلية
ويطاف بها ويتقرَّب عندها ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿وَمَا ذُبِخَ
عَلَى النَّصْبِ﴾^(٦) ، وقال : ﴿وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ﴾^(٧) .
وَأَنْصَابُ الْحَرَمِ : حدوده ، وهي حجارة تُنصب ليُعرف بها الحرم ،
وَنَصَابُ السَّكِينِ وغيره معروف ، وفلان في نِصَابٍ صَدِيقٍ ، أي في حَسَبٍ
ثابت .

وَالنُّصْبَةُ : السَّارِيَةُ .

- (١) في «هـ» و«و» : يُجْلَبُ .
(٢) قال ابن سيده في المحكم ٨ : ٣٤٢ «نصب» : والنَّصْبُ : وَضْعُ الشَّيْءِ ورفعهُ ،
نَصَبَهُ يَنْصِبُهُ نَصْبًا .
(٣) في «هـ» : من النصب .
(٤) ما أثبتناه من «ح» والحجرية والمصادر اللغوية ، وفي «هـ» و«و» : الستر .
(٥) ما أثبتناه من «ح» وكتاب العين ، وفي بقية النسخ : جمع .
(٦) سورة المائدة ٥ : ٣ .
(٧) سورة المائدة ٥ : ٩٠ .

وَالْمِنْصَبُ : الذي يُنْصَبُ عليه القِدرُ ، وكلُّ شيءٍ استقبلت به شيئاً فقد نَصَبْتُهُ .

وأصل الباب : القيام^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ :

يعني : في العدل من غير حاجة إلى خطأ ولا عقد ؛ لأنه عز وجل عالم به ، وإنما يُحاسب العبد مظاهرة في العدل ، وإحالة على ما يوجبه الفعل من خير أو شر .

والسُرعة : هو العمل القصير المدة ، تقول : سَرَعَ سُرْعَةً ، وأسْرَعَ في المشي إسرَاعاً ، وسَارَعَ إليه مُسَارَعَةً ، وَتَسَرَّعَ تَسَرُّعاً ، وَتَسَارَعَ تَسَارُعاً ، وَأَقْبَلَ فُلانٌ في سَرَعَانٍ قَوْمِهِ ، أي في أوائلهم المُتَسَرِّعين .

وَالْيَسْرُوع : دَوْبَةٌ تكون في الرَّمْلِ .

وأصل الباب : السُرعة^(٢) .

وتقول من^(٣) الحِسَاب : حَسَبَ الحِسَابَ يَحْسِبُهُ حِسَباً ، وَحَسِبَ الشيءَ حُسْبَاناً ، وَحَاسَبَهُ مُحَاسَبَةً وَحِسَاباً ، وَتَحَاسَبُوا تَحَاسُباً ، وَاحْتَسَبَ^(٤) احْتِسَاباً ، وَأَحْسَبَنِي مِنَ الْعَطَاءِ إِحْسَاباً ، أي كفاني ، ﴿عَطَاءٌ حِسَاباً﴾^(٥) أي كافياً .

(١) انظر مشتقات «نصب» في العين ٧ : ١٣٥ ، وتهذيب اللغة ١٢ : ٢١٠ ، والمحيط في اللغة ٨ : ١٥٩ ، والصحاح ١ : ٢٢٤ ، ولسان العرب ١ : ٧٥٨ ، والمصباح المنير : ٦٠٦ .

(٢) انظر : العين ١ : ٣٣٠ ، ولسان العرب ٨ : ١٥١ ، والمصباح المنير : ٢٧٤ «سرع» .

(٣) في «هـ» : في .

(٤) في «هـ» و«و» : واحتسبوا .

(٥) سورة النبأ ٧٨ : ٣٦ .

والْحُسْبَانُ : سِهَام صِغَار ، وقيل منه : ﴿وَيُزِيلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(١) ، وقيل : عَذَابًا .

وَالْمُحْسَبَةُ : وِسَادَة من أَدَم .

وَالْحُسْبَةُ : غُبْرَة^(٢) مثل كُذْرَة .

وَحَسَبَ الرجل : مَاتَر آبَاهُ .

وأفعل ذلك بِحَسَبِ ما أوليتني ، وَحَسَبِي ، أي يَكْفِينِي ، ﴿يُزَوِّقُ مَن

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣) أي بغير تضييق ، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(٤)

أي قَدَّر لهما مواقيت معلومة لا يعدونها .

والتَّحْسِينُ : دفن الميت تحت الحِجَارَة .

وأصل الباب : الْحِسَاب .

وَالْحِسْبَانُ : الظَّنْ ؛ لِأَنَّهُ كَالْحِسَابِ فِي الاعتداد به . والعمل به على

بعض الوجوه^(٥) .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٤٠ .

(٢) اختلفت النسخ في ضبط هذه الكلمة بين : غيرة وغيرة .

وما في المصادر يناسب ما أثبتناه ، ففي المحكم وغيره : والأُحْسَبُ : الذي ابْيَضَّتْ جلده من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض ، يكون ذلك في الناس والإبل . وقيل : هو في الإبل ، الذي فيه سواد وحمرة أو بياض ، والاسم الحُسْبَةُ ، والأحسب : الأبرص .

وفي التهذيب مثله وزيادة : والأكلف نحوه ، وقال شمر : هو الذي لا لون له .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢١٢ .

(٤) سورة الرحمن ٥٥ : ٥ .

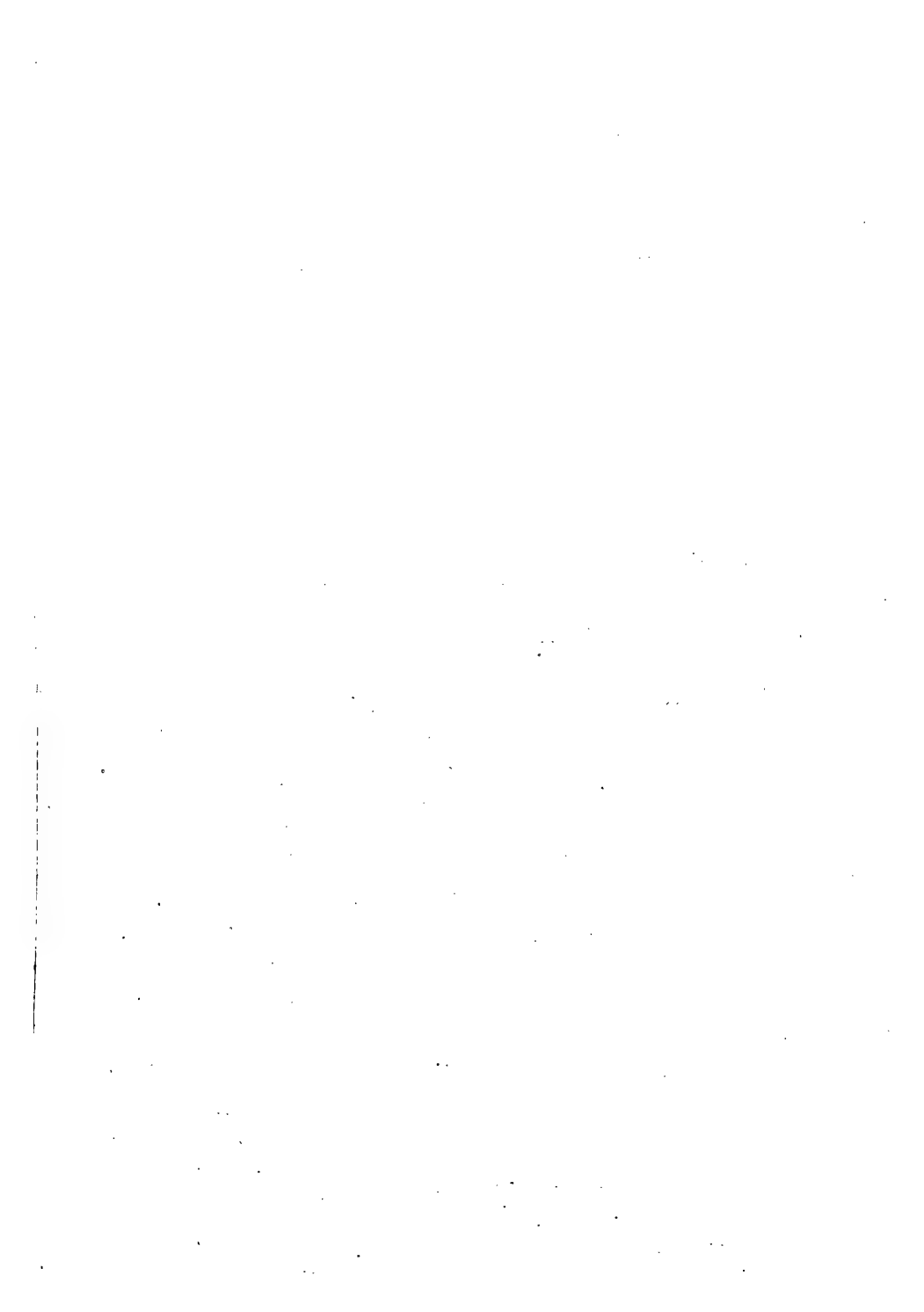
(٥) انظر استعمالات واشتقاقات مادة «حسب» في : العين ٣ : ١٤٨ ، وتهذيب اللغة

٤ : ٣٢٨ ، والمحيط في اللغة ٢ : ٤٩٣ ، والصحاح ١ : ١٠٩ ، والمحكم ٣ : ٢٠٥ ،

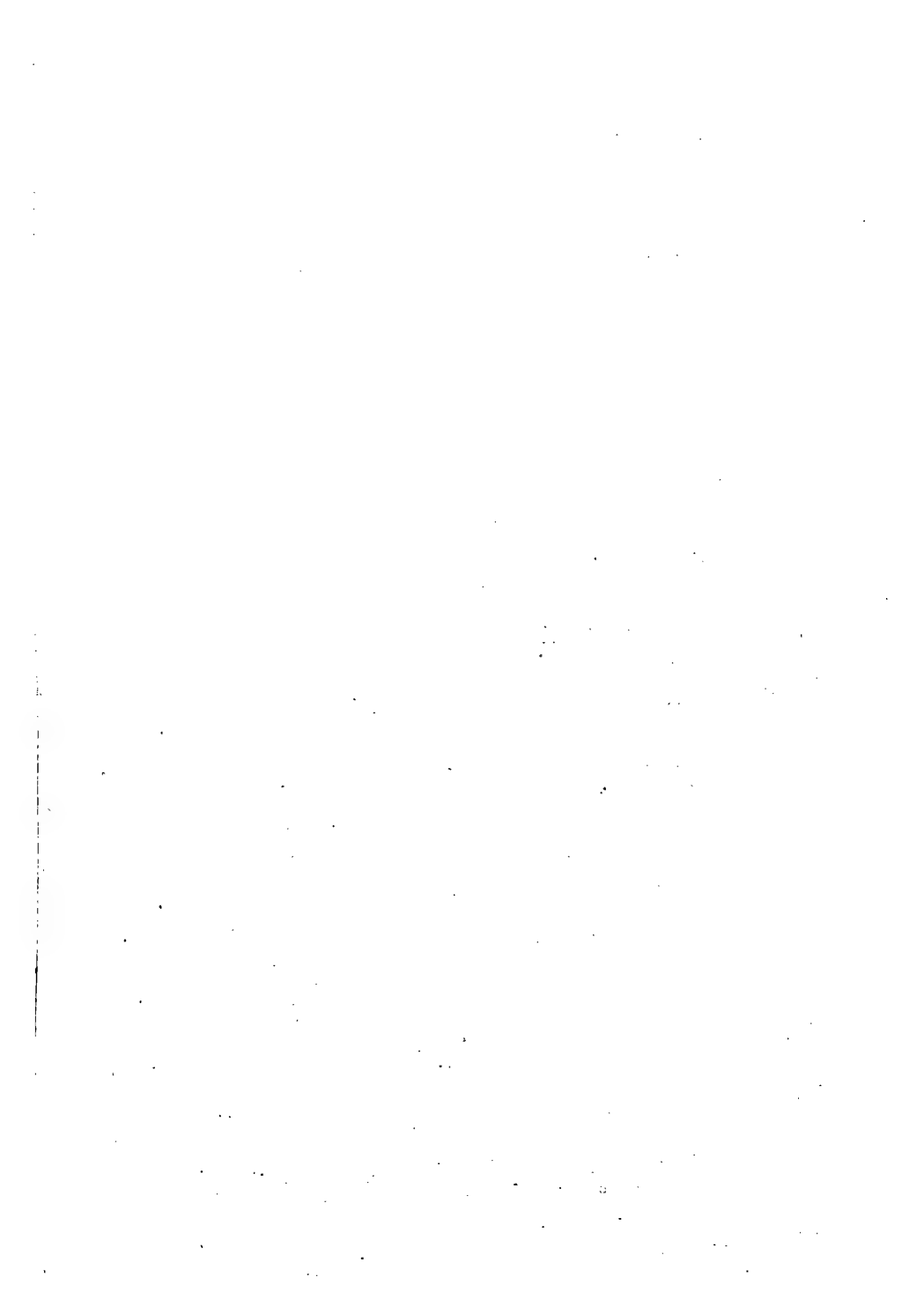
ولسان العرب ١ : ٣١٠ ، وتاج العروس ١ : ٤١٨ .

وروي عن عليٍّ عليه السلام أنه قال : معناه : «أنه عزوجل يُحاسب الخلق دفعةً كما يرزقهم دفعةً»^(١).

(١) انظر : نهج البلاغة : حكّم أمير المؤمنين «٣٠٠» باختلاف يسير ، والمصابيح في تفسير القرآن العظيم ١ : ٢٢٢ ، ومجمع البيان ٢ : ٥٢ .



﴿٢٣﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي
 يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ
 النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ
 عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
 فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ
 لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
 بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٧﴾ وَمِنْ
 النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ
 رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا
 فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
 ﴿٣٠﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣١﴾



قوله تعالى :

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٠٣) آية بلا خلاف .

هذا أمر من الله تعالى للمكلفين أن يذكروا الله في الأيام المعدودات ، وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر ، وهو قول ابن عباس والحسن ومالك^(١) .

والأيام المعلومات^(٢) : عشر ذي الحجة ، وهو قول ابن عباس أيضاً^(٣) .

وذكر الفراء : أنَّ المعلومات هي أيام التشريق ، والمعدودات العشر^(٤) .

وفيه خلاف ذكرناه في اختلاف الفقهاء^(٥) .

وسُمِّيت معدودات لأنها قلائل ، كما قال : ﴿وَشَرُّهُ بِشْمَنِ بَخِيسٍ

(١) تجد أقوالهم أيضاً في : الموطأ ١ : ٢٠٥/٤٠٤ ، وتفسير الهواري ١ : ١٩٣ ، وتفسير الطبري ٣ : ٥٤٩ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٨٩٥/٣٦١ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣١٥ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٥٣ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٧٢ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في الآية : ٢٨ من سورة الحج : ﴿لَيْسَ لَهُنَّ مَنَافِعُ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ .

(٣) رواه عنه الجصاص في أحكام القرآن ١ : ٣١٦ ، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٧٢ .

(٤) معاني القرآن ١ : ١٢٢ .

(٥) الخلاف ٢ : ٤٣٥/مسألة ٣٣٢ ، وفي «هـ» : خلاف ، بدل : اختلاف .

دَرَهُمْ مَعْدُودَةً^(١) أي قليلة ، والجمع بالألف والتاء يصلح للقليل والكثير ، والقليل أغلب عليه ، وأنكر الزجاج ما يروى في قول حسن :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا^(٢) [٥١٢]

من أنه عِنَب عليه ، وزعم أن الخبر^(٣) موضوع ، وقال : الألف والتاء يصلح للكثير ، قال الله تعالى : ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ﴾^(٤) وقال : ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٥) وإنما احتمل هذا الجمع للقليل والكثير ؛ لأن جمع السلامة على طريقة واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير^(٦) ، وكأن القليل أغلب عليه لشبهه بالثنية^(٧) .

والآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام ، وهو أن يقولوا : الله أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ لا إله إلا الله ، والله أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، واللهِ الْحَمْدُ ، وبه قال الحسن والجبائي^(٨) .

(١) سورة يوسف ١٢ : ٢٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٥ ، ورواه عنه سيبويه في الكتاب ٣ : ٥٧٨ ، وغيره . والبيت من قصيدة يفخر بها الشاعر ، مطلعها :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّيْحَ الْجَدِيدَ التَّكَلُّمًا بِمَدْفَعِ أَشْدَاخِ فَبُرْقَةٍ أَظْلَمًا

والغُرُّ : جمع غُرَاء أي بيضاء ، وقُشِرَتْ بأنه يريد بياض الشحم ، والمعنى : في الوقت الذي نكرم الضيف بجفاننا البيضاء بالشحم ، تجد سيوفنا حمراء لنجدتنا وحروبنا .

والشاهد فيه كما أوضحه المصنف رحمه الله .

(٣) في «هـ» زيادة : مشهور .

(٤) سورة سبأ ٣٤ : ٣٧ .

(٥) سورة الحجر ١٥ : ٤٥ ، سورة الذاريات ٥١ : ١٥ .

(٦) في «هـ» : لا يتميز منه قليل ولا كثير .

(٧) معاني القرآن ١ : ٢٧٥ .

(٨) انظر : تفسير الهواري ١ : ١٩٣ ، والتهذيب في التفسير ١ : ٨٣١ .

وزاد أصحابنا على هذا القدر: الله أَكْبَرُ على ما هَدَانَا، وَالْحَمْدُ لله على ما أَوْلَانَا، وَرَزَقَنَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ^(١).

وأول التكبير - عندنا - لمن كان بمنى عقيب الظهر من يوم النحر إلى الفجر يوم الرابع من النحر، عقيب خمس عشرة صلاة، وفي الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر إلى عقيب الفجر من^(٢) يوم الثاني من التشريق عقيب عشر صلوات، واختار الجُبَّائي من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر آخر يوم التشريق^(٣).

وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾:

المعني في ذلك الرخصة في جواز النفر^(٥) في اليوم الثاني من التشريق، وإن أقام إلى النفر الأخير^(٦)، وهو اليوم الثالث من التشريق كان أفضل، فإن تَفَرَّ في الأول تَفَرَّ بعد الزوال إلى الغروب، فإن غربت فليس له أن ينفر.

وقال الحسن: إنَّما له أن ينفر بعد الزوال إلى وقت العصر، فإن

(١) انظر: المقنع: ١٥٠ و ٢٨٥، والمقنعة: ٢٠١، والخلاف: ١: ٦٦٧/مسألة ٤٤٢.

(٢) من، لم ترد في «ه».

(٣) انظر: التهذيب في التفسير: ١: ٨٣١.

(٤) الخلاف: ١٠: ٦٦٧/مسألة ٤٤٢.

(٥) ما أثبتناه من «ح» والحجرية، وفي بقية النسخ: السفر.

(٦) ما أثبتناه من «ح» والحجرية، وفي «ه» و«و»: الآخر.

أدركته صلاة العصر فليس له أن ينفر إلى^(١) اليوم الثالث^(٢).

وليس للإمام أن ينفر في النفر الأول، وبه قال الحسن^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: لا إثم عليه لتكفير سيئاته بما كان من حجّه المبرور، وهو معنى قول ابن مسعود.

الثاني: قال الحسن: لا إثم عليه في تعجله ولا تأخره^(٤).

وإنما نفى الإثم لئلا يتوهم ذلك متوهم في التعجل، وجاء في التأخر على مزاج الكلام، كما تقول: إن أظهرت الصدقة فجائز، وإن أسررتها فجائز، والإسرار أفضل.

وقوله تعالى: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: لما قال: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ دلّ على وعده بالشواب، فقيّد ذلك بالتقوى لله تعالى لئلا يتوهم أنّه بالطاعة في النفر فقط.

والثاني: أنّه لا إثم عليه في تعجله إذا لم يعمل لضرب^(٥) من ضروب

(١) ما أثبتناه من «ح»، وفي بقية المصادر: إلا.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢: ١٩٠٠/٣٦٢ و١٩٠١، وأحكام القرآن للجصاص ٣١٧: ١.

(٣) انظر: المجموع ٨: ٢٤٩، وفيه: قال الماوردي وغيره: والتأخر للإمام أكد منه لغيره؛ لأنّه يقتدئ به، ولأنّه يقيم الناس أو بإقامته، فإن تعجل جاز.

(٤) انظر القولين وغيرهما والقائلين بها في: تفسير الطبري ٣: ٥٥٧، وتفسير ابن أبي حاتم ٢: ١٩٠٢/٣٦٢ - ١٩٠٤، وأحكام القرآن للجصاص ١: ٣١٧، وتفسير الثعلبي ٥: ٢٦٥، وتفسير الماوردي ١: ٢٦٣.

(٥) في «ه»: لم يعجل بضرب، بدل: لم يعمل لضرب.

الفساد ولكن لا تباع إذن الله فيه ^(١).

وقالوا: معنى تجديد الأمر بالتقوى - هاهنا - التحذير من الاتكال على ما سلف من أعمال البر في الحج، فبين أن عليهم مع ذلك ملازمة التقوى ومجانبة المعاصي ^(٢).

وروى أصحابنا: أن قوله: ﴿لِمَنْ أَتَقَى﴾ متعلق بالتعجل في اليومين ^(٣).

وتقديره: فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير وما بقي من إحرامه، ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر في الأول، وهو اختيار الفراء ^(٤)، والمروي عن ابن عباس ^(٥).

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ «أي من مات في هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب» ^(٦). وتأخر أي أنسى أجله فلا إثم عليه بعدها إذا اتقى الكبائر ^(٦).

والعامل في اللام في قوله: ﴿لِمَنْ أَتَقَى﴾ قيل فيه قولان:

(١) انظر: تفسير الطبري ٣: ٥٧٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٢: ١٩٠٦/٣٦٣ - ١٩٠٩، وتفسير الثعلبي ٥: ٢٦٧، والهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٦٧٥، وتفسير الماوردي ١: ٢٦٤، والتهذيب في التفسير ١: ٨٣١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٣: ٥٧١.

(٣) تفسير العياشي ١: ٢٨٩/٢١١، الفقيه ٢: ٣٠١٦/٤٧٩ «باب النفر الأول والأخير».

(٤) معاني القرآن ١: ١٢٣.

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣: ٥٦٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢: ١٩٠٩/٣٦٣.

(٦) الكافي ٤: ١٠/٥٢١، الفقيه ٢: ٣٠٢١/٤٨٠، باختلاف يسير.

أحدهما : ذلك ﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ فحذف «ذلك» لأن الكلام الأول دلّ على وعدٍ للعامل^(١).

والثاني : أن يكون العامل معنى ﴿لَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لأنه قد تضمن معنى : جعلناه ﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾^(٢) :

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ :

معناه : اجتنبوا معاصي الله .

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ :

أي تحقّقوا أنّكم بعد موتكم تُردّون إلى الله ، فيجازيكم على أعمالكم .

تقول : حَشَرَ يَحْشِرُ حَشْرًا ، فالحشر : جمع القوم من كلّ ناحية إلى مكان .

والمَحْشَرُ : مجتمعهم ، وهو المكان الذي يُحْشَرُونَ فيه .

وحَشَرْتَهُم السَّنةُ : إذا أجمعت بهم ؛ لأنها تضمّمهم من النواحي إلى المصر .

وسَهَمَ حَشْرٌ : خفيف لطيف ؛ لأنه ضامر باجتماعه ، ومنه أذن حَشْرَةٌ : لطيفة ضامرة .

وحَشَرَاتُ الأرض : دوابّها الصغار ، والواحدة حَشْرَةٌ لاجتماعها من كلّ ناحية ، ودابة حَشْوَر : إذا كان مُكَلِّز الخلق شديدة .

ورجل حَشْوَر : إذا كان عظيم البطن .

(١) قال به الأخفش في معاني القرآن ١ : ١٦٥ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ١ : ٩١ .

(٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٩٠٧/٣٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٩٩ ، ومشكل إعراب القرآن ١ : ٩١ .

وَحَشَرْتُ السِّنَانَ فَهُوَ مَحْشُورٌ: إذا رَقَّقْتَهُ وَأَلْطَفْتَهُ .
وأصل الباب : الاجتماع ^(١) .

قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ آلَهُ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) آية واحدة .

قال الحسن : المعني بهذه الآية المنافق .

وقال قوم : المعني بها المرائي .

وقيل : إنها نزلت في الأخنس بن شريق ، ذكره السُّدِّي وغيره ^(٢) .

فالإعجاب : هو السُّرور بالشيء سُرور العجب ^(٣) بما يُستحسن ،
ومنه : العُجْب بالنفس : السُّرور بها سُرور المُعْجَب من الشيء استحساناً له ،
وذلك إذا تعجَّب ^(٤) من شدة حسنه ، وتقول : عَجِبَ عَجْباً ، وَتَعَجَّبَ تَعَجُّباً ،
وَعَجَبُهُ تَعَجُّبِيّاً ، وَأَعْجَبَهُ إِعْجَاباً ، وَاسْتَعْجَبَ اسْتِعْجَاباً ، أي اشتدَّ تَعَجُّبُهُ .
وَالْعُجَاب : الْعَجِيب .

وأعجبني هذا : إذا كان حسناً جداً .

وَالْمُعْجَبُ بنفسه أو بالشيء معروف .

(١) انظر : العين ٣ : ٩٢ ، والصحاح ٢ : ٦٣٠ ، ولسان العرب ٤ : ١٩٠ ، والمصباح المنير : ١٣٦ «حشر» .

(٢) انظر الأقوال في : تفسير الهَوَازِي ١ : ١٩٤ ، وتفسير الطبري ٣ : ٥٧١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٩١٣/٣٦٤ ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٦٩ ، والهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٧٧ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٦ ، وتفسير السمعاني ١ : ٢٠٧ .

(٣) في «هـ» و«و» : والعجب ، بدل : سرور العجب .

(٤) في «ح» : تعجبت .

وقال الأزهري: العَجَبُ: كلُّ شيءٍ غير مألوف^(١).

وعَجِبُ الذَّنْبُ: العَظْمُ الذي ينبت عليه شعر الذنب في المَغْزِ^(٢)،
ورأيت أُعْجُوبَةً وأعاجيبَ.

وأصل الباب: العَجَبُ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾:

أي وقت الحياة الدنيا، فالحي: هو مَنْ لا يستحيل، وهو على ما هو
عليه أن يكون عالماً قادراً.

وقوله: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾:

فأصل الإِشْهَاد هو الإقرار بالشيء ليشهد به المقرّ عنده.
والمراد بالآية^(٤): مَنْ يقرّ بالحق، ويقول: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيَّ به،
وضميره على خلافه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ﴾:

يقال: لَدَهُ يَلْدُهُ لَدًّا: إذا غلبه في الخصومة. وَلَدَّهُ يَلْدُهُ: إذا أوجره في
أحد شِقَيِّ فمه. وَلَدَدَتْ تَلْدُ لَدًّا، وهو شِدَّةُ الخصومة.

وجانباً كلِّ شيءٍ لَدِيدَاه، فمنه لَدِيدَا الوادي، وَلَدِيدَا العُنق: صفحتاه.
ولَدَّه عن كذا: إذا حبسه.

والتَّلْدُد: التَّلَفُّت عن تحيُّر.

(١) تهذيب اللغة ١: ٣٨٦ «عجب».

(٢) في «هـ»: المعز.

(٣) انظر: العين ١: ٢٣٥، والمحيط في اللغة ١: ٢٦٧، والصحاح ١: ١٧٧، ولسان
العرب ١: ٥٨٠ «عجب».

(٤) ما أثبتناه من «هـ»، وفي بقية النسخ: في الآية.

وأصل الباب: اللَّدِيد: الجانب^(١).

والخِصَام هو الْمُخَاصِمَة، تقول: خَاصَمَهُ يُخَاصِمُهُ مُخَاصِمَةً
وِخْصَامًا، وَتَخَاصَمَا تَخَاصُمًا، وَاخْتَصَمَا اخْتِصَامًا، وَاسْتَخَصَمَا^(٢)
اسْتِخْصَامًا.

والخُصَم: طَرَف الراوية الذي بحيال العزلاء من مُؤَخَّرهَا، وَطَرَفُهَا
الأعلى: العُصَم، والأَخْصَام من كُلِّ شيءٍ: جوانبه، كجَوَانِب الجَوَالِق الذي
فيه العُرَى يحمل به.

وأصل الباب: الخُصومة^(٣).

ومعنى «أَلَدُّ» في الآية هو الشديد الفتل بالخصومة إلى ما يريد، قال
الشاعر:

تَمَّ أَرْدِي وَبِهِمْ مَنْ يَزْدِي^(٤) تَلَدُّ أَقْرَانُ الْخُصُومِ اللَّدُّ^(٥) [٥١٣]

وقال الزَّجَّاج: الخِصَام: جمع خَصَم، والمعنى: هو أَشَدُّ الْمُخَاصِمِينَ

(١) انظر: العين ٨: ٨، والمحيط في اللغة ٩: ٢٦٠، ولسان العرب ٣: ٣٩٠ «لدد».

(٢) ما أثبتناه من «ه»، وفي بقية النسخ: واستخصمهم.

(٣) انظر: العين ٤: ١٩١، ولسان العرب ١٢: ١٨٠، والمصباح المنير: ١٧١
«خصم».

(٤) في «ح»: تردي.

(٥) روى البيت أو شطراً واحداً منه عدّة مصادر وبلا نسبة.

انظر: معاني القرآن للفراء ١: ١٢٣ - بتقديم عجز البيت على صدره -، وتفسير
الطبري ٣: ٥٧٨، والصحاح ٢: ٥٣٥، وتفسير الثعلبي ٥: ٢٨٩، ولسان العرب
٣: ٣٩١ «لدد»، وباختلاف يسير في الجمع، ومن ذكر صدر البيت قال: بهم،
بدلاً من: وبهم.

والشاهد فيه: اللَّدُّ، جمع أَلَدَّ، وهو من اشتدت خصومته.

خصوصة^(١) . وقال غيره : هو مصدر^(٢) .

ومعنى الآية : أنه تعالى وصف المنافقين ، فقال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ﴾ يا محمد ﴿قَوْلُهُ﴾ في الظاهر وباطنه بخلافه ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ جدلٌ مبطل .

ومن قرأ ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ﴾ بفتح الباء^(٣) معناه : أنه تعالى يشهد عليه بنفاقه وإظهاره خلاف ما يبطنه ، والقراءة العامة هي الأولى .

قوله تعالى :

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ آية واحدة .

في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ ضمير عن تقدم ذكره ، وهو ﴿مَنْ﴾ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

والتَّوَلَّى : هو الانحراف والزوال عن الشيء إلى خلاف جهته .

والسَّعَى : هو الإسراع في المشي . وقيل : إنه العمل^(٤) ، وقال الأعشى :

وَسَعَى لِكِنْدَةَ سَعِي غَيْرِ مُوَاعِلٍ قَيْسَ فَضَرَّ عَدُوَّهَا وَبَنَىٰ لَهَا^(٥) [٥١٤]

(١) معاني القرآن ١ : ٢٧٧ .

(٢) انظر : العين ٤ : ١٩١ «خصم» ، وتفسير الثعلبي ٥ : ٢٨٧ ، وتفسير الماوردي ١ : ٢٦٥ .

(٣) وهي قراءة ابن مُحِصِّن . انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ : ٢٩٩ ، وفي مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : وَيَشْهَدُوا اللَّهَ . ناسباً القراءة لابن محيص . وهو خطأ مطبعي ظاهراً .

(٤) انظر : العين ٢ : ٢٠٢ «سعي» ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٩٢٦/٣٦٦ .

(٥) ديوانه : ١٥٣ من قصيدة طويلة يمدح بها قيس بن معديكرب ، مطلعها :

رَحَلْتُ سَمِيَّةَ غَدُوَّةَ أَجْمَالِهَا غَضِبِي عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا

أي عمل لها .

وقوله : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ :

دخلت الألف واللام في الأرض ، لتعريف الجنس ؛ لأن الأرض وإن كانت واحدة بعينها ، فلو خلق الله مثلها لكانت أرضاً ، كما أن الشمس والقمر كذلك ، وفارق ذلك ^(١) زيداً وعمراً في أسماء الأعلام ، وامتناع ^(٢) دخول الألف واللام عليهما ؛ لأن الله تعالى لو خلق مثل زيد لم يجب أن يكون زيداً ، على أن الأرضين سبعة ، كما قال الله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ^(٣) فعلى هذا لا يتوجه السؤال .
والإفساد : هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة .

والإهلاك : العمل الذي ينفي الانتفاع ^(٤) .

وقوله : ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ تُصَبِّ بِاضمار أن ، ويجوز إظهارها ، فتقول : لأن يفسد فيها ، ولا يجوز إظهارها في قوله : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥) .

﴿ وفيه : غير سعي ، بدل : سعي غير .

ومعنى البيت : أن قيساً سعى وقدم لعشيرته في الحروب ما قهر به عدوها ، وبنى وشيد لها مجداً باقياً .

والشاهد فيه ما ذكره المصنف رحمه الله .

(١) في «هـ» : وفارقت بذلك .

(٢) في «هـ» : بامتناع .

(٣) سورة الطلاق ٦٥ : ١٢ .

(٤) في «هـ» زيادة : به .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٧٩ .

وإنما جاز حذفها في ﴿لِيُفْسِدَ﴾ لدلالة الكلام عليها ، مع قوتها في حروف الإضافة حتّى حُذِفَتْ في قولهم : غلام زيد ، وما أشبهه مع كثرته في الكلام .

وجاز إظهارها ؛ لأنّه الأصل من غير مانع في الاستعمال .
وإنما امتنع في قوله : ﴿لِيَذَرَ﴾ لِمَا يرجع إلى المعنى ؛ لأنّ معناه كمعنى : ما كان زيد ليفعل . أي ما كان فاعلاً ، فلمّا تضمّن غير المعنى الذي توجه صورته لم يُتصرّف في لفظه ؛ ولأنّه لمّا كان محمولاً على تأويل معنى لم يذكر ، حُمِلَ أيضاً على تأويل لفظ لم يذكر .

والفرق بين دخول اللام فيها^(١) أنّ اللام دخلت في ﴿لِيُفْسِدَ﴾ على إضافة السعي إلى الفساد على أصل الإضافة في الكلام ، ودخولها في ﴿لِيَذَرَ﴾ فإنّما هو لتأكيد النفي بتحقيق تعلّقه بالخبر^(٢) ، كما دخلت الباء في : ليس زيد بقاتم ، لأنّ النفي لمّا كان للخبر وولي حرف النفي الاسم دخلت الباء لتدلّ على اتّصاله في المعنى بحرف النفي .

والحرث : الرّوع .

والنّسل : العقب من الولد .

وقال الضّحّاك : الحرث : كلّ نبات ، والنسل : كلّ ذات^(٣) (٤) .

ويقال : نَسَلَ يَنْسُلُ نُسُولاً : إذا خرج فسقط ، فمنه : نَسَلَ وَبَرُّ البعير ،

(١) في «هـ» : فيهما .

(٢) في «هـ» : في الخبر .

(٣) ما أثبتناه من «ح» والحجرية ، وفي «هـ» و«و» : ذي أب .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣ : ٥٨٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢ :

١٩٣٢/٣٦٧ ، والنّحاس في معاني القرآن ١ : ١٥١ .

أَوْ شَعَرُ الْحِمَارِ، أَوْ رِيشُ الطَّائِرِ.

وَالنُّسَالَةَ: قطعة من الوبر.

وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(١) أي يسرعون؛ لأنه إسراع الخروج بِحُدَّةٍ^(٢).

وَالنُّسْلُ: الولد، تناسل بعضه بعد^(٣) بعض.

وَالنَّاسُ: نسل آدم، لخروجهم من ظهره.

وَالنُّسْلُ وَالنَّسْلَانُ: عَدُوٌّ مِنْ عَدُوِّ الذَّنْبِ فِيهِ اضْطِرَابٌ.

وَالنَّسِيلَةُ: فتيلة السراج.

وأصل الباب: النُّسُولُ: الخُروج^(٤).

وحكى الزجاج: أَنَّ الْحَرْثَ: الرجال^(٥)، وَالنُّسْلَ: الأولاد^(٦).

وذكر الأزهري: أَنَّ الْحَرْثَ: النساء، وَالنُّسْلَ: الأولاد؛ لقوله تعالى:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾^{(٧)(٨)}.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ يدل على فساد قول

المُجَبَّرَةِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ الْقَبَائِحَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَىٰ عَنْ نَفْسِهِ مَحَبَّةَ

(١) سورة يس ٣٦ : ٥١ .

(٢) في «هـ» : بشدة .

(٣) في «هـ» : من ، بدل : بعد .

(٤) انظر : العين ٧ : ٢٥٦ ، والصاحح ٥ : ١٨٢٩ ، ولسان العرب ١١ : ٦٦٠ ،

والمصباح المنير : ٦٠٤ «نسل» .

(٥) في المصدر : النساء .

(٦) معاني القرآن ١ : ٢٧٧ .

(٧) سورة البقرة ٢ : ٢٢٣ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٤ : ٤٧٧ «حرث» ، و ١٢ : ٤٢٧ «نسل» .

فالمحبة: هي الإرادة؛ لأن كل ما أحب الله أن يكون فقد أراد أن يكون، وما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون.

ومعنى الآية: إذا خرج هذا المنافق من عندك - يا محمد - غضبان عمل في الأرض بما حرم الله عليه، وحاول معصيته، وقطع الطريق، وأفسد النسل والحرث على عباده ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ أَفْسَادًا﴾.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمَّهَادُ﴾ (٢٠٦) آية بلا خلاف.

قيل في المعني بهذه الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: إنه كل منافق.

والثاني: قال السدي: إنه الأخنس بن شريق^(٢)(٣).

والإتقاء: طلب السلامة بما يحجز من المخافة، وإتقاء الله إنما هو إتقاء عذابه.

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٣١٨، والتهذيب في التفسير ١: ٨٣٦.

(٢) هو الأخنس بن شريق بن عمرو الشقفي، أبو ثعلبة حليف بني زهرة، لُقّب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعبير، فقبل: خنس الأخنس ببني زهرة، فسُمي بذلك، ثم أسلم، وكان من المؤلفة، وشهد حنيناً، ومات في أول خلافة عمر.

انظر ترجمته في الإصابة ١: ٦١/٢٣.

(٣) انظر القولين في: تفسير الطبري ٣: ٥٨٩، وقد تقدّم ما يتعلّق بالقولين في تفسير الآية: ٢٠٤.

وقوله : ﴿أَخَذْتُهُ الْعِزَّةُ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما : قال الحسن : أخذته العزة من أجل الإثم الذي في قلبه من الكفر .

والثاني : ﴿أَخَذْتُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أي دعت العزة إلى الإثم ، كما تقول : أخذت فلاناً بأن يفعل ، أي دعوته إلى أن يفعل ^(١) .

ومعنى قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ :

هو الإشعار بالدليل على نفاقه ، لفضيحته ^(٢) بذلك عند المؤمنين ، على ما قاله قتادة ^(٣) .

ويجوز أن يكون الذم له على تلك الحال القبيحة .

وقوله : ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ :

المهاد : الرطاء .

فإن قيل : كيف قيل لجهنم : مهاد ؟

قلنا عنه جوابان :

أحدهما : قال الحسن : معناه : القرار هاهنا ، والقرار كالرطاء في

الثبوت عليه .

الثاني : لأنها بدل من المهاد ، كما قال تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

(١) ذكر القولين أيضاً الماوردي في تفسيره ١ : ٢٦٦ ، والواحد في التفسير البسيط ٤ : ٧٩ ، والجسمي في التهذيب في التفسير ١ : ٨٣٧ ، ونسب القول الأول إلى الحسن أيضاً .

(٢) في «هـ» و«و» : بفضيحته .

(٣) انظر : الوسيط ١ : ٢٠٧ ، وتفسير القرطبي ٣ : ٣٨٩ .

أَلِيمٌ^(١) لأنه موضع البشرى بالنعيم على جهة البذل منه^(٢).
والمِهَاد في اللغة: الوطاء من كل شيء، تقول: مَهَّدْتُ الفراشَ
تَمَهِّدًا، وكل شيءٍ وَطَّأته فقد مَهَّدته.
وَتَمَهَّد الشيء: إذا تَوَطَّأ، وكذلك امْتَهَدَ امْتِهَادًا.
وَمَهَّد الصبي معروف، وجمع المِهَاد: مُهَد، وثلاثة أَمُهَدَةٍ.
والأَرْضُ مِهَادٌ؛ لأجل توطئتها للنوم والقيام عليها.
وأصل الباب: التوطئة^(٣).

والأخذ: ضد الإعطاء، والعِزَّة: القوة التي يتمتع بها من الذلَّة.
فمعنى الآية: إنَّ هذا المنافق الذي نعتَه لك بأنه «يُغْجِبُكَ قَوْلُهُ» فِي
الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا «إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ» في سعيك في الأرض بالفساد
وأهلاك الحرث والنسل، دخلته عِزَّةٌ وحمية، فقال تعالى: فكفاه عقوبة من
ضلالة أن يُصلَّى نار جهنم؛ فإنَّها بشس المهاد لمن يصلاها.

قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧) آية بلا خلاف.

قال قتادة: نزلت هذه الآية في المهاجرين والأنصار^(٤).
وقال عكرمة: نزلت في أبي ذر الغفاري جندب بن السكن وصهيب

(١) سورة آل عمران ٣: ٢١.

(٢) ذكر القولين الواحد في التفسير البسيط ٤: ٨١، وانظر تفسير الرازي ٥: ٢٢٢.

(٣) انظر: العين ٧: ٤٦٧، والصحاح ١: ٨١، ولسان العرب ١: ١٩٥ «وطأ».

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣: ٥٩١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢: ٣٠٣.
١٩٤٢/٣٦٩، والنخاس في معاني القرآن ١: ١٥٣، والثعلبي في تفسيره ٥: ٣٠٣.

ابن سنان^(١)؛ لأنَّ أهل أبي ذرٍّ أخذوا أبا ذرٍّ فانفلت منهم، فَقَدِمَ على النَّبِيِّ ﷺ، فلمَّا رجع مهاجراً عرضوا له، وكان يَمُرُّ الظَّهران، فانفلت أيضاً منهم حتَّى قَدِمَ على النَّبِيِّ ﷺ، فلمَّا رجع مهاجراً عرضوا له، فانفلت حتَّى نزل على النَّبِيِّ ﷺ.

وأما صهيب، فإنَّه أخذه المشركون من أهله فافتدئ منهم بماله ثمَّ خرج مهاجراً، فأدركه منقذ بن طريف بن جدعان^(٢)، فأخرج^(٣) له ممَّا بقي من ماله وخلَّى سبيله^(٤).

وروي عن أبي جعفر^(٥) أَنَّهُ قال: «نزلت في عليٍّ عليه السلام حين بات على فراش رسول الله ﷺ (لَمَّا أرادت قريش قتله، حتَّى خرج رسول الله ﷺ)^(٥) وفاتَّ المشركين أغراضهم»^(٦)، وبه قال عمر بن

(١) هو صُهَيْب بن سنان بن مالك بن عبدالرَّعي التَّمَرِي، وأمَّه سلمى بنت قعيد، كنيته أبو يحيى، كناه بها رسول الله ﷺ، وقيل له: الرومي، لأنَّ الروم سبوه صغيراً، فنشأ بالروم، فصار ألكن، فابتاعته منهم كلب، ثمَّ قدموا به مكَّة فاشتره عبدالرحمن بن جُدعان التيمي منهم، فأعتقه، فأقام معه حتَّى هلك عبدالله بن جدعان، وقيل: إنَّه هرب من الروم لمَّا كبر وعقل، وتوفِّي بالمدينة سنة ثمانٍ وثلاثين في شَوَّال.

له ترجمة في: الاستيعاب ٢: ١٢٢٦/٧٢٦، وأسد الغابة ٢: ٤١٨/٢٥٣٦، والإصابة ٣: ٤٠٩٩/٢٥٤.

(٢) في «ه» و«و»: جدعان.

(٣) ما أثبتناه من «ه» ومن «و» (خ ل)، وفي بقية النسخ: فخرج.

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣: ٥٩١، والقيسي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١: ٦٨١، والماوردي في تفسيره ١: ٢٦٧.

(٥) ما بين القوسين لم يرد في «ه» و«و».

(٦) انظر: تفسير العياشي ١: ٢٩٥/٢١٢ باختلاف لفظي، وتفسير القمّي ١: ١٠٩.

شبهة (١).

وروي عن عليّ عليه السلام وابن عباس: أن المراد بالآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢).

وقال الحسن: هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله (٣).

وأى هذه الأسباب ثبت نزول الآية لأجلها فإنها عامة في كل من يبيع نفسه لله، بأن يقيم نفسه في جهاد عدوه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما أمر الله به وتوعد على خلافه.

وقوله تعالى: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾.

معناه: يبيع نفسه، وقد بيّنا فيما مضى أن الشراء يكون بمعنى البيع (٤)، كما قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ (٥) أي باعوه، وقال

وورئ الثعلبي في تفسيره ٥: ٢١٣ قصة مبيت أمير المؤمنين عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ونزول الآية في شأنه عليه السلام.

وانظر رواة حديث المبيت في الصراط المستقيم للنباطي ١: ١٧٣، وكتاب ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله.

(١) عمر بن شبة بن عبدة النميري النحوي، العلامة الأخباري الحافظ، صاحب التصانيف، أبو زيد، وُلد سنة ثلاث وسبعين ومائة، سمع يحيى بن سعيد ويوسف بن عطية وعلي بن عاصم وغيرهم، وحَدَّث عنه: ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن صاعد وغيرهم، وكان صاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس، ومات يوم الخميس لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين مائتين.

له ترجمة في: تاريخ مدينة السلام ١٣: ٥٨٦٧/٤٥، ووفيات الأعيان ٣: ٤٩١/٤٤٠، وسير أعلام النبلاء ١٢: ١٥٨/٣٦٩.

(٢) رواه عنهما أيضاً الطبري في تفسيره ٣: ٥٩٤، والثعلبي في تفسيره ٥: ٣٠٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٣: ٥٩٣، وتفسير الثعلبي ٥: ٣٠٤، وتفسير الماوردي ١: ٢٦٧.

(٤) عند تفسير الآية: ٩٠ ﴿بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾، والآية: ١٠٢ ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾.

(٥) سورة يوسف ١٢: ٢٠.

الشاعر :

[٣٥٣]

وَشَرَيْتُ بُزْداً لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُزْدِ كُنْتُ هَامَهُ ^(١)
أي بعت .

والشراء : استبدال العوض بالثمن .

وَشَرَيْ : باع . واشترى ^(٢) : ابتاع .

وَشَرَا - هاهنا - مجاز ؛ لأن أصله في الأثمان من العين والورق ،
ولذلك لا يقال : باع متاعه ، إذا تصدق به ؛ لأن الأظهر إذا أطلق أنه باعه
بالثمن .

وقوله تعالى : ﴿أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ :

معناه : رضاه ، وهو نُصِبَ على أنه مفعول له ، وتقديره : لابتغاء

مرضاة الله ، ومثله ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ ^(٣) ، قال الشاعر :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادْخَارَهُ وَأَعْرِضُ عَنْ شَتَمِ اللَّئِيمِ تَكْرُمًا ^(٤) [٥١٥]

(١) تقدّم الاستشهاد به عند تفسير الآية : ٩٠ ، في الجزء ٣ ، ص ١٣٧ .

(٢) في «هـ» : شري .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٩ .

(٤) البيت لحاتم الطائي ، انظر : ديوانه : ٨١ ، وكتاب سيبويه ١ : ٣٦٨ ، و٣ : ١٢٦ ،
والصاح ٢ : ٧٦٠ .

والبيت من قصيدة طويلة ، مطلعها :

أَتَعْرِفُ أَطْلالاً وَنوباً مُهْداً كَخَطِّكَ فِي رَوْيِ كِتَاباً مَتَمِّناً

ومعنى البيت : العوراء : الفعل القبيح أو الكلمة القبيحة ، ادْخاره : إبقاءً عليه ،
أي إذا تعدى عليه الكريم غفر له إبقاءً عليه ، وإذا تجاوز عليه اللئيم بالشتم وغيره
من الأفعال والأقوال القبيحة يُعرض عنه إكراماً لنفسه .

والشاهد فيه : نصب ادْخاره وتكرماً على أنهما مفعولان له ، على تقدير :
لاَدْخاره ، ولتكرمه .

ولا يجوز قياساً على ذلك : فَعَلَهُ زيداً^(١) . أي لزيد .
ويجوز : فَعَلَهُ خوفاً ، لأن في ذكر المصدر دليلاً على الغرض الداعي
إلى الفعل ، وليس كذلك ذكر زيد .

والمَرْضَاة والرِّضَا واحد ، وهو ضد السخط .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ .

قد بيّنا فيما مضى معنى الرؤوف والخلاف فيه^(٢) ، ومعناه : ذو رحمة
واسعة بعبدته الذي شرى نفسه له في جهاد مَنْ جاهد في أمره من أهل
الشرك والفسوق .

وإنما ذكر الرؤوف بالعباد هنا ؛ للدلالة على أنه إنما رغب العبد في
بيع نفسه بالجهاد في سبيله راقيةً به وحسن نظر له ، لينيله من الثواب
المستحق على عمله ما لا يجوز أن يصل إليه في جلالته إلا بتلك المنزلة .

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨) آية واحدة .

قرأ أهل الحجاز والكسائي ﴿السِّلْم﴾ بفتح السين ، والباقون بكسرها^(٣) .
قال الأخفش : السِّلْم بكسر السين : الصلح ، وبفتحتها وفتح اللام :
الاستسلام^(٤) .

(١) في «هـ» : ولا يجوز على ذلك قياساً : فعلت زيداً .

(٢) عند تفسير الآية : ١٤٣ .

(٣) انظر : السبعة في القراءات : ١٨٠ ، والحيجة في القراءات ٢ : ٢٩٢ ، وحيجة
القراءات لأبي زرعة : ١٣٠ .

(٤) معاني القرآن ١ : ١٦٧ ، ونسبه إلى البعض .

وقال الزجاج: السِّلْم: جميع شرائعه، ويقال: السِّلْم والسِّلْم^(١) معناهما: الإسلام والصلح. وفيه ثلاث لغات: كسر السين، وفتحها مع تسكين اللام، وفتحها^(٢).

وقال أبو عبيدة: السِّلْم - بكسر السين - والإسلام واحد، وهو في موضع آخر: المسالمة والصلح^(٣).

وقال ابن عباس والسُّدِّي والضَّحَّاك ومجاهد: معنى السلم هاهنا: الإسلام، وبه قال قتادة^(٤).

وقال الربيع: معناه: ادخلوا في الطاعة، وهو اختيار البلخي، قال: لأنَّ الخطاب للمؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٥).

واختار الطبري الوجه الأوَّل^(٦).

والأمران جميعاً عندنا جائزان محتملان، وحملها^(٧) على الطاعة أعم. ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من أنَّ المراد به الدخول في الولاية^(٨).

(١) في «ه»: والسلام.

(٢) معاني القرآن ١: ٢٧٩.

(٣) مجاز القرآن ١: ٧١ و٧٢.

(٤) رواه عنهم الطبري في تفسيره ٣: ٥٩٥، والثعلبي في تفسيره ٥: ٣١٩، والماوردي في تفسيره ١: ٢٦٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٣: ٥٩٦، وتفسير الثعلبي ٥: ٣٢٢، وتفسير الماوردي ١: ٢٦٧، وروى قول البلخي الطبرسي في مجمع البيان ٢: ٨٣.

(٦) تفسيره ٣: ٥٩٧.

(٧) في «ه» و«و»: حملهما.

(٨) انظر: تفسير العياشي ١: ٢٩٧/٢١٣ - ٣٠٠، والكافي ١: ٢٩/٣٤٥.

وعلى سبيل البيان إليك هذه الروايات في هذين المصدرين:

قال أبو علي: مَنْ قرأ بفتح السين، ذهب إلى أن معناه: المسالمة والصلح وترك الحرب بإعطاء الجزية، وَمَنْ كسرهما اختلفوا: منهم مَنْ حمّله على الإسلام، ومنهم مَنْ حمّله على الصلح أيضاً^(١).

وقوله تعالى: ﴿كَافَّةً﴾:

معناه: جميعاً، وهو نصب على الحال من ضمير المؤمنين.

وقيل: من حال السلم^(٢).

واشتقاقه في اللغة ممّا يكف الشيء في آخره، من ذلك: كفة

١ - عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ قال: «في ولايتنا».

٢ - عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: «أتدري من السلم؟» قال: قلت: أنت أعلم.

قال: «ولاية عليٍّ والأئمة الأوصياء من بعده» قال: «وخطوات الشيطان - والله - ولاية فلان وفلان».

٣ - عن زرارة وخمران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، قالوا: سألهما عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ قال: «أميروا بمعرفتنا».

٤ - عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾، قال: «السلم هم آل محمد ﷺ، أمر الله بالدخول فيه».

٥ - عن أبي بكر الكلبي، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ هو ولايتنا.

(١) الحجة لكفر السبعة ٢: ٢٩٣، وما ذكره المصنف رحمه الله مختصر جداً عما في المصدر.

(٢) أجازته الزجاج في معاني القرآن ١: ٢٧٩، وحكاه العكبري في إملاء ما من به الرحمن ١: ٩٠، ونسبه السمين الحلبي في الدرّ المصون ١: ٥١٠ إلى أبي البقاء والزمخشري، وفي الإملاء لأبي البقاء نسبة إلى القليل.

القميص ، يقال لحاشية القميص : كَفَّة .

وكلّ مستطيل فحرفه كَفَّة .

ويقال في كلّ مستدير : كَفَّة ، نحو كَفَّة الميزان .

وإنما سُمِّيت كَفَّة الثوب لأنها تمنعه أن ينتشر .

وأصل الكَف : المنع ، ومنه قيل لطرف اليد : كَف ؛ لأنها يُكَف بها عن

سائر البدن ، وهي الراحة مع الأصابع .

ومن هذا قيل : رجل مَكْفُوف ، أي قد كُف بَصَرُهُ أن يَبْصُر . وكَف من

الشيء يكَف كَفًّا : إذا انقبض عنه .

وكلّ شيء جمعته فقد كَفَفْتُهُ .

واشْتَكَّف السائل : إذا بسط كَفَّهُ يسأل .

واشْتَكَّف القوم بالشيء : إذا أخذُوا به .

وَتَكَفَّف السائل : إذا مدَّ كَفَّهُ للسؤال .

وَلَقِيْنَهُ كَفَّةً لِكَفِّهِ : إذا لَقِيْنَهُ مفاجأة .

والمَكْفُوف : الأعمى .

والكِفَف : دارات الوشم .

والكِفَّة : ما يصاد به الطَّيَّاء كالطوق .

فمعنى الآية على هذا : ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه ،

فكفُّوا^(١) من أن تعدُّوا شرائعه ، وادخلوا كلَّكم حتَّى يكفَّ عن عدد واحد لم يدخل فيه .

وقيل في معنى الآية : إنّ قوماً من اليهود أسلموا وأقاموا على تحريم

(١) في «ح» : فتكفُّوا .

السبت وتحريم لحم الإبل ، فأمرهم الله تعالى أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام^(١).

وقال بعض أهل اللغة : جائز أن يكون أمرهم - وهُمْ مُؤْمِنُونَ - أن يدخلوا في الإيمان ، أي يُقِيمُوا عَلَى الإيمان ، كما قال : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢) ، وكلا القولين جائز^(٣).

وقوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ :

أي لا تتبعوا آثاره ؛ لأن ترككم شيئاً من شرائع الإسلام اتِّبَاعٌ للشيطان .

وخطوات : جمع خُطوة ، وفيها ثلاث لغات : خطوات ، بضم الطاء وفتحها وإسكانها .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ :

إخبار منه تعالى بأن الشيطان عدوٌّ مبين عداوته للمؤمنين . وإبانة عداوته لنا هو أن يبينها لمن يراه من الملائكة والجن .

ونحن وإن لم نشاهده فقد علمنا معاداته لنا ودعاءه إيانا إلى المعاصي ، فجاز أن يُسَمَّى ذلك إبانة .

وقال الجُبَّائي : أبان عداوته لآدم والملائكة عليهم السلام ، فكان بذلك مبيناً

(١) ذكر هذه القضية الزجاج في معاني القرآن ١ : ٢٧٩ ، والنحاس في معاني القرآن

١ : ١٥٤ ، والثعلبي في تفسيره ٥ : ٣١٩ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٣٦ .

(٣) ذكر هذا القول الزجاج في معاني القرآن ١ : ٢٧٩ ، ويمكن إرجاع جملة : وكلا

القولين جائز ، إلى الشيخ الطوسي أيضاً ، إلا أنها مذكورة في كلام الزجاج .

لعداوته إيانا^(١).

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩) آية واحدة .

أنزل الله تعالى هذه الآية وقد علم أنه سيرل الزالون من الناس ، فتقدم في ذلك وأوعد فيه لكي تكون له الحجة على خلقه .
يقال : زَلَّ يَزِلُّ زَلًّا وَزَلَّكَ^(٢) ، وَمَزَلًا وَزُلُولًا .
ومعنى الآية ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ :

بمعنى : تنحيتهم عن القصد والشرائع ، وتركتم ما أنتم عليه من الدين ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نعمته^(٣) ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره لا تعجزونه^(٤) ، وحكيم فيما شرع لكم من دينه وفطركم عليه ، وفيما يفعل بكم من عقوبة على معاصيكم إياه بعد إقامة الحجة عليكم .
وذكر جماعة من أهل التأويل : أَنَّ ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ هُم مُحَمَّد ﷺ والقرآن ، ذهب إليه السُّدِّي وابن جُرَيْج^(٥) وغيرهما^(٦) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٣٧ ، وتفسير الثعلبي ٤ : ٢٨٤ ، وزاد المسير ١ : ١٧٢ .
(٢) في «و» : زليلاً . بدل : زَلَّكَ . وذكره ابن منظور في لسان العرب ١١ : ٣٠٦ «زلل» .
(٣) في الحجرية : نعمته .
(٤) أثبتنا العبارة من «ح» والحجرة ، وفي «هـ» : ... فاعلموا أَنَّ الله في نعمته . عزيز حكيم ، أي عزيز في أمره لا تعجزونه ، وفي «و» نحوها .
(٥) في «هـ» : ابن جرير .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣ : ٦٠٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢ : ١٩٥٥/٣٧١ ، وقال القيسي بهذا القول في الهداية إلى بلوغ النهاية ١ : ٦٨٨ ، ولم ينسبه إليهما ، إلا أَنَّ

وقيل: «زَلَّ» في الآية مجاز، تشبيهاً بمن زَلَّ عن قصد الطريق، وحقيقته عصيته الله فيما أمركم به أو نهاكم عنه^(١).

والأولى أن يكون ذلك حقيقة بالعرف.

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة: أن الله يريد القبيح؛ لأنه لو أراد له صَحَّ وصفه بأنه حكيم^(٢).

فإن قيل: سواء زَلَّ العباد أو^(٣) لم يزَلُوا، وجب أن يُعلم أن الله عزيز حكيم، فما معنى الشرط؟

قيل: لأن معنى ﴿عَزِيزٌ﴾ هو القادر الذي لا يجوز عليه^(٤) المنع من عقابكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في عقوبته إياكم، فكأنه قال: فاعلموا أن العقاب واقع بكم لا محالة؛ لأنه عزيز لا يجوز أن يحول بينه وبين عقوبتكم حائل ولا يمنعه^(٥) مانع، حكيم في عقوبته إياكم، وذلك أجزر لهم. ووصفه بأنه عزيز أنه قدير لا يمنع؛ لأنه قادر لنفسه. و﴿حَكِيمٌ﴾ معناه: عليم بتدبير الأمور.

ويقال: ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله بمعنى محكم لها.

وأصل العِزَّة: الامتناع، ومنه أرض عَزَاز: إذا كانت ممتنعة بالشدَّة^(٦).

﴿الماوردي في تفسيره ١: ٢٦٩ جعل تفسير البيِّنات بمحمد ﷺ قول السُّدي، وتفسيرها بالقرآن قول ابن جريج، وذكر أيضاً قولين آخرين.

(١) انظر: التهذيب في التفسير ١: ٨٤٥.

(٢) تقدّم نحوه في تفسير الآية: ٢٠٥. وانظر أيضاً: أحكام القرآن للجصاص ١:

٣١٨، والتهذيب في التفسير ١: ٨٤٦.

(٣) في «ه»: أم.

(٤) في «ج»: له، بدلاً من: عليه.

(٥) في «ج»: ولم يمنعه.

(٦) في «ه» و«و»: بالمدَّة.

وأصل الحكمة : المنع ، من قول الشاعر :

[٤٣] أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا^(١)
ومنه : حَكَمَةُ الدَّابَّةِ .

قوله تعالى :

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢١٠) آية واحدة .

قرأ أبو جعفر ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالخفض ، والباقون بضمها^(٢) . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بفتح التاء ، والباقون بضمها^(٣) .
الظُّلُّ : جمع ظُلَّة .

ومعنى الآية^(٤) : أن يأتيهم عذاب الله وما توعدهم به على معصيته ،
كما قال : ﴿فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^(٥) أي أتاهم خذلانه
إياهم .

والمختار عند أهل اللغة الرفع في ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عطفاً على الله جل
اسمه ، كأنه قال : وتأتيهم الملائكة^(٦) .

(١) تقدّم الاستشهاد به في الجزء ٢ ، ص ٤٣ .

(٢) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٢٠ ، وانظر : معاني القرآن للقرطبي ١ : ١٢٤ ،
ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٨٠ بلا نسبة في الأخيرين .

(٣) انظر : السبعة في القراءات : ١٨١ ، والحجة للقرطبي السبعة ٢ : ٣٠٤ ، وحجة
القراءات : ١٣٠ .

(٤) في «هـ» زيادة : هل ينظرون .

(٥) سورة الحشر ٥٩ : ٢ .

(٦) انظر : معاني القرآن للقرطبي ١ : ١٢٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ٢٨٠ .

وَمَنْ كَسَرَ عَظْفَ عَلِيٍّ ﴿ظَلَّلَ﴾ ، وتقديره : فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ ، وَظُلُلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

وقوله : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ : أَي فُرِغَ لَهُمْ مِمَّا كَانُوا يُوعَدُونَ بِهِ .

وقوله : ﴿وَالِىَ اللَّهُ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ إِلَيْهِ الْآنَ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ .

ومعنى الآية : الإعلام في أمر الحساب والثواب والعقاب .

أَي إِلَيْهِ تَصِيرُونَ فَيُعَذَّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ، فَلَا حَاكِمَ سِوَاهُ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : أَنَّهُ لَا أَحَدَ مِمَّنْ يَمْلِكُ فِي دَارِ الدُّنْيَا إِلَّا وَيَزُولُ مَلِكُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ .

وَشُبِّهَتْ الْأَهْوَالُ بِالظُّلُلِ مِنَ الْغَمَامِ ، كَمَا قَالَ : ﴿مَوْجٌ كَالظُّلُلِ﴾^(١) .

ومعنى الآية : مَا يَنْظُرُونَ^(٢) - يَعْنِي الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ - (: مُحَمَّدٌ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْآيَاتِ)^(٣) إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَعَذَابُهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ، فَ«هَلْ» بِمَعْنَى «مَا» ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : هَلْ يَطَالِبُ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا مُتَعَتِّتٌ ، أَي مَا يَطَالِبُ .

وَيَنْظُرُونَ - فِي الْآيَةِ - بِمَعْنَى : يَنْتَظِرُونَ .

وَقَدْ يُقَالُ : أَتَيْتُ وَجَاءَ فِيمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ ، يَقُولُونَ : أَتَانِي وَعَيْدُ فُلَانٍ ، وَكَلَامُ فُلَانٍ ، وَأَتَانِي حَدِيثُ فُلَانٍ ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَرَادُ بِهِ

(١) سورة لقمان ٣١ : ٣٢ .

(٢) فِي «ح» وَالْحَجَرِيَّةِ : يَنْتَظِرُونَ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ لَمْ يَرُدَّ فِي «هـ» وَ«و» .

الإتيان الحقيقي ، قال الشاعر :

أَتَانِي كَلَامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ وما خفتُ يا سَلَامُ أَنَّكَ عَائِي ^(١) [٥١٦]
وقال آخر :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِأَرْضِ ^(٢) الْخَيْرِزَانِ ^(٣) [٥١٧]
فكأنَّ المعنى في الآية : إنَّ الناس في الدنيا يعتصم بعضهم ببعض ،
ويفزع بعضهم إلى بعض في الكفر والعصيان ، فإذا كان يوم القيامة انكشف
الغطاء ، وأيقن الشاك ، وأقرَّ الجاحد ، وعلم الجاهل ، فلم يعصم أحدٌ من
الله أحداً ، ولم يكن له من دون الله ناصر ، ولا من عذابه دافع ^(٤) ، وعلم
الجميع أنَّ الأمر كله لله .

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ١ : ١٤٦ ، والجصاص في أحكام القرآن ١ : ٣٩١ ، ولم ينسبها .

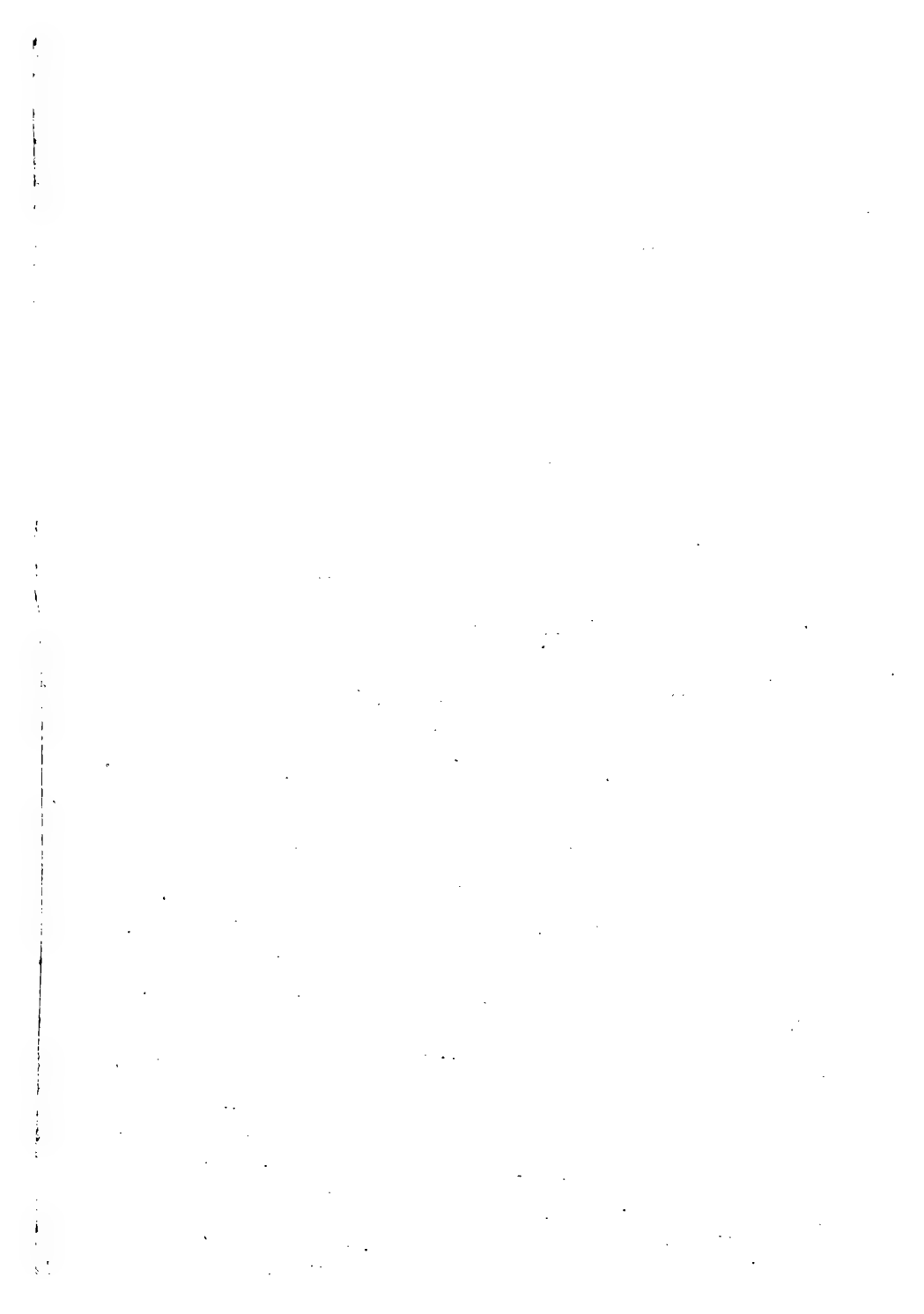
والشاهد فيه : نسبة الإتيان إلى الكلام ، ولا يراد الإتيان الحقيقي .

(٢) في الديوان ولسان العرب : بلاد ، بدل : بأرض .

(٣) البيت للناطقة الجعدي ، انظر : ديوانه : ١٨٢ ، ولسان العرب ٤ : ٢٣٧ «خزر» ، من قصيدة مطلعها :

فمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأَنِّي من الْفَتَيَانِ فِي عَامِ الْخُنَانِ
وَالْخَيْرِزَانِ : نبات لَيْنِ الْقَضْبَانِ أَمْلَسَ الْعِيدَانِ ، وَيَخْبِرُ الشَّاعِرَ أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ قَوْمِهِ
فِي الصَّحْرَاءِ وَأَنَّهُ خَبِرَ انْتِصَارَهُمْ .
والشاهد فيه : نسبة الإتيان إلى النصر ، وهو كذلك ليس على حقيقته .

(٤) في «ح» : مانع .



فهرس الموضوعات

تكملة تفسير سورة البقرة

- الآية (١٢٧) ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ...﴾ ٧ ...
الرفع والقواعد في اللغة ٧
بيان الوجه في تسمية الواحدة من قواعد النساء : قاعد ١٠
بيان موضع الجملة من قوله : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ووجه النصب ١٠
قول أكثر المفسرين : إن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام رفعوا القواعد معاً ١١
بيان الخلاف في وجود قواعد البيت قبل إبراهيم عليهما السلام ١٢
ذكر أول مَنْ حج البيت والخلاف فيه ١٣
الوجه في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ ١٣
معنى قوله تعالى : ﴿تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ١٣
ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام بالنسبة إلى البيت المعمور ١٤
ذكر أنَّ إسماعيل عليه السلام أول مَنْ شُقَّ لسانه بالعربية ١٤
رفع البيت الحرام زمن الطوفان وبناء إبراهيم عليه السلام له بعد ذلك ١٤
الآية (١٢٨) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾ ١٥
بيان قراءة شاذة لـ : ﴿مُسْلِمَيْنِ﴾ ١٥
بيان وجه السؤال في قول إبراهيم وإسماعيل : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ ١٥
بيان المراد من الإسلام والفرق بينه وبين الإيمان ١٦

- ٤٥٤ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
- بيان الوجه في الدعاء لبعض الذرية ١٧
- معنى قوله تعالى: ﴿وَأَرْنَا مَتَاسِكَنَا﴾ ١٧
- معنى قوله تعالى: ﴿وَأَرْنَا﴾ وتعيين الرؤية المرادة ١٩
- معنى قوله تعالى: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ ٢٠
- بيان دلالة الآية على استحباب الدعاء بما يعلم الداعي أنه يكون لا محالة ٢١
- بيان الاختيار في قراءة ﴿أَرْنَا﴾ بكسر الراء ٢١
- الآية (١٢٩) ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ...﴾ ٢٣
- بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهِمْ﴾ ٢٣
- بيان المراد من الكتاب والحكمة ٢٤
- معنى قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ ٢٥
- معنى قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ﴾ ٢٦
- المراد من: ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٢٧
- الآية (١٣٠) ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ...﴾ ٢٧
- معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ﴾ ٢٧
- بيان الخلاف في نصب ﴿نَفْسَهُ﴾ ٢٨
- معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ ٣١
- وجه اختصاص الآخرة بالذكر في قوله: ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ ٣٣
- دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن...﴾ على أن ملة إبراهيم عليه السلام ملة نبينا ﷺ ٣٣
- الآية (١٣١) ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ ٣٣
- الوجه في قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ على لفظ المتكلم ٣٤
- الآية (١٣٢) ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ...﴾ ٣٥
- بيان الاختلاف في قراءة: ﴿وَوَصَّى﴾ ٣٥

٤٥٥	فهرس الموضوعات.....
٣٦	بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾
٣٧	بيان الوجه في رفع: ﴿يَعْقُوبُ﴾
٣٧	بيان أن الألف واللام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ﴾ للعهد لا للاستغراق
	بيان الوجه في إسقاط «أن» من ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ وإثباتها في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا
٣٧	نُوحًا ... أَنْ أَنْذِرَ﴾
٣٩	بيان الوجه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾ على وجه النهي
٤٠	الآية (١٣٣) ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا...﴾
٤٠	بيان أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة وليست متصلة
٤١	بيان المخاطب في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾
٤٢	بيان الوجه في نصب قوله تعالى: ﴿إِلَيْهَا وَحِذًّا﴾
٤٢	بيان إعراب قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
٤٢	بيان إعراب قوله تعالى: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾
٤٣	بيان الوجه في قوله تعالى: ﴿ءَابَايَكَ﴾ مع أن إسماعيل عم يعقوب
٤٣	بيان شذوذ قراءة: ﴿وَالِهَ أَبِيكَ﴾
٤٤	الآية (١٣٤) ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا...﴾
٤٤	بيان المراد من الأمة وذكر معانيها
٤٦	معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
٤٦	دلالة الآية على بطلان قول المجبرة: إن الأبناء يؤخذون بذنوب الآباء
٤٦	بيان الإشارة إلى إبراهيم وإسماعيل بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾
٤٧	بيان إعراب قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾
٥١	الآية (١٣٥) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ...﴾
٥١	بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾

٤٥٦ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
٥١	معنى قوله تعالى: ﴿تَهْتَدُوا﴾
	بيان الحجة في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَلَّةٌ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ على وجوب اتباع ملّة
٥١ إبراهيم عليه السلام
٥١	ذكر بعض التناقضات في اليهودية والنصرانية
٥٢	بيان معنى الحنيفيّة
٥٤	بيان الوجه في نصب: ﴿مِلَّةٌ إِبرَاهِيمَ﴾
٥٥	الآية (١٣٦) ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...﴾
٥٦	بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾
٥٦	ذكر معنى السبط
	عدم دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾ والأسباط على
٥٩	أن الأسباط أنبياء
٥٩	معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾
٦٠	معنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
٦٠	بيان فائدة الآية
٦٠	الآية (١٣٧) ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا...﴾
٦٠	بيان الاحتمالات في «الباء» في قوله تعالى: ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ﴾
٦٢	معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾
٦٣	دلالة الآية على نبوة نبيّنا محمد ﷺ
٦٣	الآية (١٣٨) ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ...﴾
٦٣	معنى قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾
٦٥	الوجه في نصب «صِبْغَةَ اللَّهِ»
٦٥	معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾

- فهرس الموضوعات ٤٥٧
- معنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ ٦٦
- الآية (١٣٩) ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا...﴾ ٦٦
- معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا﴾ ٦٨
- معنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ ٦٨
- معنى قوله تعالى: ﴿فِي اللَّهِ﴾ ٦٩
- الآية (١٤٠) ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ ٦٩
- الاختلاف في قراءة: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ ٦٩
- بيان أن الآية احتجاج على قول اليهود: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ
- نَصْرَى﴾ ٧٠
- معنى قوله تعالى: ﴿هَآ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ ٧١
- معنى «مَنْ» في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ ٧١
- بيان المراد من الشهادة التي كتبتها اليهود ٧٢
- معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٧٣
- الآية (١٤١) ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ...﴾ ٧٤
- الوجه في تكرار ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ٧٤
- بيان المعنى بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ٧٥
- الآية (١٤٢) ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا...﴾ ٧٩
- ذكر الاختلاف في مَنْ عاب المسلمين بالانصراف عن بيت المقدس ٨٠
- بيان الاختلاف في سبب عيبهم الانصراف عن القبلة ٨١
- بيان الدلالة والمعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ٨٢
- بيان الخلاف في أن التوجه إلى بيت المقدس كان فرضاً أم تخييراً؟ ٨٣
- الآية (١٤٣) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ ٨٤

٤٥٨ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
٨٤	الاختلاف في قراءة ﴿لَرءَوْفٌ﴾
٨٤	معنى قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾
٨٦	بيان أن «اللام» في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا﴾ و﴿لِكَبِيرَةٍ﴾ و﴿لِيُضِيعَ﴾ من أي اللامات
٨٧	بيان المشهود به في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾
٨٨	ذكر عدم دلالة الآية على حجية الإجماع
٨٩	معنى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
٩٠	معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾
٩١	معنى قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾
٩٣	بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾
٩٤	معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾
٩٥	معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾
٩٧	الاستدلال بالآية على أن الإيمان من أفعال الجوارح
٩٧	استدلال الجبائي بالآية على أن الشاهد هو الحاضر
٩٨	دلالة الآية على جواز النسخ في الشريعة
٩٨	جواب سؤال : كيف أضاف الإيمان إلى الأحياء وكان السؤال عمن مضى ؟
٩٨	جواب سؤال : كيف جاز على أصحاب النبي ﷺ الشك فيمن مضى ؟
٩٩	الآية (١٤٤) ﴿قَدْ تَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً...﴾
٩٩	الاختلاف في قراءة: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾
٩٩	جواب سؤال : لِمَ قَلَّبَ النبي ﷺ وجهه في السماء ؟
١٠٠	ذكر الأقوال في سبب محبة رسول الله ﷺ للتوجه إلى الكعبة
١٠١	معنى قوله تعالى: ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾
١٠٤	بيان المعني بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾

- فهرس الموضوعات ٤٥٩
- بيان أن الآية ناسخة لفرض التوجه إلى بيت المقدس ١٠٤
- رد القول بأنها ناسخة لقوله تعالى : ﴿فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ١٠٥
- معنى قوله تعالى : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ ١٠٦
- بيان المراد من قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لِلْحَقِّ﴾ ١٠٧
- ذكر اختلاف الناس في صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس ١٠٧
- الآية (١٤٥) ﴿وَلَسِينَ أَتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا...﴾ ١٠٩
- بيان اختلاف النحويين في جواب «لئن» ١٠٩
- جواب سؤال : كيف قال : ﴿وَلَسِينَ أَتَيْنَ...﴾ وقد آمن منهم خلق ؟ ١١٠
- دلالة الآية على فساد قول مَنْ قال : لا يكون الوعيد بشرطٍ ، وعلى فساد القول
- بالموافاة ١١١
- دلالة الآية على بطلان القول : إن في المقدور لطفاً ١١١
- معنى قوله تعالى : ﴿وَلَسِينَ أَتَيْنَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ١١٢
- معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ ١١٣
- معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةِ بَعْضٍ﴾ ١١٤
- الآية (١٤٦) ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ...﴾ ١١٧
- ذكر الأقوال في الذي كتبه بعض أهل الكتاب ١١٧
- بيان الوجه في قوله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وهم لا يعرفون
- أبنائهم ١١٨
- الآية (١٤٧) ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ...﴾ ١١٩
- معنى قوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ١١٩
- بيان المعنى بقوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ١٢١
- الآية (١٤٨) ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا...﴾ ١٢٢

٤٦٠	التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
١٢٢	ذكر الأقوال في قوله : ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ مَوْئِلُهَا﴾
١٢٤	بيان المعاني المحتملة في قوله تعالى : ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾
١٢٥	الآية (١٤٩) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾
١٢٥	بيان الوجه في تكرار قوله تعالى : ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
١٢٦	بيان معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
١٢٦	الآية (١٥٠) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾
١٢٦	بيان الوجه في تكرار قوله تعالى : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾
١٢٧	معنى قوله تعالى : ﴿لَنَلَّا بِكُنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً﴾
١٢٨	ذكر الأقوال في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
١٣١	المراد من الناس في الآية
١٣٢	الآية (١٥١) ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا...﴾
١٣٣	بيان العامل في ﴿كَمَا﴾
١٣٤	بيان الوجه في قوله تعالى : ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
١٣٤	معنى قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُكُمْ﴾
١٣٥	الآية (١٥٢) ﴿فَإَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ...﴾
١٣٥	الأقوال في الذكر المأموره في الآية
١٣٦	معنى قوله تعالى : ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾
١٣٨	الآية (١٥٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ...﴾
١٣٩	دلالة الآية على أنَّ في الصلاة لطفًا
١٣٩	ذكر الأقوال في الذي يستعان له بالصبر والصلاة
١٣٩	بيان موضع ﴿الَّذِينَ﴾ والعامل فيه
١٤٣	الآية (١٥٤) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾

٤٦١	فهرس الموضوعات
١٤٣	بيان المراد من قوله تعالى: ﴿بَلِّ أَحْيَاءَ﴾
١٤٤	جواب سؤال : لِمَ خَصَّ الشهداء بِأَنَّهُم أَحْيَاءُ والمؤمنون كُلَّهُم أَحْيَاءُ في البرزخ ..
١٤٥	بيان الفرق بين «بل» و«لكن»
١٤٥	جواب : هل تكون عقولهم صحيحة إذا كانوا أَحْيَاءُ ؟
١٤٦	جواب : كيف يجوز أن يكونوا أَحْيَاءُ ونحن نرى جثثهم ؟
١٤٦	الآية (١٥٥) ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ...﴾ ..
١٤٧	بيان المخاطبين بهذه الآية
١٤٨	جواب : إذا كان الله قد فعل الابتلاء... ففيه إيجاب فعلٍ من فاعِلَيْنِ ؟
١٤٩	بيان الوجه في فتح الواو في : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾
١٤٩	بيان الوجه في قوله تعالى : ﴿بِشَيْءٍ﴾ ولم يقل بأشياء
١٥٠	جواب : هل يجري الابتلاء بأمر القبله مجرى الألم عند المصيبة ؟
١٥٠	بيان حسن الوقف على قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾
١٥١	الآية (١٥٦) ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...﴾ ..
١٥٢	الآية (١٥٧) ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ...﴾
١٥٢	بيان الأقوال في معنى الصلاة
١٥٤	الآية (١٥٨) ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ...﴾ ..
١٥٤	بيان الاختلاف في قراءة : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾
١٥٤	ذكر الأقوال في معنى الصفا والمروة
١٥٨	الوجه في قوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ وهو طاعة
١٦٠	ذكر الأقوال في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾
١٦٢	الآية (١٥٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهَدْيِ مِّن بَعْدِ مَا...﴾ ..
١٦٢	بيان المعني بهذه الآية

٤٦٢ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
١٦٤	بيان عدم صحّة الاستدلال بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد.....
١٦٤	بيان المراد من ﴿أَلْبَيْتَتِ﴾.....
١٦٥	بيان المعنى بقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾.....
١٦٦	جواب: كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يعقل؟.....
١٦٧	الآية (١٦٠) ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا...﴾
١٦٧	ذكر الاختلاف في معنى: ﴿وَبَيَّنُّوا﴾.....
١٦٩	الآية (١٦١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ...﴾ ..
١٧٠	جواب: كيف يلعن الكافر كافراً مثله؟.....
١٧٠	ذكر قراءة شاذة في: ﴿وَالْمَلَكِ﴾.....
١٧١	بيان جواز الرفع في ﴿أَجْمَعِينَ﴾.....
١٧٢	الآية (١٦٢) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ...﴾ ..
١٧٢	ذكر المراد من ﴿فِيهَا﴾.....
١٧٢	ذكر محتملات الخلود في اللعنة.....
١٧٢	بيان الوجه في قوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾ مع أنهم مخلصون.....
١٧٤	الآية (١٦٣) ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ...﴾.....
١٧٤	ذكر الأوجه التي يوصف بها الله تعالى بأنه واحد.....
١٧٤	بيان غلط الرماني في معنى ﴿إِلَهٌ﴾.....
١٧٩	الآية (١٦٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ ..
١٧٩	ذكر الاختلاف في قراءة ﴿الرَّيْحِ﴾.....
١٧٩	بيان الدلالات في الآية.....
١٨١	ذكر الوجه في جمع السماوات وتوحيد الأرض.....
١٨٢	ذكر الأقوال في اشتقاق قوله: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.....

- فهرس الموضوعات ٤٦٣
- ذكر الأقوال في تصريف الرياح ١٨٨
- بيان الوجه في إضافة الآيات إلى العقلاء ١٨٨
- الآية (١٦٥) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ ... ١٩٠
- الاختلاف في قوله : ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ وقوله : ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ وقوله : ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ ١٩٠
- بيان نوع الإضافة في قوله تعالى : ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ١٩٢
- جواب : كيف يحبّ المشرك شيئاً كحبه الله وهو لا يعرف الله ؟ ١٩٣
- معنى قوله تعالى : ﴿ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا﴾ ١٩٣
- ذكر الأوجه لفتح «أن» وكسرها في قوله تعالى : ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ ١٩٣
- جواب : كيف قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهو أمر مستقبل
- و «إذ» للماضي ؟ ١٩٦
- الآية (١٦٦) ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ...﴾ ١٩٧
- بيان المعنى بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ ١٩٨
- ذكر الأقوال في الأسباب من قوله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ١٩٨
- الآية (١٦٧) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرِهْنَا لَنَكْرِهَنَّ أَفْتَبَرًا مِنْهُمْ كَمَا...﴾ ١٩٩
- المعنى بقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ ١٩٩
- بيان الأقوال في المراد من الأعمال في قوله تعالى : ﴿أَعْمَلْتُمْ حَسَنَاتٍ﴾ ٢٠١
- جواب : لو جاز إضافة الأعمال لهم جاز القول : بأن الجنة دارهم ؟ ٢٠٢
- الآية (١٦٨) ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا...﴾ ... ٢٠٤
- بيان الاختلاف في قراءة : ﴿خُطُوتٍ﴾ ٢٠٤
- بيان اختلاف المعنى باختلاف القراءة في : ﴿يَخْلِلُ﴾ و ﴿يَحْلُلُ﴾ ٢٠٥
- بيان الأقوال في قوله تعالى : ﴿خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ ٢٠٨
- بيان الأقوال فيما هو الأصل في المنافع والمآكل للناس ٢٠٨

- ٤٦٤ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
- الآية (١٦٩) ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ...﴾ ٢٠٩
- المراد من السوء والفحشاء في الآية ٢١٠
- جواب : كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نراه ولا نسمع كلامه ؟ ٢١١
- جواب : إذا كان الله عز وجل يوصل معنى أمر الشيطان لنا ، فما وجه الحكمة في ذلك ؟ ٢١١
- استدلال من نفى القياس بهذه الآية ٢١٢
- الآية (١٧٠) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا...﴾ ٢١٧
- ذكر احتمال في معنى قوله تعالى : ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ٢١٨
- ذكر الأقوال في مرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ﴾ ٢١٨
- الآية (١٧١) ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ...﴾ ٢٢٠
- ذكر أوجه التشبيه في هذه الآية ٢٢٠
- بيان أوجه الحذف في الوجه الأول من وجوه التشبيه ٢٢١
- جواب : كيف قوبل الذين كفروا - وهم المنعوق به - بالناعق ؟ ٢٢٢
- دلالة الآية على بطلان قول من زعم أنهم لا يستطيعون سماعاً على الحقيقة ٢٢٥
- دلالة الآية على بطلان قول من قال : إن المعرفة ضرورية ٢٢٦
- الآية (١٧٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا...﴾ .. ٢٢٧
- بيان الاختلاف في المعنى بالخطاب ٢٢٧
- بيان أن الشكر يكون على وجهين ٢٢٨
- الآية (١٧٣) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ...﴾ .. ٢٢٩
- بيان الاختلاف في قراءة ﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ﴾ ٢٢٩
- بيان الاختلاف بين الميت والميت ٢٣١
- معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَهْلُ بِهِ يَغْيِرُ اللَّهُ﴾ ٢٣٢

فهرس الموضوعات	٤٦٥
ذكر الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾	٢٣٤
رد قول الرماني في عدم صحة القول الثالث في معنى قوله : ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾	٢٣٥
الوجه في ذكر المغفرة هاهنا	٢٣٦
الآية (١٧٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ...﴾	٢٣٧
بيان المعنى بهذه الآية	٢٣٧
بيان المراد من : الذي كتموه	٢٣٧
جواب : الأكل لا يكون إلا في البطن فما معنى قوله : ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ ؟	٢٣٩
معنى قوله : ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمْ﴾	٢٤٠
الآية (١٧٥) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ...﴾	٢٤٢
بيان معنى «ما» في قوله تعالى : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾	٢٤٣
ذكر الأقوال في معنى قوله تعالى : ﴿أَصْبَرَهُمْ﴾	٢٤٣
الآية (١٧٦) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي...﴾	٢٤٥
بيان المشار إليه بقوله : ﴿ذَلِكَ﴾	٢٤٥
بيان الأقوال في تقدير خبر قوله : ﴿ذَلِكَ﴾	٢٤٦
ذكر الاحتمال في معنى الاختلاف هاهنا	٢٤٧
معنى قوله : ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	٢٤٧
ذكر المعنى بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾	٢٤٨
الآية (١٧٧) ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ...﴾	٢٥٣
ذكر الاختلاف في قراءة : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾	٢٥٣
معنى قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾	٢٥٤
ذكر ثلاثة أقوال في قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾	٢٥٤
ذكر الاحتمال في مرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾	٢٥٦

- ٤٦٦ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤
- ٢٥٧ بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَأَيْنَ السَّبِيلِ﴾
- ٢٥٨ معنى قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾
- ٢٥٩ ذكر المراد بـ: ﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾
- ٢٦٣ معنى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾
- ٢٦٣ المعنى بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾
- ٢٦٤ الآية (١٧٨) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ...﴾
- ٢٦٥ جواب : كيف قيل : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ بمعنى فرض ؟
- ٢٦٨ بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾
- ٢٦٨ جواب : كيف يجوز أن تعود «الهاء» في «أخيه» إلى أخي القاتل ؟
- ٢٦٩ بيان عدم نسخ هذه الآية بقوله: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾
- ٢٧١ معنى قوله تعالى: ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
- ٢٧١ الاستدلال بقوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ على جواز قتل العبد بالحر...
- ٢٧٤ الآية (١٧٩) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتِيهِ الْآلِيبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ...﴾
- ٢٧٤ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ وكيف صار في القصاص حياة...
- ٢٧٩ الآية (١٨٠) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ...﴾
- ٢٧٩ دلالة الآية على جواز الوصية للوارث...
- ٢٧٩ بطلان دعوى النسخ للآية...
- ٢٨٣ بيان وجه الرفع في قوله تعالى: ﴿الْوَصِيَّةُ﴾
- ٢٨٤ بيان العامل في ﴿إِذَا...﴾
- ٢٨٥ الآية (١٨١) ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ...﴾
- ٢٨٥ بيان مرجع الهاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾
- ٢٨٦ دلالة الآية على بطلان مَنْ قال: إِنَّ الطفل يُعَذَّبُ بكفر أبويه

٤٦٧	فهرس الموضوعات
٢٩١	الآية (١٨٢) ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِنْمَاءً فَاصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ...﴾
٢٩١	بيان الاختلاف في قراءة: ﴿مُوسٍ﴾
٢٩١	جواب: كيف قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾ لما قد وقع؟
٢٩٣	ذكر اختيار الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾
٢٩٥	ذكر مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾
٢٩٦	الآية (١٨٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى...﴾
٢٩٧	ذكر الأقوال في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
٢٩٩	الآية (١٨٤) ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ...﴾
٢٩٩	بيان الاختلاف في قراءة قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ﴾
٢٩٩	بيان العامل في نصب قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾
٣٠٢	دلالة الآية على وجوب الإفطار على المسافر والمريض
٣٠٩	بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾
٣٠٩	بيان المعنى بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾
٣١٠	ذكر قراءة شاذة لـ: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾
٣١٠	دلالة الآية على بطلان قول المجبرة: إن القدرة مع الفعل
٣١١	الآية (١٨٥) ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ...﴾
٣١١	بيان الاختلاف في قراءة: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾
٣١٣	بيان وجه الرفع في قوله تعالى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ﴾
٣١٣	بيان وجه جواز الفتح في شهر رمضان
٣١٣	معنى قوله تعالى: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾
٣١٤	جواب: كيف يجوز إنزال القرآن كله في ليلة واحدة؟
٣١٥	معنى قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾

بيان الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ

مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ ٣١٦

دلالة الآية على فساد قول المجبرة ٣٢٠

ذكر مسائل من أحكام الصوم ٣٢٢

جواز قضاء شهر رمضان متتابعاً ومتفرقاً ٣٢٢

حكم الجماع في شهر رمضان وكفارته ٣٢٢

حكم من أصبح جنباً متعمداً ٣٢٢

حكم تعمّد القبيح ٣٢٣

احتلام الصبي يوم النصف من شهر رمضان ٣٢٤

حكم الكافر إذا أسلم ٣٢٥

حكم المجنون والمغمى عليه ٣٢٥

حكم الحامل والمرضع والشيخ الكبير ٣٢٦

بيان السفر الذي يوجب الإفطار ٣٢٧

بيان المرض الذي يوجب الإفطار ٣٢٨

الآية (١٨٦) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ...﴾ ٣٢٩

معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ ٣٢٩

جواب: إن قيل: إذا كان لا يجيب دعاء كل من دعا فما معنى الآية؟ ٣٣٠

جواب: إن قيل: إذا كان ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعل، فلا معنى للدعاء؟ .. ٣٣٠

جواب: إن قيل: هل يجوز أن تكون الإجابة غير الثواب؟ ٣٣١

معنى قوله: ﴿فَأِنِّي قَرِيبٌ﴾ ٣٣١

بيان معنى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ٣٣٣

الآية (١٨٧) ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ...﴾ ٣٣٧

٤٦٩ فهرس الموضوعات
٣٣٨ معنى قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾
٣٣٩ معنى قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ﴾
٣٣٩ جواب: إن قيل: أليس الخيانة انتقاص الحق على جهة المساترة؟
٣٤٠ معنى قوله تعالى: ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾
٣٤٠ معنى قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾
٣٤٣ معنى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾
٣٤٣ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾
٣٤٦ ذكر جملة من أحكام الاعتكاف
٣٤٨ الآية (١٨٨) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ...﴾
٣٤٨ معنى الآية
٣٤٩ معنى قوله تعالى: ﴿وَتَذْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾
٣٥١ ذكر قولين في اشتقاق قوله تعالى: ﴿وَتَذْلُوا﴾
٣٥٢ الآية (١٨٩) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ...﴾
٣٥٣ جواب: إن قيل: عماذا كان السؤال عن الأهله؟
٣٥٤ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ﴾
٣٥٦ جواب: إن قيل: أي تعلني لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ بسؤال القوم عن الأهله؟
٣٥٧ الآية (١٩٠) ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا...﴾
٣٥٨ ذكر ذهاب بعض أرباب التفسير إلى نسخ الآية
٣٥٨ ذكر ثلاثة أقوال في قوله تعالى: ﴿تَعْتَدُوا﴾
٣٦٣ الآية (١٩١) ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حِينَ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُم...﴾
 ذكر الاختلاف في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ﴾ و﴿حَتَّى يُقْتَلُوا﴾
٣٦٣ و﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ﴾

٤٧٠ التبيان في تفسير القرآن/ ج ٤

ذكر أنه يجوز في «حيث» الضم والفتح والكسر ٣٦٣

الآية (١٩٢) ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ...﴾ ٣٦٥

الآية (١٩٣) ﴿وَقَتِلُواهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا...﴾ .. ٣٦٧

بيان : أن هذه الآية ناسخة للآية الناهية عن القتال عند المسجد ٣٦٧

بيان معنى الدين هاهنا ٣٦٧

بيان معنى قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَنْتَهَوْا﴾ ٣٦٨

جواب : إن قيل : أيجوز أن نقول : لا ظلم إلا على الظالمين ؟ ٣٦٩

الآية (١٩٤) ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ...﴾ ٣٧٠

معنى قوله تعالى : ﴿وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ﴾ ٣٧٠

الوجه في جمع «الحرمت» ٣٧١

جواب : كيف جاز قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ مع قوله :

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ؟﴾ ٣٧٢

جواب : كيف قال تعالى : ﴿بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى﴾ والأول جور والثاني عدل ؟ ٣٧٢

الآية (١٩٥) ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ ٣٧٣

بيان احتمال وجهين في «الباء» من قوله تعالى : ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ ٣٧٣

بيان الوجوه في معنى الآية ٣٧٤

الآية (١٩٦) ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ...﴾ ... ٣٧٧

ذكر الأقوال في إتمام الحج والعمرة ٣٧٧

بيان الخلاف في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾ ٣٨٠

بيان الخلاف في قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ ٣٨٢

ذكر القولين في اشتقاق الهدى ٣٨٣

ذكر القولين في محل الهدى ٣٨٥

٤٧١	فهرس الموضوعات
٣٨٨	ذكر أقوال المفسرين في التمتع
٣٩١	بيان الاختلاف في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾
٣٩٧	الآية (١٩٧) ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا... ﴾ .
٣٩٨	جواب : كيف جمع شهرين وعشرة أيام ثلاثة أشهر ؟
٤٠٠	معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾
٤٠١	ذكر القولين في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾
٤٠٣	معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾
٤٠٤	الآية (١٩٨) ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ... ﴾ .
٤٠٧	الآية (١٩٩) ﴿ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ... ﴾ .
٤٠٧	بيان القولين في معنى الآية
٤٠٩	جواب : إن قيل : إذا كانت «ثم» للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا ؟
٤١٠	ذكر القولين في معنى الاستغفار
٤١٠	الآية (٢٠٠) ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ... ﴾ .
٤١١	معنى قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾
٤١٢	بيان وجه الشبه بين الأوجب وبين ما دونه في الوجوب
٤١٣	بيان وقت الذكر هل هو بعد قضاء المناسك أو معه ؟
٤١٣	الآية (٢٠١) ﴿ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ... ﴾ .
٤١٣	ذكر الفرق بين القول والكلام وبيان أوجه الحكاية
٤١٤	بيان القولين في معنى الحسنة
٤١٥	الآية (٢٠٢) ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ... ﴾ .
٤٢٣	الآية (٢٠٣) ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا... ﴾ .
٤٢٣	بيان المراد من الأيام المعلومات

٤٧٢ التبيان في تفسير القرآن / ج ٤
٤٢٥	بيان المراد بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾
٤٢٦	بيان القولين في قوله تعالى : ﴿فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾
٤٢٦	ذكر القولين في قوله تعالى : ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾
٤٢٩	الآية (٢٠٤) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ...﴾
٤٢٩	ذكر الاختلاف في المعنى بـ «الناس» في الآية
٤٣٢	الآية (٢٠٥) ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ...﴾ ...
٤٣٥	دلالة قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ على بطلان قول المجبرة
٤٣٦	الآية (٢٠٦) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيْمِ فَحَسْبُهُ...﴾
٤٣٧	معنى قوله تعالى : ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾
٤٣٧	جواب : كيف قيل لجهنم : المهاد ؟
٤٣٨	الآية (٢٠٧) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾
٤٤٠	معنى قوله تعالى : ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾
٤٤١	معنى قوله تعالى : ﴿أُتْبَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾
٤٤٢	الآية (٢٠٨) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا...﴾
٤٤٢	بيان الاختلاف في قراءة : ﴿السِّلْمِ﴾
٤٤٧	الآية (٢٠٩) ﴿فَإِنْ رَزَقْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ...﴾
	جواب : فإن قيل : سواء زلَّ العباد أو لا ، وجب أن يعلم أن الله عزيز فما معنى
٤٤٨	الشرط ؟
٤٤٩	الآية (٢١٠) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ...﴾
٤٤٩	بيان الاختلاف في قراءة : ﴿وَالْمَلَكُتْ﴾ و﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾
٤٥٣	فهرس الموضوعات